ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/349729880

التنافس الروماني -الساساني 226-476م

Book · March 2021

CITATIONS
0

READS
72

1 author:

أ.م.د ميثم عبد الكاظم جواد النوري
University of Baghdad College of Arts
22 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

Some of the authors of this publication are also working on these related projects:

العلاقات الرومانية الفرثية View project

history of Persia View project

All content following this page was uploaded by أ.م.د ميثم عبد الكاظم جواد النوري on 03 March 2021.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

التنافس
الروماني ـ الساساني
(226 ـ 476م)

التنافس
الروماني ـ الساساني
226 ـ 476 م

الدكتور
ميثم عبد الكاظم جواد النوري

الطبعة الأولى 2017 م
عدد النسخ: 1000
القياس: 17 × 24
عدد الصفحات: 416

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3097 لسنة 2017

دار ومكتبة عدنان
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد
شارع المتنبي - بناية المكتبة البغدادية
07707900655 - 07901785386
07813515055 - 07901312029
Email: yaserbook@yahoo.com - فيس بوك: دار ومكتبة عدنان

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الدكتور
ميثم عبد الكاظم جواد النوري

التنافس الروماني ـ الساساني

(226 – 476م)

دار ومكتبة عدنان

2017

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَولَمَ يَسِيرُواْ فِي آلأَرْضِ فَينَظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَقِبَةُ آلَّذِينَ مِن قَبلِهِم كَانُوَاْ أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَأَثَارواْ آلأَرضَ وَعَمَرُوهَآ أَكثَرَ مِمّآ عَمَرُوهَا وَجَآءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنتِ فَمَا كَانَ آللهُ لِيَظلِمَهُم وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ ﴾

صـدق الله العلي العظيـم

(سورة الروم: آية 9)

الاهـداء

إلـى رمز المحبة والعطاءوالدي الحبيب..... عرفاناً وتقديراً.

إلـى من استضيء بدعائها والدتي الحبيبة.... حبـاً وفـاءً.

الـى القلوب النقية التي ملأت عشقاً ومودة....

اخواني... زوجتي... ابنتي... أخواتي

أُهدي هذا الجهد المتواضع

ميثـم

المقدمة

المقدمة

الحمد لله حمداً لا منتهى له دون علمك، ولك حمداً لا اجر لقائله إلا رضاك، والصلاة والسلام على اشرف خلقك أبي الزهراء محمد وعلى اله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعـد.....

لو لم يكن هناك دافع أخر للاهتمام بدراسة التاريخ الروماني سوى اتصاله الوثيق بتاريخ دول الشرق الأدنى القديم على مدى عدة أجيال لكان ذلك وحده كافياً، فما بالنا إذا كان الرومان عمالقة الحضارة الإنسانية، وتاريخهم يمدنا بمثال مميز لدورة كاملة بالغة الأهمية من دورات الحضارة من نهوض وارتقاء إلى تدهور واضمحلال سببها تحكم الأهواء والأطماع الشخصية في توجيه دفة الحكم.

وبمـا إن بـلاد فـارس كانـت أقوى دولـة في الشـرق الأدنـى القديم آنـذاك فقد وجـد الرومـان فـي الكيانـات السياسـية التـي قامـت علـى أرضهـا ولاسـيّما الدولـة الساسـانية سـداً قويـاً يقطـع عليهـم الطريـق فـي الاسـتيلاء علـى مناطـق الشـرق الإسـتراتيجية، ويحـول دون الاسـتمرار فـي سياسـتهم التوسـعية نحو سـيادة العالم، ومـن هنـا جاء اختيارنـا لموضوع الدراسـة رغبة في التعـرف على الأسـباب الحقيقية للتنافـس العدائـي الـذي عانت مـن وطئتـه مناطق الشـرق ولاسـيّما العراق وسـوريا وأرمينيـا وتزعمتـه أقوى إمبراطوريتين فـي العالم آنذاك وهمـا الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الساسانية.

وبعد أن تأكد لي من الأساتذة المختصين إن موضوع (التنافس الروماني – الساساني 226 – 476م) لم يدرس بشكل مستقل، وإنه لا يوجد مُؤلَفٌ قائم بذاته يتناوله، عقدت العزم على البحث في تفاصيل ذلك التنافس ودقائقه في دراسة مستقلة لعلها تمدنا بأمثلة ناطقة للأساليب السياسية التي لا تفتأ الدول الكبرى تستخدمها لتحقيق أهدافها الذاتية.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها بعض النتائج التي توصل إليها الباحث.

فالفصل الأول كان بعنوان (لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد الرومان وبلاد فارس) أشتمل على (الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد الرومان) أوضحنا فيه أصل الرومان ونشأة مدينة روما وتأسيسها وكيف تكونت الدولة الرومانية وكيف تمكنت من فرض سيطرتها على شبه الجزيرة الإيطالية، ثم (الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد فارس) أوضحنا فيه تسمية البلاد وطبوغرافيته ثم استعرضنا الوضع السياسي في بلاد فارس قبيل العهد الساساني، وانهينا الفصل بإيضاح أصل الساسانيين وقيام دولتهم.

وحمل الفصل الثاني عنوان (التنافس الروماني – الساساني على أرمينيا وسوريا 226 – 275م) بحثنا فيه دوافع التوجه الروماني نحو الشرق ثم استعرضنا التنافس الروماني الساساني على أرمينيا (226 – 272م) وقبل شرح تفاصيل ذلك التنافس اقتضت طبيعة الموضوع توضيح أهمية أرمينيا وموقعها في السياسة الدولية وعرض موجز لتاريخ الأرمن السياسي حتى سنة 226م، كما بحثنا فيه التنافس الروماني الساساني على سوريا (226 – 272م) بما في ذلك محاولة الملك اردشير الاستيلاء عليها خلال السنوات (230 – 232م) ثم أوضحنا أوضاع الدولة الرومانية خلال السنوات (235 – 284م) وما أصابها من ضعف شجعت الملك سابور الأول (241 – 272م) على مهاجمة سوريا واستيلائه على أنتيوخيا سنة 260م، كما عرجنا في هذا الفصل

على إيضاح دور تدمر في الصراع القائم بين الرومان والساسانيين وكيف تمكن الإمبراطور اورليان (271 – 275م) من إنهـاء دور تدمر السياسي وضمها إلى حظيرة الدولة الرومانية سنة 274م.

أمّا الفصل الثالث فقد أهتم بـ (التنافس الروماني – الساساني على الجزيرة الفراتية وأرمينيا 276 – 379م) تضمنت ثناياه استيلاء الرومان على طيسفون والتنازل الساساني عن الجزيرة الفراتية وأرمينيا سنـة 283م، والإمبراطور دقلديانوس وحكومته الرباعية 284 – 312م، والأسباب التي دعت إلى عقد معاهدة السلم الأربعيني سنة 298م، ثم درسنا أعمال الإمبراطور قسطنطين، انتقلنا بعدها إلى تبيان أوضاع الدولة الساسانية في عهد الملك سابور الثاني (310 – 379م) بما في ذلك علاقته بالعرب وموقفه من المسيحية ثم محاولاته للاستيلاء على أرمينيا وأرض الجزيرة الفراتية ثم شرحنا بالتفصيل الحملة التي قام بها الإمبراطور جوليان (361 – 363م) على العراق سنة 363م ثم استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا خلال السنوات (367 – 368م).

أمّا الفصل الرابع الذي وسم بـ(الخلافات الدينية والأخطار الخارجية (الساسانية – الجرمانية) ودورهما في سقوط روما سنة 476م) فقد بحثنا فيه الخلافات الدينية في القرنين الرابع والخامس الميلادي ثم الأخطار الخارجية المتمثلة بالخطر الساساني والغزوات الجرمانية ودورها في سقوط روما.

لقد واجه الباحث خلال مسيرته البحثية بعض الصعوبات العلمية أهمها ندرة المصادر الأولية لاسيّما التي تخص تاريخ الدولة الساسانية وما تمكنا من الحصول عليه ضم في الغالب معلومات مقتضبة وغير واضحة عن موضوع البحث، ولعل ذلك يعود إلى إنها مصادر متعصبة لا يروق لها الإشارة إلى الخسائر التي منيت بها الإمبراطورية الساسانية لاسيّما بعد أن تمكن ملكها سابور الأول من أسر إمبراطور أقوى إمبراطورية منافسة لها في العالم القديم آنذاك، أما المراجع المعربة وغير المعربة

فعلى الرغم من القصور الواضح في معلوماتها فإنَّ الحصول عليها لم يكن بالأمر السهل وينطبق الحال على المصادر الخاصة بالتاريخ الروماني المتعلقة بموضوع البحث لاسيّما المصادر الكلاسيكية التي عاصر مؤرخوها الأحداث إلاّ إن العزيمة التي أمدني الله (عزَّ وجلَّ) بها حالت دون نفاذ صبري ودفعتني إلى السفر خارج العراق مرات عدة فتمكنت من جمع ما استطعت جمعه من المصادر المتنوعة الكلاسيكية والأجنبية ضمت في ثناياها معلومات تخص موضوع البحث اتسمت بالشمولية والوضوح.

أما المنهج التاريخي الذي اعتمدته فهو منهج التاريخ الوصفي القائم على تحليل المعلومات ونقدها ومقارنة الآراء للوصول إلى الحقائق التاريخية التي كانت أهم مواردها:

1 ـ المصادر التاريخية الكلاسيكية.

يقف في مقدمتها كتاب (تاريخ الرومان) (Roman History) للمؤرخ الروماني(ليفي Livy)[1] (59ق.م – 16م)، وقد اعتمدت عليه في الفصل الأول لاسيّما فيما يخص نشأة مدينة روما وتأسيسها وتكوين الدولة الرومانية

1- يذكر عنه إنه قضى أربعين سنة في كتابة تاريخه عن روما منذ تأسيسها، وضعه في (142) كتاباً لم يبق منها إلا (34) كتاباً، وهي الكتب من (1 – 10) يتحدث فيها عن تاريخ روما منذ تأسيسها حتى سنة 293ق.م، والكتب من (21 – 45) يتحدث فيها عن تاريخ روما منذ سنة (218 – 167ق.م) أي السنوات التي تتعلق بالحروب المقدونية ومما يؤخذ عليه إنه مؤرخ غير دقيق جاهل بالأمور الحربية، ركز في تاريخه على أبراز أعمال الرجال وبطولاتهم والمميزات التي خلقت عظمة روما، وقد أقرَّ ذلك بنفسه فقيل إنه قال " أنا لا أزعم أني بحثت بحثاً علمياً دقيقاً أو أستندت إلى منهاج مبتكر للبحث العلمي "، إلاّ أنه مع ذلك يعد من أبرز المصادر الكلاسيكية القديمة (علي، عبد اللطيف احمد، مصادر التاريخ الروماني، (بيروت: دار النهضة العربية، 1970م)، ص15 – 16؛ كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكر خليل ومحمد عبد الواحد خلف، (القاهرة: 1961م)، ص88 – 90).

وحكم ملوكها السبعة وكذلك في الفصل الثاني فيما يتعلق بتفاصيل الحروب المقدونية [1].

أما كتاب (السّير) (Lives) للمؤرخ الروماني بلوتارخ (Plutarch)[2] (46–120م)، فقد أمدني بمعلومات قيمة استفدت منها في الفصلين الأول والثاني.

أما كتابي (الحوادث الجارية) (Rerum Gestarum Libri) و (التاريخ الروماني) (Roman History) فصاحبهما مؤرخ روماني اسمه (اميانوس مرسيلينوس)[3] (330 – 401م)، ومع إني تمكنت من الحصول على نسخة من هذا الكتاب وهو باللغة الفنلندية فأني اعتمدت فيما يخص شرح تفاصيل حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م

1- الحروب المقدونية:هي حروب وقعت بين الرومان وملك مقدونيا فيليب الخامس (222 – 179ق.م) لتهديده روما بتحالفه مع ملك قرطاجة هانيبال (221 – 183ق.م)، استمرت تلك الحروب قرابة خمسين سنة (215 – 168ق.م) حسمت نتيجتها لصالح الرومان في معركة بيدنا سنة 168ق.م إذ أسفرت عن انتهاء الوجود المقدوني وتقسيمه إلى أربع جمهوريات (بتري، أ، مدخل إلى تاريخ الرومان وأدابهم وآثارهم، ترجمة: يوئيل عزيز، (الموصل: 1977م)) وللتفصيل عن تلك الحروب انظر:

Livy,Titus,The History of Rome,http://WWW.World Library.net,Vol.V, Book.33,34;Vol. Vl,http://WWW.blackmask.com, Book.42,43.

2- ولد بلوتارخ في بلدة خيرونيا (Charronea) بإقليم بويوتيا في بلاد اليونان، درس الفلسفة والعلوم الطبيعية والبلاغة في أثينا، وبعد أكمال دراسته أصبح كاهناً لمعبد دلفي في أثينا، أشتهر بكونه كاتباً للسير فقد ترجم في كتابه (السير) لكثير من الشخصيات اليونانية والرومانية، وكان هذا الكتاب مفضل لكثير من الأمراء في العصور الوسطى إذ عُد دليلاً ومرشداً لهم في سلوكهم السياسي والاجتماعي (ددلي، دونالد، حضارة روما، ترجمة: فاروق فريز وجميل يواتيم الذهبي، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1964م)، ص373؛ حسين، عاصم احمد، مصادر التاريخ الإغريقي، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1987م)، ص33).

3- ولد اميانوس في مدينة أنطاكيا السورية وشارك في حرب الإمبراطور قسطنطيوس (337 – 361م) الثانية مع الدولة الساسانية سنة 359م وشارك في حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م، وقد دون تفاصيل تلك الحروب ضمن كتابه الذي اسماه (الحوادث الجارية) تناول فيه تاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ سنة (96 – 378م) ويتكون هذا الكتاب من 31 جزءً فقدت معظم أجزائه ولم يبق منه سوى الجزء (18) الذي غطى المدة من سنة (353 – 378م)

Syme,Ronald.,Ammianus and the Historia Augusta,(Oxford,1968),p.p.84 - 85.

على ترجمة الأستاذ فؤاد جميل للجزء الخاص بالعراق والمسمى(العراق في القرن الرابع الميلادي) عن النسخة الانكليزية، أما النسخة الفنلندية فقد اعتمدت عليها في موضوع استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا (367 – 368م)، أما كتابه الثاني (تاريخ الرومان) فقد اعتمدت على الكتاب (31) منه والذي تناول فيه تاريخ الرومان منذ سنة (375 – 378م) في الفصل الرابع ولاسيّما في موضوع القوط الغربيين[1] وعلاقتهم مع الإمبراطور فالنز (364 – 378م).

2 ـ المصادر الفارسية.

أهمها كتاب (الشاهنامة) للفردوسي[2](411هـ/ 1020م) ضم هذا المصدر معلومات قيمة استفدت منها في الفصلين الثاني والثالث ولاسيّما في موضوع حرب الملك سابور الأول(241 – 272م) مِع الإمبراطور فاليريان(253 – 260م) سنة 260م ودخول الملك سابور الثاني متنكراً إلى بلاد الرومان، والأخطار التي تعرضت لها الدولة الساسانية في عهد الملك اردشير الثاني (379 – 383م) وغيرها من الموضوعات.

1 – سمو بذلك نسبة إلى مناطق سكنهم في الجهة الغربية من نهر الدانيستر تميزاً لهم عن القوط الشرقيين الذين استقروا في شرق ذلك النهر (طرخان، إبراهيم علي، دولة القوط الغربيين، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958م)، ص16؛

Thompson,J.W.,History of the Middle Ages 300 - 1500,(London,1931),Vol.l,p.94.

2 – هو الشاعر أبو القاسم منصور بن حسن بن اسحق بن شرفشاه، ولد في قرية باز في ناحية طبران طوس إحدى مدن خراسان، يعد كتابه الشاهنامة أهم اثر أدبي فارسي ترجم إلى العربية وإلى لغات عدة، وأصله قصيدة عدد أبياتها (60) ألف بيت عكف على تأليفها خمس وعشرين سنة، تناول فيها تاريخ بلاد فارس منذ عهدها الأسطوري حتى سقوط الدولة الساسانية مستعرضاً تاريخهم السياسي والديني والاجتماعي، وفيما يتعلق بالدولة الساسانية فقد تناول مدة حكم كل ملك من ملوكها شارحاً بالتفصيل أهم الأحداث التي وقعت في عهده، ومما يؤخذ عليه إنه لم يعط علاقة الساسانيين بالرومان الاهتمام الكاف (حلمي، احمد كمال الدين، شاهنامة الفردوسي ملحمة الفرس الخالدة، مجلة عالم الفكر، مج16، ع1، (الكويت: 1985م)، ص69 – 83).

أما كتاب (تاريخ كزيدة) للمستوفي قزويني (ت730هـ/ 1329م) فأن شرحه المفصل لأوضاع بلاد فارس ولاسيّما الداخلية في عهد الملوك الساسانيين قد زودني بمعلومات مهمة اعتمدت عليها في الفصلين الأول والثالث.

3ـ المصادر التاريخية العربية.

يقف في مقدمتها مخطوطة (نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب) للأصمعي[1](ت216هـ/ 830م)، إذ أمدتني هذه المخطوطة بمعلومات قيمة استفدت منها في الفصل الأول ولاسيّما في موضوع أصل الساسانيين وتكوين دولتهم وكذلك في الفصل الثالث في موضوع علاقة الملك سابور الثاني (310 – 379م) مع العرب.

أمّا كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري (ت 310هـ/ 922م) فأهميته التاريخية تفوق المصادر التاريخية الأخرى بل أن من جاء بعده كان عيالاً عليه فقد أورد تفصيلات عن التاريخ السياسي للدولة الساسانية والتي كان لها حضوراً متميزاً في مواضيع متفرقة في أغلب فصول البحث لاسيّما فيما يتعلق بأصل الساسانيين وتكوين دولتهم وحرب الملك سابور الأول مع الإمبراطور فالريان سنة260م وكذلك مشاركة العرب في حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة363م وغيرها من الموضوعات.

1- هو عبد الملك بن قريب، تبدأ أحداث مخطوطته بسرد قصة خلق ادم (عليه السلام) ثم قصة النبي إدريس ونوح وغيرهم من الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) حتى مبعث النبي شعيب (عليه السلام) بعدها ينتقل للحديث عن ملوك الفرس مبتدأً من رستم واسفنديار إلى ملوك اليمن فالاسكندر المقدوني وملوك الطوائف ومنها إلى الساسانيين إلى نهاية دولتهم ودخول الإسلام في بلاد فارس (الأصمعي، عبد الملك بن قريب، نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 63/ تاريخ).

ولا يقل عنه أهمية كتابي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التنبيه والأشراف) للمسعودي (ت346هـ) وكتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لمسكويه (ت421هـ/ 1030م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لأبن الاثير(ت630هـ/ 1209م) وغيرها، فالمادة التي قدمتها تلك الكتب عن التاريخ السياسي للساسانيين أمدتنا بمعلومات استفدت منها في عدة جوانب من البحث.

4- المعاجم الجغرافية.

أمّا المعاجم الجغرافية فقد كان لها حضور متميز في أغلب فصول البحث ابتداءً من كتاب (مسالك الممالك) للأصطخري(ت314هـ/ 952م) ثم كتاب (صورة الأرض) لأبن حوقل(ت367هـ/ 977م) إلى كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي(ت626هـ/ 1228م) وكتاب (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) لأبن عبد الحق(ت739هـ/ 1338م) إذ مكنتني تلك المصادر وغيرها من تحديد المواقع الجغرافية للمدن والمناطق التي وردت في فصول الدراسة.

5- المراجع الحديثة.

أ- المراجع غير المعربة.

وهي المراجع التي كتبها مؤرخون متخصصون في الدراسات الإيرانية والرومانية فقد أسهمت إسهاماً كبيراً وواضحاً في سد الثغرات التي تركتها قلة المعلومات في المصادر الأولية، إذ أمدتني بمعلومات تفصيلية عن العلاقات السياسية بين الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية، وأهم هذه المراجع على سبيل المثال لا الحصر.

1 – المراجع الفارسية غير المعربة.

أهمها كتاب (تاريخ إيرانيان وعربها در زمان ساسانيان) للمستشرق (نولدكه)، وكتاب (شاهنشاهي ساساني) للمؤرخ الايراني(تورج دريايي)، وكتاب(تاريخ كامل إيران) للمؤرخ (مهرابادي)، وكتاب (تاريخ إيران) للمؤرخ (سايكس)، وكتابي (تاريخ مردم إيران) و(روزكاران تاريخ إيران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي) للمؤرخ (زرين كوب)، وغيرها.

2 – المراجع الأجنبية.

أهمها كتاب (A History of Rome from 753 B.C To 410A.D) للمؤرخ (Robinson) وكتاب (Iran from the Earliest times to the Islamic Conquest) للمؤرخ (Ghirshman) وكتاب (History of the Byzantine State) للمؤرخ (Ostrogorsky) وكتاب (History of the Byzantine Empire 324 - 1453) للمؤرخ الروسي (Vasiliev) وغيرها.

ب- المراجع العربية والمعربة.

أما المراجع العربية فأهمها كتاب (تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية) للمؤرخ (سيد أحمد الناصري) وكتاب (تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام 133ق.م) للمؤرخ(إبراهيم نصحي) وكتاب (تاريخ الأمة الأرمنية) للمؤرخ الأرمني الأصل (استارجيان) وكتـاب (دولة القوط الغربيين) لمؤرخ العصور الوسطى (إبراهيم علي طرخان)، أما المراجع المعربة فأهمها كتاب (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) للمؤرخ الانكليزي(جيبون) وكتاب (تاريخ إيران القديم) للمؤرخ الإيراني(حسن بيرنيا)، وكتاب (إيران في عهد الساسانيين) للمؤرخ الدنماركي (ارثر كرستنسن) وكتب غيرها.

واخيراً أتقدم بالشكر مقرونا بالاعتراف بالفضل الى أستاذي المشرف الدكتور أحمد مالك الفتيان الذي تابع بروح علمية مخلصة خطوات الدراسة، وبذل قصارى جهده في توجيهي وإرشادي إلى طريق البحث العلمي الصحيح فكانت النتيجة هذه الحصيلة العلمية.

وبعد هذا أقول أني لا ادعي الكمال الدراسة التي بذلت فيها ما في وسعي من قدرة وطاقة لإكماله لأن الكمال لله خص به ذاته عزَّ وجلَّ وما وفقت في الوصول إليه فذلك بفضله جلَّ شأنه وأن أخفقت فذاك من طبع البشر والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفصل الأول

لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد الرومان وبلاد فارس

المبحث الأول - الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد الرومان (إيطاليا).

1 - أصل الرومان.

2 - نشأة مدينة روما وتأسيسها.

3 - تكوين الدولة الرومانية.

4 - توسع روما وسيطرتها على شبه الجزيرة الإيطالية.

المبحث الثاني - الإطار الجغرافي لبلاد فارس.

1 - التسمية.

2 - طبوغرافية البلاد.

المبحث الثالث - بلاد فارس قبل العهد الساساني.

1 - مرحلة الحكم الوطني.

أ - الدولة الميدية.

ب - الدولة الاخمينية.

2 - مرحلة الحكم الاجنبي.

أ - الحكم المقدوني.

ب - الحكم السلوقي.

3 - بلاد فارس تحت السيطرة الفرثية.

المبحث الرابع - أصل الساسانيين وقيام دولتهم.

المبحث الأول:
الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد الرومان (إيطاليا) [1]

لعبت ثورات البراكين وطمى الأنهار دوراً كبيراً في تشكيل ملامح إيطاليا وجعلها من أهم بلدان العالم في منطقة البحر المتوسط الغربية[2]، وهي بشكل عام تتكون من قسمين قسم وادي نهر البو في الشمال، ويتكون من سهل واسع تحيط به جبال الألب[3] (Alpes) من الشمال والشرق والغرب وتكاد تفصله عن أوربا[4]، ويجري فيه نهران أحدهما نهر اديجي (Adige) الذي ينبع من أعالي الألب ويتجه شرقاً ثم يصب في بحر الادرياتيك[5] (Adriatic Sea)، والثاني نهر البو الكبير الذي ينبع من منبعين من منطقة الألب منبع شمالي والأخر جنوبي ثم يلتقيان في مصب واحد يتجه نحو الشرق ليصب في بحر الادرياتيك أيضاً [6].

1- إيطاليا: مأخوذة من اللفظة الإيطالية فيتيليا (Vitelia) وتعني (أرض العجول) أو (أرض البقر) دلالة على غنى مراعيها، أطلقها الإغريق على الأقسام الجنوبية لإيطاليا حيث أنشأت المستعمرات الإغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد ثم أتسع نطاق تلك التسمية ليشمل قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد كل المناطق التي سيطرت عليها روما (الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، (القاهرة: دار النهضة العربية،1982م)، ص9).

2- المصدر نفسه، ص10.

3- جبال الألب: أكبر سلاسل جبال في أوربا، تمتد من البحر المتوسط حتى النمسا عبر فرنسا وإيطاليا وسويسرا وسلوفانيا وجنوب غربي المانيا بطول 1.000 كم (معلوف، لوئيس، المنجد في الأعلام، ط3، (طهران: مطبعة أميران، 2001م)، ص61.

4- Pennell,Robert F.,Ancient Rome from the earliest time down to 476A.D, (Boston,1891),p.1.

5- بحر الادرياتيك: بحر يتفرع من المتوسط بين إيطاليا والبانيا ومونت نيغرو وكرواتيا (معلوف، المنجد، ص30).

6- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص11.

يبلغ طول ذلك السهل من الشرق إلى الغرب خمسمئة كيلو متر في حين يبلغ عرضه من الشمال إلى الجنوب مئة كيلو متر[1]، وينقسم إلى ثلاثة أقسام ليغوريا (Liguria) في أطرافه الغربية وفينيتيا (Venetia) في الأطراف الشرقية وغاليا القربى (Gallia Cisalpina) في الشمال[2].

وعلى الرغم من إن مناخه يقترب من مناخ غرب أوربا منه إلى مناخ البحر المتوسط حيث البرد والثلوج شتاءاً، إلا إنّه يعد من أغنى سهول إيطاليا وفيه تتركز ثروتها الزراعية والصناعية كما إن وجود ممرات الألب جعلت منه منطقة مرور تجارية إلى وسط أوربا[3]، ولهذا السبب ظهرت فيه بوادر حضارة عصر النهضة الأوربية في العصر الحديث.

أما القسم الجنوبي فيتكون من شبه جزيرة محاطة بالمياه من ثلاث جهات من الشرق بحر الادرياتيك الذي تشكل اليونان حدوده الشرقية، ومن الغرب البحر التيراني (Tyrrhenian Sea) الذي يفصلها عن سواحل شبه جزيرة ايبريا[4] وتنتشر فيه جزرٌ عدة منها كورسيكا وسردينيا وجزر البليار، أما شواطئها الجنوبية فأنها تطل على جزيرتي صقلية[5] (Sicily)

1- نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام 133ق.م، (بيروت: دار النجاح، 1971م)، ج1، ص13؛ Scullard,H.,A History of the Roman World from 753 To146 B.C,(1969),p.1.

2- Pennell,Op.Cit,p.2، وسميت غاليا نسبة إلى الغاليين الذين سكنوها، وسماها الرومان غاليا القربى أي غاليا ما قبل جبال الألب تمييزاً لها عن غاليا القصوى الواقعة في غربي الألب (بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، ص378).

3- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص11، 14.

4- شبه جزيرة ايبريا: شبه جزيرة في أوربا، تضم أسبانيا والبرتغال (معلوف، المنجد، ص91).

5- جزيرة صقلية: هي التسمية التي أطلقها العرب على جزيرة سيسيلي وهي من أكبر الجزر التابعة لإيطاليا مساحة، تقع في أقصى جنوب غرب إيطاليا، يفصلها عن اليابس الإيطالي مضيق مسينا، وتكاد تقترب من اليابس التونسي في شمال أفريقيا لذا فهي ذات أهمية إستراتيجية على الطريق الملاحي بين القسم الغربي من البحر المتوسط والقسم الشرقي منه انظر:(سلطان، غانم، جزر العالم (أمثلة وتطبيقات من بحار العالم ومحيطاته دراسة لظروفها الجغرافية وتطور مراحل الاستقرار فيها ومواردها الاقتصادية)، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1988م)، ص259).

ومالطا[1] (Malta) وتقترب بذلك من الشواطئ الشمالية للقارة الأفريقية ولاسيّما تونس وليبيا[2].

يبلغ طول شبه جزيرة إيطاليا نحو 1000كم وعرضها يتراوح بين 140 – 160كم[3]، أما سطحها فيتكون من عدة أشكال من التضاريس أهمها سلسلة جبال الابنين (APennines) وتمتد على طول شبه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب وتكون أقرب إلى الساحل الشرقي منه إلى الساحل الغربي، مما جعل منه ساحلاً صخرياً شديد الانحدار قليل السكان[4]، في حين أتاح قلة انحدار تلك السلاسل في الجانب الغربي وبعدها عن سواحل البحر التيراني المجال لتكوين ثلاثة من أكبر وأغنى سهول إيطاليا وهي سهل أتروريا[5] (Etruria) وسهل لاتيوم[6] (Latium)

1- جزيرة مالطا: تقع في البحر المتوسط إلى الجنوب من جزيرة صقلية، وهي جزيرة صخرية بيضاوية الشكل، طولها 17ميلاً وعرضها 9 أميال، تتمتع بأهمية إستراتيجية كبيرة لوقوعها في منتصف المسافة بين أهم ممرين عالميين في البحر المتوسط هما قناة السويس شرقاً ومضيق جبل طارق غرباً (المصدر نفسه، ص265 – 267)، وبما أن الميل يساوي ثلث الفرسخ أي 2كم (هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الأردنية،1970م)، ص95، لذا فأن طول جزيرة مالطا (34كم) وعرضها (18كم).

2- عكاشة، علي والناطور، شحاتة وبيضون، جميل، اليونان والرومان، (عمان: دار الأمل للطباعة، 1991م)، ص140؛ يحيى، لطفي عبد الوهاب، مقدمة في أنظمة الحكم عند اليونان والرومان " دراسة في حضارة البحر الأبيض "، ط2، (الإسكندرية: 1958م)، ص7.

3- عكاشة وآخرون، المصدر نفسه، ص140.

4- Betten,Francis.S.,The Ancient World from the Earliest time to 800A.D, (New York,1916),p.307.

5- سهل اتروريا: أو إقليم اتروريا يقع شمال إقليم لاتيوم ما بين نهر التيبر والبحر التيراني.
(Botsford,George Willis., A History of Rome ,(London,1920),p.4)

6- سهل لاتيوم: يحده من الشمال نهر التيبر حيث يسكن الاتروسقيين ومن الغرب يحده ساحل البحر المتوسط، أما من الشرق والجنوب فتحده سلسلة التواءات جبال الابنين حيث تسكن قبائل إيطالية مثل السابينيون والايكويون والهرنيكيون والفولوسكيون (الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص53 – 54).

وسهل كمبانيا[1] (Campania) التي اكتسبت خصوبتها من الصخور البركانية والتراب البركاني[2]، وترويها أربعة أنهار وهي الارنوس (Arnus) والتيبر(Tiber) وليريس(Liris) وفولتورنيوس (Volturnus)[3]، إلا إن الصفة الغالبة على أكثر الأنهار التي تنبع من جبال الابنين إنها سريعة الجريان شديدة التدفق تحمل معها كثيراً من الطمى والصخور الرملية لتلقي بها عند مصبها ولذلك تفتقر إيطاليا إلى الموانئ النهرية الكبيرة، كما إن ظاهرة الترسب كانت من أبرز المشاكل التي عانت منها الموانئ القليلة التي أنشأت عند مصبات الأنهار وقد ترتب على ذلك إعاقة تسيير سبل المواصلات الداخلية ومن ثم إعاقة تكوين الوحدة الإيطالية [4].

من الواضح أن جبال الابنين عززت حالة التجزئة في ايطاليا بعزلها الشواطئ الشرقية عن الشواطئ الغربية مما أدى إلى تركيز السكان وزيادة كثافته في الجزء الغربي.

والعامل الأخر الذي ساعد على نشوء الحضارة في تلك المنطقة هو المناخ إذ يسود شبه الجزيرة الإيطالية مناخ البحر المتوسط المعتدل الذي يمتاز بكونه حار جاف صيفاً بارد ممطر شتاءاً، أنعكس أثره في تنوع مواردها الطبيعية فكثرة غاباتها وتنوع

1- سهل كمبانيا: يقع على الساحل الغربي فيما بين لاتيوم شمالاً ولوقانيا جنوباً وجبال الابنين شرقاً (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص43) ويسمى في الوقت الحاضر (إقليم نابولي).

2- المصدر نفسه، ج1، ص15؛

Rostovtzeff,M.,A History of the Ancient world,(Oxford,1928),Vol.11,p.6.

3- (1)Cary,M.& Litt,D., A History of Rome down to the reign of Constantine, Second Edition ,(New York & London,1960), p.1.

4- دياكوف، ف وكوفاليف، س، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، (دمشق: منشورات علاء الدين، 2000م)، ج2، ص454؛

Beeten,Op.Cit,p.306.

أشجارها وفرت الأخشاب التي زاد الطلب عليها من قبل سكان الشعوب الأخرى لاستخدامها في صناعة السفن[1].

أما المعادن فقد احتوت شبه الجزيرة الإيطالية على عدة أنواع من المعادن مثل الزنك والحديد والنحاس والفضة والتي ساهمت إلى حد ما في سد حاجة السكان[2]، إلا أنَّ ثراء الطبيعة الإيطالية تمثل في تنوع أحجار البناء لاسيّما الرخام ومادة الصلصال المستخدم في صناعة الأواني الفخارية[3]، ومما لا شك فيه إن وجود تلك المواد وبكثرة شجعت الرجل الروماني على أن يكون بناءاً وفناناً من الطراز الأول.

إن الموقع الجغرافي الممتاز الذي تمتعت به شبه الجزيرة الإيطالية مكنها من أن تلعب دوراً كبيراً في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط فامتدادها في ذلك البحر وتوسطها للجزء الجنوبي من أوربا وقربها من حضارات الشرق جعلها مركزاً للحضارة الأوربية القديمة[4]، كما إن المميزات التي حبت بها الطبيعة إيطاليا جعلت شعوباً عديدة شديدة البأس متباينة في الأصل والحضارة على الهجرة إليها سواء عن طريق الاتجار والأسفار أو عن طريق الحروب والغزوات[5].

1- دياكوف و كوفاليف، المصدر نفسه، ج2، ص453؛ ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة: 1964م)، ج 11، ص7.

2- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص19.

3- ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص7؛ سليمان، عامر والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، القسم الأول (موجز تاريخ العراق القديم)، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، 1978م)، ص436.

4- عبو، عادل نجم ومحمد، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، (الموصل: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1993م)، ص246؛ Betten,Op.Cit,p.307.

5- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص11.

1 ـ أصـل الرومـان

الرومان من جملة القبائل الإيطالية المعروفة باسم اللاتين[1] وهم شعب خليط من الفيلانوفيين[2] [3] سكنوا في حدود 1150ق.م سهل لاتيوم ومنه أشتق اسمهم[4].

ظل اللاتين وحتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد يعيشون في مجتمعات قروية أقاموها على سفوح تلال روما السبعة[5] شغلها الشاغل زراعة الأراضي ورعي الماشية والأغنام [6] وإن كل مجتمع من تلك المجتمعات يؤلف وحدة مستقلة شبيهـه بدويلة صغيرة تسمى جماعة تسكن منطقة معينة مركزها مدينة محصنة والتي غالباً ما كانت تعلو سفح التل الذي تعيش حوله يحتمون بها من خطر الفيضانات ومن الاعتداءات

1- برستد، جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، (بيروت: 1926م)، ص349؛
Jordon,David Starr.,War Selection in the Ancient world,http://world Library.net,p.4.

2- واللاتين هم خليط من عناصر بشرية قديمة جداً، امتزجت بعضها ببعض على مر القرون في ذلك الإقليم، وذلك منذ العصر الحجري الحديث حتى عصر الحديد أوائل الألف الأول قبل الميلاد (السعدني، محمود إبراهيم، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى القرن الأول الميلادي، (د.م: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998م)، ص55 هامش (3)).
الفيلانوفيين: هم أقوام هندية أوربية هاجرت إلى إيطاليا في حدود 2000ق.م من منطقة الدانوب وانتشروا جنوب نهر البو وشرق جبال الابنين حتى صقلية متخذين من قرية فيلانوفا الواقعة على بعد خمسة أميال (10كم) من بولونيا في الوقت الحاضر مركزاً لهم ثم انقسموا إلى ثلاث مجموعات لكل منهما لهجته الخاصة من اللغة الفيلانوفية وهم الاومبريون واللاتين والسامنيون
(Randall,Maclver.,Villannovans and Early Etruscans, (1924),p.73; Cary & Litt,Op. Cit,p.2).

3- الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الرومان، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، 1988م)، ص 30؛
Cary& Litt,Op.Cit,p.4.

4- برستد، العصور القديمة، ص350؛ عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص149.

5- تقع تلال روما السبع على الضفة الشرقية لنهر التيبر، وتقف منفصلة بعضها عن بعض في صفين شبه مقوسين وهذه التلال من الشمال إلى الجنوب هي: تل قابيتولينوس (Capitmlinus) وبالاتينوس (Palatinus) أفنتينوس (Aventinus) وتل كويرينالس (Quirinalis) وفيمينالس (Viminnalis) واسكويلينوس (Esquilinus) وتل قايليوس (Caelius) (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص73).

6- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص54 – 55؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة،ج2، ص458.

الخارجية[1] ولا يعلم عدد تلك الدويلات على وجه الدقة إلا أنّ المصادر تشير إلى إن تلك الدويلات الصغيرة كان عددها قبل القرن السادس قبل الميلاد خمس وستين دويلة[2] ولما كانت الدولة القوية تميل إلى استيعاب الدويلة الأضعف منها فإنها في بداية القرن السادس قبل الميلاد كانت دويلات كثيرة من الدويلات الخمس والستين قد اندمجت في جاراتها الأقوى منها[3].

بيد إننا لم نجد ما يشير إلى إن تلك الدويلات قد انتظمت في دولة موحدة سياسياً، إلا إنّه من جهة أخرى نجد إن تلك الدويلات قد انتظمت في عدد من الروابط الدينية وإن أهلها كانوا يشاركون أعضاء كل رابطة في إقامة الشعائر الدينية الخاصة بأحد آلهة اللاتين وكانت أشهر ثلاث روابط هي الرابطة الخاصة بعبادة الإله جوبيتير (Jupiter) على تل بالاتينوس، والرابطة الخاصة بعبادة الآلهة ديانا (Diana) عند بحيرة نمورنسيس (Nemorensis)، والرابطة الخاصة بعبادة الإلهة فينوس في لافينيوم[4] (Lavinium)، ولم تذكر المصادر عدد أعضاء كل رابطة في أي وقت بعينه إلا أنها ذكرت إن عدد الدويلات التي شاركت في المهرجان السنوي لعبادة الإله جوبيتير – الإله الأكبر – كانت سبع وأربعين دويلة في نهاية القرن السادس قبل الميلاد[5]، إذ كانت كل دويلة من تلك الدويلات تقدم مقداراً معيناً من العطايا وتتسلم مقابل ذلك حصة معينة من الأضاحي، وقد عرف ذلك الاتحاد بالاتحاد الالبيني نسبة إلى جبل (ألبان) (Alban) الذي يقام عنده ذلك المهرجان وكان لدويلة البالونجا

1- Cary& Litt,Op.Cit,p.4؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص30

2- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص71.

3- Scullard,Op.Cit,p.25.

4- نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص72؛ عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص153.

5- الأحمد، تاريخ الرومان، ص30؛ عكاشة وآخرون، المصدر نفسه، ص153؛
Boak,Arthur,E and Sinnigen ,William,G.,A History of Rome to 565 A.D, (New York,1946),p.37.

(Albalonga) الواقعة على ساحل بحيرة البانوس (Albanus) الغربية القريبة من معبد الإله جوبيتير الريادة في زعامة ذلك المهرجان وذلك لموقعها المتوسط بين الدويلات اللاتينية المتحدة[1]، ثم اتسع نطاق ذلك الاتحاد ليشمل أموراً غير دينية تمثل بالاتحاد العسكري للدفاع المشترك الذي تعاقبت على زعامته عدة دويلات تبعاً لقوتها وقت الزعامة[2]، ومن ثم شكلت فيما بينها اتحاداً عرف بالاتحاد السباعي نسبة إلى تلال روما السبعة وقد احتفظت كل دويلة فيه باستقلالها وتنظيماتها السياسية والاجتماعية البدائية[3].

من ذلك يتضح إن العامل الديني كان العامل الأساس الذي وحد القبائل اللاتينية وجمع شملها إلاّ إن ذلك التوحد لم ينطو على طابع سياسي موحد حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد.

2ـ نشأة مدينة روما وتأسيسها

قبل أن نستطرد في الحديث عن تاريخ نشأة روما لا بد من الإشارة إلى أن ذلك التاريخ ظل حتى القرن العشرين يكتنفه الغموض، وأنّ المعلومات التي ذكرها لنا المؤرخون اليونان والرومان عن ذلك التاريخ كان مصدرها الروايات والأساطير التاريخية القديمة كان أكثرها مصداقية في مخيلة الرومان تلك الرواية التي تقول إنه بعد سيطرة اليونانيين على مدينة طروادة[4] وتخريبهم لها نجا بعض أهلها وهربوا بحراً

1- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص55.

2- Boak and Sinnigen ,Op.Cit, p.39;

الأحمد، تاريخ الرومان، ص30

3- عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص154.

4- طروادة: تقع في إقليم ميسيا (Mysia) شمال غرب آسيا الصغرى عند مدخل مضيق الدردنيل، يعود زمن تأسيسها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، وقد جعل منها موقعها المتحكم بالممرات البحرية التجارية المنافس الأول لتجارة الإغريق (الآخيين) عبر بحر مرمرة بل عائقاً حال دون وصولهم إليه، كما إنها=

من أعدائهم وكان في مقدمتهم انياس(Aeneas) أحد أبناء ملك طروادة وبعد مغامرات عدة في مختلف أنحاء البحر المتوسط وصلوا إلى شواطئ نهر التيبر عند مدخل سهل لاتيوم، لكن سكان ذلك السهل من اللاتين وكان يحكمهم الملك لاتينيوس (Latinus) رفضوا نزولهم في أرضهم فتحاربوا وتمكن انياس من قتل الملك لاتينيوس[1]، ثم ائتلف الفريقان وصاروا أمة واحدة وتزوج انياس من لافينا (Lavinia) إبنة الملك لاتينيوس وبنى مدينة سماها لافينيوم (Lavinium) إكراماً لها[2]، وبعد مقتله في إحدى معاركه مع القبائل المجاورة خلفه في الحكم ابنه اسكانيوس (Ascanius) الذي بنى مدينة البالونجا (Albalonga) في أعالي جبل الابنيين واتخذها عاصمة له وبعد موته حكم المدينة أبناؤه وأحفاده ومنهم الملك نوميتور (Numitor) الذي كان له من الأولاد ابن وابنة وقد ثار عليه أخيه الأصغر اموليوس(Amulius) وعزله عن العرش ونفاه وقتل ولده وتولى الحكم بدلاً عنه، أما ابنته – ابنة نوميتور – فقد نذرها لخدمة الإلهة حتى لا تتزوج ويرث نسلها الحكم ولكن إله الحرب مارس (المريخ) أعجب بها وتزوجها فأنجبت منه توأمين هما روموليوس(Romulus) وروموس(Remus) وعندما وصل خبر نبأهما إلى اموليوس غضب غضباً شديداً وأمر

= سيطرت على الطريق البري المؤدي إلى السهول المجاورة لشواطئ البحر الأسود الغنية بالحبوب فكانت تفرض المكوس على التجارة المارة بأرضها، ولكي يتخلص الآخيين من ذلك الموقف الاستغلالي لأرزاقهم التجارية دخلوا في حرب معها استمرت عشر سنوات (1260 – 1250ق.م) انتهت بتدميرها وتخريبها (حسين، عاصم احمد، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق،1998م)، ص111،105 – 113؛ علي، عبد اللطيف احمد، التاريخ اليوناني "العصر الهيلادي"، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، د.ت)، ص423 – 424).

1- Livy,Titus.,Roman History, Translated by: John Henry Freese, Alfred John Church,and William Jackson Brodribb,http:// blackmask.com,Book.1,ch.1.

2- Ibid,bk.1,ch.1;
طراد، نجيب إبراهيم، تاريخ الرومان، تقديم: محمد زينهم عرب، (مصر: مطبعة الغد، 1997 – 1998م)، ص15 – 16.

بإلقاء الطفلين في نهر التيبر، إلا أنَ المياه ألقت بهما إلى الشاطئ وصادف أن ذئبةً مرضعاً لاقتهما وحنت عليهما وأرضعتهما وظلا كذلك إلى أنّ عثر عليهما أحد الرعاة واسمه فاوستولوس(Faustulus) فأشفق عليهما وأخذهما إلى كوخه وتولى وزوجته تربيتهما وعندما بلغ الطفلان الثامنة عشر من عمرهما علما بما جري لجدهما فقاما بقتل المغتصب اموليوس وأعادا جدهما إلى عرش المملكة، ومكافأة لهما على صنيعهما منحهما نوميتور أراضي التلال السبعة على ضفاف التيبر فقرر الأخوان بناء مدينة لهما في المنطقة التي كانت مهداً لهما على تل بالاتينيوس، وقبل أن يكتمل البناء تخاصما لاختلافهما في اسمها لأن كل منهما أراد أن يسميها باسمه فأدى ذلك إلى أن أنفرد رومولوس بحكم المدينة بعد قتله لأخيه روموس وتحدد تلك الأسطورة زمن حدوث ذلك بسنة 753 ق.م[1].

الذي لاشك فيه إن الرواية أعلاه ما هي إلا مجرد أسطورة امتزجت فيها بعض الحقائق التاريخية بالكثير من الخيال والتخمين جاء نتيجة افتقار مبتكريها إلى المعلومات عن مراحل التطور التي أفضت إلى قيام روما فاضطروا إلى الاعتماد على ما نسجه الخيال الشعبي من القصص،أكدت ذلك المصادر التي قارن مؤرخوها تلك الأساطير مع النتائج التي توصلت إليها دراسات وأبحاث علماء الآثار في ذلك الصدد فتبين لهم أولاً أن تاريخ إنشاء مدينة روما يعود إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وثانياً إن تل بالاتينوس الذي أتخذه رومولوس مقراً لمدينته يتفق مع ما أثبتته التنقيبات الأثرية من انه على ذلك التل استقرت أول جماعة قروية في المنطقة التي قامت فيها

1- Livy, Op.Cit, bk.1, ch.2 - 8; Plutarch, Plutarch's Lives, by bernadotte perrin Lonbon, Willam heinemann ltd Cambridge, massachusetts Harvard University press, Romulus, ch.14; Oglivie., Early Rome and the Etruscans, (Sussex,1975), p.11; Royston, Pike, E., Republican A young Historian Book, (Weidenfeld & Nicolson, 1966), p.p.7 - 27; محفل، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، (دمشق:1984م)، ج1، ص6؛ سلامة، أمين، التاريخ الروماني، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 1959م)، ص3 – 11.

مدينة روما، وثالثاً إن جعل رومولوس سليل ملوك البالونجا ما هو إلا تأكيد لأهمية مدينة البالونجا في لاتيوم ودليلاً على إن أكثرية سكان لاتيوم من اللاتين[1].

وبعيداً عن الأساطير فقد تمتعت روما بمزايا إستراتيجية وجغرافية عدة جعلت منها عاصمة لإيطاليا وإمبراطوريتها وهذه المزايا هي وقوعها في سهل لاتيوم وعلى ضفاف نهر التيبر والتلال السبعة المحيطة بها، فموقعها في سهل لاتيوم في وسط إيطاليا مكنها من فرض سيطرتها على بقية أجزاء إيطاليا وتوحيدها[2]، ووقوعها على نهر التيبر وهو النهر الوحيد الصالح للملاحة وربطه للتلال الشرقية بالسواحل الغربية أعطاها أهمية تجارية واتصالية مميزة[3] ثم إن سهولة عبوره مكنها من الاتصال بالبحر وممارسة التجارة الخارجية ولذلك كان العامل الاقتصادي أحد العوامل الرئيسة لزعامة روما، فضلاً عن ذلك فأنه كان يقف كحاجز مائي ضد غارات الأقوام الأخرى[4]، وفي الوقت نفسه وقوعها بعيداً نسبياً عن البحر جعلها بمأمن من أي هجوم بحري[5]، أما التلال السبعة المحيطة بروما فكانت تقع على الضفة الشرقية لنهر التيبر وسط سهل زراعي خصب وكانت تقف منفصلة بعضها عن البعض في صفين

1- بورتر، موسوعة، ص384 – 385؛ نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص83؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص55، إذ يذكر (نصحي) أنه في عام 1948م كشف فوق تل بالاتينوس عن معالم أكواخ كانت قد سُكنت منذ عام 800ق.م إلى حوالي 550ق.م، وفي عام 1954م كشف على نفس التل مقبرة يعود تاريخها إلى عام 800 ق.م بها آنية لحفظ رماد الموتى، وإنّه في مطلع القرن العشرين كشف عن مقابر تعود إلى عصر الحديد على تل أسكويلينوس وكويرينياليس، تدل تلك الكشوفات على إنه كانت توجد أصلاً في المكان الذي قامت عليه روما جماعات قروية على الأقل إن أقدمها تلك التي نزلت على تل بالاتينوس منذ عام 800ق.م (المصدر نفسه، ج1، ص79 – 80).

2- Betten,Op.Cit,p.311.

3- Ibid,p.311;

نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص74 – 75

4- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص17.

5- عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول (التاريخ السياسي)، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1983م)، ص15.

شبه مقوسين أقربهما إلى النهر أقصر من الأخر وأكثر منه تقوساً[1]، تلك التلال أبعدت روما إلى حد ما عن التعرض إلى فيضانات نهر التيبر وساعدت على تحصينها من الأعداء[2].

هكذا نشأت مدينة روما لتطل من ناحية الغرب على البحر المتوسط ومن الشرق على سلسلة جبال الابنين حيث تسكنها قبائل مقاتلة من الشعوب الإيطالية عرفوا باسم الاومبريين[3](Umbrians) والسابيليين[4](Sabellians)، وفي جنوب هذه الجبال كان يسكن السمنيون[5](Samnites) الذين وصفوا بأنهم أكثر القبائل الإيطالية شراسة، أما في أقصى الشمال فكان يقوم سهل اتروريا الذي يسكنه الاتروسقيون[6](Etruscans) الذين يرجح إنهم سكنوا ايطاليا قبل الرومان [7]، وكانوا يتطلعون للسيطرة على روما وقد تم لهم ذلك في منتصف القرن السابع ق.م [8].

1- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص73؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص16.

2- نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص74؛ عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص 248.

3- الاومبريون: كانوا يسكنون شرق إقليم لاتيوم (نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص114).

4- السابيليون: كانوا يسكنون شمال شرق إقليم لاتيوم (المصدر نفسه، ج1، ص114).

5- السمنيون: كانوا يسيطرون على مساحة واسعة من أراضي تمتد من ساحل الادرياتيك مارة بشمال روما وجنوباً حتى خليج تارنتوم (الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص114).

6- الاتروسقيون: هم سكان شمال غرب روما، يسميهم اليونان التورسنوي (Tyrsenoi) أو التورنوي (Tyrrhenoi)، ويسميهم الرومان توسكي (Tusci)، في حين إنهم كانوا يسمون أنفسهم رازيني (Rasenna) (دياكوف و كوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص 464؛ Botsford,Op.Cit,p.p.8 - 9)) وإقليم اتروريا الذي كان يسكنه هؤلاء يسمى توسكانيا (Tuscana) في الوقت الحاضر، وسمي البحر الذي يفصل الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية عن جزيرتي كورسيكا وسردينيا بالبحر التيراني نسبة إليهم، أما أصلهم فيذكر (هيرودوتس) إنهم من ليديا في آسيا الصغرى وقد وصلوا إلى إقليم لاتيوم في أواخر القرن السابع قبل الميلاد (تاريخ هيرودوتس، ترجمه من الفرنسية: حبيب أفندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886 - 1887م)، الكتاب الأول، فقرة 94).

7- Cruttwell, Charles Thomas., A History of Roman Literature from the Earliest period to the Death of Marcus Aurelius,http://WWW. Gutenberg. com, (2005),p.16;Pennell,Op.Cit,p.23.

8- Mommsen,Theodor.,The History of Rome,Translated by:William Purdi Dickson ,Vol. V1,p.71;

الأحمد، تاريخ الرومان، ص30،22

3ـ تكوين الدولة الرومانية.

تجمع روايات المصادر على إن روما بدأت تاريخها بالنظام الملكي منذ تأسيسها سنة753 ق.م وحتى طرد أخر ملك أتروسقي منها سنة 509 ق.م، وهذا يعني أن النظام الملكي استمر نحو قرنين ونصف القرن، كما ذكرت إن عدد الملوك الذين حكموها خلال تلك المدة كانوا سبعة ملوك، أربعة منهم شخصيات لاتينية من أهلها وهم بالترتيب رومولوس (753 – 716ق.م)[1]، نوما بومبيلوس[2] (Numa Pompilius)(716 – 673ق.م)، تولّوس هوستيليوس[3](Tullus Hostilius) (673 – 641ق.م)، أنقوس مارقيوس (Ancus Morcius) (641 – 616ق.م)[4] وبعد أن استولى عليها الاتروسقيين حكمها واحد منهم وهو لوقيوس تاركوينيوس بريسقوس أو العتيق (Lucius Tarquinius Priscuc) (616 – 578ق.م) [5] ثم تمكن الرومان من القبض على زمام الأمور وتولى الحكم فيها سرفيوس توليوس(Servius Tullius)(578 – 534ق.م) وبعد هذا الملك أستعاد الاتروسقيين سيطرتهم على روما وتولى الحكم فيها الملك الاتروسقي لوقيوس تاركوينيوس سوبربوس أو المتكبر(Lucius Tarquinius Superbus)(534 – 509ق.م) [6].

1- Livy,Op.Cit,bk.1,ch.14 - 17;Plutarch,Romuls,ch.14;Cary& Litt,Op.Cit,p.9.

2- ينسب إليه وضع الأسس الأولى للديانة الرومانية، فيذكر (Plutarch) " إنه كان يعتقد بإله واحد موجود وغير متغير وغير منظور، ولذلك منع الرومانيين من تمثيل ألهتهم بصورة رجل أو بهيمة، ومنعهم من ذبح الذبائح، وفرض عليهم فقط تقديم قرابين للإلهة من خبز وعسل وخمر ولبن (Numa,9) كما وضع أسس السلام طبقاً للتعاليم التي اوحت بها الإلهة

(Livy,Op.Cit,bk.1,17 - 21; Cary& Litt,Op.Cit,p.9).

3- ينسب إليه اهتمامه بالحرب ويعزى إليه الاستيلاء على مدينة البالونجا

(Livy,Op.Cit,bk.1,ch.32; Botsford,Op.Cit,p.p.27 - 29; Betten,Op.Cit,p.314).

4- ينسب إليه بناء جسر على نهر التيبر وسيطرته على ميناء اوستيا

(Ostia) Livy,Op.Cit,bk.1,ch.32 - 35, Cary& Litt,Op.Cit,p.9).

5- Livy,Op.Cit,bk.1,ch. 35 - 38.

6- Ibid,bk.1,ch.46;Lord,John.,The Old Roman "The Grandeur and Fall ure of its Civilization",http://WWW.blackmask.com,p.10.

ومع أن روما ظلت خاضعة للحكم الاتروسقي مدة قرن من الزمن (616 - 509ق.م) إلا إنها أفادت كثيراً من تلك السيطرة فالحضارة التي أقامها الاتروسقيين فيها كانت متممة للحضارة الفيلانوفية التي سبقتهم في إيطاليا[1]، فقد عرف عنهم اهتمامهم ببناء المدن المحصنة[2] والقلاع العسكرية وإليهم تعزى الصناعات البرونزية والمعادن الثمينة وتبني الالفباء وممارسة التجارة[3].

وطبيعي إن سيطرتهم الطويلة كانت كفيلة لأن يتأثر بهم سكان روما، ذلك التأثير ظهر بشكل جلي في بناء روما إذ تحولت في عهدهم من مجمع من الأكواخ إلى مدينة رئيسة ذات خصائص معمارية[4]، تمكنت من أن تتزعم المدن الإيطالية في منطقة لاتيوم سواء عن طريق الحروب أم عن طريق المحالفات والاتفاقيات، رافق ذلك التحول تطور في نواحي الحياة المختلفة وفي النظم السياسية والاجتماعية[5].

وعلى الرغم من إن الاتروسقيين كانوا خلال القرن السادس قبل الميلاد أقوى مجموعة سياسية في إيطاليا إلا إنهم عجزوا عن إقامة نظام سياسي قوي وموحد، ففتوحاتهم في الأراضي الإيطالية لم تكن ثمرة جهد جماعي موحد وإنما ثمرة جهد دويلات منفردة تعمل كل منها لحسابها الخاص[6]، ومع أن غالبية الدول الاتروسقية

1- Oglivie,Op.Cit,p.30;

نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص47

2- بلغ عدد المدن التي بناها الاتروسقيين اثنتا عشرة مدينة هي (فولسيني، فيلسينا، كورتونا، اريتيوم، فياي، بروسيا، كلوسيوم، بونيا، تاركويني، كيري، فولكي، ادريا)، قامت فيما بينها اتحاداً كونفدرالياً له مجلس شعبي كبير يعقد مرة كل عام في إحدى الأماكن المقدسة حيث تقام الشعائر الدينية والمهرجانات الرياضية والثقافية، للتفصيل انظر: (الأحمد، تاريخ الرومان، ص22؛ Boak and Sinnigen ,Op.Cit, p.p.23 - 26)

3- Betten,Op.Cit,p.308;

السعدني، حضارة الرومان، ص56

4- Oglivie,Op.Cit,p.p.30 - 31.

5- سليمان والفتيان، محاضرات، ج1، ص444.

6- مثال ذلك أن الاستيلاء على روما كان من قبل دولة الفولكي (الاحمد، تاريخ الرومان، ص22).

انتظمت في عصبة منها إلا أنّ الحروب فيما بينها أضعفتها وجعلت منها عصبة مفككة الأواصر ما لبثت أن انحلت بالتدريج[1]، وفي الوقت نفسه فأن إسراف ملوكهم بشكل عام في استغلال رعاياهم وإرهاقهم بشتى التكاليف وتعجرف الملك تاركوينيوس سوبربوس الذي أتصف عهده بالعنف والقمع والحروب دفع الرومان إلى التمرد والقيام بثورة ضده سنة509ق.م كانت نتيجتها طرد الملك الاتروسقي من روما وأحداث تغيير في البناء السياسي للدولة بالقضاء على النظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري، حيث حل محل الملك حاكمان يحكمان لمدة سنة يسمى كل منهما قنصل[2].

4ـ توسع روما وسيطرتها على شبه الجزيرة الايطالية

بعد إلغاء الملكية وجهت روما جهودها نحو ترسيخ نظامها الجمهوري والحفاظ عليه أولاً والعمل على توسيع حدودها لتشمل إيطاليا كلها ثانياً [3] فبعد ثـورة 509ق.م سادت الفوضى في إقليم لاتيوم إذ أثار طرد الملك الاتروسقي تاركوينيوس سوبربوس ثائرة الاتروسقيين ودفعهم إلى الانتقام من روما فهاجمها الملك الاتروسقي لارس بورسينا(Lars Porsenna) حاكم مدينة كلوسيوم (Clusium) الاتروسقية وتمكن من إلحاق الهزيمة بها وإخضاعها إلى حكمه[4]، إلا إنّه لم يكد يقطف ثمار انتصاره حتى تمكنت العصبة اللاتينية[5] من إلحاق الهزيمة به عند مدينة

1- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص57 – 58.

2- Polybius., Histories,Translated by:Shuckburgh,(Macmillan),Vol.111,ch.22; Livy,Op. Cit,bk.1,ch.59;Botsford,Op.Cit,p.37;Betten,Op.Cit,p.314.

3- سليمان والفتيان، محاضرات، ج1، ص450.

4- Livy ,Op.Cit,bk.11,ch.8;Cary & Litt,Op.Cit,p.13.

5- العصبة اللاتينية: تكونت تلك العصبة في أواخر القرن السادس قبل الميلاد وضمت جميع المدن اللاتينية ما عدا روما وتزعمتها مدينة اريكيا والغاية من تكوينها إيقاف التوسع الروماني في لاتيوم لاسيّما بعد استيلاء ملك روما تولوس هوستيليوس على مدينة البالونجا وكذلك الرغبة في التخلص من السيطرة الاتروسقية على ذلك الإقليم، انظر: (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص 101).

اريكيا (Aricia) اللاتينية سنة 505 ق.م وأجبرت الاتروسقيين على الانسحاب من إقليم لاتيوم بأكمله[1].

وقد ترتب على هزيمة روما على يد الحاكم الاتروسقي بورسينا وفقدانها لمكانتها التي كانت تتمتع بها من قبل في لاتيوم إلى جانب استبعادها من العصبة اللاتينية أن دخل الفريقان في سلسلة من النزاعات استمرت طيلة القرن الخامس قبل الميلاد[2]، وقد شجع هذا النزاع الأقوام الجبلية الفقيرة المجاورة (السابينيين، الايكوي (Aequians)، الفولسقيين (Volscians)) على الإغارة تباعاً على إقليم لاتيوم الغني بموارده الزراعية [3]، وإزاء خطورة تلك الغارات اضطرت روما والعصبة اللاتينية إلى التحالف وتسوية الخلافات فيما بينها فعقدوا سنة493 ق.م معاهدة سميت بـ (معاهدة كاسيوس) [4]بموجبها أصبحت روما وإقليم لاتيوم كله قوة واحدة، إذ كون الفريقان حلفاً عسكرياً وهجومياً ودفاعياً يسهمان في تكوين قواته وكذلك في اقتسام الغنائم على قدم المساواة[5].

1- المصدر نفسه، ج1، ص112؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص67؛ السعدني، حضارة الرومان، ص84.

2- عبد الحق، سليم عادل، روما والشرق الروماني، (دمشق: المطبعة الهاشمية،1959م)، ص50؛ عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص164.

3- Cruttwell,Op.Cit,p.16;Botsford,Op.Cit,p.40.

4- سميت بذلك الاسم نسبة إلى حاكم روما القنصل سبوريوس كاسيوس Spurius Cassius))
Cary& Litt,Op.Cit,p.13.

5- أما نصوصها فهي:
1 – حق المواطنة الرومانية.
2 – حق الزواج من سيدات رومانيات وكذلك حق الأولاد والبنات في الميراث.
3 – حق التجارة والتعامل داخل روما.
4 – حق ممارسة الحقوق المدنية العامة، مثل حق التوظيف، وحق الاقتراع، وحق التقاضي أمام المحاكم في روما.
(السعدني، حضارة الرومان، ص85).
نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص113 – 114.

ويعلق المؤرخ (عبد اللطيف أحمد علي) [1] على هذه المعاهدة بقوله: "إنها كانت أول خطوة عظيمة خطتها روما نحو التوسع في إيطاليا "، فقد مكنها ذلك التحالف من إضعاف السابينيين وإفشال محاولاتهم في الاستيلاء على روما سنة 460ق.م[2]، وطرد الايكوي والسيطرة على أراضيهم سنة 418ق.م ثم الفولسقيين سنة406 ق.م[3].

ومن المؤكد أن تلك الانتصارات عززت مركز ونفوذ روما بل جعلتها تتحول من قوة إقليمية صغيرة إلى أقوى دولة في وسط إيطاليا.

بعد تلك الانتصارات خاض الرومان وحلفائهم صراعاً طويلاً مع مدينة فياي(Veii) الاتروسقية التي ناصبت روما العداء منذ طرد الملك الاتروسقي سوبربوس سنة 509ق.م، وربما يعود ذلك إلى تصادم مصالحها السياسية والتجارية فتلك المدينة الثرية زراعياً وتجارياً كانت تقع على بعد 20كم شمالي روما [4] وتسيطر على إقليم أكثر غنى واتساعاً من إقليم روما ولها علاقات تجارية خارجية واسعة[5]، وتشير المصادر إلى أن الرومان وحلفاؤهم حاصروا تلك المدينة نحو ثلاث عشرة سنة (405 – 392ق.م) حتى سقطت بأيديهم[6].

لقد عدت السيطرة على مدينة فياي بداية النهاية للسيطرة الاتروسقية على إقليم لاتيوم إذ سرعان ما تهاوت بقية مدنهم مستسلمة الواحدة تلو الأخرى أمام قوة الجيش

1- روما " تاريخ الجمهورية والإمبراطورية الرومانية "، (القاهرة: 1960م)، ص28.

2- للتفصيل عن تلك الحروب انظر: Ogilvie,Op.Cit,p.92.

3- Cary& Litt,Op.Cit,p.20;

عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص164

4- Pennell,Op.Cit,p.3;Botsford,Op.Cit,p.42.

5- Trever,Albert.,A History of Ancient Civilization, The Roman World, (New York,1939),p.38 ; Botsford,Op.Cit,p.p.42 - 43.

6- Livy, Op.Cit, bk.1V, ch.53 - 56; Plutarch, Camillus, ch.2 - 6; Mattingly, Harold, M. A., Outlines of Ancient History from the Earliest times to the fall of the Roman Empire in the West A.D.476, (Cambridge at the University Press,1914), p.260.

الروماني، وقد أحسن الرومان معاملتها فتركوها تتمتع باستقلالها الذاتي في إطار الدولة الرومانية [1].

ومما يجدر ذكره أن روما عقب ذلك الانتصار تنكرت لمساعدة العصبة اللاتينية لها واضعة بذلك بادرة أتبعتها فيما بعد مع كل الجيوش الرومانية المنتصرة، إذ ضمت إلى إقليمها كل الإقليم الغني الذي كانت مدينة فياي تسيطر عليه واكتفت بتقسيم الأسلاب المنقولة مع حلفائها[2]، إزاء ذلك كان من الطبيعي أن تظهر تلك المدن تشفيها بروما وتعلن عن رفضها لتقديم المساعدة لها عندما هاجمتها جموع الغال (الكلت) [3] سنة 390ق.م فبعد أن استولت تلك الجموع على إقليم اتروريا هاجمت روما وتمكنت من دخولها وتخريبها بعد انتصارها على الجيش الروماني في معركة أليا[4](Allia)، ويبدو أن الهدف من ذلك الهجوم كان السلب والنهب أكثر من الفتح والسيطرة ولذلك وافقوا على الانسحاب مقابل دفع الرومان لهم مبالغ كبيرة من المال والذهب[5].

1- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص84.

2- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص117؛ السعدني، حضارة الرومان، ص85.

3- الكلت: هم السكان الأول لجنوب المانيا وغربها، اتخذوا من حوض الدانوب الأعلى (وراء جبال الألب) وطناً لهم، إلا إنها اضطرت تحت ضغط القبائل الجرمانية الاتجاه غرباً، ومع بداية القرن الخامس قبل الميلاد وصل بعض منهم إلى بريطانيا، وقسم أخر إلى اسبانيا، والقسم الثالث أحتل القسم الأكبر من فرنسا، وفي بداية القرن الرابع قبل الميلاد غيروا اتجاههم صوب الشرق فعبر الكلت النازلين في فرنسا والذين أطلق عليهم الرومان اسم الغال جبال الألب على شكل أفواج إلى إيطاليا واستقروا في وادي نهر البو، وخضعوا للرومان خضوعاً تاماً سنة 177ق.م للتفصيل انظر: (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص117 – 118، ص321 – 322؛

Stephenson,Carl.,Medieval History Europe from the Second to the Sixteenth Century ,Fourth Edition,(New York & London ,N.D),p.60).

4- سميت بمعركة أليا نسبة إلى نهر أليا وهو أحد روافد نهر التيبر يقع على بعد 11 ميل (22كم) من روما (Cary & Litt,Op.Cit,p.21؛ نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص119).

5- Livy, Op.Cit, bk.V, ch.37; Plutarch, Camillus, ch.14 - 29; Rostovtzeff, Op.Cit, Vol.ll, p.30; Diodorus Sicily., Historical Library, (London,1814), Book. XlV, p.p.113 - 116;
وللتفصيل عن تلك المعركة انظر: سلامة، التاريخ الروماني، ص 98 – 100

يتضح من ذلك أن أحد أساليب روما القديمة هو الدبلوماسية الهادئة، فهي عندما كانت بحاجة إلى مساعدة مدن العصبة اللاتينية كانت هي البادئة بالتقارب وطلب معونتهم ولكن بمجرد زوال الخطر الخارجي وانتهاء نزاعها مع أحدى المدن الاتروسقية كما حدث مع مدينة فياي تنكرت لمساعدة تلك المدن وبدأت تعاملها بعنجهية، ولهذا أظهرت تلك المدن تشفيها وأعلنت عن رفضها لمساعدة روما عندما هاجمها الغال نكاية بها.

ومما لاشك فيه أن ذلك الخطر الذي هدد روما بالزوال دفع الرومان إلى مراجعة وتنظيم خططهم الحربية فعملوا على تحسين تسليح الجيش بعد تعميرهم لمدينتهم وتقوية استحكاماتها كما عملوا على تنظيم وحدتهم العسكرية على أسس جديدة، مكنتهم من التصدي لهجمات الغاليين التي تجددت في السنوات 367 و361 و358ق.م ثم في سنة 349ق.م وأخيراً سنة 331ق.م حيث أجبروا عقب هزيمتهم على عقد معاهدة سلام مع روما في السنة نفسها استمرت إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد[1].

ومن الجدير بالذكر أن هزيمة روما في معركة أليا شجعت دول أخرى على تحديها مثل الايكوي والاتروسقان والهرنيقي[2] (Hernici) والفولسكي والكثير من المدن اللاتينية إلا أن الرومان عاجلوا خصومهم واحداً بعد آخر بضربات قاضية، فتمكنوا سنة 389ق.م من دحر الايكوي، وعندما حاولت مدينتي فاليري (Falerii) وتاركويني (Tarquinii) الاتروسقيتين سنة 387ق.م استعادة أراضى حليفتهما السابقة مدينة فياي هزمهما الرومان[3]، وعززوا سيطرتهم على جنوب اتروريا بإقامة عدة

1- Cary&Litt,Op.Cit,p.22;Trever,Op.Cit,p.p.40 - 41;
سلامة، التاريخ الروماني، ص115، 119 – 120؛ عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص164؛ الأحمد، التاريخ الروماني، ص41.

2- الهرنيقي: كانت مساكنهم عند وسط الحدود الشرقية لإقليم لاتيوم حالفوا الرومان سنة 486ق.م (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص114).

3- المصدر نفسه، ج1، ص121؛. Mattingly,Op.Cit,p.263

مستعمرات رومانية فيها[1]، ومع ذلك فأن الاتروسقيين لم يكفوا عن مناوشة الرومان إلا في سنة 351ق.م عندما اضطروا أثر هزيمتهم على قبول الصلح لمدة أربعين سنة[2]، وبذلك تمكنت روما من فرض سيطرتها على إقليم لاتيوم كله.

كما تمكنت روما خلال السنوات (386 – 385ق.م) من دحر الهرنيقي حلفائها السابقين الذين كانوا قد أنظموا إلى المدن اللاتينية والفولسكي في تحديهم لروما[3]، أما الفولسكي الذين بدأت مقاومتهم سنة 389ق.م من أجل استعادة جنوب لاتيوم والحفاظ على استقلالهم فأن الرومان أوقعوا بهم هزائم متعددة وضموا العديد من مدنهم إلى دولتهم سنة 358ق.م إلا أنهم مع ذلك لم يجنحوا إلى السلم ويقبلوا التحالف مع الرومان إلا بعد استيلاء الأخيرين على مدينتهم الرئيسية انتيوم (Antium) سنة 338ق.م [4].

فضلاً عن ذلك واجهت روما تحدياً لسلطتها في لاتيوم من قبل حلفائها في العصبة اللاتينية[5]، إذ ثارت ضدها مدن تلك العصبة سنة 340ق.م[6] وعلى أثر تلك

1- **Mommsen,Op.Cit,bk.11,p.54; bk.Vl,p.72;Botsford,Op.Cit,p.48.**

2- **نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص121؛ عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص276.**

3- **الأحمد، تاريخ الرومان، ص31.**

4- **Botsford,Op.Cit,p.48;**

نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص121

5- **بعد أن تنكرت روما لمساعدة المدن اللاتينية لها بعد استيلائها على مدينة فياي الاتروسقية ناصبت تلك المدن العداء لروما حتى سنة 358ق.م ففي تلك السنة أرغمت روما تلك المدن على تجديد معاهدة كاسيوس معها (للتفصيل انظر: نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص121 – 122).**

6- **سبب تلك الثورة هو رغبة تلك المدن الحصول على استقلالها بعد أن أدركت أن تحالفها مع روما سيؤدي إلى بسط سيطرة روما عليها لاسيّما أن هناك دلائل عدة تؤكد ذلك منها:**

1 – انفراد روما بقيادة القوات المتحالفة عقب تجدد معاهدة كاسيوس سنة 358ق.م.

2 – أن روما منعت دول الحلف من الحصول على أي من الممتلكات التي حصلت عليها من الفولسكيين بعد انتصارهم عليهم سنة 358ق.م.

3 – أن المعاهدة التي عقدتها روما مع قرطاجة سنة 348ق.م أكدت سيادة روما على إقليم لاتيوم (الأحمد، تاريخ الرومان، ص42).

الثورة قامت ما يسمى بحرب اللاتين الكبرى استمرت ثلاث سنوات 340 – 337ق.م حسمت نتيجتها لصالح روما حيث ألحقت أراضى تلك المدن بممتلكاتها ومنعتها من إقامة علاقات فيما بينها سواء كانت سياسية أو تجارية إلا من خلال روما[1].

ومعنى ذلك أن روما فككت العلاقات بين المقاطعات والمدن اللاتينية فيما بينها وربطتها بها وحدها فقط أي أنها اعتبرت تلك المدن أقاليم تابعة لها يتمتع مواطنوها بحقوق السياسة الرومانية، وذلك التحول في سياسة روما من الظهور بمظهر الشقيقة الحامية لشقيقاتها في الحلف والمدافعة عنها إلى صاحبة سياسة الإرغام على الاندماج بها بالقوة يعد بداية لربط وتوحيد إيطاليا بكامل شعوبها وحضارتها تحت قيادتها وزعامتها.

ومع ذلك كان هناك من يتحين الفرص للقضاء عليها، ومن ثم خاضت روما عدة معارك ضارية مع جيرانها من القبائل الإيطالية وهم السمنيون استمرت سنين طويلة بدأت سنة 343ق.م وانتهت بمعاهدة عقدت بينهما سنة 290ق.م اعترفت بموجبها جميع شبه الجزيرة الإيطالية بسيادة روما ماعدا المدن الإغريقية في الجنوب[2] التي شكل وجودها عائقاً أمام روما في توحيد إيطاليا ولذلك عملت جاهدة على إزالة ذلك العائق وتحقيق ما كانت تصبو إليه سنة 272ق.م باستيلائها على مدينة تارنتوم (Tarantum) أغنى وأقوى تلك المدن[3].

1- **Betten,Op.Cit,p.p.341 - 342;**
الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص117 – 118؛ السعدني، حضارة الرومان، ص87.

2- **قسمت حروب روما مع السمنيين على ثلاث مراحل، الحرب السمنية الأولى استمرت من (343 – 341ق.م) أي حوالي عامين، الحرب السمنية الثانية استمرت من (327 – 304ق.م) أي حوالي 23 سنة، والحرب الثالثة استمرت ثمان سنوات (298 – 290ق.م) للتفصيل عن تلك الحروب انظر: (سلامة، التاريخ الروماني، ص121 – 141؛**
Trever,Op.Cit,p.p.40 - 43;Grant,M.,History of Roman,(Great Britain,1978 - 1979),p.p.52 - 56; Botsford,Op.Cit,p.p.59 - 60).

3- **عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، ص167 وللتفصيل انظر: Betten,Op.Cit,p.344.**

بعد ذلك وجهت روما اهتمامها نحو إخضاع شمال إيطاليا، حيث تركزت فيها قبائل الغال حول حوض نهر البو، وقد تمكنت من إخضاع تلك القبائل تباعاً بحيث لم تحل سنة 265ق.م حتى اعترفت جميع شبه الجزيرة الايطالية بسيادة الرومان [1].

تلك الانتصارات جعلت من روما دولة قوية يحسب حسابها ويخافها أعدائها وتبادلها الدول الكبرى الود والعلاقات، يقف دليلاً على ذلك أن ملك مصر البطلمي بطليموس فيلادلفوس(284 – 246ق.م) أرسل سنة 274ق.م وفداً مهنئاً بالانتصارات التي حققها [2]. وهذا يعني إنه اعترف بها كقوة عالمية لها شأنها المؤثر في عالم البحر المتوسط لذلك حاول كسب ودها وصداقتها.

1- Ibid,p.344; Boak and Sinnigen ,Op.Cit, p.p.48 - 63.

2 – الأحمد، تاريخ الرومان، ص46؛ نصحي، إبراهيم، مصر في عصر البطالمة، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946م)، ج1، ص45.

المبحث الثاني:
الإطار الجغرافي لبلاد فارس

1ـ التسمية

يستعمل تعبيري(فارس) و(إيران) للدلالة على منطقة جغرافية واحدة، إلا أنّ التعبيرين غير مترادفين تماماً، وتسمية إيران هي الأقدم[1]، فقد جاء في تاريخ البلاد الأسطوري إن لفظة إيران مأخوذة من ايرج بن افريدون والأخير هو أحد قدامى ملوك إيران الذي ملك العالم القديم وقسم مملكته بين أولاده الثلاث فكان القسم الأوسط منها من حصة ولده الأصغر (ايرج)، فسميت بلاده إيران نسبة إليه فقالوا (إيران شهر)[2]، وتلك التسمية استعملت كمفهوم سياسي رسمي للدولة في العهد الساساني[3][4].

والثابت تاريخياً أن تلك التسمية تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد وهي مشتقة من اسم قبائل (آييري)[5] الهندو أوربية التي نزحت إلى الهضبة

1- Herzfeld,E.,Iran in Ancient East,(Oxford University Press,1941),p.192; Frye,Richard.N, Persia ,(London,1968) , p.13.

2- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، 1989م)، ج1، ص 214؛ الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت360هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961م)، ص28؛ انظر أيضاً: مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، (مصر: مطبعة المقتطف، 1898م)، ص 9.

3- سيأتي الحديث عن ذلك العهد بالتفصيل لاحقاً.

4- ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة: إبراهيم أمين الشواربي، (القاهرة: مكتبة مصر، 1958م)، ص1.

5- معناها باللغة الفارسية القديمة (النبيل أو السيد) وموطنها الأصلي إقليم نهر سيحون وجيحون (جنوب بحر الارال)، انظر:

Frye, Richard.N,The Heritage of persia ,(London ,1963) ,p.p.22 - 23;

أبو مغلي، محمد وصفي، إيران دراسة عامة، (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة إيران والخليج العربي (24)، 1985م)، ص15.

الإيرانية بحدود 1500 ق.م واستقرت في أقصى الغرب منها بعد أن تغلبت على مملكة ميتاني[1](Mittani)، وأطلقت على البلاد التي استقرت بها اسم (أييرين) أي بلاد الآريين [2].

كما وردت في الافستا[3] لفظة (أيريا) (Airiya) [4] بمعنى موطن الآريين[5].

أما تعبير (فارس) فأول من استعمله كاسم عام يطلق على البلاد كلها هم اليونانيون، وأخذوا هذا الاسم من إقليم بارسا (Parsa) الواقع في الجزء الجنوبي

1- مملكة ميتاني: وسميت أيضاً بـ (خانيكلبات) نشأت في منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد على أنقاض المملكة الخورية، ومنذ أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد أصبحت قوة سياسية كبيرة لها كيانها السياسي المستقل والمؤثر في الشرق الأدنى القديم إذ أصبحت مهيمنة سياسياً على السلسلة الجبلية الواقعة بين نهري دجلة والفرات إلى الجنوب من جبال زاكروس، استمر نفوذها السياسي قرابة قرن ونصف القرن وكانت نهايتها سنة 1365ق.م على يد الملك الأشوري اشور اوبلط الاول (1365 – 1330ق.م) للتفصيل انظر: (رو، جورج، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، (بغداد: دار الحرية للطباعة،1984م)، ص344 – 345؛

Kupper, J.R., "The Hurrians 1800B.C", In the Cambridge Ancient History, (Cambridge,1973), VOI.11,part.1, p.p.22 - 26.

2- أبو مغلي، إيران، ص16؛ شاهرخ، كيسرو، زراتشت بيامبري كه أز نو بايد شناخت "فروغ مزديستي"، جاب ششم، (تهران: انتشارات جام، 1386ش)، ص34.

3- الافستا: هو الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، يتكون من خمسة أجزاء مستقلة أو خمس كتب يختلف تاريخ تدوينها، أقدم قسم منها يرجع إلى عهد نبيهم زرادشت، ولا يعرف بالضبط تاريخ تدوين هذا الكتاب بصورة مجموعة واحدة مكتوبة، إلا إنه من المعلوم أن هذا الكتاب كان مكتوباً في عهد الدولة الاخمينية وإنه كان ولا يزال معوَّل المجوس في عباداتهم وأحكامهم (محمدي، محمد، "زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية"، مجلة (الدراسات الأدبية)، العدد المزدوج 3،2، 4، (بيروت: الجامعة اللبنانية، 1962 – 1963م)، ص119).

4- الفنديداد، نقله من الفرنسية وعلق عليه: داود الجلبي الموصلي، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1952م)، ص29.

5- Herzfeld,Op.Cit,p.192 ;

ويسهوفر، يوزف، ايرن باستان از 550بيش از ميلاد تا 650بس از ميلاد، جاب سوم، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: ققنوس، 1378ش)، ص14.

الغربي من الهضبة الإيرانية، ثم حرف هذا الاسم عندهم ليصبح (برسيس) (Persis) أي(بلاد فارس) [1]، ثم حرفه العرب إلى فارس [2].

ومما ينبغي ذكره إن إقليم بارسا نفسه سمي بذلك نسبة إلى قبيلة(برسا) الهندو أوربية التي نزحت إلى القسم الجنوبي الغربي من إيران بحدود سنة 900ق.م[3]، وتمكنت تلك القبيلة بزعامة ملكها كورش الثاني(Kurash 11) (559 – 529ق.م) من أن تكون دولة قوية متماسكة مدة قرنين من الزمان عرفت بتاريخ إيران السياسي بـ(الدولة الاخمينية) [4][5].

يتضح من ذلك إن فارس أحد أقاليم إيران وإطلاقه على كل إيران هو من قبيل إطلاق الجزء على الكل.

وأطلق العرب على بلاد إيران اسماً أخر هو بلاد العجم وعلى سكانها اسم العجم أو الأعاجم [6]، وهو مصطلح اشتق من العجمة أي الإبهام وعدم الإفصاح [7]،

1- Dick,B., The Ancient Persians, How they Lived and Worked ,(London,1979), p.14; Frye, Persia, p.13;
لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م)، ص283.

2- براون، إدوارد، تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم العصور حتى عصر الفردوسي، ترجمة: احمد كمال الدين حلمي، (د.م: 1984م)، ج1، ص38.

3- ولبر، إيران، ص26؛ أبو مغلي، إيران، ص16.

4- سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً.

5- ايليف، ج. هـ، فارس والعالم القديم، ترجمة: محمد صقر خفاجة، فصل ضمن كتاب تراث فارس، اشترك في كتابته واشرف على نشره: أ. ج. اربري، ترجم هذا الكتاب: محمد كفافي واحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة واحمد عيسى، واشترك في كتابة ومراجعة ترجمته: يحيى الخشاب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1959م)، ص30 – 31؛ خان، يعقوب حسن، نكاهي بتاريخ قدين افغانستان، (كابل: سالنامه كابل، 1314ش)، ص146.

6- المقدسي، أبو عبد الله بن احمد البشاري (ت375هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، ص259.

7- ابن منظور، أبو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي (ت711هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج12، ص449.

ومع إن تلك التسمية أطلقت على غير العرب من الأقوام إلا إنها اختصت بالفرس دون غيرهم، فقيل العجم أي الفرس وبلاد العجم أي بلاد فارس[1].

ومما تجدر الإشارة إليه إن تلك التسمية وجدت لها قبولاً ورواجاً عند الإيرانيين أنفسهم، يؤكد ذلك أسماء بعض مؤلفاتهم وكتبهم [2].

أما تعبير مجوس فقد شاع استعماله عند العرب بعد إن ورد ذكره في القرآن الكريم [3].

ومهما يكن الأمر فإن تلك المسميات التي أطلقت على بلاد إيران إنما تدل على مسمى واحد، وإنها ظلت تستعمل حتى سنة 1935م عندما طلبت الحكومة الإيرانية من الدول الأجنبية أن تطلق على البلاد رسمياً اسم إيران مراعاة للتنسيق والتوحيد، فظفرت تلك التسمية بالاستعمال العام [4].

2 ـ طبوغرافية البلاد

تقع بلاد إيران في القسم الغربي من قارة آسيا[5] والقسم الأكبر منها يتكون من هضبة شبيهة بالمثلث رأسه في بحر قزوين[6] وقاعدته في الخليج العربي، ويحدها من

1 - أبو مغلي، إيران، ص17.

2 - مثال ذلك كتاب (أثار العجم) لمؤلفه فرصت حسين الشيرازي، طبع في بومباي سنة 1314ش، وكتاب (المعجم في معايير أشعار العجم) لمؤلفه شمس الدين محمد بن قيس الرازي، طبع لأول مرة في باريس سنة 1909م، ثم أعيد طباعته في طهران سنة 1338ش (المصدر نفسه، ص17).

3 - سورة الحج، أية 17، سمو بذلك نسبة إلى كهان الديانة الزرادشتية الذين يسمون في اللغة الفهلوية (مجوش) (محمدي، زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية، ص119).

4 - ولبر، إيران، ص1؛ سليم، احمد أمين، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، (بيروت: دار النهضة العربية، 1988م)، ص8.

5 - باقر، طه ورشيد، فوزي والهاشمي، رضا جواد، تاريخ إيران القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1979م)، ص15.

6 - بحر قزوين: سمي بتسميات عدة منها بحر طبرستان، وبحر كيلان، وبحر جرجان، وبحر باكو نسبة إلى أسماء الأقاليم المختلفة التي تكتنف سواحله، وأخيراً سمي بحر الخزر نسبة إلى الأقوام التي استقرت في الشاطئ الشمالي الغربي منه لعدة قرون وكانت تعرف باسم الخزر، ويسميه الجغرافيون العرب قزوين (لسترنج، بلدان الخلافة، ص38، 502؛ بيرنيا، حسن، تاريخ إيران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ص8 هامش (1).

جهة الشرق وادي نهر السند، ومن جهة الغرب وادي نهر دجلة [1] ذلك الموقع أكسب إيران أهمية خاصة عبر التاريخ إذ جعل منها حلقة وصل بين آسيا الصغرى وشبه القارة الهندية كما جعلها معبراً للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى في آسيا ومنطقة شرق البحر المتوسط [2].

وتشتمل تلك الهضبة على سهول واسعة وهضاب عالية، تحيط بها الجبال الشاهقة من كل جانب[3] كونت منها حدود طبيعية تفصلها عن الدول والأقوام المجاورة مثل آسيا الصغرى وبلاد الرافدين، كما وفرت لها حماية طبيعية من الأخطار الخارجية[4]، فتحدها من جهة الشرق سلاسل جبال سليمان، وتسمى أيضاً جبال خراسان[5]، أو جبال مكران[6]، أو جبال هندوكوش [7]، وتمثل تلك الجبال الحد الذي يفصلها عن نهر السند[8]، وتمتاز بالتباعد عن بعضها تاركة العديد من الأراضي المنخفضة، لذا فهي تمثل المعبر الثاني[9]، إلى إيران فقد عبرها خلال العصور التاريخية الغزاة الذين جاءوا إليها من سهول وسط آسيا، لذا أقام الملوك الساسانيون في هذه

1- كيهان، مسعود، جغرافياي مفصل إيران طبيعي، (تهران: مطبعة مجلس، 1313ش)، ص3.

2- ولبر، إيران، ص9؛ أبو مغلي، إيران، ص19؛

Ghirshman, Roman., Iran from the Earliest times to the Islamic Conquest, (London,1954) ,p.21.

3- بيرنيا، تاريخ إيران، ص5.

4- فرح، نعيم، معالم حضارات العالم القديم، (القاهرة: دار الفكر، 1973م)، ص95.

5- سليم، إيران منذ أقدم العصور، ص26.

6- Ghirshman,Op.Cit,p.23;

أبو مغلي، إيران، ص26

7- ويسهوفر، إيران باستان، ص22؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص423؛ الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والاناضول، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د. ت)، ص35.

8- بيغوليفسكيا، ن. و، وآخرون، تاريخ إيران از دوران باستان تا بايان سده هيجدهم ميلادي، ترجمه للفارسية: كريم كشاورز، (تهران:1354ش)، ص5.

9- المعبر الأول للهضبة الإيرانية البوابة الضخمة التي يبلغ اتساعها 97كم الواقعة شمال غرب أذربيجان بين جبال البرز وزاكروس

(Nollet, R., Farzami, S., Iran, In Larousse Encyclopedia of world Geogrphy (London,1967) ,p.384).

المنطقة جداراً سميكاً من الآجر يبلغ طوله عدة أميال لدرء الخطر عنهم من هذه الناحية ومازالت بعض بقايا هذا السور قائمة حتى الوقت الحاضر [1].

أما من جهة الشمال فتحيط بها جبال البرز (Elburz) التي تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب مارة بالسواحل الجنوبية لبحر قزوين وتصل في طرفها الغربي بإقليم اتروباتين[2] (Atropaten) (أذربيجان)، الذي تقع في وسطه بحيرة أورمية[3] (Urmia) المالحة [4].

ومما ينبغي الإشارة إليه إن إقليم اتروباتين كان يطلق عليه (برزخ ميديا) (Median Isthmus) إذ يمكن الدخول إليه بواسطة طرق عدة تأتي من الشمال الغربي، والشمال، والشمال الشرقي، ولأهمية هذا الإقليم كونه الباب المؤدي إلى إيران فقد عملت الدول التي قامت في إيران عبر عصورها التاريخية على المحافظة عليه وحمايته وتحصينه من الغزاة القادمين عبر القوقاز من جنوب روسيا[5].

1- سليم، إيران منذ أقدم العصور، ص26.

2- اتروباتين (أذربيجان): يجعل الجغرافيون العرب إقليم أرمينيا والران واذربيجان إقليماً واحداً (الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت314هـ)، مسالك الممالك، (ليدن: مطبعة بريل، 1927م)، ص180)؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت367هـ)، صورة الأرض، (قم المقدسة: المطبعة الحيدرية، 1428هـ)، ج2، ص331؛ وينفرد (أبو الفداء) بذكر حدود إقليم أذربيجان بقوله: " يحده من جهة الشرق بلاد الجبل وتمام الحدّ الشرقي بلاد الديلم، ويحده من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة " (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ)، تقويم البلدان، (باريس: دار الطباعة السلطانية، 1840م)، ص386)، وبشكل أدق فأن أذربيجان تقع في الجزء الشرقي من منطقة القوقاز بين جبال القوقاز وبحر قزوين وتحيط بها روسيا وأرمينيا وجورجيا وإيران (الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية " معالم، وثائق، موضوعات، زعماء "، (لبنان: دار رواد النهضة للطباعة والنشر، 1994م)، ج1، ص136).

3- بحيرة أورمية: أو بحيرة أرمية، تقع غرب تبريز، وسميت بذلك نسبة إلى مدينة أرمية على ساحلها الغربي، تسميها المصادر العربية الإسلامية (بحيرة كبوذان) وهو اسم مشتق من الأرمنية وتعني البحيرة الزرقاء، وصفت بأنها بحيرة مالحة نتنة الرائحة لا يعيش فيها حيوان (ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص345 – 346؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، (كوتنجن: 1846م)، ص38؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت)، ج1، ص168)؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص 194).

4- Ghirshman,Op.Cit,p.23؛ أبو مغلي، إيران، ص26

5- Ibid,p.23.

تضم سلسلة جبال البرز أعلى قمة جبلية في إيران وهي قمة جبل ديمافيند (Demavend) إذ يبلغ ارتفاعها 19.000 ألف قدماً وتقع في وسط سلسلة جبال البرز شمال شرق طهران بحوالي 64 كم[1]، وتمثل جبال البرز الحد الفاصل الذي يفصل الهضبة الإيرانية عن الأراضي المنخفضة على ساحل بحر قزوين[2].

ويوجد شمال سلاسل جبال البرز سهل خارجي تكون تدريجياً نتيجة تراجع مياه بحر قزوين التي كانت تمتد جنوباً حتى أطراف سلاسل البرز يبلغ طول ذلك السهل 644كم ويضم أخصب أراضي أقاليم إيران وأغناها زراعة وهي إقليم جيلان[3] في الغرب، وإقليم مازندران[4] (Mazandaran) الذي يقع في الوسط وإقليم جرجان[5] (Gurgan) في الشرق [6].

1- Ibid,p.22؛ سليم، إيران منذ أقدم العصور، ص21؛ فخري، احمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم " مصر – العراق – سوريا – اليمن – إيران " مختارات من الوثائق التاريخية، ط2، (مصر: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت) ص189؛

Elers,Wilhelm.,Iran and Mesopotamia, In the Cambridge History of Iran, (Cambridge University Press,1968),Vol.1,part.1,p.482

وتسمي المصادر المسمارية ذلك الجبل بـ (بكني) أي جبل اللازورد.

Fisher,W.B." Physical Geography ", In the Cambridge History of Iran , (Cambridge University Press,1968),Vol.1,part.1,p.38.

2- لسترنج، بلدان الخلافة، ص409.

3- جيلان: أو كيلان، إقليم واسع جنوب بحر قزوين قاعدته رشت، تعرف مناطقه الجبلية باسم الديلم (ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص376؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص 206 – 207).

4- مازندران: وتسمى طبرستان أيضاً وهي بلاد واسعة تقع إلى الشرق من بلاد الديلم، معنى اسمها مدينة الطبر سميت بذلك لكثرة اشتباك أشجارها بحيث أن الجيش لا يقطعها إلا بعد أن يقطع بالطبر الأشجار التي بين أيديهم (أبو الفداء، تقويم البلدان، ص432؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص878).

5- جرجان (هيركانيا): أو كركان، إقليم واسع بين خوارزم وطبرستان، فخوارزم منه في جهة الشرق وطبرستان منه في جهة الغرب (المهلبي، الحسن بن احمد (ت 380هـ)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق: تيسير خلف، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م)، ص151؛ هارتمان، جرجان، دائرة المعارف الاسلامية، (القاهرة: 1933م)، ج6، ص331).

6- Fisher,Op.Cit,p.p.47 - 53؛ سليم، إيران منذ أقدم العصور، ص23 – 24

وتحد الهضبة الإيرانية من الجهة الغربية سلاسل جبال زاكروس وهي التسمية العامة للسلسلة الجبلية التي تنفصل عن جبال طوروس[1](Taurus) وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي [2]، وتسمى أقسامها الشمالية بـ (جبال كوردستان)، وأقسامها الجنوبية بـ (جبال بختياري)، وأقسامها الوسطى بـ (جبال لورستان) [3]، ويتفرع من الأخيرة ذراع يتجه إلى الحدود الشرقية من بلاد الرافدين باتجاه جبال حمرين الأمر الذي شكل نقطة ضغط طبيعية وتاريخية مؤثرة في نهر دجلة إذ جعلته يقترب من نهر الفرات عند بغداد [4].

واكتسبت سلاسل جبال زاكروس أهميتها كونها حلقة الوصل بين أرمينيا[5] والأناضول وبلاد الرافدين وبين منطقة بحر قزوين وبلاد عيلام[6][7]، وهي تمثل الحد الفاصل الذي يفصل الهضبة الإيرانية عن وادي الرافدين [8].

ويبلغ أقصى ارتفاع للهضبة الإيرانية في قسمه الجنوبي حيث يصل في كرمان 1600م[9]، ويتخلل وسط تلك الهضبة أقاليم صحراوية واسعة تبلغ

1- جبال طوروس: سلسلة جبال كلسية في الأناضول جنوبي تركيا بين كيليكيا وكبدوكيا (معلوف، المنجد، ص359).

2- Ghirshman,Op.Cit,p.21.

3- الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى، ص8.

4- Ghirshman,Op.Cit,p.22.

5- أرمينيا: سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً.

6- بلاد عيلام: يقصد بها الدولة العيلامية التي حكمت اقليم خوزستان (الاحواز) منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حتى الألف الأول قبل الميلاد واتخذت من سوسيانا (سوسه) أو شوش عاصمة لها (باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص25).

7- الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى، ص9.

8- المصدر نفسه، ص8.

9- بيرنيا، تاريخ إيران، ص8.

مساحتها ما يقارب ربع المنطقة الداخلية من إيران[1] أكبر هذه الصحاري صحراء دشتي لوط (Dasht - i - Lut) في الجنوب وصحراء دشتي كافر (Dasht - i - Kavir) في الشمال، وتعد هذه الصحاري ولاسيّما صحراء دشتي لوط أكثر بقاع العالم قحولة وجفافاً [2]، وبعض أجزاء هذه الصحاري تشتمل على بحيرات ملحية تغمرها في فصل الربيع سيول الأنهار الداخلية، كما توجد في أماكن قليلة متباعدة عيون مائية نتج عنها نشوء واحات خصبة مثل واحة طبس التي تكثر فيها البساتين وأشجار النخيل [3]، وقد مكنت تلك الواحات القوافل في القرون الأولى من سلوك هذه الممرات الصحراوية[4].

وتوجد في إيران أكثر من ثلاثين بحيرة راكدة [5]، يعدها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطي الجزء الأكبر من تلك الهضبة والمناطق المجاورة لها [6]، والصفة الغالبة على تلك البحيرات شدة ملوحتها الأمر الذي أدى إلى افتقارها للأحياء المائية[7]، وابرز تلك البحيرات وأكثرها أهمية بحيرة أورمية الواقعة في الناحية الغربية من اتروباتين، وبحيرة وان في تركيا على بعد خمسة عشر فرسخاً [8] من الحدود الإيرانية الحالية وبحيرة كوكمية في القفقاز[9].

1- Scharlau,K,K., Geomorphologe of Iran, In the Cambridge History of Iran, (Cambridge University Press,1968),Vol.1,part.1,p.p.191 - 192; Frye,Persia, p.13.

2- Ghirshman,Op.Cit,p.24؛ ويسهوفر، إيران باستان، ص22

3- ولبر، إيران، ص17.

4- المصدر نفسه، ص17.

5- مكاريوس، تاريخ إيران، ص2.

6- بيرنيا، تاريخ إيران، ص8.

7- ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص377؛ أبو مغلي، إيران، ص46.

8- الفرسخ: مقداره ثلاثة أميال، أي أن طول الفرسخ يساوي 6 كم (ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين الانصاري (ت710هـ)، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: محمد احمد إسماعيل الخاروف، (دمشق: دار الفكر، 1980م)، ص77؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص94) أي أن المسافة نحو 180كم.

9- بيرنيا، تاريخ إيران، ص8، وصارت بحيرة كوكمية ضمن أرمينيا (هوار، كلمان، إيران وتمدن إيراني، ترجمه للفارسية: حسن انوشه، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، 1384ش)، ص6).

ولا يوجد في إيران نهر كبير صالح للملاحة[1] سوى نهر الكارون[2]، الذي ينبع من جبال بختياري ليخترق إقليم خوزستان (الاحواز) [3] ويصب في شط العرب[4].

أما مناخ إيران فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة مناطق مناخية وهي مناخ منطقة بحر قزوين ومناخ منطقة الهضبة الإيرانية ومناخ منطقة الخليج العربي [5]، والراجح إن ذلك التقسيم يعود إلى عهد الاسكندر المقدوني (336 – 323ق.م) [6] حيث أرسل الاسكندر احد قادة حملته برحلة استكشافية من مصب نهر السند حتى رأس الخليج العربي، ولاحظ إن البلاد تنقسم إلى ثلاث مناطق مناخية هي الإقليم الساحلي وهو حار رملي، والإقليم الداخلي وهو معتدل تنمو فيه الفواكه من كل نوع وتمتد فيه الغابات الواسعة، والإقليم البارد الذي يكسوه الجليد ذو طبيعة جبلية وعرة[7]، ويمتاز إقليم منطقة بحر قزوين بانخفاض الحرارة وغزارة الأمطار الساقطة على مدار السنة ولاسيّما في منطقة كيلان ومازندران [8]، وترتفع الرطوبة في هذه المناطق وبهذا تنتشر زراعة الأرز والشاي كما تنمو أشجار الزيتون في الممرات الجبلية [9].

وفي بعض أقسام هذا الإقليم تتساقط الثلوج وتبقى فوق القمم الجبلية على مدار السنة [10].

1- مكاريوس، تاريخ إيران، ص2.
2- نهر الكارون: يسميه العرب دجيل الأهواز تصغيراً لنهر دجلة (لسترنج، بلدان الخلافة، ص267).
3- خوزستان (الاحواز): وتسمى عربستان أيضاً، تقع بين البصرة وإقليم فارس (أبو الفداء، تقويم البلدان، ص311).
4- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ)، المسالك والممالك، تقديم: محمد مخزوم، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، 1988م)، ص57 – 58؛ ولبر، إيران، ص14.
5- كيهان، جغرافياي مفصل إيران، ص123؛ أبو مغلي، إيران، ص68 – 69.
6- سيأتي الحديث عنه بالتفصيل لاحقاً.
7- لوكهارت، ل، فارس في نظر الغرب، ترجمة: السيد يعقوب بكر، فصل ضمن كتاب تراث فارس، ص417.
8- بيرنيا، تاريخ إيران، ص6.
9- أبو مغلي، إيران، ص68
10- ولبر، إيران، ص18.

أما منطقة الخليج العربي فتمتاز بمناخها الحار الرطب وأمطارها القليلة ولاسيّما في منطقة الاحواز، ويرجع ذلك إلى الرياح الساخنة التي تهب من الجنوب الغربي (شبه الجزيرة العربية) [1].

أما منطقة الهضبة الإيرانية فيتسم مناخها بالجفاف ولاسيّما القسم الأوسط منه والمسمى بـ(صحراء دشتي لوط)، فهي تعد أكثر المناطق جفافاً[2].

أما باقي أقسامها فتتمتع بشتاء معتل وصيف حار[3].

يتضح من الدراسة أعلاه الظروف البيئية والمناخية الصعبة التي سادت أقسام الهضبة الإيرانية لاسيّما الوسطى منها، ومن المؤكد أن تأثير تلك الظروف انعكس على توزيع مناطق الاستقرار السكاني وظهور المدن الكبرى، ظهر ذلك بوضوح على امتداد سلسلتي جبال زاكروس والبرز ولاسيّما على حوافهما الداخلية المواجهة للصحراء فمن المدن التي ظهرت على الطريق التجاري الواقع على امتداد سلاسل جبال البرز، مدينة اكبتانا[4] (Ecbatana) (همـدان) والـري[5] (Rayy) (طهران)

1- أبو مغلي، إيران، ص69.

2- Frye ,Persia,p.23; Ghirshman,Op.Cit,p.24;

بيرنيا، تاريخ إيران، ص6

3- ولبر، إيران، ص19 وللتفصيل عن جغرافية إيران انظر:

Fisher, Op.Cit,p.p.3 - 110.

4- اكبتانا (همدان): من مدن بلاد الجبال، بينها وبين حلوان أول مدن العراق سبعة وستون فرسخاً أي (402كم) (أبو الفداء، تقويم البلدان، ص417)، ومعنى اكبتانا ملتقى الطرق وتقع على الطريق الذي يربط هضبة إيران بالعراق عبر جبال زاكروس، اتخذها الميديون ثم الاخمينيون عاصمة لهم (باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2 (الوجيز في تاريخ حضارة وادي النيل)، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1956م)، ص400، 429).

5- الري: يسميها اليونانيون ريجس (Rhages) تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال (لسترنج، بلدان الخلافة، ص249)، قال عنها (ابن حوقل) " ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر من الري إلا نيسابور أكبر منها عرصة وأفسح رقعة " (صورة الأرض، ج2، ص371، 378)، ويعدها (ابن عبد الحق) قصبة بلاد الجبال (مراصد الاطلاع، ج2، ص651).

وهيكاتومبيلوس[1](Hecatompylos) (قومس) وهراة [2] (Hearat) ومن المدن التي أنشأت على الطريق الجنوبي أصفهان[3] (Isfahan) وبازركادة[4] (Pasargade) وبرسيبوليس[5] (Persepolis) (اصطخر) وشيراز[6] (Shiraz) [7]، وقد اكتسبت تلك المدن أهمية خاصة عبر التاريخ السياسي للبلاد حيث شهدت نشوء وقيام أضخم إمبراطوريات في العالم القديم بدءاً من الحضارة الاخمينية مروراً بالحضارة الفرثية[8] لتنتهي بالحضارة الساسانية.

1- هيكاتومبيلوس (قومس): معنى اسمها المدينة ذات المئة بوابة (بيرنيا، تاريخ إيران، ص179)، وهي من المدن التي بناها الاسكندر المقدوني على ملتقى طرق القوافل التجارية بين الشرق والغرب (باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص94)، وموقعها في الوقت الحاضر مدينة قومس الواقعة في ذيل طبرستان وقصبتها الدامغان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، مج4، ج7، ص102؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص404 - 405).

2- هراة: هي الربع الثالث من أرباع خراسان الأربعة التي كانت في أوقات مختلفة عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، ويقع هذا الربع في بلاد افغانستان في الوقت الحاضر (لسترنج، المصدر نفسه، ص424، 449)، وصفها (ابن حوقل) بأنها مدينة جليلة عليها حصن وسور له أربعة أبواب، ولحصنها المسمى (قهندز) أربعة أبواب أيضاً بحذاء كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن يسمى باسم ذلك الباب (صورة الأرض، ج2، ص437).

3- اصفهان: أو اصبهان إحدى مدن إقليم الجبل، تقع في الطرف الجنوبي الشرقي منه، بينها وبين شيراز ثمانون فرسخاً أي480كم (ابن رسته، أبو علي احمد بن عمر (ت 290هـ)، الاعلاق النفيسة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م)، ص139 - 140؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص220، 238)

4- بازركادة: أو باساركاد، تقع إلى شمال برسيبوليس (اصطخر) بنحو 50 ميلاً أي 100كم، وهي أولى العواصم التي اتخذها الملك كورش الثاني لدولته، خرائبها اليوم تعرف بـ (مشهدي مرغاب) (الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدني، ص100).

5- برسيبوليس (اصطخر): ثالث أكبر مدن إقليم فارس بعد دارابجرد واردشير خرة، بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً أي 72 كم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج1، ص171)، اتخذها الملك الاخميني دارا الأول (521 - 486ق.م) عاصمة لإمبراطوريته بعد بازركادة (الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدني، ص115).

6- شيراز: وهي اكبر مدن اردشير خرة في إقليم فارس (ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص281).

7- Ghirshman,Op.Cit,p.25.

8- سيأتي الحديث عن الدولة الفرثية بالتفصيل لاحقاً.

ومن الأمور التي ينبغي الوقوف عندها إنه وعلى الرغم من إحاطة إيران بسلاسل الجبال الضخمة إلا إنها في حقيقة الأمر كانت مفتوحة من كل جانب وتوجد فيها العديد من الطرق التي توصل الداخل الإيراني بسهول وادي الرافدين وروسيا والهند والخليج العربي[1] قامت تلك الطرق بدور هام كوسيط تجاري وحضاري مابين الشرق والغرب، وبما إن العراق كان المركز الرئيس لتوزيع تجارة الشرق والمنطقة التي أصبحت مسرحاً لصراعات وحروب دامية بين الإمبراطوريتين الرومانية والساسانية فأننا سنقتصر على ذكر الطرق الرئيسية التي تربط إيران بالعراق.

يرتبط العراق ببلاد إيران عن طريق ممرات جبلية من جبال زاكروس فالطريق الأول يتجه من شمال العراق متخذاً طريق رايات قرب راوندوز – الزاب الأصغر، ثم يتجه إلى المنطقة الواقعة جنوب بحيرة أورمية، ومنها يحتمل إنه يتجه إلى ناحية الشرق أو الجنوب الشرقي إلى منطقة الهضبة، أما الطريق الثاني فهو طريق خانقين ويبدأ من جنوب أشور ويتجه خلال وادي كرمنشاه إلى همدان ومنها شرقاً إلى الهضبة الإيرانية، وهناك طريق إلى الجنوب من ذلك وهو الذي يسير بمحاذاة جبال زاكروس ابتدءاً من مدينة الدير(تلول العقر) قرب (بدرة) ويسير خلال مستنقعات وأحراش نهر دجلة ليصل إلى إقليم خوزستان [2].

فضلاً عن تلك الطرق فأن بلاد إيران محاطة بمساحات مائية واسعة ففي جنوبها الغربي شط العرب، وفي الجنوب الخليج العربي وخليج عمان، وفي شمالها يقع بحر قزوين وهذه المساحات كانت من أهم وسائل الاتصال الحضاري والتجاري لها مع الأمم الأخرى [3].

1- **Ghirshman,Op.Cit,p.26.**

2- **علي، فاضل عبد الواحد، صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (2500 – 2000ق.م)، بحث ضمن كتاب الصراع العراقي – الفارسي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1983م)، ص26 – 27.**

3- **الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري، صلاح عبد الهادي، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، (بغداد: جامعة البصرة، 1986م)، ص29.**

المبحث الثالث:
بلاد فارس قبل العهد الساساني

1 ـ مرحلة الحكم الوطني

أ ـ الدولة الميدية

الميديون من القبائل الهندو أوربية التي جاءت إلى الهضبة الإيرانية مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد[1]، واستقرت في القسم الشمالي والشمالي الغربي منها[2] متخذة من اكبتانا (همدان) الواقعة إلى الشرق من جبال زاكروس عاصمة لها، وسميت المنطقة التي استقرت بها ميديا أو إقليم ماد أو ماذي[3][4]، وقد تزامن ذلك الاستقرار مع تنامي قوة الآشوريين في شمال العراق والذين كانوا يسوقون جيوشهم إلى الهضبة الإيرانية عبر المناطق التي يسكنها الميديون ولذلك خضع هؤلاء لملوك آشور وظلوا يدفعون لهم الجزية حتى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد [5] حيث شهد ذلك القرن ظهور كيانهم السياسي.

يذكر المؤرخ (هيرودوتس) إنّ " أول من وحد القبائل الميدية هو (ديوكيس بن فراورتس) (Dioces Phraortes)"[6] وتسميه المصادر باسم (سياكزراس)

1- ولبر، إيران، ص26؛ باقر، مقدمة، ج2، ص398،389.

2- برستد، العصور القديمة، ص137؛ أبو مغلي، إيران، ص26.

3- إقليم ماد: يسميه الجغرافيون العرب (إقليم الجبال) (الاصطخري، مسالك الممالك، ص115؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص95؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص312) وذلك يعود إلى طبيعة ذلك الإقليم الجبلية، وقد ترك استخدام تلك التسمية في عهد الدولة السلجوقية في المئة السادسة للهجرة / الثانية عشر للميلاد وصار يعرف بـ (عراق العجم)، تميزاً له عن عراق العرب الذي يقصد به القسم الأسفل من ما بين النهرين (لسترنج، بلدان الخلافة، ص220).

4- بورتر، موسوعة، ص83، 85؛ الحديثي والحيدري، دراسات، ص38.

5- أبو مغلي، إيران، ص84.

6- تاريخ، الكتاب الأول، الفقرات 96 - 101.

(Cyaxares)[1] أو (دياكو) (Daiukku) [2] وتحدد سنوات حكمه بـ (53) سنة (768 – 715ق.م)[3]، عاصر الملك الميدي دياكو الملكين الآشوريين(تجلات بلازر الثالث) (744 – 727ق.م) والملك (سرجون الثاني) (722 – 705ق.م) ويبدو إنّه أراد تخليص بلاده من التبعية للآشوريين ولتحقيق ذلك تحالف مع ملك دولة اورارتو (Urartu) [4] (روساس الأول) (Rusas 1) (730 – 714ق.م) إلا إن ذلك التحالف لم يكتب له الاستمرار إذ تمكن الملك الآشوري سرجون الثاني في حملته التي سميت بـ(الحملة الثامنة) من تحطيم ذلك التحالف واسر الملك الميدي دياكو سنة 715ق.م ونفاه مع أسرته إلى سوريا وكان من نتيجة ذلك إنّه أخضع الميديين خضوعاً تاماً للآشوريين[5] قرابة60 سنة[6].

وفي عهد الملك الآشوري سنحاريب (705 – 681ق.م) ضعف ضغط الآشوريين على بلاد إيران بسبب انشغالهم عسكرياً في بلاد بابل وعيلام ولأن مملكة

1- ولبر، إيران، ص27.

2- بيرنيا، تاريخ إيران، ص61؛ بنونسيت، اميل، دين إيراني، ترجمة: بهمن بركارتي، (تبريز: 1350ش)، ص55؛ Ghirshman,Op.Cit,p.26.

3- هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، الفقرة 102؛ بورتر، موسوعة، ص85؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص62.

4- اورارتو: من الدول القوية التي حكمت أرمينية قبل الأرمن، تمركزت في المنطقة الواقعة حول بحيرة وان واستغرقت مدة ازدهارها ثلاثة قرون من (900 – 600ق.م) عاصمتها (موصيصر) (استارجيان، ك. ل، تاريخ الأمة الأرمنية " وقائع من الشرقيين الأدنى والأوسط في ادوار الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية والفارسية والعربية والعثمانية والروسية من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين الميلادي "، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1951م)، ص48؛ اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1981م)، ص498، 511؛ الدوري، رياض عبد الرحمن أمين، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، (بغداد: 2001م)، ص20).

5- Ghirshman, Op.Cit, p.p.94 - 95; Martha, T.Roth., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, Journal of near Eastern studies, (Chicago the University of Chicago Press, 1960) p.p.411 - 413.

6- بورتر، موسوعة، ص85.

الميديين كانت تؤدي ما عليها من الجزية بصورة منتظمة فلم يكن لدى الآشوريين أي مبرر للتدخل في شؤون مملكتهم واستمر ذلك الوضع في عهد الملك الآشوري اسرحدون (680 – 669ق.م) [1]، فاستغل الملك الميدي (خشاثريتا) [2] (Khshathrita) (675 – 653ق.م) ذلك الانشغال فعمل على توحيد القبائل الميدية تحت حكمه، ووسع من حدود مملكته في جهة الشرق فضم إليها ولاية فارس وحالف الكمريين[3] (Cimmerians)، وهادن الاسكيثيين[4] (Scythians)[5]، ويبدو إنّه أراد الخلاص من قيد الأشوريين فامتنع عن دفع الجزية وهاجم بلاد آشور سنة 653ق.م غير أن الجيوش الآشورية تمكنت من هزيمته وقتله [6].

1- Ghirshman,Op.Cit,p.26؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص62

2- يسميه هيرودوتس (فراورتس) (Phraortes) ويحدد مدة حكمه بـ (22) سنة (تاريخ، الكتاب الأول، فقرة 102).

3- الكمريون: أو القمريون من القبائل الهندو أوربية عبروا مع الاسكيثيين القوقاز في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد وسكنوا السواحل الجنوبية من البحر الأسود قرب مصب نهر الهليس (قزل ايرمق) في الوقت الحاضر، ويرجح أن يكون اسم القرم وشبه جزيرة القرم مأخوذة من اسم هؤلاء الأقوام، كانوا يعيشون على السلب والنهب ولذلك تسببوا في اضطرابات كثيرة في حدود إيران الشمالية الغربية، وقد قاست مملكة الأرمن منهم الكثير حتى أن ملكها روساس الأول (730 – 714ق.م) انتحر من جراء تدميرهم لمملكته، هزمهم وفرق جمعهم الملك الآشوري آشور بانيبال (668 – 626ق.م) (Ghirshman,Op.Cit,p.97).

4- الاسكيثيين: قبائل هندو أوربية سكنت منطقة حوض نهر الفولغا بين بحر قزوين وبحر ارال (جنوب روسيا في الوقت الحاضر)، وأخذت مع نهاية القرن الثامن قبل الميلاد تهاجر من موطنها الأصلي باتجاه بلاد فارس مسببة اضطرابات كثيرة في حدوده الشمالية الشرقية، وهاجموا آسيا الصغرى وبلاد الشام (Ghirshman,Op.Cit,p.97).

5- بيرنيا، تاريخ إيران، ص62؛ Ibid,p.97.

6- يبدو أن بعض المصادر خلطت بين مدة حكم الملك خشاثريتا وابنه كي – اخسار، فجاء فيها (أن الاسكيثيين قتلوا الملك خشاثريتا سنة 653ق.م واخضعوا بلاده لسلطانهم مدة ثمانية وعشرين سنة (653 – 625ق.م)) (Ghirshman,Op.Cit,p.98؛ باقر، مقدمة، ج2، ص394،393؛ الحديثي والحيدري، دراسات، ص40)، والراجح أن الذي هزمه الاسكيثيين هو كي – اخسار في معركة جرت بينهما سنة 653ق.م شمال بحيرة أورمية واخضعوا البلاد لسلطانهم قرابة ثمانية وعشرين سنة (653 – 625ق.م) (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، الفقرات 103 – 106؛ بورتر، موسوعة، ص85 – 86؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص62 – 63؛ أبو مغلي، إيران، ص87).

أعقب خشاثريتا ابنه المسمى (كي – اخسار) [1] (Cyaxares) (653 – 584ق.م) وكان من أقوى الملوك الميديين إذ تمكن من مهاجمة بلاد آشور ومحاصرة عاصمتهم نينوى إلا أن مهاجمة الاسكيثيين لبلاده اضطرته إلى فك ذلك الحصار والتوجه للدفاع عن بلاده، لكنه انهزم أمامهم في السنة نفسها وبعد أن خضعت البلاد لحكمهم مدة ثمانية وعشرين سنة تمكن كي – اخسار من تدبير مؤامرة قتل فيها رؤساؤهم وتمكن من تخليص البلاد من تبعيتهم وطردهم من بلاده سنة [2]، وبعد أن وطد حكمه تحالف مع ملك بابل نبوبلاصر الكلداني (627 – 605ق.م) [3]، وهاجما عاصمة الآشوريين نينوى وتمكنا من دخولها سنة 612ق.م وإنهاء الحكم الآشوري فيها[4].

خلف كي – اخسار ابنه استياجيز(Astyages) (584 – 550ق.م) وهو أخر الملوك الميديين، تولى عرش ماد مدة (34) سنة قضاها دون قتال مما جعل قواته تميل إلى الراحة، وقد ضاق به الميديون ذرعاً لقسوته ووحشيته مع ميله إلى البذخ وانغماسه في اللهو والعبث وإهمال أمور الدولة ولذلك لم يتمكن من مواجهة قوة الدولة الاخمينية وملكها كورش الثاني(559 – 530ق.م) الذي تمكن من الانتصار عليه وتأسيره في المعركة التي جرت بينهما بالقرب من بازركادة سنة 550ق.م وبذلك وضع كورش نهاية للدولة الميدية[5].

1- يسميه هيرودوتس كيازارش (المصدر نفسه، الكتاب الأول، فقرة 103)

2- المصدر نفسه، الكتاب الأول، فقرة 106؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص63.

3- كان حاكماً على بلاد بابل من قبل الملك الآشوري آشور بانيبال (668 – 626ق.م) لكنه تمكن من التخلص من التبعية للآشوريين والاستقلال ببلاده سنة 626ق.م (رو، العراق القديم، ص502؛ سليمان والفتيان، محاضرات، ص165).

4- هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، فقرة 106؛ كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1986م)، ص214؛ هانوتو، نجريال، نبوخذ نصر " عظمة بابل وإحراق نينوى وتدمير مملكة يهوذا "، ترجمة: فيليب عطا الله، (بيروت: دار الجيل، 1994م، ص11 – 13).

5- للتفصيل انظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، الفقرات 107، 123 – 130؛ بورتر، موسوعة، ص87؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص67؛ Ghirshman,Op.Cit,p.p.113 - 126.

ب- الدولة الاخمينية.

تجمع المصادر على إن هجرة قبيلة بارسا الهندو أوربية تزامنت مع هجرة الميديين ودخولهم إلى بلاد إيران وقد استقرت تلك القبيلة في بادئ الأمر في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحيرة أورمية[1]، ولم يمض على ذلك الاستقرار مدة حتى دخلوا في طاعة الآشوريين الذين استولوا على المناطق الواقعة شرق وأواسط جبال زاكروس وظلوا يدفعون لهم الضريبة حتى عام 714ق.م[2]، وفي حدود عام 800ق.م تركوا مركزهم في الجنوب الغربي من بحيرة أورمية وساروا باتجاه الجنوب تحت ضغط الاورارتيين وسكنوا منطقة سقيز (Saqqax) في كردستان إيران وظلوا خاضعين للآشوريين في مناطقهم الجديدة [3].

ومع بداية القرن السابع ق.م انتقلوا إلى السهول الممتدة على طول جبال بختياري قرب الكارون في الجزء الجنوبي الغربي من إيران[4]، وتمكن زعيمهم المسمى (اخمينس) أو(هاخمانيش) الذي يعتقد أن مدة حكمه كانت ما بين الربع الأخير من القرن الثامن وحتى منتصف القرن السابع قبل الميلاد من أن يكوّن لهم كياناً سياسياً صغيراً تابعاً للميديين في المنطقة التي سميت باسمهم بارسوماش (Parsumas)

1- Frye, Richard. N., Iran, (London,1954), p.33; Olmastead, A.T., History of the Persian Empire, (Chicago, 1948), p.22;

ولبر، ايران، ص26

2- باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص40؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى، ص82.

3- Ghirshman,Op.Cit,p.119;

يحيى، أسامة عدنان، بابل في العصر الاخميني 539 – 331ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: كلية الآداب، 2003م)، ص32.

4- باقر، مقدمة، ج2، ص398.

فارس[1]، وظل هذا الكيان يتأرجح بين التبعية والاستقلال حتى عهد الملك كورش الثاني (559 – 530ق.م) [2].

لم يكتف كورش الثاني بالسيطرة على بلاد الميديين فعمل على توسيع كيانه بحيث أصبح اسم إقليم فارس يطلق على كل بلاد إيران الحالية فسميت بـ (بلاد فارس)، ليس هذا فحسب بل توسع باتجاه آسيا الصغرى وتمكن من الاستيلاء على أهم وأغنى ممالكها آنذاك وهي مملكة ليديا[3] وعاصمتها ساردیس (Sardis) التي دخلها سنة 546ق.م [4]، ثم وجه نشاطه العسكري باتجاه الأجزاء الشرقية من بلاد إيران وتمكن خلال السنوات (545 – 539ق.م) من السيطرة على هيركانيا (جرجان) وبارثيا (خراسان) [5] وعبر إلى بلاد ما وراء النهر جاعلًا من

1- الجاف، حسن كريم، الوجيز في تاريخ إيران " دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الأسطوري إلى نهاية الطاهريين "، (بغداد: بيت الحكمة، 2003م)، ج1، ص58؛ احمد، جمال رشيد، ظهور الكورد في التاريخ " دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكردية ومهدها "، (اربيل: وزارة التربية، 2003م)، ج2، ص293.

2- للتفصيل انظر:

Bausani, Alessandro., The Persians from the earliest days to the twentieth Century, Translated from the Italian by: J.Donne, (Florence,1962), p.17;Olmsted, Op.Cit, p.36.

3- ليديا: مملكة قوية ظهرت في الجزء الغربي من آسيا الصغرى مع بداية القرن السابع قبل الميلاد، أشهر ملوكها الملك الياتيس (617 – 560ق.م) الذي تمكن من إخضاع أغلبية المدن الأيونية (اليونانية) في آسيا الصغرى لحكمه، وجعل بلاده مركزاً مهما للتجارة بين آسيا وأوربا واشتهرت ليديا بأنها أول من سكت النقود في العالم (ولز، هـ.ج، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1948م)، ج2، ص293؛ وللتفصيل انظر: (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، الفقرة 7 وما بعدها؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى، ص359 – 366).

4- للتفصيل انظر: هيرودوتس، المصدر نفسه، الكتاب الأول، الفقرات 84 – 85؛

Bury.J., AHistory of Greece to the death of Alexander the Great,(London, 1920)Vol.1, p.227; Huart, Clement., Ancient Persia and Iranian Civilization, (London ,1972), p.38.

5- خراسان: إقليم واسع أول حدوده مما يلي العراق وأخر حدوده مما يلي الهند، يشتمل على مدن مهمة منها نيسابور وهراة ومرو (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج3، ص218).

نهر سيحون [1] الحد الشمالي لإمبراطوريته التي امتدت إلى الحدود الشمالية الغربية من بلاد الهند[2]، وبعد تلك الانتصارات توجه كورش الثاني نحو بلاد بابل وتمكن من الاستيلاء عليها سنة 539ق.م[3] ولم يبق أمامه سوى مصر فاخذ يعد العدة للاستيلاء عليها، وقبل أن يبدأ بتنفيذ ذلك أقدم على عملية عسكرية ذكية، وهي إعادة اليهود[4] من بابل إلى فلسطين وأمدهم بالأموال اللازمة للعودة وذلك لكي يضع على حدود مصر فئة مؤيدة له ولكن حدث قبل أن يباشر بالهجوم عليها أن ذهب إلى المشرق لقتال قبائل السكا البربرية الساكنة مناطق ما وراء النهر إلا إنه قتل في إحدى معاركه هناك سنة530 أو 529ق.م[5].

1- نهر سيحون: ويسميه اليونانيون جكسارتس (Jaxartes)، ويسميه الترك سيردريا والعرب يسمونه نهر سيحون أو نهر الشاش لوقوع مدينة الشاش بالقرب من ضفافه، وهو أكبر من نهر جيحون بمقدار الثلثين ينبع من حدود بلاد الترك ويصب في بحيرة خوارزم (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص22؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص519 – 520).

2- للتفصيل عن حروب كورش الثاني في الشرق انظر:

Olmsted,Op.Cit,p.p.45 - 49; Ghirshman,Op.Cit,p.131.

3- للتفصيل انظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الأول، الفقرات 188 – 191؛ سالور، سبكتكين، بنياد شانشاهي إيران " مهاجرت آرين ها زرادشت وعصر او مادها كورش كبير، (تهران: از انتشارات شركات نبي حاج محمد حسين اقبال وشركاه،1340ش)، ص236 – 246؛ حسن، زكي محمد، تاريخ نقاش در إيران، ترجمة: أبو القاسم سحاب، (د.م، د.ت)، جاب دوم، ص14؛

Ghirshman, Op.Cit, p.p.131 - 132; Delaport, L., Mesopotamia, Translated by: V. Gordonchilde, (London, 1925), p.p.56 - 59.

4- يقصد بهم اليهود الذين وقعوا في اسر الملك الكلدي نبوخذ نصر الثاني (604 – 562ق.م) الأول كان سنة 597ق.م ونقلهم من سوريا إلى وادي الرافدين والأسر الثاني كان سنة 587ق.م (رو، العراق القديم، ص508 – 509؛ هانوتو، نبوخذ نصر، ص153 – 191).

5- بيرنيا، تاريخ إيران، ص 84 – 85؛ سايكس، سير برسي، تاريخ إيران، ترجمه إلى الفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، جاب سوم، (تهران:جاب افست علي اكبر علمي، 1332ش)، ج1، ص199؛ رازي همداني، عبد الله، تاريخ مفصل إيران از تأسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، (تهران: شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، 1335ش)، ص12.

بعد وفاة كورش الثاني تربع على عرش الدولة الاخمينية أبنه قمبيز الثاني (Cambyses11) (530 – 521ق.م) الذي تولى تنفيذ خطة والده في الاستيلاء على مصر وتم له ذلك في السنة الخامسة من حكمه سنة 525ق.م مؤسساً فيها السلالة السابعة والعشرين من السلالات الفرعونية [1].

ولم يكد يمضي لبقائه في مصر مدة ثلاث سنوات حتى خرج منها عائداً إلى بلاده سنة 522ق.م للقضاء على التمرد الذي تزعمه كوماتا (Cuamata) مدعياً إنه أخوه، إلا إنّه توفي في الطريق في السنة نفسها، ويعتقد إنه مات مسموماً بتدبير من الملك دارا الأول (داريوس الاول) (Darius 1) (521 – 486ق.م) الذي تولى العرش من بعده بعد أن ادعى إنه ينتمي إلى فرع أخر من السلالة الاخمينية [2].

وفي عهده اصطدمت الدولة الاخمينية ببلاد اليونان والبداية الأولى للحروب الاخمينية – اليونانية تمثلت بالثورة التي قامت بها المدن الأيونية ضد حكم الملك دارا الأول بسبب مضايقة الاخمينيين للسفن التجارية من جراء احتلال قمبيز لمصر وبسبب سيطرة الملك دارا الأول على مضيق البوسفور[3] (Bosphorus)، ومضيق

1- جانج، بيتر جوليوس، داريوش يكم بادشاه بارسا، ترجمة وحواشي: نشي زاده، (تهران: جاب خانة دانشكاه، 1325ش)، ص46؛ Bausani,Op.Cit,p.19؛ وللتفصيل انظر: حسن، سليم، مصر القديمة، (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، د. ت)، ج13، ص2؛ زايد، عبد الحميد، مصر الخالدة مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية، (القاهرة:1966م)، ص936 – 937.

2- بيرنيا، تاريخ إيران، ص90 – 91؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص210 – 212؛ جانج، داريوش يكم، ص50؛ Ghirshman,Op.Cit,p.p.138 - 139.

3- مضيق البوسفور: وهو مضيق استنبول، والعرب يسمونه خليج القسطنطينية يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، ويفصل بين قسمي تركيا الأسيوي والأوربي (غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، 1987م)، ج1، ص371؛ الكرملي، انستانس ماري، المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، (بغداد: مطبعة دار الحرية،1976م)، ج2، ص243).

هلسبونت[1] (Hellespont) (الدردنيل)، وقد أيدت أثينا[2] تلك الثورة خوفاً من احتلال الملك دارا الأول لها [3]، إزاء ذلك جهز الأخير حملة عسكرية سنة 494ق.م استطاعت في معركة لاذا[4](Latha) البحرية من إلحاق الهزيمة بالمدن الثائرة[5].

بعد ذلك الانتصار قرر الملك الاخميني دارا الأول تأديب الأثينيين بغزو بلاد اليونان واحتلال أثينا، فسار سنة 490ق.م بجيش بري كثيف وأسطول بحري مكون من ستمئة سفينة باتجاه سهل الماراثون[6] (Marathon)، القريب من أثينا فدارت بين الطرفين معركة حامية حسمت نتيجتها لصالح أثينا التي رفضت إسبارطة[7] مساعدتها[8]،

1- مضيق هلسبونت (الدردنيل): مضيق في تركيا يصل بحري ايجة ومرمرة، يشكل مع البوسفور فاصلاً بين البلقان والاناضول، مركز استراتيجي، والمنفذ الوحيد بين البحرين المتوسط والأسود (غربال، المصدر نفسه، ج1، ص789).

2- أثينا: هي عاصمة إقليم اتيكا تقع في أقصى جنوب شرق شبه جزيرة اليونان مطلة على بحر ايجة في سهل يبعد مسافة أربعة أميال (8 كم) عن البحر (حسين، المدخل، ص153؛ بورتر، موسوعة، ص216).

3- للتفصيل انظر: سرسق، دمتري، تاريخ اليونان، (بيروت:1876م)، ص63؛ فهمي، محمود، تاريخ اليونان، (مصر: مطبعة الواعظ، 1910م)، ص122؛

Burn,A.R.,The Warring States of Greece from their Rise to the Roman Conquest ,(London,1968),p.80.

4- سميت بذلك لوقوعها بالقرب من مدينة لاذا وهي مدينة صغيرة تجاه ملطية الايونية في آسيا الصغرى (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب السادس، فقرة 7).

5- للتفصيل عن معركة لاذا البحرية انظر: المصدر نفسه، الكتاب الخامس، الفقرات 99 – 126؛ الكتاب السادس، الفقرات 1 – 18.

6- ماراثون: قرية من قرى إقليم اتيكا، تبعد عن أثينا حوالي 22ميلاً (أي 44كم) وتحيط بها سلسلة من التلال (فشر، هـ. أ. ل، تاريخ أوربا في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي بك ومحمد عواد حسين، (مصر: دار المعارف، 1950م)، ص152 هامش رقم (39).

7- اسبارطة: هي أقوى المدن اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد، كان نظام حكمها عسكرياً متشدداً، زاحمت أثينا على زعامة بلاد اليونان وتغلبت عليها في حرب البيلوبونيز سنة 404ق.م (عياد، محمد كامل، تاريخ اليونان، (دمشق: وزارة التعليم السورية، 1969م)، ج1، ص169 – 170).

8- للتفصيل انظر: سرسق، تاريخ اليونان، ص76 – 78؛ Burn,Op.Cit,p.93؛

Cotterill,H.B., Ancient Greece A sketch of Its Art Literature & Philosophy Viewed in Connation with Its External History from Earliest Time to the Age of Alexander the Great ,Second Edition , (London ,1915),p.p.269 - 272.

ويبدو إن واقع تلك الهزيمة كان قاسياً على الملك دارا الأول بحيث إنه أصر على الثأر لهزيمته فاعد جيشه لحملة عسكرية جديدة أضخم من الحملة السابقة إلا إن قيام ثورة في مصر ضد الحكم الاخميني جعلته يتريث في القيام بها لحين مـا يتمكن من إخماد ثورة مصر إلاّ إنه توفي قبل أن يبلغ مسعاه [1].

خلف دارا الأول أبنه احشويرش الأول (خشيارشا الاول) (486 – 464ق.م) فتولى تنفيذ خطة والده في الاستيلاء على أثينا وأرسل لتحقيق ذلك حملة عسكرية كبيرة برية وبحرية إلا إنه فشل في معركة سلاميس البحرية سنة 480ق.م [2] التي تحطم فيها الأسطول الاخميني، وتابع الأثينيين انتصاراتهم على الجيش الاخميني فتمكنوا من إلحاق الهزيمة به في معركة بلاتيا (Plataea) سنة 479ق.م[3]، وقد أرغمت تلك الهزيمة الاخمينيين على التخلي عن فكرة احتلال اليونان[4].

تولى حكم الدولة الاخمينية بعد احشويرش الأول ملوك ضعفاء لم يرتقوا إلى مستوى الحكم والدولة إلى أن تولى الملك دارا الثالث (داريوس الثالث) (Darius III) (336 – 330ق.م) عرش الإمبراطورية، وعلى الرغم من إمكانياته القيادية إلا إنّه لم يتمكن من إنقاذ دولته من الخطر الذي كان يهددها والمتمثل بالخطر المقدوني وشخصية الاسكندر الكبير(336 – 323ق.م).

1- للتفصيل عن تلك المعركة انظر:

Bury,Op.Cit,Vol.1,p.p.252 - 259;

2- Tenen, I., Junior Histories of the Ancient World, Third Edition, Macmillan and Colimited, (London, 1937), p.p.116 - 118; Bengtson, Hermann, and Others., The Greeks and the Persians from the sixth to the fourth Centuries B.C, Delacorte Press, (New York, 1968), p.p.44 - 46.

Bury, Op.Cit, Vol.1, p.265;

عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص302

3- **Cotterill,Op.Cit, p.p.269 - 272**؛ للتفصيل انظر: فشر، تاريخ أوربا، ص47

4- Tenen,Op.Cit,p.128.

2 ـ مرحلة الحكم الأجنبي

أ ـ الحكم المقدوني

تولى الاسكندر المقدوني حكم مقدونيا بعد أبيه الملك فيليب الثاني (359 – 336 ق.م)، وكان يتطلع إلى قيام إمبراطورية عالمية تمتزج فيها حضارة الغرب بالحضارة الشرقية ولتحقيق ذلك توجه نحو الشرق سنة 334ق.م فعبر مضيق الدردنيل إلى آسيا الصغرى وفيها حقق أول انتصاراته واستولى على معظم مدنها (مدن ساحل أيونيا) بعد تغلبه على الجيش الاخميني في المعركة التي جرت بينهما على نهر جرانيكوس[1] (Granicus) [2]، واستمر يتقدم بجيشه عبر كيليكيا[3] (Cilicia) (قيليقية) حتى وصل إلى ايسوس[4] (Issus) سنة333ق.م، وفيها حقق نصره الثاني على خصمه الملك دارا الثالث الذي كان يقود الجيش الاخميني بنفسه، وبعد الهزيمة فرَّ بنفسه إلى بلاد بابل تاركاً أسرته التي وقعت في يد الاسكندر[5].

1 – جرانيكوس: نهر صغير قريب من الساحل الشمالي الشرقي للأناضول يصب في بحر مرمرة.
(Avery,C.B., Classical Handbook ,(London,1962),p.504)

2 – للتفصيل انظر: تارن، و.و، الاسكندر الأكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، مراجعة: محمد سليم سالم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م)، ص30 – 55؛
Bengtson and Others,Op.Cit,p.p.302 - 311;Robson,E. Iliff.,History of Alexander and Indica, (Great Britain,N.D),BookVl,p.p.135 - 137.

3 – كيليكيا (قيليقية): مدينة في جنوب شرق آسيا الصغرى، بين البحر المتوسط وجبال طوروس، عرفت بـ(أرمينيا الصغرى) (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص1530).

4 – ايسوس: من مدن كيليكيا، تقع في سهل لا يزيد عرضه عن ميلين ينحصر بين خليج الاسكندرونة في الجنوب الغربي وبسلسلة من التلال في الشمال الشرقي، ويؤدي إلى الركن الشمالي الشرقي من سوريا (ولبر، إيران، ص36؛ أبو مغلي، إيران، ص113).

5- **Bengtson and Others, Op.Cit, p.p.310 - 311; Maurison, G.C., Dareios 111 and the battle of issos, Historia, XX1, (1972), p.p.399 - 423; Wirth, G., Darios and Alexander, (Chiron,1971), p.p.133 - 135.**

بعد ذلك الانتصار اتجه الاسكندر جنوباً وتمكن من الاستيلاء على بلاد الشام ومصر بسهولة، ثم عاد ليتابع حملته شرقاً فاتجه سنة 331ق.م نحو أراضي الجزيرة الفراتية متعقباً الملك دارا الثالث الذي أتاح له الاسكندر بعروجه إلى بلاد الشام ومصر فرصة التقاط الأنفاس وتجميع قواته، وفي معركة قرب كوكميلا (Gaugamela) الواقعة إلى شمال غرب مدينة اربلا [1] (اربيل) دارت بين الجانبين في السنة نفسها معركة فرَّ منها الملك دارا الثالث هارباً بعد أن تبين له إن تيارها يسير ضده إلا إنّه ما لبث أن قتل سنة 330 ق.م [2].

بعد ذلك الانتصار تقدم الاسكندر نحو بابل فاستسلمت له دون مقاومة وبعد أن أقرَّ الحاكم الاخميني مازكس (Mazkes) والياً عليها توجه سنة 325ق.م نحو بلاد فارس فاستولى على مدينة سوسة[3] (Susa) ومدينة برسيبوليس عاصمة الاخمينيين[4] طاوياً بذلك صفحة من صفحات تاريخ المنطقة وبدأت صفحة جديدة تحت رعاية ممثلين جدد وهم المقدونيين.

بعد أن فرض الاسكندر المقدوني سيطرته على بلاد فارس عاد سنة 323 ق.م إلى بابل وفيها أصيب بحمى شديدة قضت عليه في السنة نفسها وهو في الثانية والثلاثين من عمره، ولم يترك وريثاً من نسله الشرعي فقد كانت زوجتـه الفارسية

1- اربلا (اربيل): مدينة بين الزابين ومنها إلى الموصل يومان (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص19).

2- للتفصيل انظر: لامب، هاولد، الاسكندر المقدوني، ترجمة:عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع، مراجعة: محمود الامين، (بغداد: المكتبة الأهلية،1965م)، ص209 – 216؛ رستم، أسد، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية،1969م)، ص35 – 37؛ الشيخ، حسين، العصر الهلنستي، (د.م:1993م)، ص5 – 6؛ 137 – 135 Robson,Op.Cit,bkV1,p.p.

3- سوسة: أو شوش عاصمة الدولة العيلامية التي حكمت إقليم خوزستان (الاحواز) منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حتى الألف الأول قبل الميلاد وموقع سوسه جنوب ديزفول في الوقت الحاضر (باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص25)

4- للتفصيل انظر: تارن، الاسكندر الاكبر، ص30 – 55؛

Bengtson and Others, Op.Cit,p.p.307 - 309.

روكسانا[1] (Roxana) حاملًا عند وفاته [2]، ولذلك قسمت إمبراطوريته بين خمسة عشر من قواده وولاته الذين ما لبثوا أن دخلوا في صراعات وحروب فيما بينهم استمرت قرابة اثنين وعشرين عاماً (323 – 301ق.م) سميت بحروب الخلفاء (Diadochi) أي خلفاء الاسكندر[3]، بعدها أخذت الإمبراطورية شكلها النهائي والمتكون من أربع دول هي:

1. كاسندروس، ملك على مقدونيا
2. ليسماخوس، ملكاً على تراقيا [4] ومعظم آسيا الصغرى
3. بطليموس ملك على مصر
4. سلوقس ملكاً على بابل وسوريا وبلاد فارس [5]، والأخيرة ظلت تحت حكم دولته قرابة ثمانين عاماً [6].

وقد آل حكم مقدونيا إلى ليسماخوس بعد موت كاسندروس [7].

1- روكسانا: أو روشنك هي ابنة احد أمراء مملكة باكتريا (بلخ) تزوجها سنة324ق.م (علي، عبد اللطيف، محاضرات في العصر الهللينستي، (بيروت: مطبعة كتب كزيدية اخون، 1976م)، ص94).

2- ماتساس، نسطور، مذكرات الاسكندر الكبير " عن مخطوط بابل "، ترجمة: الطاهر فيفة، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع،1989م)، ص123؛ العسلي، بسام، الاسكندر الأكبر المقدوني من 336 – 323 ق.م، (دمشق:1980م)، ص93؛ علي، محاضرات، ص81.

3- للتفصيل انظر: نصحي، مصر في عصر البطالمة، ج1، ص27 – 28).

4- تراقيا: إقليم جنوب شرق أوربا (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص501).

5- للتفصيل انظر: نصحي، مصر في عصر البطالمة، ج1، ص48 – 50؛ الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، (القاهرة: دار النهضة العربية، 2001م)، ص100؛ حسين، العصر الهلنستي، ص6 – 8؛ علي، محاضرات، ص131 – 134.

6- بيرنيا، تاريخ إيران، ص171؛ علماً أن هذا التقسيم كان بعد معركة ابسوس سنة 301ق.م وهي المعركة التي وضعت نهاية لأخر محاولة لإحياء الإمبراطورية (فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني، (د.م: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005م)، ص49).

7- علي، محاضرات، ص133 – 134.

ب ـ الحكم السلوقي.

تعد سنة 312ق.م بداية لتاريخ الدولة السلوقية، ففي هذه السنة استولى مؤسسها سلوقس الأول (312 – 280ق.م) الملقب بـ (نيكاتور) (Nicator) أي المنتصر على بلاد بابل واتخذ من مدينة بابل عاصمة لدولته[1]، ولم يكد الملك سلوقس الأول يقطف ثمار ذلك الانتصار حتى واجه تحدياً من بعض ولاة بلاد فارس بقيادة حاكم ميديا نيكانور[2] (Nicanor) فما كان من سلوقس الأول إلا الزحف على بلاده وتمكن من هزيمته وقتله وفرض سلطانه على بقية مناطق بلاد فارس[3]، ثم أخذ يوسع حدوده باتجاه الشرق فحاول سنة 301ق.م ضم المناطق الهندية إلى نفوذه إلا إنّه اصطدم بالملك الهندي جندراجوبتا[4](Ghandragupta) الذي اشتهر بمقدرته الحربية فآثر

1 – بيرنيا، تاريخ إيران، ص171؛ علي، محاضرات، ص211. وقد شرحت المصادر ظروف ذلك الاستيلاء فذكرت أن سلوقس كان أثناء وصاية برديكاس (Perdicas) (نائب الاسكندر) على العرش الذي تولاه شقيق الاسكندر ارهيدايوس (Arrhidaeus) المسمى (فيليب الثالث) قائد فرقة الفرسان وقد شجعه قادة الجيش في الهجوم على برديكاس وقتله بعد أن زحف الأخير على مصر لانتزاعها من بطليموس وفعلاً كان سلوقس من المساهمين في قتله سنة 321ق.م، وبعد مقتله أصبح انتيباتروس (Antipatros) وصياً على الملك الجديد (فيليب الثالث) إلا إن الجند ما لبثوا أن ثاروا عليه هو الأخر غير إن سلوقس ومعه انتيجونوس (Antigonos) حاكم آسيا الصغرى تمكنا من إخماد تلك الثورة وحماية انتيباتروس، فما كان من الأخير إلا أن كافأ سلوقس بتعينه حاكماً على بلاد بابل إلا إن انتيجونوس سارع إلى الزحف إلى بابل وتمكن من الاستيلاء عليها فلجأ سلوقس إلى بطليموس في مصر وبعد أن تمكنا من هزيمة ديمتريوس (Demetrios) بن انتيجونوس عند غزة سنة 312ق.م سارع سلوقس على رأس ألف فارس واستولى على بابل في تشرين الأول 312ق.م (الحلو، عبد الله، سوريا القديمة التاريخ العام، الكتاب الأول " منذ أقدم الأزمنة حتى أوائل العصر البيزنطي، (دمشق: مطبعة ألف باء – الأدبي، 2004م)، ص863 – 864؛ نصحي، مصر في عصر البطالمة، ج1، ص48 – 50؛ أبو مغلي، إيران، ص118).

2 – لم تذكر المصادر سنوات حكمه.

3 – الحلو، سوريا القديمة، ص865؛ أبو مغلي، إيران، ص118.

4 – جندراجوبتا: لم تذكر المصادر سنوات حكمه إلا إنها ذكرت إنه مؤسس الإمبراطورية المورية، وهي أول إمبراطورية ضمت الهند بأكملها وكابل وهراة وقندهار، أشهر أباطرتها اشوكا العظيم الذي نشر الديانة البوذية في الهند (ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص761).

الملك سلوقس الأول السلامة والانسحاب من الهند جاعلاً جبال هندوكوش حداً فاصلاً بين الدولتين[1].

وبعد معركة ابسوس[2] (Ipsus) سنة 301 ق.م استولى الملك سلوقس الأول على سوريا فصارت إمبراطوريته تمتد من ساحل البحر المتوسط وكبدوكيا[3] (Cappedoci) حتى أطراف الهضبة الإيرانية (مشارف الهند) من الشرق ومن البحر الأسود في الشمال حتى ساحل الخليج العربي في الجنوب[4]، وقد عمل على تقسيمها إلى قسمين، قسم شرقي عهد بحكمه إلى أبنه انطيوخوس الأول (Antiochos I) (280 - 261ق.م) الذي أشركه معه

1- الحلو، سوريا القديمة، ص866، ويذكر أن الملك سلوقس الأول عقد معاهدة مع ذلك الحاكم أسفرت عن قيام مصاهرة بين البيتين الحاكمين حيث تزوج الملك جندراجوبتا من ابنة الملك السلوقي سلوقس الأول، وتلقى الأخير منه هدية قيمة عبارة عن 500 فيل من الفيلة المدربة على القتال، وبمقتضى تلك المعاهدة تنازل الملك سلوقس الأول عن الأراضي التي تقع على الضفة اليمنى من نهر السند، إلا إنّه احتفظ بولاية باكتريا (فرح، الشرق الأدنى، ص123 - 124؛ أبو مغلي، إيران، ص118؛ باقر، مقدمة، ج2، ص449؛ علي، محاضرات، ص212).

2- معركة ابسوس: سميت بذلك نسبة إلى وقوعها في مدينة ابسوس الواقعة في إقليم فريجيا الجنوبي على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص7)، وسميت تلك المعركة أيضاً بـ (معركة الملوك) إذ تحالف كل من سلوقس الأول مع القادة بطليموس وكاسندروس ضد انتيجونوس الذي سيطر على القسم الأكبر من بلاد اليونان وبحر ايجه وكاد أن يسيطر على معظم أراضي إمبراطورية الاسكندر وبمقتله في تلك المعركة انتهت أي محاولة لأحياء فكرة الإمبراطورية الموحدة (علي، المصدر نفسه، ص117 - 118؛ الناصري، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى، ص100).

3- كبدوكيا: تقع في وسط آسيا الصغرى، تحدها مملكة البُنتس شمالاً، وأرمينيا شرقاً، وكيليكيا جنوباً وفريجيا وليكونيا غرباً، عاصمتها قيصرية أو قيسارية (الصالحي، صالح رشيد، المملكة الحثية دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول، (بغداد: 2007م)، ص585؛ غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص1412 - 1413).

4- الحلو، سوريا القديمة، ص866.

في الحكم وقد اتخذ من سلوقية[1] (Seleuceia) مقراً لحكمه بدلًا من بابل[2]، والقسم الغربي تولى حكمه بنفسه بعد أن اتخذ من أنتيوخيا(أنطاكيا) في سوريا مقراً لحكمه[3]، ولا شك أن استقرار الملك نفسه في العاصمة الغربية قرب البحر المتوسط يعني إنه نقل مركز ثقل سياسته من الشرق إلى الغرب أي إلى مركز العالم الهيليني، ومع أن السبب الرئيسي في سياسته تلك يعود إلى حرصه في الاحتفاظ بسوريا التي حاول البطالمة في معظم الفترات السيطرة عليها أو على الأقل ضمان نفوذ قوي لهم فيها[4]، إلّا أن تلك السياسة انعكست عليه سلباً فكانت سبباً في أن تستغل الأقاليم الشرقية ضعف الحكومة المركزية وتعلن عصيانها وتمردها على حكامها السلوقيين، وبدأت تنفصل واحدة بعد الأخرى، حتى انحصر حكمها في عهد الملك انطيوخوس الثالث عشر (69 – 64ق.م) في سوريا وحدها[5].

1- سلوقية: مدينة بناها الملك السلوقي سلوقس الأول على الجانب الغربي لنهر دجلة بقاياها تعرف في الوقت الحاضر بـ (تل عمر) مقابل المدائن (مكاي، دروثي، مدن العراق القديمة، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، (بغداد: مطبعة شفيق، 1952م)، ص52؛ مظلوم، طارق عبد الوهاب، المدائن (طيسفون)، مجلة (سومر)، مج 27، (بغداد: مديرية الآثار العامة، 1971م)، ص130).

2- يرجح أن يكون سبب هجر الملك سلوقس الأول لبابل وبناء سلوقية بدلاً عنها هو استيلاء البطالمة على جوف سوريا (جنوب سوريا بما في ذلك فلسطين)، وعلى المنافذ الطبيعية لمسالك اتصالات نهر الفرات (شريف، إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، (بغداد: مطبعة شفيق، د. ت)، ج2، ص213).

3- باقر، مقدمة، ج2، ص449 – 450؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص69؛ اشرفي، منير، تاريخ سوريا السياسي، (حلب: مطبعة العصر الجديد، 1937م)، ص 14.

4- الحلو، سوريا القديمة، ص868، أن فقدان السلوقيين لسوريا يعني إنهم سيصبحون شبه منعزلين عن البحر المتوسط (للتفصيل عن أهمية سوريا للسلوقيين والبطالمة انظر: نصحي، مصر في عصر البطالمة، ص28، 57؛ علي، محاضرات، ص144).

5- بيرنيا، تاريخ إيران، ص171؛ باقر، مقدمة، ج2، ص450.

3ـ بلاد فارس تحت السيطرة الفرثية

ينتمي الفرثيون إلى قبيلة فارني أو بارني (Parni) الارية، التي هي أحدى القبائل المتحدة مع قبيلة داهي[1] (Dahae) الاسكيثية[2].

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد تركت قبيلة فارني التي ينتمي إليها الفرثيون قبيلة داهي، واستولت في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد على القسم الشمالي الشرقي الذي يعرف باقليم بارثوا (Parthave) (خراسان) واختلطوا مع الفرثيين سكان المنطقة الاصليين[3].

نستنتج من ذلك أن اسم الفرثيين كان نسبة لإقليم بارثوا وإن هذا الاسم كان يطلق على قوم أقدم عهداً من أولئك الفرثيين الذين هم موضوع الدراسة والذين هاجروا إليهم في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وإن اسم الفرثيين لحق بهم بعد اختلاطهم مع السكان الأصليين.

1- تلك القبيلة كانت تسكن في منطقة دهستان الواقعة بين هركانيا (جرجان) ومنطقة اساك (قوجان) (كوتشميد، الفرد فن، تاريخ إيران ممالك همجوار ان از زمان اسكندر كبير تا انقراض اشكانيان، بامقدمة: أي از نولدكه، ترجمة حواشي: از كيكاوس جهانداري، (شركت سامي جاب وانتشارات كتب إيران، د.ت)، ص43؛ كرانتوسكي، م.أ؛ داندامويو، ك.أ كاشلنكو، بتروفسكي، م.س، ايدانوف، ل.ك. بلوي، تاريخ إيران از زمان باستان تا امروز، ترجمة: كيخسرو كشاوزرى، (تهران: انتشارات بويش، 1359ش)، ص133؛ مشكور، محمود جواد و رجب، مسعود، تاريخ سياسي واجتماعي اشكانيان - بارتيان - باهلويان قديم، (تهران: دُنياي كتاب، 1374ش)، ص110؛

Herzfeld ,E.,Archaelogische Mitteilungen aus Iran, (Berlin,1932), Vol,IV, P.36.

2- Debevoise., A political History of Parthia ,(Chicago,1938),P.5;
دياكونوف، ميخائيل ميخائيوديج، تاريخ إيران باستان، ترجمة: روحي ارباب، (تهران: 1380ش)، ص200؛ رجبي، برويز، هزاره هاي كم شده، جلد جهارم - اشكانيان (بارت ها)، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، 1380ش)، ص52؛ ولبر، إيران، ص38.

3- كالج، مالكوم، اشكانيان (بارتيان)، ترجمة: مسعود رجب نيا، (تهران: هيرمند،1380ش)، ص21؛ رجبي، المصدر نفسه، ج4، ص52؛ ايليف، فارس والعالم القديم، ص47.

لم يكن اسم الفرثيون الاسم الوحيد الذي عرفت به القبيلة التي انتمى لها هؤلاء، فقد ذكرتهم المصادر بتسميات عدة منها الاشكانيين نسبة إلى جدهم اشك بن اشكان[1]، ويقال إنهم سموا بذلك نسبة إلى مكان سكناهم الأول وهو مدينة اساك[2] (قوجان) [3]، أما اسم الارشاقيين أو الارشاكيين فقد لحق بهم بعد تأسيس دولتهم سنة 247ق.م نسبة إلى ارشاق أو ارشاك زعيمهم الأول ومؤسس دولتهم [4]، وتسميهم المصادر العربية (ملوك الطوائف) [5].

في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تهيأت الظروف لظهور الفرثيين كدولة مستقلة فالحروب الطويلة التي خاضها السلوقيين مع البطالمة في مصر أضعفت من قواهم وحدت من تماسك ملوكهم[6]، كما إن نقل سلوقس الأول عاصمته من مدينة سلوقية في العراق إلى مدينة أنتيوخيا في سوريا صرفه عن الاهتمام بإحكام السيطرة على الأقاليم الشرقية الخاضعة لنفوذه الأمر الذي دفع سكان تلك الأقاليم ومنها

1- المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص222؛ مسكويه، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (بيروت: دار الكتب العلمية،2003م)، ص88)؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تعليق: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، ج1، ص80.

2- اساك (قوجان): تقع ضمن حدود مدينة نسا الواقعة في واحة خصبة في مدينة اترك (رجبي، هزاره هاي كم شده، ج4، ص59).

3- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص412؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص178.

4- مهرابادي، ميترا، تاريخ كامل إيران باستان، (تهران: انتشارات افراسياب، 1380ش)، ص647؛ أبو مغلي، إيران، ص120.

5- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، ج1، ص 322؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص 34؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص88، وقالوا في سبب تلك التسمية " إنه لما قتل الاسكندر بن فيلبس دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته، وكاتبهم الاسكندر،...، وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزيبهم، وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو له، فينعدم نظام الملك والانقياد إلى ملك واحد يجمع كلمتهم، إلاّ أن أكثرهم كانوا ينقادون إلى الاشكانيين...، فقيل لسائر ملوك الطوائف الاشكانيون ".

6- رضائي، عبد العظيم، كنجينة تاريخ إيران، جلد سادس – اشكانيان، (تهران: انتشارات اطلس، 1378ش)، ص133؛ للتفصيل عن تلك الحروب انظر: الحلو، سوريا القديمة، ص868 – 879.

الفرثيون إلى العصيان والتمرد على السلطة الحاكمة[1]، فقاموا ومنذ سنة250ق.م بثورات عدة كان أخرها سنة 247ق.م تزعمها ارشاك وأخيه تيرداد الأول تمكنا فيها من انتزاع إقليم بارثوا من أيدي حاكمها السلوقي اندروكوراس (Androgoras) بعد أن قتلاه، وأعلنا بذلك قيام الدولة الفرثية [2].

وهكذا بعد قرن من السيطرة الهيلينية – السلوقية، ظهرت أول دولة إيرانية كبرى بعد انهيار الإمبراطورية الاخمينية.

بعد أن انتزع ارشاك إقليم بارثوا من أيدي السلوقيين حاول تعزيز ذلك الاستقلال بالتوسع على حساب الأقاليم المجاورة، فاتجه صوب إقليم باكتريا[3] (Bactria) محاولاً الاستيلاء عليه وضمه إلى دولته الناشئة، إلا إنّه لم يوفق في ذلك إذ ما لبث أن قتل في إحدى معاركه معهم سنة 247ق.م[4]، فخلفه على الزعامة أخوه الملك تيرداد الأول (Tiridad 1) (247 – 214ق.م)، ويعد المؤسس الحقيقي إذ تمكن من توسيع

1- زهتابي، محمد تقي، ايران تورکلرنين (اسکي تاريخي) - اسکندر دؤوروندن ايسلاماقدر، (تبريز: نشر أختر، 1378ش)، ص108؛ فرزات، محمد حرب، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الاسلام، (مطبعة جامعة دمشق:1989م)، ص132؛ اوليري، دي لاسي، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ص169.

2- مشكور و رجب، تاريخ سياسي واجتماعي، ص110؛

Gardner ,P.,The Parthia Coinas (International Oriental),Part7,(London ,1877), p.3.

3- مملكة باكتريا: أو بلاد البخت نسبة إلى إقليم بلخ (أفغانستان في الوقت الحاضر)، وهي مملكة يونانية – فارسية وضع الاسكندر المقدوني أساسها عندما اسكن فيها أكثر من 20.000 من جنوده غير القادرين على مواصلة القتال معه، وقد اثَّرَ قسم منهم بعد وفاة الاسكندر البقاء فيها على العودة إلى بلادهم، وكونوا لهم كيان سياسي خاص بهم بعد أن انضم إليهم قسم من سكان البلاد المحليين وتزعمهم شخص يوناني يسمى ديودوت الثاني (256 – 235ق.م) استغل ضعف سلطة السلوقيين على الأقاليم الشرقية فثار ضدهم وتمكن من إعلان استقلال بلاده سنة 250ق.م (علي، محاضرات، ص106، 217؛ باقر، مقدمة، ج2، ص450 هامش رقم (1))، أما عن نهايتها فيذكر (اوليري) إنها انتهت بين عامي 141و128ق.م على يد القبائل الاسكيثية التي تسمى يوهتشي الذين جاءوا من شمال الصين (مسالك الثقافة، ص172).

4- كوتشميد، تاريخ إيران، ص63 – 66؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص649؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص42.

حدود دولته باتجاه الغرب فضم إليها هيركانيا وزدراكارتا[1] (استرآباد) [2]، واتخذ من هيكاتومبيلوس عاصمة له [3]، لذلك لقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك وهو أول من تلقب بهذا اللقب[4].

وبلغ ذلك التوسع ذروته في عهد أخيه الملك مهرداد الأول (174 – 136ق.م) إذ تمكن سنة 160ق.م من ضم مملكة باكتريا التي كانت تمتد من جبال هندوكوش في الجنوب إلى نهر جيحون[5] في الشمال وضمها إلى دولته، ثم أعاد تأكيد سلطته على إقليم ميديا سنة 155ق.م[6]، وفي سنة141ق.م هاجم الملك السلوقي ديمتريوس الثاني[7](Demteruis 11) (146 – 138ق.م) وتمكن من الاستيلاء على بلاد بابل وأسر الملك السلوقي نفسه[8].

1- زدراكارتا (استر آباد): من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج1، ص143 – 144).

2- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص414؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص179 ولم تشر تلك المصادر إلى تاريخ ذلك الضم.

3- Tarn,W.W.,Parthia,The Cambridge Ancient History(Cambridge,1951), Vol.IX,p.576;

فرزات، مدخل إلى تاريخ فارس، ص134

4- كوتشميد، تاريخ إيران، ص68؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص651؛ ويذكر (ابن العبري) أن أول من تلقب بلقب (شاهنشاه) هو اشك (أي ارشاك) (غريغوريوس الملطي (ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، (قم: مؤسسة نشر منابع الثقافة الإسلامية، د.ت)، ص47.

5- نهر جيحون: يسميه اليونانيون اوكسس (Oxus) ويسميه الترك امودريا، ويسميه العرب نهر بلخ أيضاً، مخرجه من جبل يقال له ريوساران وهو جبل يتصل بناحية السند والهند وكابل، ويعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي بين إيران وتوران، يصب نهر جيحون في بحيرة خوارزم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج3، ص101؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص61؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص477).

6- دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص203 – 204؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص180؛ حسن، تاريخ نقاشي، ص16.

7- تولى الحكم بعد انطيوخوس الرابع (175 – 164ق.م) انطيوخوس الخامس (164 – 162ق.م) ثم ديمتريوس الأول (162 – 150ق.م) ثم الكسندر بالاس الأول (150 – 146ق.م) ثم ديمتريوس الثاني وهو ابن ديمتريوس الاول (جونز، أ. هـ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: أحسان عباس، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م)، ص175).

8- كالج، اشكانيان، ص25؛ بورتر، موسوعة، ص221؛ الاعظمي، علي ظريف، تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق: عزة رفعت، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت)، ص 35.

وبذلك أصبحت حدود دولته تمتد من مملكة باكتريا شرقاً إلى نهر الفـرات غربـاً ومن بحر قزوين شمالاً حتـى الخليج العربي جنوبـاً [1]، وقد اتخذ من طيسفون[2] (المدائن) مقابل سلوقية عاصمة له[3].

وعلى الرغم من ضعف الملوك السلوقيين المتأخرين فأنهم لم يتخلوا عن أطماعهم وطموحهم في إعادة الأقاليم الشرقية إلى سلطتهم وكانت أخر محاولة لهم قيام الملك السلوقي انطيوخوس السابع (Antiochus VII) (137 – 128ق.م) بشن حملة على الأقاليم الشرقية لاسترجاعها وتخليص أخيه ديمتريوس الثاني من الأسر، فتوجه سنة 130ق.م على رأس جيش كبير نحو بلاد بابل (العراق) وتمكن من إعادته إلى حظيرة الدولة السلوقية في السنة نفسها، بعد ذلك وجه أنظاره صوب بلاد فارس التي تولى الحكم فيها الملك الفرثي فرهاد الثاني (Phraates11) (136 – 127ق.م) فتمكن من التوغل في مدنها حتى وصل إلى مدينة اكبتانا[4]، وحاول الملك الفرثي فرهاد الثاني عقد صلح مع الملك السلوقي انطيوخوس السابع إلاّ إن الشروط التي فرضها عليه الأخير كانت مجحفة [5].

1- مهر ابادي، تاريخ كامل ايران، ص660؛ أبو مغلي، إيران، ص121.

2- طيسفون (المدائن): تقع على دجلة من شرقيها جنوب بغداد على مرحلة منها (ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص344) و(المدائن) اسم أطلقه العرب المسلمون على سبع مدن على ضفتي نهر دجلة متقاربة فيما بينها في المسافة وهي (طيسفون، سلوقية، اسبانير، به اردشير (بهر سير)، درزنبذان، بلاش آباد، ماخوزا) وتسمى في الوقت الحاضر سلمان باك لوجود مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي فيها (لسترنج، بلدان الخلافة، ص52؛ كمال، احمد عادل، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، (بيروت: دار النفائس، 1979م)، ص32 – 33).

3- مولة، نوشتهء‌م، إيران باستان، ترجمة: زالة اموزكار، (تهران: انتشارات دانتكاه تهران، 1939م)، ص15؛ بهروزي، محمد جواد، تقويم تاريخي فرهنكي – هنري 250 سنة شاهنشاهي إيران، (تهران: انتشارات سال كورش الكبير،1971م)، ص79؛ باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص95.

4- Ghirshman, Op.Cit,p.248؛ باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص90

5- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص444؛ العابد، مفيد رائف محمود، سوريا في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس 333 – 64ق.م، (دمشق: دار الشمال، 1993م)، ص141.

لم يرفض الملك الفرثي فرهاد الثاني عقد ذلك الصلح فحسب بل قرر مواجهة الملك السلوقي انطيوخوس السابع، ووجد في انشغال الأخير بمشاكله الداخلية فرصة لتحقيق أهدافه فهاجمه سنة 128ق.م وتمكن في المعركة التي جرت بينهما من قتله وإلحاق الهزيمة بجيشه، وقد ترتب على ذلك الانتصار أن أصبح العراق ضمن ممتلكات الدولة الفرثية [1]، ولم يجرؤ السلوقيين منذ ذلك الوقت فصاعداً على الاعتداء على الفرثيين مرة أخرى[2].

ولم يكد الملك الفرثي فرهاد الثاني يقطف ثمار ذلك النصر حتى تعرضت حدود بلاده الشرقية إلى هجمات جديدة من القبائل الاسكيثية[3]، حيث تمكنت من الاستيلاء على زرنك أو زرنج التي صارت تعرف منذ ذلك الوقت باسم سكستان أو سجستان[4] (Sagistan) (أي بلاد السكا)، وقد قتل الملك فرهاد الثاني في إحدى معاركه معهم سنة 127ق.م[5]، واستمر خطرهم يهدد البلاد حتى طردهم الملك مهرداد الثاني (124 – 88 ق.م) إلى المنطقة التي تسمى في الوقت الحاضر (أفغانستان)[6]، غير أن بلاد فارس دخلت في عهده مرحلة جديدة من مراحل الصراع استمرت ما يقارب قرنين ونصف القرن وهو الصراع الفرثي – الروماني [7].

1- Ghirshman, Op.Cit,p.248؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص206 – 207

2- بيرنيا، تاريخ إيران، ص181.

3- كوتشميد، تاريخ إيران، ص128 – 129؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص667 – 668.

4- سكستان أو سجستان: يسميها الايرانيون سيستان، إقليم واسع قصبته زرنج، (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص297؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص340)، يقع إلى شرقي كرمان بانحراف إلى الشمال (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص131) بينه وبين مدينة هراة ثمانون فرسخاً (480كم) (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص53؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3،ج5، ص23).

5- Frye,The Heritage of Persia,p.212;
دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص207؛ ابومغلي، إيران، ص122.

6- أبو مغلي، المصدر نفسه، ص122 – 123.

7- للتفصيل انظر: النوري، ميثم عبد الكاظم جواد، العلاقات الفرثية الرومانية (247ق.م – 226م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، 2007م).

ومع أن ذلك الصراع وضع نهاية لحياة الدولة الفرثية وحكمها في بلاد فارس إلا أنّ هناك عوامل أخرى أضعفت من قواها وقوضت كيانها منها طبيعة نظامها الإداري (الفيدرالي) فهي لم تكن موحدة وإنما كانت أشبه ما يكون بالاتحاد المكون من مقاطعات أو أقاليم مستقلة يعترف حكامها بتبعيتهم لملك الملوك المقيم في طيسفون[1]، وهؤلاء كثيراً ما استغلوا ضعف الأخير وقاموا بثورات استقلالية كان أخرها الثورة التي قام بها حاكم إقليم فارس (جنوب إيران) اردشير بن بابك سنة 226م تمكن فيها من القضاء على الدولة الفرثية نهائياً، معلناً قيام الدولة الساسانية.

1- الاعظمي، تاريخ الدول، ص36.

المبحث الرابع:
أصل الساسانيين[1] وقيام دولتهم

اختلطت روايات المصادر الفارسية[2] مع الأساطير والخرافات في نسج تاريخ إيران حتى الحقبة الأولى من عهد الدولة الساسانية[3] وقد انعكس ذلك على روايات المؤرخين العرب المسلمين الذين استقوا معلوماتهم من تلك المصادر، فنسب الساسانيين على وفق ما رواه المؤرخون الأوائل يرجع إلى الاخمينيين[4]، فقالوا في نسب مؤسس الدولة الملك اردشير(226 – 241م) هو"اردشير بن بابك بن ساسان

1- يذكر المؤرخ (ولبر) أن اسم ساسان الذي تنتسب إليه الأسرة التي حكمت بلاد إيران مدة أربعة قرون مشتق من لقب فارسي قديم بمعنى (القواد) (إيران، ص42).

2- من أهم المصادر الفارسية التي تناولت التاريخ السياسي للدولة الساسانية وكان مصدراً أصيلاً لأقدم الكتب العربية كتاب(خداي نامة) الذي ألف في عهد الملك الساساني يزدجرد الثالث(632 – 651م) وترجمه ابن المقفع (ت 143هـ/ 760م) بعنوان (سير ملوك العجم أو سير الملوك) غير أن هذه الترجمة مع الأصل فقدت (كرستنسن، ارثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م)، ص46، والمصدر الثاني المهم الذي تناول التاريخ السياسي للدولة الساسانية وكان أصلاً لما في الكتب العربية وكتاب الشاهنامة عن الملك اردشير بن بابك (224 – 241م) كتاب (كارنامة اردشير بابكان) أي كتاب (أعمال اردشير بن بابك) ويرجع تاريخ تأليفه إلى سنة 600م، والأصل موجود وقد تمكنا من الحصول عليه، ونشره باللغة الفارسية (هدايت، صادق، كارنامة اردشير بابكان، جاب دوم، (تهران:1953م)، وتوجد نسخة منه باللغة الألمانية نشرها المستشرق الألماني نولدكة سنة 1878م (براون، تاريخ الأدب، ج1، ص185، 203).
أما عن صحة الأخبار الواردة في المصادر التي ذكرناها أعلاه والمصادر الفارسية الأخرى التي تناولت تاريخ إيران القديم فيقول الأصفهاني عنها: " وتواريخهم (يعني تواريخ الفرس) كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان " (تاريخ سني، ص9).

3- براون، تاريخ الأدب، ج1، ص190.

4- الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة رقم 72؛ الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت282هـ)، الأخبار الطوال، (مصر: مطبعة عبد الحميد احمد، د.ت)، ص45.

الأصغر بن فافك بن منهريس بن ساسان الاكبر بن بهمن بن اسفندياذ بن بشتاسف" [1] وقيل هو " اردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بابك بن بهاوند بن دارا بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف بن بهراسف "[2]، ولا خلاف بينهما فكلا النسبين يرى أن اردشير من نسل ساسان بن الملك الاخميني بهمن[3](464 – 424ق.م) وأن ساسان هذا بعد أن يئس من تولي العرش بعد وفاة أبيه ترك البلاد[4] إلى منطقة الجبال وخالط الرعاة الأكراد وأمتهن مهنتهم[5].

يبدو إن تلك المخالطة قللت من شأن نسل ساسان حتى صارت عاراً عليهم فقالوا ساسان الكردي وساسان الراعي، يؤكد ذلك إن ملك الملوك الفرثي أرطبان الخامس (Artaban V) (208 – 224م) بعد أن وصلت إليه أخبار انتصارات اردشير بعث إليه كتاباً جاء فيه:

" انك عدوت طورك، واجتلبت حتفك، أيها الكردي المربى في خيام الأكراد، من أذن لك بالتاج الذي لبسته والبلاد التي احتويت عليها... "[6].

1- الأصمعي، المصدر نفسه، ورقة 83؛ الدينوري، المصدر نفسه، ص45؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت346هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (إيران: مطبعة أمير، 1373هـ)، ص653.

2- المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص231.

3- بهمن: هو نفسه الملك الاخميني اردشير الأول (464 – 424ق.م) الملقب بـ (اردشير درا زادست) أي اردشير الطويل الباع، وفي الوقت الذي يذكر فيه (الطبري) أنه لقب بذلك لشجاعته ولانتصاراته في حروبه ومغازيه (تاريخ، ج1، ص323) فأن المؤرخين المحدثين يصفونه بالضعف (بيرنيا، تاريخ إيران، ص 121؛ أبو مغلي، إيران، ص104 – 105) أما (الفردوسي) فيذكر ما لا يمكن تصديقه وقبوله فيقول " إن معنى طويل الباع – طويل اليد – فأنه أذا انتصب قام وأرسل يديه تجاوزت أصابعه ركبتيه بمقدار قبضة) (أبو القاسم محمد (ت411هـ)، الشاهنامة، ترجمة: الفتح بن علي البنداري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1932م)، ج1، ص365.

4- يروي لنا المؤرخ (الدينوري) رواية مفادها أن بهمن تزوج من ابنته خماني فحملت منه، وإنه قبل وفاته أمر عظماء دولته بأن ينقادوا لأمرها حتى تضع ما في بطنها فأن كان غلاماً تتولى هي الوصاية عليه حتى يبلغ سن الرشد فيتولى هو الحكم (الأخبار الطوال، ص30).

5- المصدر نفسه، ص30 – 31؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص81.

6- الطبري، تاريخ، ج1، ص390.

والمصادر الإيرانية تنكر صلة النسب بين ساسان وبابك فتذكر أن حفيد ساسان وكان يسمى ساسان أيضاً بعد عودته إلى بلاده بعد مائتي عام عمل راعياً عند بابـك الذي كان حاكماً على إقليم فارس ولم يكن لدى الأخير ولداً من صلبه وصادف أن رأى في منامه رؤيا في ساسان تفسيرها إن عرش بلاد فارس سيكون لساسان وذريته، ولهذا أكرمه بابك وزوجه من ابنته فتكلـل هـذا الـزواج بميلاد اردشير[1]، وبعـد وفـاة ساسان نسب اردشير إلى بابك [2]وهذا يعني أن اردشير حفيد بابك لابنته وليس ابناً له.

ويبدو إن إلحاق نسب الملك الساساني اردشير بالاخمينيين كان يراد به إثبات أحقيته في حكم إيران، وإضفاء القدسية والاحترام على شخصيته من قبل الإيرانيين بعده الحامي للديانة الزرادشتية الذي كان بشتاسب[3] متبنيها الأول [4].

وبعيداً عن سطوة الأساطير فان المصادر تجمع على إن الساسانيين ينتسبون إلى جدهم الأعلى ساسان الكاهن الأعلى لبيت النار الخاص بإله المياه والخصوبة (اناهيذ أو اناهيتا) في مدينة اصطخر بإقليم فارس، وقد تزوج من إحدى بنات الأسرة الحاكمة في ذلك الإقليم وهي أسرة البزرانجي فولدت منه بابك ثم ولد لبابك اردشير[5]،

1- الثعالبي، حسين بن محمد المرغني (ت429هـ)، غرر السير المعروف بـ (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم)، ترجمة: هـ. زوتنبرغ، (باريس: المطبعة الوطنية، 1950م)، ص473؛ مستوفي قزويني، حمد الله بن أبي بكر احمد بن نصر (ت730هـ)، تاريخ كزيدة، باهتمام: عبد الحسين نوائي (طهران: مطبعة الفردوسي،1336ش)، ص12؛ هدايت، كارنامة اردشير، ص170؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص534 – 535.

2- الثعالبي، المصدر نفسه، ص474.

3- هو الملك بشتاسف بن لهراسف في أيامه ظهر زرادشت الذي ادّعى النبوة وجاء بكتاب زعم أنّه لغة سماويّة خوطب بها، فآمن به بشتاسف وأجبر الناس على إتباعه (الدينوري، الأخبار الطوال، ص 27 – 28؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2004م)، ج1، ص174 – 175، 182).

4- الدينوري، المصدر نفسه، ص28.

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص389؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص245 – 246؛ نولدكه، تيودور، تاريخ إيرانيان وعربها در زمان ساسانيان، جاب دوم، ترجمة: عباس زرياب، (تهران: بزوهشكاه علوم إنساني ومطالعات فرهنكي، 1378ش)، ص35؛ كرستنسن، إيران، ص74.

وهذا يعني إن أسرة ساسان كانت تتمتع بمكانة عالية ونفوذ ديني كبير في عهد الأسرة الفرثية.

ويبدو إن بابك الذي خلف أباه في وظيفته الدينية أراد أن يكون لذريته إلى جانب النفوذ الديني نفوذاً سياسياً فأفاد من صلة القرابة التي تربطه بالعائلة المالكة وطلب من (جوزهر) حاكم إقليم فارس أن يضم ولده الأصغر اردشير وكان عمره سبع سنوات إلى القائد الأعلى لجيوشه في مدينة دارابجرد[1] الارجبذ (تيري) ليشب على فنون القتال ويدربه على أساليب القيادة العسكرية، فوافق جوزهر على طلبه وأرسل اردشير إلى القائد تيري الذي تقبله هو الأخر وتبناه [2].

وفي هذا يثبت ما أشرنا إليه من إن ساسان كان من عائلة لها مكانتها في بلاد فارس في عهد الدولة الفرثية، فليس من المعقول أن يضم الحاكم أبناً لشخص من عامة الناس إلى أحد كبار موظفيه العسكريين ليتولى تدريبه على أساليب القيادة العسكرية وليخلفه في منصبه، لو لم تكن أسرته تتمتع بمكانة ونفوذ قوي يدفع الحاكم لقبول ذلك، ولاسيّما إن المجتمع الفرثي مجتمع طبقي أي إن تعيين الشخص في الوظائف المهمة يتوقف على ما تتمتع به أسرته من نفوذ ومكانة اجتماعية.

وقد أتت جهود بابك ثمارها إذ توفى تيري سنة 212م وخلفه اردشير في منصبه وقد أظهر من القدرة والكفاءة العالية ما شجعه على التخطيط لارتقاء عرش فارس فكانت أول أعماله العسكرية أن ضم إليه المناطق الصغيرة التابعة لمنطقة نفوذه في دارابجرد بعد تغلبه على حُكامها وقتلهم[3]، وهذا يعني إن

1- دارابجرد: مدينة تابعة لإقليم فارس وهي ثالث اكبر المدن فيها بعد اصطخر واردشير خرة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 2، ج4، ص273).

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص389؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص245 - 246؛ نولدكة، تاريخ إيرانيان، ص35 - 36.

3- الطبري، المصدر نفسه، ج1، ص389؛ نولدكة، المصدر نفسه، ص36.

اردشير خرج عن مسار عائلته في خدمة بيوت النار وسلك مسلك عسكري حببه إليه والده منذ نعومة أظفاره.

وقد أفاد بابك من قوة ابنه العسكرية لدرجة أنه هاجم جوزهر حاكم إقليم فارس فقتله وحل محله [1]، ثم أنّه كتب لأخر ملوك الدولة الفرثية الملك أرطبان الخامس طالباً منه أن يبارك له جلوس ابنه الأكبر سابور على عرش إقليم فارس إلا إن الملك أرطبان الخامس رفض ذلك بشدة وعد عمل بابك وابنه اردشير تمرداً وعصياناً على حكم الدولة الفرثية[2].

ومما يلفت النظر فيما تقدم إن بابك طلب التاج لابنه سابور ولم يطلبه لنفسه أو لولده اردشير على الرغم من إن الأخير يعد المدبر والمنفذ لهذا التغيير السياسي، ولعل شعور بابك بقرب أجله حال دون مطالبته بالعرش لنفسه، إذ يذكر (ابن الأثير) إن بابك "هلك في ثلاثة أيام"[3]، أما عن محاولته تتويج سابور دون اردشير فيبدو إنه قصد منها وكما يرى(كرستنسن) إحباط مخطط اردشير وطموحاته في ارتقاء عرش فارس[4]، ونحن لا نتفق معه في ذلك لأنه نفسه أي بابك كان يرغب في ذلك فهو الذي اختار له المسار العسكري منذ البداية والظاهر إنّه أراد أن يكون لبقية أولاده نصيباً في الحكم إلى جانب اردشير فيحد بذلك من غرور الأخير وشعوره بأنه سيكون السيد الأول في بلاد فارس دون منازع.

وما أن توفي بابك حتى أعلن ابنه سابور نفسه ملكاً على إقليم فارس من دون أن يعير أهمية لرفض الملك أرطبان الخامس، لكن تتويج سابور لنفسه كان سبباً في

1- زرين كوب، عبد الحسين، روزكاران تاريخ إيران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي، (تهران: جابخانة مهارات، 1378ش)، ص 184.
2- الطبري، تاريخ، ج1، ص390.
3- الكامل، ج1، ص246.
4- إيران، ص 74.

حدوث صراع شديد بينه وبين أخيه اردشير وصل إلى درجة وقوع الحرب بينهما، فقد رفض اردشير الاعتراف بسابور ملكاً وتمرد عليه، وقد أكد الطبري ذلك بقوله " أن سابور كتب لاردشير أن يشخص إليه فامتنع اردشير من ذلك، فغضب سابور من امتناعه وجمع جموعه وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر، وكان بها عدد من إخوته كان بعضهم اكبر سناً منه" [1]، ولم يذكر لنا (الطبري) في روايته هذه الناحية التي آل إليها أمر سابور، لكنه أشار إلى تتويج اردشير من قبل إخوته بقوله "... فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك، فسلم الجميع لاردشير، فتوج بالتاج "[2]، ولا نعلم إن كان هذا التتويج حسب هذه الرواية قد تم في حياة سابور أم بعد وفاته والراجح إنه تم بعد وفاة سابور أي بعد أن تخلص اردشير من منافسة الأخير له.

أما نهاية سابور فتجمع المصادر على أنّه توفي بسبب سقوط جدار قديم عليه[3]، و هذا يعني إن الحرب لم تقع بين الأخوين، إلا إن الباحث الإيراني المحدث (شاهين مكاريوس) ينفرد بتأكيد وقوعها من دون أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه معلومته التي يقول فيها " إن اردشير زحف على أخيه وغلبه وهرب شابور أخوه من وجهه ولكنه وقع في قبضة أناس قطعوا رأسه طلبا للإنعام و المكافئة من اردشير" [4].

وما إن توج اردشير على عرش إقليم فارس حتى عمد الى قتل جميع إخوته خشية معارضتهم أو منافستهم له في عرشه [5]، فكانت بادرة سيئة سار عليها الكثير من الملوك الساسانيين بعده ثم أخذ يحث الخطى على تحقيق هدفه في أن يجعل من

1- تاريخ، ج1، ص390.

2- المصدر نفسه، ج1، ص390.

3- الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 97؛ كرستنسن، إيران، ص74 - 75؛ زرين كوب، روزكاران، ص 184؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص288.

4- تاريخ إيران، ص66.

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص390.

ممالك إيران دولة قوية موحدة تحت زعامته لذلك رفع راية العصيان ضد حكم الملك الفرثي أرطبان الخامس وبدأ بمهاجمة إقليم كرمان[1]، فتمكن من الاستيلاء عليه وتأسير ملكه بلاش وولى عليه ابنه المسمى اردشير أيضاً[2]، واستمر إخضاعه للمدن الواحدة بعد الأخرى فأخضع أصفهان والاحواز وميسان[3]، ولم يبق أمامه سوى الانقضاض على آخر ملوك الفرثيين ارطبان الخامس[4] الذي خرج بنفسه لمحاربته فاشتبك الطرفان في معركة حاسمة في صحراء هرمزجان[5] قتل فيها ارطبان وكان ذلك في28 ايلول سنة 224م [6]، وبمقتله أعلن اردشير نفسه الوريث الشرعي للفرثيين ومؤسس الدولة الجديدة الحاكمة في إيران (الدولة الساسانية)، إذ تذكر روايات الإخباريين وهي روايات ترقى في مواردها إلى (خداي نامة) الذي اعتمد في تدوينه على تقويمات البلاط الساساني الرسمية [7]، انه في اليوم الذي قتل فيه ارطبان تسمى اردشير بالشاهنشاه أي ملك الملوك[8]، وهذا يعني إن تتويج اردشير

1- كرمان: ولاية كبيرة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان قصبتها السيرجان (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص116).

2- نولدكة، تاريخ إيرانيان، ص40 – 41.

3- ميسان: كورة واسعة بين البصرة ووأسط (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1343).

4- اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة 284هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق وتعليق: خليل منصور، (بيروت: دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1425هـ) ج1، ص138 – 139؛ اشتياني، عباس إقبال، اردشير بابكان مؤسس سلسلة ساساني(224 – 241م)، مجموعة مقالات عباس إقبال اشتياني، جمع وتدوين: سيد محمد دبير سياقي، (إيران: جابخانة ليلا، 1378هـ)، جلد أول، ص274؛ اعتماد السلطنة، محمد حسن، تاريخ اشكانيان " درر التيجان في تاريخ بني الاشكان "، تصحيح: نعمت حمدي، (تهران: اطلس، 1371ش)، ص177.

5- هرمزجان: تقع إلى الشرق من الاحواز (اشتياني، المصدر نفسه، جلد اول، ص274).

6- الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 101؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص45؛ نولدكة، تاريخ إيرانيان، ص44؛ كرستنسن، إيران، ص76.

7- الفردوسي، الشاهنامة، ج1، ص28.

8- الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة101؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص139؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص391؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص234.

وقيام الدولة الساسانية كان سنة 224م لا سنة 226م على رأي بعض الباحثين المحدثين[1].

ويبدو إن تحديدهم لسنة 226م بداية لقيام الدولة الساسانية يعود إلى أن مقتل الملك الفرثي أرطبان الخامس لم يزل جميع الحواجز التي وقفت بوجه طموح اردشير بان يكون السيد الأول في إيران دون منافس، فبعد مقتل الأول انشغل اردشير بإخضاع بقية أقاليم إيران التي لم ترغب في سياسته المركزية، فأخضع ميديا وهمدان ثم هاجم اتروباتين وأرمينيا واستولى على حدياب (الموصل)[2] وبنى فيها مدينة (به اردشير)[3] وبعد أن حاصر مدينة الحضر[4] عبثا توجه نحو طيسفون فاستولى عليها ومنها عاد إلى اصطخر[5] حيث تم تتويجه ملكاً رسمياً على جميع بلاد إيران سنة 226م[6]. وهذا يعني إنه جمع الأوصال

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص531؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص289.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص391.

3- الأصفهاني، تاريخ سني، ص38.

4- الحضر: تعرف بلاد الحضر باسم (عربايا) أي بلاد العرب. وتقع في بريَّة (صحراء) بإزاء تكريت، يعتقد أن زمن تأسيسها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، إلا أنها نمت وازدهرت في عهد الدولة الفرثية وذلك لوقوعها على طرق القوافل التجارية الناقلة للبضائع بين الشرق والغرب، حاصرها الإمبراطور الروماني تراجان سنة 117م إلا أن مساعيه باءت بالفشل كما فشل الإمبراطور الروماني سبتيميوس سفيروس (193 - 211م) في إخضاعها سنة 198م و199م ونتيجة لتلك الانتصارات سمى الحضريون أنفسهم بـ (دي عرب زكيا) أي (العرب المنتصرين)، كانت نهايتها سنة 241م على يد الملك الساساني سابور الأول (سفر، فؤاد ومصطفى، محمد علي، الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مؤسسة رمزي للطباعة، 1974م)، ص17؛ ياسين، نجمان، الحضر مملكة العرب المنتصرين، مجلة (أفاق عربية)، العددان 1و2، السنة الرابعة والعشرون، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2002م)، ص44؛

Ghirshman,Op.Cit,p.259; Al - Talibi,Ahlam, Hatra:Une Ville An passe Prstigient Mĕ moine de D.E.A "langues, histoire, atcivilisations des mondes anciens,des origins fine du moyen - Age",Amnĕe Universituire, (France, 1986 - 1987),p.74.

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص391.

6- كرستنسن، إيران، ص 77.

المفككة للدولة الفرثية وجعلها دولة قوية موحدة خاضعة لسياسته المركزية سنة 226م وهي السنة الرسمية لقيام الدولة الساسانية.

ويبدو أن الانتصارات التي حققها لم تكن كافية لإشباع رغبته في إقامة دولة قوية متماسكة فشخص بصره نحو الأقاليم الشرقية لإيران ففتح سجستان وخراسان وبلخ[1] وخيوه[2]، ولخشية الممالك الجنوبية ومنها مملكة كوشان[3] ومملكتي طوران[4] ومكران[5] من امتداد خطره نحوها سارعت إلى إرسال وفودها إليه معترفة بسيادته على بلادها [6].

وبذلك أصبحت حدود الدولة الساسانية في عهده تشتمل فضلاً عن إيران في الوقت الحاضر، أفغانستان وبلوجستان وإقليم واحات مرو وخيوه (خوارزم) حتى نهر جيحون شمالاً وارض العراق غرباً.

1- بلخ: من مدن خراسان تقع على نهر جيحون لذا يسميه العرب نهر البلخ (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص217) وتعد بلخ في الوقت الحاضر من أهم مدن أفغانستان فيها المزار المعروف بمزار الشريف (لسترنج، بلدان الخلافة، ص464).

2- خيوه: أو خيوق من مدن إقليم خوارزم، أصبحت قصبته بعد أن دمر المغول قصبته كركانج التي يسميها العرب جرجانية سنة 617هـ (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج3، ص267؛ لسترنج، المصدر نفسه، ص491 – 493).

3- كوشان: مملكة هندية ظهرت في القرن الأول الميلادي، مركزها الأقسام الشمالية لشبه القارة الهندية في حدود حوض نهر السند كانت لها صلات تجارية واسعة مع الصين والرومان وكانت من أقوى المراكز على الحدود الجنوبية للدولة الساسانية وكانت نهايتها على يد الملك سابور الثاني (310 – 379م) (باقر وآخرون، تاريخ إيران، ص116 هامش رقم (1)).

4- طوران: وتقع عند حدود إقليم مكران الشمالية الشرقية مصاقبة لحد الهند قصبتها قصدار أو قزدار (لسترنج، بلدان الخلافة، ص370؛ وللتفصيل انظر: مينورسكي، طوران، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: زكي خورشيد واحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: دار الشعب، د. ت)، ج15، ص329).

5- مكران: إقليم على شاطئ خليج عمان والمحيط الهندي (كرستنسن، إيران، ص77) يصاقب الهند من شرقه يعرف قسم منه ببلوجستان في الوقت الحاضر (لسترنج، المصدر نفسه، ص20).

6- الطبري، تاريخ، ج1، ص391.

الفصل الثاني

التنافس الروماني ـ الساساني
على أرمينيا وسوريا
(262 ـ 275 م)

المبحث الأول - دوافع التوجه الروماني نحو الشرق.

المبحث الثاني - التنافس الروماني - الساساني على أرمينيا.

1 - طبوغرافية أرمينيا.

2 - أهمية أرمينيا في السياسة الدولية.

3 - الارمن وتاريخهم السياسي حتى سنة 226م.

4 - التنافس الروماني - الساساني على أرمينيا (226 - 275م).

المبحث الثالث - التنافس الروماني - الساساني على سوريا (226 - 272م).

1 - تسميتها وأهميتها الجغرافية في السياسة الدولية.

2 - تاريخ سوريا السياسي حتى سنة 226م.

3 - محاولة اردشير الاستيلاء على سوريا (230 - 232م).

4 - اوضاع الدولة الرومانية خلال (235 - 284م).

أولاً - الحالة الاقتصادية.

ثانياً - الحالة الاجتماعية.

ثالثاً - الحالة السياسية.

5 - هجوم الملك سابور الأول على سوريا واستيلائه على أنتيوخيا 260م.

المبحث الرابع - تدمر والصراع الروماني - الساساني.

المبحث الأول:
دوافع التوجه الروماني نحو الشرق

في غمرة انهماك روما بتوحيد شبه الجزيرة الإيطالية تحت سيطرتها لم تول اهتماماً كبيراً إلى التجارة الخارجية أو تلق بالاً على الإطلاق إلى الأحداث الجارية خارج إيطاليا، ولكنها بعدما أصبحت سيدة شبه الجزيرة الإيطالية سنة265ق.م وغدت وأحدة من خمسة قوى كبرى[1] تحيط بالبحر المتوسط أخذت تنظر إلى الأمور نظرة جديدة كان مبعثها الانتصارات التي أحرزتها أولاً، والمكانة الكبيرة التي احتلتها ثانياً، ثم الكفاءة العسكرية التي أظهرتها، فضلاً عن الأطماع الجديدة التي أخذت تراودها، إزاء ذلك كله كان طبيعياً أن تنزل روما إلى معترك السياسة الدولية[2] حيث بدأت تصارع تلك القوى من أجل السيطرة على البحر المتوسط وقد استمر ذلك الصراع قرابة مئة وعشرين عاماً (264 – 146ق.م)[3]، وبدأ أولًا مع قرطاجة[4]، والسبب في

1- في ذلك الوقت كانت القوى الكبرى هي مصر التي كانت تحت حكم البطالمة وسوريا وإيران والعراق تحت حكم السلوقيين، وبلاد اليونان تحت حكم مقدونيا وفي الغرب كانت هناك قرطاجة صاحبة السلطة التي لا يمكن منافستها في السيادة على البحر المتوسط (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص244).

2- نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص243 – 244.

3- عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص278.

4- قرطاجة: مدينة فينيقية تقع على الشاطئ الغربي للبحر المتوسط على بعد عشرة أميال (20كم) شمال شرق تونس، انشأها الملاحون الفينيقيون التجار على ساحل تونس في القرن التاسع ق.م، كان لموقعها الاستراتيجي دوراً هاماً في تجارة البحر المتوسط فهي عبارة عن قلعة لها حصن طبيعي يحمي السفن من هياج البحر الامر الذي اعطاها السيطرة على غرب البحر المتوسط ومن ثم استحقت لقب ملكة البحار (علي، رمضان عبدة، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء الاسكندر الاكبر، الجزء الثاني الاناضول – بلاد الشام، (القاهرة: دار نهضة الشرق، 2002م)، ص103؛ عصفور، ابو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، (بيروت: دار النهضة العربية، 1984م)، ص41، 63 – 66).

ذلك أنها كانت تسيطر على غرب البحر المتوسط بدءاً مـن صقلية حتى مضيق جبل طارق[1]، ومع توسع روما وبسط سيطرتها على المدن الاغريقية[2] في جنوب شبه الجزيرة الايطالية اصبح الصدام بين القوتين حتمياً، فقد كانت تلك المدن تمارس التجارة تحت سيطرة قرطاجة وهيمنتها، إلاّ أن الوضع تغير بعد سيطرة روما عليها فقد أصبحت الأخيرة هي المسؤولة عن حماية تلك المدن وتجارتها، فضلاً عن ذلك إنّ تلك السيطرة جعلتها - اي روما - على علاقة مباشرة مع الإغريق في صقلية التي كانت استمراراً لشبه الجزيرة وكان قسمها الغربي خاضع لسيطرة قرطاجة [3].

بدأت الحرب بين الدولتين التي سميت بالحروب الفينيقية أو(البونيقية)[4] سنة 264ق.م ومرت بثلاث مراحل[5] حسمت نتيجتها سنة 146ق.م لصالح روما حيث أعلنت زوال اسم قرطاجة من الوجود وضمها اليها كولاية رومانية باسم ولاية أفريقيا(Provincia Africana)[6].

وهكذا تخلصت روما من قرطاجة من أجل المصالح التجارية في البحر المتوسط لأنها شعرت أنها - أي قرطاجة - لها نصيب الأسد من التجارة فيه ومن ثم تخلصت منها لتصبح هي الوريث الوحيد لها والتاجر الأول في البحر، وبعد أن تمت

1- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص244.

2- تلك المدن هي: مالطة، سردينيا، كورسيكا وجزر البليار (الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص137).

3- عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص279.

4- سميت بالحروب البونية او البونيقية نسبة إلى (البونيقيين) وهو الاسم الذي اطلقه الرومان على القرطاجيين لتميزهم عن اجدادهم الفينيقيين (الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص138) عن قرطاجة وتفاصيل حروبها مع الرومان انظر: (مصروعة، جورج، هنيبال، (بيروت: 1959م)، ج1، ص54 - 60، ص384 - 405؛

Storrch.,A History of the Ancient Word, (Oxford ,1965), p.p.482 - 488.

5- هي: الحروب البونية الأولى (264 - 241ق.م)، الحروب البونية الثانية (218 - 202ق.م)، الحروب البونية الثالثة (149 - 146ق.م) (برستد، العصور القديمة، ص427 - 438).

6- الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص182 - 183.

لها السيطرة على جانبه الغربي أخذت تتطلع إلى السيطرة على الجانب الشرقي منه حتى تكتمل سيادتها عليه.

كان الجانب الشرقي يتكون من عدد من الممالك الهللنستية قامت على أشلاء إمبراطورية الاسكندر المقدوني التي تفككت بعد موته وبعد صراع وحروب دامية بين الورثة[1] انتهت باتفاق سنة 279ق.م والذي بمقتضاه تم الاعتراف بإنتهاء إمبراطورية الاسكندر وقيام ثلاث قوى مؤثرة في العالم الهللنستي هي دولة البطالمة في مصر وكان يجلس على عرشها الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس (284 – 246ق.م) وأل انتيجونوس في مقدونيا وكان على حكمها انتيجونوس بن ديمتريوس الذي عرف باسم جوناتاس(Gonatas) (276 – 239ق.م) وآل سلوقس في سوريا وآسيا الصغرى وكان على عرشها انطيوخوس الأول (280 – 261ق.م) [2].

والواقع إن العوامل التي دفعت روما إلى التوسع في شرق البحر المتوسط كانت في أول الأمر عوامل وقتية فرضت نفسها على التفكير الروماني، فبداية اتجاه روما للتوسع جاءت بسبب رغبتها في الحفاظ على التوازن في تلك المنطقة بين حكام القوى الثلاث الرئيسية حتى لا يتضخم نفوذ واحد من أولئك الحكام على حساب الآخرين، ومن ثم يصبح ذلك الحاكم بعد تزايد نفوذه خطراً يهدد روما ومصالحها في الشرق[3].

ثم تزايد التدخل الروماني في شؤون دول شرق البحر المتوسط وأصبح أمراً واقعاً بسبب لجوء القوى المتصارعة إليها لكي تحسم الخلافات بينها، ينطبق هذا على

1 – استغرقت تلك الحروب 43 سنة (323 – 280 ق.م) تسمى المرحلة الأولى منها حتى سنة 301 ق.م بحروب الخلفاء أي خلفاء الاسكندر، وتسمى الثانية بحروب أبناء الخلفاء (301 – 280 ق.م) وانتهت كلها بمعركة كوربيديون سنة280ق.م (علي، محاضرات، ص107).

2 – الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص182 – 183؛ فرح، الشرق الأدنى، ص51؛ علي، المصدر نفسه، ص136.

3 – مكاوي، فوزي، الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، (القاهرة: المكتب المصري، 1999م)، ص221 – 222.

الحكام المتصارعين على عرش أحد الدول[1]، كما ينطبق على الدول المتصارعة بهدف التوسع إحداها على حساب الأخرى، مثال على ذلك الاتفاق الذي عقد بين الملك السلوقي انطيوخوس الثالث(223 – 187ق.م) وملك مقدونيا فيليب الخامس (222 – 179ق.م) على اقتسام ممتلكات مصر الخارجية عقب وفاة ملكها البطلمي بطليموس الرابع (221 – 205ق.م) وزوجته مستغلين ضعف الدولة وانشغالها بمشاكلها الداخلية [2]، ولم يجد البطالمة بدأً من التحالف مع روما التي كانت إبان حروبها الثانية مع قرطاجة بحاجة لمساعدة مصر لها اقتصادياً [3].

وإلى جانب الممالك الهللنستية الثلاث المتصارعة، كانت توجد دولتان صغيرتان كانت على درجة كبيرة من الثراء مما أدى إلى طمع الدويلات الهللنستية فيهما وهما مملكة برجاموم[4] في آسيا الصغرى وجزيرة رودس في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى وكانت مقدونيا تطمع في ضمها إليها بينما كان الملك السلوقي انطيوخوس الثالث يأمل في ضم مملكة برجاموم إلى دولته، ولذلك وجدت رودس وبرجاموم نفسيهما تتفقان مع دولة البطالمة وتتحالفان مع روما حمايةً لاستقلالهما[5].

1- مكاوي، الشرق الأدنى، ص222.

2- بل، هارولد ادريس، الهيلينية في مصر " بحث في وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الاسكندر الاكبر إلى الفتح العربي"، ترجمة: زكي علي، (القاهرة: دار المعارف، 1948م)، ص84؛ علي، عبد اللطيف احمد، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1965م)، ص5 – 6؛ العبادي، مصطفى عبد الحميد، مصر من الاسكندر حتى الفتح العربي، (القاهرة: مطبعة الانجلو المصرية،1966م)، ص61.

3- بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان، ص31؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص171.

4- برجاموم: او برجامون، مملكة تقع في القسم الغربي من آسيا الصغرى وقفت إلى جانب الرومان في صراعها مع ملك مقدونيا فيليب الخامس، كافئها الرومان بعد انتصارهم في معركة مغنيسيا سنة 190ق.م بمنحها جميع املاك السلوقيين في شمال جبال طوروس، اخر ملوكها اتالوس الثالث (138 – 133ق.م) ونظراً لعدم وجود وريث يخلفه فقد اوصى بإن تؤول ثروته الطائلة ومملكته لروما والشعب الروماني، للتفصيل عن تلك المملكة انظر: (الناصري، المصدر نفسه،ص217؛ الاحمد، تاريخ الشرق الأدنى، ص398 – 401).

5- Betten,Op.Cit,p.395.

مما تقدم أعلاه يتضح إن العالم الهللنستي كان ينقسم سياسياً إلى محورين هما:

1. محور سوريا ومقدونيا المعادي للرومان.
2. محور البطالمة ورودس وبرجاموم المتحالف مع الرومان.

وبالتأكيد أن العامل الثالث الذي دفع الرومان إلى الانغماس في سياسة العنف والتسلط على الشرق هو ما أحرزوه من قوة لا تقهر ملأت نفوسهم غروراً وجعلتهم يشعرون إنهم شعب يعني ما يقول ويأخذ ما يريد، وقد تعزز ذلك الشعور بعد الانتصارات التي حققوها في الحروب المقدونية[1] وفي حروبهم ضد الدولة السلوقية[2]، تلك الانتصارات زادت من هيبة الرومان في نفوس حكام الشرق فيذكر إن روما كانت في أحيان كثيرة تكتفي بإرسال مندوب أو مجموعة من المبعوثين لفرض رأيها بدلاً من ان تحرك الجيوش وتعلن الحرب[3].

عامل أخر دفع الرومان إلى التوسع باتجاه الشرق هو ما خلفه الصراع الداخلي في روما من رغبة لدى القادة في تحقيق انتصارات تحسب لهم عند حسم الصراع على السلطة في روما، ومن ثم بدأ التنافس بين الأحزاب من أجل ضم هذه المنطقة أو تلك

1- الحرب المقدونية الأولى (215 – 205 ق.م)، الحرب المقدونية الثانية (200 – 196ق.م)، الحرب المقدونية الثالثة (181 – 168ق.م) للتفصيل عن تلك الحروب انظر:

Livy, The History of Rome,Vol.V, bk.33; bk.34; Vol.Vl, bk.42,43; Storrch, Op. Cit, p.p. 492 - 493.

2- للتفصيل عن حروب الرومان مع الدولة السلوقية انظر:

Bevan, E.R., The House of Seleucus, (London,1966), Vol.11, p.p.37 - 97; Austin, M. M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest, (London, Cambridge University Press, 1981), p.p.257 - 268.

3- مكاوي، الشرق الأدني، ص222، ومثال على ذلك ان قائد الجيش الروماني في أفريقيا (كاتو) (Cato) ذهب ومعه سفينة للاستيلاء على قبرص، ولم يجد الملك البطلمي هناك من طريقة للتخلص من المازق سوى الانتحار دون مقاومة، وذهبت قبرص إلى أملاك روما سنة 58ق.م دون حرب، انظر: (مكاوي، فوزي، قبرص تحت حكم البطالمة، (طنطا، 1985م)، ص 32).

إلى أملاك روما ووصل التنافس بين الزعماء الرومان من أجل قيادة حملة عسكرية إلى حد الصراع السافر واللجوء إلى الأساليب والمناورات غير المشروعة [1].

أضاف إلى ذلك العامل وغذاه إن التجار وأصحاب الأموال الرومان الذين سيطروا في ذلك الوقت على سياسة روما كانوا تواقين إلى الفتوحات من اجل ضمان امتيازات خاصة لهم عن طريق التجارة والإدارة المالية في الأقاليم المفتوحة[2].

كان من نتائج اجتماع تلك العوامل اتساع نطاق الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أتساعاً مطرداً [3]، ومما ينبغي تأكيده إن ذلك الاتساع كان وليد مقتضيات الظروف أكثر مما كان ثمرة سياسية تم التخطيط والاعداد لها مسبقاً ولذلك لم يكن لدى الرومان طريقة جاهزة أو أسلوب محدد كي يفرضوه في إدارتهم للولايات الشرقية، يؤكد تلك الحقيقة انشغال روما بسلسلة من الحروب المتواصلة طوال المدة التي كونت فيها إمبراطوريتها، فضلاً عن اقتران الصراع الخارجي بصراع داخلي بين القادة والزعماء كان من نتيجته عدم وجود فرصة لبلورة نظام إدارة مخطط ومدروس يمارسونه في المناطق التي خضعت لسيطرتهم[4].

1- نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص323؛ للتفصيل عن الصراعات بين القادة الرومان في القرن الأول قبل الميلاد انظر: (سلامة، التاريخ الروماني، ص 313 - 327؛ الأحمد، تاريخ الرومان، ص100 - 120).

2- Betten,Op.Cit,p.397.

3- حيث اصبح تحت سيطرة روما سنة 129ق.م ثمان ولايات، كانت صقلية أولها سنة 241ق.م، ثم تحولت جزيرتا كورسيكا وسردينيا إلى ولاية سنة 238ق.م وتحولت اسبانيا سنة 197ق.م إلى ولايتين هما اسبانيا الدانية واسبانيا القاصية، ثم حولت ممتلكات قرطاجة في أفريقيا إلى ولاية سنة 146ق.م باسم ولاية أفريقيا وفي السنة نفسها حولت مقدونيا وبلاد اليونان إلى ولاية مقدونية، وحولت السواحل الشرقية لبحر الادرياتيك إلى ولاية الليريا وفي سنة129ق.م حولت مملكة برجاموم في آسيا الصغرى إلى ولاية باسم ولاية آسيا (نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص349؛ عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص298).

4- Cary,M & Scullard,H.H., A History of Rome , (London,1979), p.331.

ومن ذلك يتضح إن التوسع الإقليمي لم يصاحبه تطور في الإدارة، فالنظم الادارية الموجودة في تلك الأقاليم بقيت كما هي عليه، وإن الرومان لم يسعوا إلى تغيرها إلا بالقدر الذي يوجه تلك الإدارة لمصلحتهم.

أصبحت روما بعد سيطرتها على مملكة برجاموم في آسيا الصغرى سنة 129ق.م القوة الكبرى في منطقة الشرق ولم يعد ينقصها لاتمام سيطرتها عليه بالكامل سوى القضاء على الدولة الفرثية ومملكة أرمينيا ولذلك دخلت في صراع طويل مع الأولى استمر قرابة قرنين ونصف (92ق.م – 217م) [1] وما كادت تقطف ثمار ذلك الصراع حتى وجدت نفسها في صراع اخر مع الدولة الساسانية خليفة الدولة الفرثية على عرش بلاد فارس، أما الثانية فقد كانت مسرحاً لحروب مستمرة فتارة تخضع للدولة الساسانية وتارة اخرى تخرج عن طاعتها لتكون ضمن ممتلكات الإمبراطورية الرومانية وذلك بالتأكيد يعتمد على قوة الدولة وسطوتها.

1- للتفصيل عن حروب الرومان مع الدولة الفرثية انظر: النوري، العلاقات الفرثية – الرومانية.

المبحث الثاني:
التنافس الروماني ـ الساساني على أرمينيا.

1 ـ طبوغرافية أرمينيا

أرمينيا دولة تقع جنوب القفقاس بين البحر الاسود وبحر قزوين عند الحدود الفاصلة بين آسيا وأوربا [1]، أختلف في حدودها الحقيقية نظراً لما طراء عليها من تقلبات وحروب فكانت في كل عصر غير ما هي في عصر اخر، وقد ذكر المؤرخين العرب حدودها القديمة بقولهم " أرمينيا إقليم جبلي يحيط بها مما يلي الشرق الجبال والديلم وغرب بحر الخزر، ومما يلي الغرب حدود الأرمن واللان، ومما يلي الشمال اللان وجبال القبق، ومما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة "[2].

وفقاً لذلك يمكن أن نحدد الاطار الجغرافي لأرمينيا بالحدود الاتية: يحدها من جهة الشرق كردستان واذربيجان ومن الغرب آسيا الصغرى ومن الشمال كرجستان [3] وجبال القفقاس، ومن الجنوب أرض الجزيرة الفراتية [4].

تعد أرمينيا أكبر وأعلى إقليم جبلي في آسيا الغربية، إذ يبلغ متوسط ارتفاعها 1500م عن سطح البحر [5].

1- الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج1، ص223.

2- الاصطخري، مسالك الممالك، ص180 - 181؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص331.

3- كرجستان: او اقليم ايبريا، قصبتها تفليس (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص403) والعرب يسمونها بلاد الكرج وهي جمهورية جورجيا في الوقت الحاضر (لسترنج، بلدان الخلافة، ص216، 211، 458 الهامش).

4- البستاني، بطرس، أرمينيا، دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، مج3، ص231.

5- عربش، سمير، أرمينيا ارض وشعب، (بيروت: دار الريحاني، 1991م)، ص12؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص32.

وأهم جبالها جبال القبق[1] الذي يتصل بها من جهة الشمال [2]، ويبلغ طوله على حد قول (ابن الفقيه الهمداني)[3] خمسماية فرسخ وعرضه مسيرة عشرة ايام[4] أما متوسط أرتفاعه عن سطح البحر فيبلغ 2700 - 3600م، ويضم قمماً يتجاوز أرتفاعها 4500م [5]، ولهذا الارتفاع الشاهق أهميته الاستراتيجية بالنسبة لإقليم أرمينيا حيث منعها من الاتصال المباشر مع سهول شرق أوربا [6]، وهذا يعني أنّه يعد من الوسائل الدفاعية الطبيعية التي تحمي الإقليم على طول أمتداده من أي اعتداء خارجي.

اما جبل أرارت فيُعد من أعلى جبال أرمينيا في جهتها الشرقية ويمتد امتداداً طبيعياً من بحيرة (وان) إلى بحيرة سيفان، وينقسم إلى جبلين الأول وهو الأكبر ويسمى (أرارات الكبير)[7] وتسمية المصادر العربية (جبل الحارث)[8].

والجبل الثاني يقع إلى الشمال وهو أقل ارتفاعاً منه ويسمى (ارارات الصغير) وقد ذكرته المصادر العربية باسم الحويرث [9].

1- جبال القبق: أو جبال القفقاس الكبرى أو القينق أو جبل الالسن لان فيه أمماً لغاتهم مختلفة، (الاصطخري، مسالك الممالك، ص181، 192؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص346 - 347؛ المهلبي، كتاب العزيزي، ص60).

2- عزت، يوسف باشا، تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب بك، (القاهرة:1923م)، ص8.

3- أبو بكر احمد بن محمد (ت365هـ)، مختصر كتاب البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م)، ص269.

4- ابو الفداء، تقويم البلدان، ص71.

5- عزت، تاريخ القوقاز، ص11؛ شريف، الموقع الجغرافي، ج 1، ص299.

6- شريف، المصدر نفسه، ج 1، ص300؛ خطاب، محمود شيت، ارمينية بلاد الروم، (دمشق: دار قتيبة، د. ت)، ص11.

7- عريش، أرمينيا، ص13.

8- الاصطخري، مسالك الممالك، ص191؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص 372 وذكر (ياقوت الحموي) إن تسمية هذا الجبل قد نسبت إلى الحارث بن عمرو الغنوي الذي اشترك مع سليمان بن ربيعة الباهلي في فتح إقليم أرمينيا (معجم البلدان، مج2، ج3، ص108).

9- الاصطخري، مسالك الممالك، ص191؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص 335؛ وذكر (ياقوت الحموي) إنه سمي الحويرث نسبة إلى الحويرث بن عقبة الغنوي الذي اشترك مع سليمان بن ربيعة الباهلي في فتح اقليم أرمينيا (معجم البلدان، مج2، ج3، ص108).

ويتخلل جبال أرمينيا بعض الممرات استعملت طرقاً لمواصلات رئيسية تصل بين مناطق الإقليم المختلفة من جهة وبين الأماكن المجاورة له من جهة اخرى وأهم هذه الممرات ممر مدينة باب الابواب وممر باب اللان[10] اللذان يقطعان جبال القبق[11].

وتضم أرمينيا ثلاث بحيرات كبيرة، اولها بحيرة سيفان وهي البحيرة الأرمينية الشمالية التي يصب فيها 28 نهراً وتبلغ مساحتها 298كم^2 وتمتاز بحلاوة مياهها، والبحيرة الثانية بحيرة (ارجيش) أو (وان) وهي البحيرة الأرمينية الجنوبية الغربية تمتاز بملوحة مياهها الشديدة ومساحتها تبلغ 3740كم^2، واخيراً بحيرة (اورمية) أو (كبوذان) وهي البحيرة الجنوبية الشرقية، مياهها مالحة جداً وتمتد على مسافة 600كم^2 [12].

كما أشتهرت أرمينيا بأنهارها الخمسة وأهمها التوأمان الكبيران دجلة والفرات حيث ينبع الأول من جبال طوروس عند جنوب بحيرة وان، والثاني من قرية (قزيل قليا) في قلب أرمينيا، ويروي النهران الأرض حتى الخليج العربي حيث يتحدان ويصبان فيه، وهناك أيضاً نهر الكرّ (كيروس) [13] ونهر الرس (اراكيس) [14] وهما أيضاً يتحدان ويصبان في بحر قزوين، والنهر الخامس هو نهر نقشوروق (اكمبسيس) الذي يصب في البحر الاسود[15].

10- يسمى في الوقت الحاضر (ممر داريال) (عزت، تاريخ القوقاز، ص20) ويذكر ابن رسته " إنه قد بنيت قلعة في هذا الممر لحمايته يحرس سورها كل يوم الف رجل من أهلها مرتبون بالليل والنهار " (الاعلاق النفيسة، ص148) واضاف (ياقوت الحموي) " إن هؤلاء الرجال يمنعون اللان من الوصول إلى جبل القبق" (المصدر نفسه، ج1، ص351).

11- ابن رسته، المصدر نفسه، ص148.

12- عربش، أرمينيا، ص13؛ البستاني، أرمينيا، ص232.

13- نهر الكرّ: ينبع من جرزان (في جورجيا الحالية) من الجهة الغربية لمدينة تفليس، يتجه شرقاً ويلتقي مع نهر الرس بعد أن يقطع مسافة 940كم (خطاب، أرمينية بلاد الروم، ص14؛ سيبل، الكسندر، اخبار امم المجوس من الأرمن ووزرنك والروس، (طبع مدينة اوسلو: 1928م)، ص39.

14- نهر الرس: ينبع من جبل بنكول داغ في غرب أرمينية، يتجه شرقاً حيث يلتقي مع نهر الكرّ ويكونان نهراً واحداً يصب في بحر الخزر (خطاب، المصدر نفسه، ص15 - 17).

15- عربش، أرمينيا، ص13؛ البستاني، أرمينيا، ص232.

أما مناخ أرمينيا فهو مناخ قاري بسبب أرتفاعها عن سطح البحر إلا أنّه شديد البرودة في الشتاء وشديد الحرارة في الصيف [1].

بتلك التشكيلات الطبيعية عُدت أرمينيا القلعة الداخلية للشرق الادنى انذاك، إلا إنها كانت تارة خيراً وبركة على الأرمن وتارة اخرى شراً ووبالاً عليهم، أما الخير فان جبالها الشاهقة وشعابها وطرقها الصعبة السلوك كانت حصناً منيعاً في وجه الغزاة، كما كان لها الفضل في اكساب الأرمن المزايا والصفات التي تجعل منهم محاربين أقوياء اشداء البأس، أما الشر فصعوبة المواصلة وتعذر التعبئة السريعة ولذلك فحين تتعرض البلاد لخطر مفاجئ يبقى الامير أو الوالي محصوراً في منطقته مما يسهل على العدو سحقه عاجلاً لتعذر وصول المدد المنتظر بسرعة [2].

2 ـ أهمية أرمينيا في السياسة الدولية.

تميزت أرمينيا بمزايا اقتصادية عدة عززت من مكانتها في السياسة الدولية، فبالاضافة إلى كونها منطقة عبور هامة بين الشرق والغرب فقد عرفت بتنوع مواردها الزراعية، فأراضيها المسطحة بين سلاسل الجبال اراضٍ خصبة مغلة، ساعد ميلانها الطبيعي على ريها بسهولة [3]، كذلك انتشرت المراعي في الهضاب والمرتفعات حيث عمل الأرمن في رعي الاغنام والخيول والبغال [4]، كما عاشت في المرتفعات الحيوانات البرية كالغزلان والحيوانات ذات الفراء حيث اشتهر الأرمن بصيدها

1- اميل، بول، تاريخ أرمينيا (عرض مبسط لتاريخ الشعوب الأرمنية منذ فجر التاريخ حتى اليوم)، ترجمة: شكري علاوي، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت)، ص6.

2- المصدر نفسه، ص6؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص45 – 46.

3- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص45

4- وصفت بغال أرمينيا ولاسيّما بغال مدينة برذعة بالجودة والصبر، وذكر (ابن حوقل) " إنها كانت تصدر إلى العراق والشام وخوزستان، وإن الامراء والولاة كانوا لا يترددون في اقتنائها " (صورة الارض، ج2، ص346).

والاتجار بجلودها [1]، أما أنهارها وبحيراتها فقد اشتهرت بغناها بالثروة السمكية لاسيّما في بحيرة وان أو ارجيش الأمر الذي دفع الصيادين الأرمن إلى تجفيفها والاتجار بها [2].

وبالانتقال إلى الجانب ألاخر من الاقتصاد والمتمثل بالثروة المعدنية فقد أحتلت أرمينيا مركز الصدارة بين أقاليم آسيا في وفرة ثرواتها المعدنية، إذ أنتشرت في نواحيها مناجم الحديد والنحاس والرصاص والزرنيخ والذهب والفضة بالاضافة لاستخراج الملح والاحجار الكريمة من أراضيها [3]، ولاشك إن توفر المعادن الثمينة ساعد في تسهيل التعامل النقدي إذ كان نقد أرمينيا من الذهب والفضة [4].

وبالتأكيد فأن وفرة الموارد الأولية وظروف المناخ الملائمة كان لها الدور الفعال في قيام وازدهار الصناعة ولاسيّما صناعة النسيج الذي نال شهرة واسعة لما أمتاز به من الجودة والمتانة وتنوع الوانه[5].

أما التجارة فتعد من أهم جوانب الاقتصاد فإلى جانب اتجار الأرمن بمواردهم ومنتجاتهم الصناعية فإن موقع البلاد الاستراتيجي ساعد على أزدهارها تجارياً إذ إنها تتصل بأوربا والإمبراطورية الرومانية من جهة ووسط وشرق آسيا من جهة اخرى، كما إنها تتوسط ممالك ماوراء القفقاس والجزيرة والعراق وبلاد الشام[6].

1- سيبل، أخبار أمم المجوس، ص40.

2- يذكر (ابن حوقل) إن سمكها ولاسيّما الطريخ وهو نوع من انواع الشبوط كان يملح ويصدر إلى العراق ونواحي الجزيرة الفراتية وخراسان. (صورة الارض، ج2، ص346؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص217).

3- ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص297؛ البستاني، أرمينيا، ص232؛
Crousset,R., Histoire Del Armenie Des origins a 1071,(Paris,1946),p.234.

4- Ibid,p.234.

5- المقدسي، احسن التقاسيم، ص380.

6- العبد الغني، عبد الرحمن، أرمينيا وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1989م)، ص26.

أي إنها كانت معبر للتجارة (ترانزيت) مابين الشرق والغرب، فالطرق التجارية تمر عبرها من البحر الاسود إلى بحر قزوين والجزيرة الفراتية وبلاد فارس، وكان من بين أهم مراكزهم التجارية طرابزون[1] (Trebizon)، على البحر الاسود، وارتانوج (Artanuj) في كرجستان حيث كانت تقع عند ملتقى الطرق التجارية بين طرابزون وأرمينيا وبيزنطة ومدن القفقاس الشمالية حيث كان يأتي اليها التجار من ابخازيا[2] (Abkazskaja)، وطرابزون، وكذلك كانت دوين[3] من المراكز التجارية والصناعية الهامة، ومقراً يتم فيه التبادل التجاري للتجارة القادمة من بلاد فارس والهند والإمبراطورية الرومانية[4].

بفضل ذلك النشاط الاقتصادي أزدهرت أرمينيا وجنت أرباحاً طائلة مما دفع بالدول الكبرى آنذاك إلى السيطرة عليها وسلبها حريتها.

3ـ الأرمن وتأريخهم السياسي حتى سنة 226م.

الأرمن من الاقوام الهندية الأوربية التي هاجرت مع غيرها من الأقوام قبيل نهاية الألف الثالث قبل الميلاد إلى أوربا وسكنت شمال البحر الاسود في حوض نهر دانوبيوس[5](Dnubius) (الدانوب) وتراقيا، وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد عبرت مضيق الدردنيل إلى آسيا الصغرى قبيل نهاية الإمبراطورية

1- طرابزون: أو طرابزنده ميناء على البحر الاسود تجلب اليها السلع ولاسيّما ثياب الكتان اليونانية وثياب الصوف والديباج والأكسية الرومية من بلاد الروم (لسترنج، بلدان الخلافة، ص168).

2- ابخازيا: تقع شمال غرب جورجيا على الشاطئ الشرقي للبحر الاسود جنوبي القوقاز (الخوند، الموسوعة التاريخية والجغرافية، ج1، ص17).

3- دوين: بلدة من نواحي ارَّاران في اخر اذربيجان قرب تفليس (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج4، ص328).

4- العبد الغني، أرمينا وعلاقاتها السياسية، ص26.

5- نهر دانوبيوس (الدانوب) ويسمى قديماً بنهر الطونة وهو أهم انهار أوربا بعد الفولغا يصب في البحر الاسود (معلوف، المنجد، ص240).

الحثية[1]، وبعد مصادمات مع الحثيين والاورارتيين دخلوا أرمينيا وذلك في القرن السابع قبل الميلاد[2]، وصادف في ذلك الوقت ضعف قوة الآشوريين، فاستغل ذلك الملك الميدي كي - اخسار(633 - 584ق.م) وتمكن من تدمير عاصمتهم نينوى سنة612ق.م بعد أن تحالف مع ملك بابل نبوبلاصر الكلداني(627 - 605ق.م)، وبذلك أصبحت ممتلكات الاشوريين في آسيا الصغرى ومن ضمنها أرمينيا من نصيب الميديين[3]، وظل الأمر كذلك حتى عهد الملك ديكران الأول (539 - 520ق.م)[4]، ففي عهده تمكن الملك الاخميني كورش الثاني من القضاء على الدولة الميدية سنة 550ق.م فانتقلت جميع البلاد التي كانت تحت سيطرتهم وبضمنها أرمينيا إلى الدولة الاخمينية [5]، وظل الشعب الأرمني متحفزاً للتمرد والعصيان كلما سمحت له الفرصة لذلك وقد شجعت محاولات الاستقلال والانفصال عن الدولة الاخمينية التي قامت في أقاليم بابل وعيلام وميديا عقب وفاة الملك الاخميني قمبيز (529 - 521ق.م) وتولي دارا الأول (Darius 1) (521 - 486ق.م) العرش الاخميني [6] الأرمن بقيادة ملكهم

1- الإمبراطورية الحثية: من أولى الإمبراطوريات التي ظهرت في قلب آسيا الصغرى عند منحنى نهر الهاليس في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد متخذة من حاتوشاش (بوغاز كوي في الوقت الحاضر) الواقعة على بعد 80 ميل شرق انقرة عاصمه لها، أما نهايتها فكانت على يد الآشوريين في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد (جرني، أ. ر، الحثيّون، ترجمة: محمد عبد القادر، (القاهرة: 1963)، ص36؛ الصالحي، المملكة الحثية، ص122.

2- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص51،49؛ جان، احمرانيان، من هم الأرمن، (القاهرة: 1978م)، ص6.

3- استارجيان، المصدر نفسه، ص53؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص65.

4- يذكر الباحث (اديب السيد) إنه كان صديقاً للملك الاخميني كورش الثاني (559 - 530ق.م) وإنه وقف إلى جانبه في هجومه على بابل سنة 539ق.م (أرمينيا في التاريخ العربي، (حلب: المطبعة الحديثة، 1972م)، ص39).

5- السيد، أرمينيا، ص39؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص54.

6- عربش، أرمينيا، ص22، وللتفصيل انظر: سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص210 - 211؛ رازي همداني، تاريخ مفصل إيران، ص25.

واهاكان بن ديكران (520 – 519ق.م) على القيام بتمردات مماثلة [1]، إلا أن الملك دارا الأول تمكن من إخماد جميع تلك التمردات ومنها تمرد الأرمن سنة 519ق.م وسجل ذلك الانتصار على صخور جبل بهستون[2] قائلا " اجتمع العصاة مرة اخرى وهجموا على فاوميسا[3] في ولاية أرمينيا، وفي تلك الولاية استمرت الحرب....فأتلف عدد كبير من جيش الاعداء، وقعت هذه الحرب في شهر طورا واهارا (نيسان) "[4] كان هذا التصريح بمثابة أول أعلان يبرز اسم أرمينيا إلى الوجود.

ولم يثبت أن الاسكندر المقدوني قد فتح أرمينيا وضمها إلى إمبراطوريته، وإنما أرسل اليها مثراتيس بن ملكها السابق اورانتس الأول ليكون حاكمها من قبله فوليها سنة (331 – 317ق.م) ولم يثبت أيضاً أن اقتسام تلك الإمبراطورية بين قواد الاسكندر قد شمل أرمينيا، وذلك لأنه لم يدخل أرمينيا إنما مرَّ في حملته نحو الشرق جنوبها ولم يفتحها[5]، ولهذا كان قضاء الاسكندر على الإمبراطورية الاخمينية قد أفاد الأرمن إذ حقق لهم استقلالهم [6]، غير أن ذلك الاستقلال لم يدم طويلًا فعقب وفاة الاسكندر وأقتسام إمبراطوريته بين قواده أدعى السلوقيين منذ قيام دولتهم (301 – 64ق.م) السيادة على أرمينيا لقربها من مركزهم في سوريا، فصار تاريخ أرمينيا منذ ذلك الوقت صراعاً معهم[7]، ولاسيّما في عهد الملك السلوقي انطيوخوس الثالث (223 – 187ق.م)

1- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص55؛ ابو مغلي، إيران، ص95.
2- جبل بهستون: على الطريق بين كرمنشاه وهمدان في الوقت الحاضر.
3- فاوميسا: أو فاوميزا، أحد كبار قادة الملك الاخميني دارا الأول أرسله إلى أرمينيا لقمع العصيان والتمرد فيها (أميل، تاريخ أرمينيا، ص8؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص55.
4- استارجيان، المصدر نفسه، ص56؛ عربش، أرمينيا، ص 22.
5- حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص26؛ عربش، أرمينيا، ص22.
6- اميل، تاريخ أرمينيا، ص8.
7- حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص27.

الذي تمكن من فرض سيطرته على أرمينيا بعد انتصاره على ملكها اورانتس الرابع (212 - 200ق.م) وقتله سنة 200ق.م ثم عمل على تقسيمها إلى ولايتين أرمينيا الكبرى[1]، وأرمينيا الصغرى[2]، وعهد بحكمها إلى حاكمين من الأرمن هما ارتكسياس حاكماً على أرمينيا الكبرى وزاريادريس(زاريه) حاكماً على أرمينيا الصغرى[3].

وقد ظل هذان الأميران يترقبان الفرصة لإعلان استقلالهما[4]، وسنحت لهما هذه الفرصة سنة190ق.م ففي هذه السنة تمكن الرومان من ايقاع الهزيمة بأنطيوخوس الثالث وجيوشه في معركة مغنيسيا[5] غرب آسيا الصغرى والزمته بالتخلي عن أقليم آسيا الصغرى كله والتراجع إلى جبال طوروس[6]، وعندما رأى الأميران الأرمنيان اللذان كانا يترقبان الاحداث عن كثب هزيمة السلوقيين التحقا بالرومانيين وأعلنا نفسيهما ملكين على مملكتي أرمينيا الصغرى والكبرى، وقد أيد الرومان ذلك الاستقلال امعاناً في تجزئة الدولة السلوقية وتقليصاً لنفوذها[7]، وهذا يعني إن الرومان اتبعوا سياسة (فرق تسد) وهي سياسة أمضى من سياسة النار والحديد. وهكذا فإن معركة مغنيسيا تعد حدثاً مهماً في تاريخ أرمينيا إذ نالت على أثرها استقلالها الحقيقي.

1- أرمينيا الكبرى: أو أرمينيا الحقيقية، تقع على نهر الفرات عاصمتها ارتكساستا وشملت (ارضروم، موشر، فان، اريفان) (حافظ ابرو، شهاب لدين عبد الله خوافي (ت833هـ)، جغرافياي حافظ ابرو، مقدمة تصحيح وتحقيق: صادق سجادي، (ناشر ميدان: 1378هـ)، جلد دوم، ص19؛ اميل، تاريخ أرمينيا، ص9؛ عربش، أرمينيا، ص23).

2- أرمينيا الصغرى: أو اقليم صوفين، تقع غرب نهر الفرات الاعلى عاصمتها ارسموساطا (شمشاط) وتضم (سبسطة (سيواس)، ارزنجان، ملتين (ملطية) (حافظ ابرو، المصدر نفسه، جلد دوم، ص19؛ اميل، المصدر نفسه، ص9؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص27).

3- عربش، أرمينيا، ص23.

4- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص60.

5- مغنيسيا: مدينة في إقليم ليديا تسمى اليوم ميسيا (ماتساس، مذكرات الاسكندر، ص161 هامش (63)).

6- حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، مرجعة: جبرائيل جبور، (بيروت: دار الثقافة،1950م)، ص266؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص249 - 250.

7- اميل، تاريخ أرمينيا، ص 9؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص27.

وعقب وفاة حاكم أرمينيا الصغرى زاريادريس سنة 164ق.م سارع الملك ارتكسياس إلى أخضاع مملكته لحكمه وأعلن نفسه ملكاً على أرمينيا باسم الملك ارتكسياس الأول (190 – 161ق.م).

وبلغت الدولة الأرمنية اوج ازدهارها في عهد ملكها تيكران الثاني (Tigran II) (94 – 54ق.م) إذ ركز جهوده منذ بداية حكمه نحو توسيع حدود بلاده وتخليصها من نفوذ الدولتين السلوقية والفرثية، فتزوج من ابنة الملك ميثريداتس السادس (Mithridstes) (120 – 63ق.م) ملك مملكة البُنتس[1] (Pontus)، بعد تحالفه معه ليضمن لنفسه سنداً قوياً وحصناً منيعاً يحميه من هجمات الرومان عليه من الغرب [2].

ولتوثيق عرى ذلك التحالف أستولى تيكران الثاني سنة 93ق.م على كبدوكيا وسلمها إلى حليفه ميثريداتس السادس بعد أن فرَّ منها ملكها اريوبارزانيس الأول(Ariobarzanes I) مستغيثاً إلى روما [3]، التي اغاضها هي الاخرى الملك ميثريداتس السادس ووجدت فيه خطراً يهدد ممتلكاتها في آسيا الصغرى ولذلك سارعت سنة 92ق.م إلى ارسال جيوشها يقودها القائد لوسيو سولا (Sulla) (93 – 78ق.م) حاكم كيليكيا وأوكلت اليه مهمة وضع حد لطموحات ميثريداتس السادس واعادة ملك كبدوكيا المخلوع إلى عرشه [4].

1- مملكة البُنتس: تقع على الساحل الشرقي للبحر الاسود شمالي أرمينيا، عاصمتها سينوب (علي، عبد اللطيف احمد، التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى اكتافيانوس اغسطس)، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1967م)، ص73.

2- اميل، تاريخ أرمينيا، ص10؛ عربش، أرمينيا، ص25؛ يذكر (استارجيان) كان على الملك تيكران الثاني بموجب ذلك التحالف العسكري ان يفتح سوريا وبلاد البُنتس وعلى الملك ميثريداتس السادس مقاومة الرومان في آسيا الصغرى، وتكون الغنائم والأسرى من نصيب تيكران الثاني والبلاد المفتوحة لميثريداتس السادس (تاريخ الأمة الأرمنية، ص69).

3- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص69؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص31.

4- Plutarch,Sylla,ch.11 - 12;Appian.,Roman History, Translated by:Horace White,Forth Edition,(Cambridge,1995),Mithridatis,ch.28 - 50;Mattingly, Op.Cit,p.309.

ومما يجدر ذكره إن الملك الفرثي مهرداد الثاني (124 – 88ق.م) كان يراقب الاحداث بحذر شديد وشعر بخطورة التحالف الذي عقد بين ملك أرمينيا تيكران الثاني وملك البنتس ميثريداتس السادس لأن ذلك التحالف سيزيد من قوة أرمينيا ويجعلها في مواجهة الدولة الفرثية ولذلك ارسل رسوله إلى القائد الروماني سولا اثناء وجوده في كبدوكيا يعرض عليه عقد معاهدة تحالف وصداقة بين الطرفين [1]، غير إن جهود مهرداد الثاني لم تثمر إذ استهان القائد الروماني سولا بقوة الفرثيين فأحتقر رسولهم وطرده [2].

وفيما يتعلق بالصراع بين ملك مملكة البُنتس ميثريداتس السادس والرومان فأنهما خاضا معارك وحروب عدة عرفت بالحروب الميثريداتية استمرت من سنة88ق.م وانتهت سنة 65ق.م باستيلاء الرومان على مملكة البُنتس[3]، ولم تسلم أرمينيا من ضرر تلك الحروب ذلك إن ملك البُنتس ميثريداتس السادس عقب هزيمته أمام الرومان في معركة كاييرا (Caiira) سنة 72ق.م فرَّ إلى صهره ملك أرمينيا تيكران الثاني ولما رفض الأخير طلب قائد الجيوش الرومانية في آسيا الصغرى لوكوللوس (Lucullus) (74 – 71ق.م) تسليم ميثريداتس السادس له حاربه وتمكن من هزيمته سنة69ق.م[4].

1 – شيبمان، كلاوس، مباني تاريخ بارتيان، ترجمة: هوشنك صادقي، جاب أول، (تهران: نشر وبزوهش فرزان روز،1384ش)، ص40؛ ايليف، فارس والعالم القديم، ص49.

2- Ghrishman,Op.Cit,p.251

ولسكي، يوزف، شاهنشاهي اشكاني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: ققنوس، 1383ش)، ص107.

3- Rostovtzeff,Op.Cit,Vol.ll.p.p.121 - 125;Mattingly,Op.Cit,p.p.316 - 328;

وللتفصيل عن تلك الحروب انظر: حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص31 – 32؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص268 – 270، ص315 – 270؛

Robinson, Cril., A history of Rome from 753 B.C To 410 A.D, (London, No.D), Part,1,p.p.145 - 150.

4 – Plutarch,Laugaullos,ch.22؛ كالج، اشكانيان، ص33؛ شيبمان، مباني، ص42 وللتفصيل انظر: بورتر، موسوعة، ص372 – 373؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص74 – 79؛

Robinson,Op.Cit,Part,I,p.p.167 - 168.

والراجح أنّ السبب الذي دفع الرومان إلى توجيه قواتهم إلى أرمينيا هو إنّ الاخيرة أصبحت في عهد ملكها تيكران الثاني كبرى دول الشرق الادنى والمنافسة الرئيسية للرومان فيه وكانت تقف حائلاً يمنعهم من السيطرة على سواحل سوريا وكيليكيا المطلة على البحر المتوسط[1].

لجأ الملوك الذين تولوا عرش أرمينيا بعد تيكران الثاني إلى اتباع سياسة متقلبة فكانوا يتحالفون تارة مع الدولة الفرثية وتارة أخرى مع الدولة الرمانية، غير أنّ سياستهم هذه غالباً ما كانت تشكل حافزاً لتدخل الرومان بشؤون دولتهم إلى أنّ تمكن القائد الروماني انطونيوس[2] (Antonius) (مارك انطوني) (40 – 36 ق.م) سنة34ق.م من السيطرة عليها وجعلها ولاية رومانية إذ ضمها للدولة الرومانية واسكن بها بعض الرومان أما ملكها ارتافاسديس الثاني(Artavasdes II) (54 – 33ق.م) أو(اردوزات الثاني) وأولاده فقد حملهم مقيدين بالاغلال معه إلى مصر حيث قدمهم كهدية إلى زوجته كليوباترا السابعة فأمرت بسجنهم وتعذيبهم[3]، من جانب اخر أستغل الملك الفرثي فرهاد الرابع (PhraatesIV) (37 – 2ق.م) فرصة الحرب الاهلية التي نشبت

1- يذكر إن حدود البلاد في عهده امتدت من خليج ايسوس والبحر المتوسط غرباً إلى بحر قزوين شرقاً (أبو مغلي، إيران، ص123)؛ للتفصيل عن أنتصارات الملك ديكران الثاني ودوره في توسيع حدود أرمينيا انظر: (استارجيان، المصدر نفسه، ص69 – 73).

2- هو ماركوس انتونيوس احد قواد يوليوس قيصر الاكفاء، كون مع اغسطس وليبيدوس حكومة ثلاثية سنة 43ق.م مدتها خمس سنوات، تقرر فيها أنّ يحكم انطونيوس القسم الشرقي من الإمبراطورية (سوريا ومصر) (Robinson,Op.Cit,Part.1,p.p.220 - 224)؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص607).

3- Plutarch,Antonius,ch.50;Mattingly,Op.Cit,p.357;
خوريناتسي، موسيس، تاريخ الأرمن منذ البداية حتى القرن الخامس الميلادي، نقله عن الأرمنية: نزار خليلي، تحقيق: إبراهيم زعرور، (دمشق: دار اشبيلية،1999م)، ص114؛ علي، زكي، كليوباترا – سيرتها وحكم التاريخ عليها، (المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، د.ت)، ص64 – 65؛ العبادي، مصر من الاسكندر، ص69 – 100.

بين انطونيوس وشريكه ومنافسه في الحكم الإمبراطور[1] (اكتافيانوس) اغسطس[2] (Augustus) (27ق.م – 14م) بسبب الصراع على السلطة في الدولة الرومانية [3]، وسحب انطونيوس معظم قواته الموجودة في أرمينيا استعداداً لمواجهة منافسه، فتوجه سنة 33ق.م وبصحبته ارتكسياس أبن الملك الأرمني ارتافاسديس إلى أرمينيا وتمكن من القضاء على الحامية الرومانية الموجودة فيها ونصب ارتكسياس ملكاً على أرمينيا (33 – 20ق.م) باسم ارتكسياس الثاني وبذلك عادت أرمينيا إلى تبعية الدولة الفرثية ثانية [4].

لم يكن من مصلحة الإمبراطور اغسطس[5] ترك مقدرات أرمينيا بين الفرثيين أعداءه التقليديين لاسيّما بعد فشل حملته على اليمن سنة 24ق.م [6] لكنه مع ذلك لم

1- الإمبراطور: لقب شرفي معناه القائد الاعلى المظفر كان الجنود يحيون به قائدهم بعد انتصاره في المعركة وكان امتياز يكسب صاحبه الحق في أنّ تحتفل به الدولة رسمياً، إلا إنّه لقب مؤقت يزول عن صاحبه بعد دخوله روما، وأول قائد لقب بهذا اللقب هو القائد بومبي، إلا أنّ هذا اللقب اصبح لقباً رسمياً خاصاً بصاحب العرش دون سواه في عهد اغسطس (27ق.م – 14م) فهو أول من تلقب به رسمياً بعد انتصاره في معركة اكتيوم (Actium) سنة30 ق.م وعودته إلى روما (علي، التاريخ الروماني، ص102، 331، 333).

2- اكتافيانوس (اغسطس): هو جايوس يوليوس قيصر (Caius Julius Caeser) ابن اخ القائد يوليوس قيصر وقيل ابن اخته، اتخذه ابناً له بالتبني واعلنه وريثاً لاقطاعياته، شارك مع انطونيوس في الحكومة الثلاثية، حيث اسند اليه حكم القسم الغربي من الإمبراطورية (ددلي، حضارة روما،ص163؛ بكري، حسن صبحي، الاغريق والرومان والشرق الاغريقي والروماني، (الرياض: دار عالم الكتب، 1985م)، ص287؛ Cary & Scullard,Op.Cit,p.426).

3- Plutarch,Antonius,ch.37;Grant,Op.Cit,p.201;
وللتفصيل عن ذلك الخلاف والمشادة الكلامية التي جرت بين الشريكين انظر: (رستم، أسد، عصر أوغسطس قيصر وخلفائه، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 1961م)، ج1، ص77 – 78.

4- كوتشميد، تاريخ إيران، ص158؛ شيبمان، مباني، ص54.

5- انفرد اغسطس بحكم الدولة الرومانية بعد تغلبه على شريكه ومنافسه في الحكم القائد انطونيوس في معركة اكتيوم البحرية سنة 30ق.م (ايوب، ابراهيم رزق الله، التاريخ الروماني، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب،1996م)، ص249)؛ وللتفصيل عن معركة اكتيوم انظر: (نافتالي، لويس، الحياة في مصر في العهد الروماني 30ق.م – 284م، ترجمة: آمال الروبي، مراجعة، (الهرم: 1997م)، ص17؛
Griffiths,J.G.,Gournal of Egyption Archaeology,(1961),P.113;Grant,Op.Cit, P.202.

6- سميت تلك الحملة بـ (حملة اليوس جالوس) (Aelius Gallus) نسبة إلى قائد الحملة الروماني الذي كان حاكماً على مصر من قبل الإمبراطور اغسطس، كان هدفها الاستيلاء على اليمن وتحويل البحر الاحمر=

يستخدم القوة ضدها بل لجأ إلى سياسة (فرق تسد) وذلك بتشكيل حزب موال للرومان في داخلها من طبقة النبلاء والامراء يناوئ الحزب الموالي للفرثيين والمتمثل بالملك الأرمني ارتكسياس الثاني[1]، ولتنفيذ سياسته تلك استعمل سياسة لينة وودية مع الفرثيين، فوافق اولاً على الصلح الذي طلبه ملكها فرهاد الرابع سنة 20ق.م[2]، ثم ارسل إليه هدية وهي الاميرة الايطالية والتي تسمى موزا(Musa) انجب منها ولده فرهاد الخامس (Phraates V) [3].

كان أول عمل قام به الحزب الروماني في أرمينيا عزل ملكها ارتكسياس الثاني المناصر للفرثيين وتنصيب أخيه تيكران الثالث (Tigranes lll)[4]، بدلًا عنه (20 – 6ق.م)[5]،

= إلى بحر روماني، إلا إن الفشل الذريع الذي آل اليه مصير تلك الحملة جعل الأباطرة الذين خلفوا اغسطس لا يفكرون مطلقاً باستخدام القوة العسكرية ضد اليمن للتفصيل عن تلك الحملة انظر: Strabo.,The Gography of Strabo,(London,1966),Book. XVI,ch.22 - 23؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، 1969م)، ج2، ص43 – 60؛ اوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة: موسى علي الغول، (عمان: المملكة الاردنية الهاشمية، 1960م)، ص90 – 93؛ العبادي، أحمد صالح محمد، الاطماع الاجنبية في اليمن قبل الاسلام 24 ق.م – 628م، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية، 2001)، ص 33 – 43.

1- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص89.

2- Robinson,Op.Cit,Part.l1,p.266;
للتفصيل عن ظروف ذلك الصلح وشروطه انظر: (رجبي، هزاره هاي كم شده، ج4، ص107؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص693؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص245؛ كالج، اشكانيان، ص41؛ مهميد، محمد علي، تاريخ ديبلماسي إيران، (تهران: 1361ش)، ص49.

3- شيبمان، مباني، ص55؛ ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص 166؛ الموسوي، مهدية فيصل صالح، العلاقات الساسانية – البيزنطية 226 – 628 م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية، 2006م)، ص 49.

4- تيكران الثالث هو نفسه الذي اقتاده الإمبراطور انطونيوس أسيراً مع أخيه ارتفاسديس الرابع وأبيهما ارتافاسديس الثالث إلى مصر سنة 34ق.م وقد عاش تيكران الثالث منذ إستيلاء الرومان على مصر سنة 30ق.م بروما لمدة عشر سنوات فتطبع بالطابع الروماني وصار مناصراً لروما (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص42 – 43).

5- Mattingly,Op.Cit,p.360؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص89 – 90

بعد وفاة تيكران الثالث سنة 6ق.م أجلس الحزب الموالي للفرثيين على العرش الأرمني ولديه تيكران الرابع والملكة ايراتو (Erato) (6ق.م – 1م) وكان هذان الأخوان الشقيقان قد تزوجا من بعضهما حسب التقاليد القديمة التي كانت تبيح ذلك[1] فأثار ذلك غضب الإمبراطور الروماني أغسطس لأن ذلك يعني زوال النفوذ الروماني من البلاد ولأنه لم يكن يرغب في الحرب فقد ارسل حفيده كايوس (Caius) سنة2م إلى أرمينيا بصلاحيات تامة ليسوي تلك المسألة[2]، فقام بعزل الملك الأرمني تيكران الرابع وأجلس على عرشها ارتافاسديس الرابع (2 – ق.م)[3] المناصر للرومان مجبراً الملك الفرثي فرهاد الخامس (2 – 4م) على قبول ذلك وعلى عدم التدخل في شؤون أرمينيا اطلاقاً [4].

وهكذا تولى عرش أرمينيا خلال المدة من2 – 53م عدد من الملوك الذين كانت روما تعينهم.

يذكر المصنف الروماني تاكيتوس (Tacitus) [5] أنه وفي الوقت الذي كان التاج الأرمني ينتقل من رأس إلى رأس، تولى العرش الفرثي الملك بلاش الأول (Vologeses I) (51 – 77م) وكان على عكس الملوك الذين سبقوه عازماً على الاستيلاء على أرمينيا، فهاجمها سنة 54م وتمكن من الاستيلاء عليها وأجلس على عرشها أخيه تيريداد الأول (Tiridat I) (54 – 100م) بعد أنّ فرّ منها ملكها الايبيري (راداميستوس)(Radamistus) (51 – 54م) وكان ذلك في أواخر عهد الإمبراطور

1- شيبمان، مباني، ص56؛ كالج، اشكانيان، ص42 – 44.

2- أبو مغلي، إيران، ص129؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص694؛ ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص167.

3- ارتافاسديس الرابع: هو اخو تيكران الثالث وابن ارتافاسديس الثالث.

4- مقابل ذلك التنازل اعترف الإمبراطور اغسطس بشرعية حكم الملك فرهاد الخامس واتخاذه لقب ملك الملوك (كوتشميد، تاريخ إيران، ص179؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص168؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص696 – 697؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص507؛ ابو مغلي، إيران، ص129).

5- The Complete Works of Tacitus,"The Annals",(New York,1942),Book.X1, ch.2.

كلوديوس الأول (Claudius1) (41 - 54م) الذي لم يحرك ساكناً أو يتدخل لمنع ذلك[1]، ولم يتمكن خليفته الإمبراطور نيرون (Neron) (54 - 68م) من إعادتها إلى حضيرة الدولة الرومانية على الرغم من المحاولات التي بذلها [2]، ويبدو إنه وجد في الموافقة على طلب الصلح الذي تقدم به ملك أرمينيا الفرثي تيرداد الأول سنة 63م خير وسيلة لمحو العار عن العرش الروماني المغلوب[3] فبموجب المعاهدة التي عقدت بين الطرفين في السنة نفسها والتي سميت بمعاهدة راندیا(Rhandeia)، وافق الجانب الروماني على الاعتراف بالملك الفرثي تيرداد الأول ملكاً على أرمينيا بشرط أن يتم تتويجه من قبل الإمبراطور نيرون في روما نفسها [4]. ومعنى ذلك ان أرمينيا اصبحت تابعة للنفوذ الروماني وأن الملك الفرثي يحكمها بصفته تابعاً للدولة الرومانية. وهذا بالتأكيد يؤكد أهمية أرمينيا ومركزها الوسط بين عالمي الشرق والغرب لأن ملكها الجديد كان أخاً للملك الفرثي بلاش الأول وفي الوقت نفسه تابعاً لروما.

أستمر السلام قائماً بين الإمبراطورية الرومانية والفرثيين طوال عهد الملك تيرداد الأول ملك أرمينيا حتى وفاته سنة 100م، وعلى أثر تلك الوفاة أجلس الملك

1- بيرنيا، تاريخ إيران، ص200؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص46؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص512.

2- للتفصيل انظر:

Dio, Cassius, Dio's Roman History, http://www.blackmask.Com, Presented in English from by: Herbert Baldwin Foster, Johns Hopkins, Vol.V., Book.62, ch.19; Tacitus, Op.Cit, bk.XIV, ch.26; bk.XV, ch.1 - 15;

ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص186 - 189.

3- أضطر الرومان إلى التسليم والانسحاب من أرمينيا على أثر الهزيمة التي مني بها جيشهم في راندیا سنة 62م بقيادة حاكم كبدوكيا باتيوس (Paetus)

(Dio,Op.Cit,Vol.V,bk.62,ch.20)

4- Ibid,Vol.V,bk.62,ch.21;Tacitus,Op.Cit,bk.XV,ch.14 - 17;

رجبي، هزاره هاي كم شده، ج4، ص128؛ شيبمان، مباني، ص63؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص184؛ كالج، اشكانيان، ص45، وسميت بمعاهدة راندیا نسبة إلى بلدة راندیا الواقعة قرب خربوط في الوقت الحاضر (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص 47).

الفرثي باكور الثاني (Pacorus11) (77 - 106م) على العرش الأرمني اكسيدارس (Exedares) (100 - 113م) دون استشارة روما أو أخذ موافقة إمبراطورها تراجان (Trajan) (98 - 117م) فكان تصرفه ذلك خرقاً واضحاً لمعاهدة راندیا المنعقدة سنة 63م وذريعة لاستئناف نشاط روما الحربي ضد الدولة الفرثية[1]، ففي سنة 113م وبعد أن فرغ الإمبراطور تراجان من حروبه في الجبهة الأوربية استعد للقيام بحملة كبرى ضد الشرق تضاهي حملة الاسكندر المقدوني وكانت أول أهدافه إعادة توطيد النفوذ الروماني في أرمينيا والسيطرة على منافذها التجارية[2]، ويبدو أن أعداده لتلك الحملة كانت من القوة والتنظيم بحيث أن الملك خسرو (Khusrau) (106 - 129م) وهو أخو الملك باكور الثاني لم يكن قادراً على مواجهته عسكرياً ولذلك فضل استرضائه فقام سنة 113م بعزل اكسيدارس عن عرش أرمينيا وعين بدلاً عنه بارتومازيريس (Partomasiris) أبن ملكها السابق تيرداد الأول وأرسل إلى الإمبراطور تراجان ليأخذ موافقته فرفض الأخير لأصراره على مواصلة فتوحاته التي بدأها في أوربا بفتح أرمينيا وتحقيق ما عجز أسلافه من الإباطرة الرومان[3].

وفي بداية سنة 114م وصل الإمبراطور تراجان إلى أنتيوخيا وفي ربيع السنة نفسها توجه إلى أرمينيا ولما علم ملك أرمينيا الجديد بارتومازيريس بمسيره إلى بلاده أرسل اليه يعرض عليه أن يتوجه ملكاً عليها مثلما توج الإمبراطور نيرون

1- Dio, Op.Cit, Vol.V, bk.68, ch.17; Kepper, F.A., Trajan's Parthian War, (Oxford, 1948), p.214; Helchelhelm, Frits. M&Yeo, Cedric., A History of the Roman, (United States of America, 1962), p.353; Botsford, Op.Cit, part.11, p.244;

سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص516؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص203

2- William,H.S.,The Historian's History of the World,(London,1926),Vol,6, p.p.274 - 275 ;Cary & Scullard,Op.Cit,p.646.

3- Dio,Op.Cit,Vol.V,bk.68,ch.17;\Helchelhelm&Yeo,Op.Cit,p.353;

رجبي، هزاره هاي كم شده، ج4، ص133.

والـده تيـرداد الأول، فـرد عليـه الإمبراطور تراجـان بما فهم منـه قبوله [1] ولهذا سـار اليـه ليعلـن عن ولائه فالتقى به فـي بلدة اليكيـا[2] (Elegeia) فبـادر بارتومازيريس إلى خلـع التـاج عـن رأسـه ووضعـه عنـد قدمـي الإمبراطـور معتقـداً أنـه سـيعيده اليـه ويتوجـه بـه، ويعلنـه ملكاً علـى أرمينيـا، إلا أن الإمبراطـور تراجان لم يعيـد اليه التاج بـل أجابـه بانـه معـزول عـن الحكـم، وأنـه قـرر مـن الأن فصاعـداً أن تكـون أرمينيـا ضمن الولايات الرومانية [3].

ظلت أرمينيا بيد الرومان حتى وفاة امبراطورهم تراجان سنة 117م بعد تلك السنة تعاقب على العرش الأرمني عدة ملوك مابين روماني وأخر فرثي واستمر الوضع هكذا حتى نهاية الدولة الفرثية سنة 224م.

وخلاصة القول أن أرمينيا خلال المدة (190ق.م – 224م) كانت أشبه بدويلة صغيرة بين عملاقين جبارين هما الإمبراطورية الرومانية والدولة الفرثية فكانت تارة تميل إلى هذا الجانب وتارة أخرى لذاك، وكانت مقدراتها متأرجحة بينهما، وأما ملوكها من الأرمن فكانوا في الغالب الآت صماء تحركها أيادي الإمبراطوريتين فتطبقان سياستهما التوسعية على حساب ضرر البلاد وأهله.

4 ـ التنافس الروماني ـ الساساني على أرمينيا (226 ـ 275م).

إن الدولة الجديدة التي أُعلن عن قيامها سنة 226م تختلف تماماً عن تلك التي أسدل الستار عنها فبعد أنّ تمكن مؤسسها اردشير بن بابك من توحيد البلاد سياسياً

1- Dio,OP.Cit,bk.78,ch.19;

ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص199؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص204.

2- تقع إلى الغرب من مدينة ارضروم (ثيودوسيوبوليس) عند الرومان (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص48).

3- Dio,OP.Cit,bk.78,ch.19;Cary&Scullard,Op.Cit,p.646;

شيبمان، مباني، ص88؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص48 – 49.

ودينياً[1]، أخذ يحث الخطى على إعادة أمجاد الدولة الاخمينية وأستعادة هيبة البلاد التي أضعفها وحط من شأنها الملوك الفرثيين المتأخرين، متخذاً من سياسة التوسع التي رسم خطوطها الملك الاخميني كورش الثاني واكملها الملك دارا الأول هدفاً لسياسته الخارجية.

والخطر الأول الذي هدد عرش الملك اردشير كان مركزه أرمينيا ذلك أن ملكها خسروف الثاني (225 – 250م) ويقال أنه أخ ملك الملوك الفرثي ارطبان الخامس[2] قام بعد مقتل أخيه بتأليف اتحاد لمقاومة الملك اردشير الأول وإعادة السلطان الفرثي ضم ملك كوشان الذي التجأ اليه بعض أفراد عائلة الملك ارطبان الخامس وجماعات من الاسكيثيين كما حضي بتأييد ومساعدة الرومان لحماية مصالحهم الشخصية في أرمينيا التي اعتبرت منذ عهد الإمبراطور نيرون (54 – 68م) ضمن ممتلكاتهم من جهة ولخشيتهم من تنامي القوة الجديدة التي ظهرت في بلاد فارس من جهة أخرى، وبعد سلسلة من المعارك تمكن اردشير من القضاء على ذلك التحالف، فأنسحب الرومان والاسكيثيين وملك الكوشانيين ولم يبق في الميدان إلا ملك أرمينيا[3]، الذي استمر يقاوم اردشير لمدة عشر سنوات، ولما لم يتمكن اردشير خلالها من أن ينال من غريمه ويحقق هدفه بجعل أرمينيا ولاية ساسانية [4]، عمد إلى الحيلة فدبر مؤامرة لقتله تولى تنفيذها شخص يسمى(اناك) من قبيلة سورين الفرثية كان اردشير قد أغراه بالوعود والهدايا الكبيرة فذهب هذا إلى أرمينيا ولجأ إلى ملكها خسروف الثاني مدعياً أنّه هرب

1- تمكن الملك اردشير بن بابك من أقامة الوحدة السياسية للبلاد وذلك من خلال أحلال الادارة المركزية محل النظام الاقطاعي، كما أنّه وحد البلاد دينياً بإتخاذ الزرادشتية ديانة رسمية (ايليف، فارس والعالم القديم، ص54 – 55؛ Bausani,Op.Cit,p.49.)

2- السيد، أرمينيا، ص44.

3- Ghirshman,Op.Cit,p.291;

خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص170 – 172؛ باقر، مقدمة، ج2، ص491 – 492.

4- Ibid,p.291؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص106

اليه من ظلم اردشير وجوره ويذكر إن الملك خسروف أحسن اجارته وقربه وإن اناك بعد أن آمن جانبه وثب عليه وقتله[1]، ولم تذكر المصادر المتوفرة لدينا السنة التي قتل فيها خسروف الثاني إلا إنها حددت مدة حكمه بين سنة (225 – 250م) [2] واذا ما علمنا أن السنة التي توفي بها اردشير الأول كانت 241م يتبين لنا إن مقتل ملك أرمينيا خسروف الثاني كان قد تم بتدبير من الملك سابور الأول (241 – 272م) بن اردشير وليس من اردشير نفسه.

والواقع أننا نجهل الاسباب التي جعلت الملك سابور الأول يغض الطرف عن مهاجمة أرمينيا والاستيلاء عليها عقب وفاة ملكها خسروف الثاني لاسيّما وأنه ضمن عدم تقديم المساعدة لها من الجانب الروماني بموجب شروط المعاهدة التي عقدها مع الإمبراطور الروماني فيليب العربي(Philip the Arabian) (244 – 249م) سنة 244م[3].

ومهما يكن من الامر فان عرش أرمينيا تربع عليه شخص يسمى ارداوازت مانتاكوني (250 – 262م) كان قائداً للجيش الأرمني في عهد الملك خسروف الثاني ومربياً لولي العهد تيرداد الثالث (Tiridad111) [4] ويبدو أنه خاف من الملك سابور الأول فسارع إلى الارتماء في أحضان الدولة الرومانية وأرسل إلى إمبراطورهم

1- خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص173 – 175؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص106 – 107؛ السيد، أرمينيا، ص44؛ اميل، تاريخ أرمينيا، ص14.

2- استارجيان، المصدر نفسه، ص104؛ السيد، المصدر نفسه، ص44.

3- Ghirshman,Op.Cit,p.292

زرين كوب، عبد الحسين، تاريخ مردم إيران (إيران قبل از اسلام كشمكش باقدرتها)، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير،1381ش)، ص193؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ مهر ابادي، تاريخ كامل إيران، ص785؛الحاج حمدان، عبد المجيد، الإمبراطور الروماني فيليب العربي Philip The Arabian (ماركوس يوليوس فيليبوس Marcus Julius Philippus)، مجلة (دراسات تاريخية)، العددان 85و86، (دمشق: 2004م)، ص90.

4- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص107 – 108؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص291؛ نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص60 هامش (2).

فاليريان (Valerian) (253 – 260م) سنة 253م الامير تيرداد الثالث بن خسروف الثاني وكان طفلاً صغيراً لاجئاً عنده [1].

اتخذ سابور الأول من ايواء الإمبراطور فاليريان إلى تيرداد الثالث سبباً لاعلان الحرب على الدولة الرومانية فكتب إلى الإمبراطور فاليريان" لقد كذب القيصر مرة أخرى وقد اخطأ فيما يتعلق بأرمينيا ولهذا توجهت نحو الإمبراطورية الرومانية "[2].

ويبدو إن الملك سابور الأول أستغل الوضع الداخلي المتردي للدولة الرومانية وانشغالها بصد غارات القبائل البربرية من القوط والجرمان[3] خلال المدة 252 – 268م[4] فاستولى خلال السنوات 252 – 256م على نيسيبيس[5] (Nisibis) (نصيبين) وعدد من المدن السورية بما فيها أنتيوخيا[6] وقد اثار استيلاء سابور الأول على أنتيوخيا مركز الحكم الروماني في الشرق ثائرة الإمبراطور فاليريان فعقد العزم على محاربة سابور بنفسه تاركاً لقادته مهمة حماية حدود دولته الغربية [7]، فتمكن سنة 258م من إستعادة ما تم الاستيلاء عليه[8].

1- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص107؛ جيبون، ادوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي ابو درّة، مراجعة: احمد نجيب هاشم، (القاهرة: مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969م)، ج2، ص248؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226.

2- يارشاطر واخرون، المصدر نفسه، مج3، ق1، ص226؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429.

3- سنأتي على ذكر تلك القبائل ودورها في اسقاط الإمبراطورية الرومانية بالتفصيل لاحقاً.

4- للتفصيل انظر: جيبون، اضمحلال، ج1، ص229 – 247.

5- نيسيبيس (نصيبين): تقع على طريق القوافل بين الموصل وبلاد الشام، بينها وبين الموصل اربع مراحل (الاصطخري، مسالك الممالك، ص72؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1374).

6- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429؛ رازي همداني، عبد الله، تاريخ كامل إيران از تاسيس سلسلة ماد تا انقراض قاجارية، (تهران: جاب اقبال، 1363ش)، ص58.

7- Zosimus,The History of Count Zosimus,Sometime Advocate and Charcellor of the Rome Empire, (London, 1814), Book.1, ch.20;

8- جيبون، اضمحلال، ج1، ص248 – 249.
رازي همداني، تاريخ كامل إيران، ص58؛ العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة 226 – 651م)، (دمشق: دار الفكر، 1999م)، ص42.

وفيما يتعلق بأرمينيا فان مؤرخها الأرمني (خوريناتسي) يسمي ملكها ارداوازت مانتاكوني(الحاكم المطلق) [1] وهذا يعني إنها في تلك المدة كانت في حماية الرومان، يؤكد ذلك أن في سنة 260م طلب الملك سابور الأول من ملكها ارداوازت مانتاكوني مساعدته في حربه مع الإمبراطور فاليريان التي وقعت بالقرب من مدينة ادسا[2] (Edessa) (الرها) غير أنه - أي ملك أرمينيا - ظل وفياً للرومان وأمتنع عن تقديم المساعدة للملك سابور الأول [3] وأرسل له كتاباً جاء فيه " اشاركم الرأي - ولكنني اخاف ان تزيد النار ضراماتاً بدلاً من أن تنال الفوز! سيناقشكم الحساب عن واليريانوس أبنه وحفيده وقواده وأمته... وسيقولون لكم: أعتقلتم شيخنا ولكنكم أقمتم العالم على رؤوسكم، وربما علينا أيضاً - نحن الأرمن - وبما إننا جيرانكم، فحين جهادكم الجمهورية الرومانية سنكون نحن أيضاً هدفاً لمضايقتها، إن وافقناكم على عدائها"[4].

ويظهر من النص أعلاه أنّ ملك أرمينيا خاف من أنّ يفقد صداقته مع الرومان الذين بالتأكيد سيثأرون لهزيمة إمبراطورهم ولا شك أنّ نيران ذلك الثأر ستنال من دولتهم باعتبارها عدواً مشتركاً مع الساسانيين ولذلك أمتنع من تقديم المساعدة للاخيرين.

ومن استقراء الاحداث يظهر أنّ الملك سابور الأول كان شديداً فلم يغفر لملك أرمينيا ذلك الامتناع ورد عليه رداً عنيفاً، فقد اجتاحت جيوشه أرمينيا

1- تاريخ الأرمن، ص175.

2- ادسا (الرها): يسميها السريان أورهاي وعنهم اخذ العرب تسمية الرها (حبي، يوسف، كنيسة المشرق)، ط3، (بغداد: الموصل، 1980م)، ج1، ص174 - 177) وهي من مدن الجزيرة الفراتية، تقع في اعلى نهر الفرات شمال حران، والمسافة بينهما يوم (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص210، 226) موقعها في الوقت الحاضر في تركيا وتسمى أورفة.

3- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص108.

4- المصدر نفسه، ص109.

سنة 262م وتمكنت من الاستيلاء عليها وأجلس على عرشها أبنه هرمز الأول (Harmizd I) (262م)[1].

ومما يؤسف له أنّ المصادر التاريخية الفارسية والرومانية التي تناولت التاريخ السياسي لكلا الدولتين إلى جانب المصادر التي شرحت تاريخ أرمينيا السياسي لاتذكر معلومات واضحة عن الاحداث السياسية التي وقعت في أرمينيا بعد أن تولى عرشها الامير هرمز الأول وحتى سنة 283م ما عدا المؤرخ (اديب السيد) فقد ذكر منفرداً إن ملك تدمر [2] اذينة الثاني (258 – 266م) " اقتحم اراضي أرمينيا واحتل قسماً منها بعد أنّ طرد ارداوست " [3] ولا نعلم المصدر الذي استقى منه معلومته تلك كما إنه لم يوضح لنا متى تم ذلك الاحتلال؟ ومن هو ارداوست؟.

والراجح إن ارداوست هو الامير هرمز الأول، و أنّ ذلك تم سنة 262م لانه في تلك السنة منح اذينة الثاني لقب(زعيم الشرق) [4] وهو لقب لا تمنحه الإمبراطورية الرومانية إلا لمن اخلص لها في محاربة خصومها.

1- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص227.
2- سناتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً.
3- تاريخ الشعب الأرمني، ص46.
4- حتي، تاريخ سوريا، ص437.

المبحث الثالث:
التنافس الروماني ـ الساساني على سوريا (226 ـ 272 م)

1 ـ تسميتها وأهميتها الجغرافية في السياسة الدولية

سوريا مصطلح تاريخي جغرافي يقصد به الجزء الشمالي من بلاد الشام، وأصل اسم سوريا يوناني يعود استعماله إلى القرن الخامس قبل الميلاد وأول من ذكره في صيغته المعروفة سيريا (Syria) المؤرخ الشهير هيرودوتس[1]، وظل مستعملًا في العصور اليونانية وما بعدها وتوسع في استعماله وصار يطلق على البلاد كلها[2]، والواضح أنّ الصيغة اليونانية محورة عن أصل جزري قديم فقد ظهر اسم سوريا تحت مسمى شرين(Shryn) في نصوص مكتشفة حديثاً في اوغاريت[3] يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكانت إحدى مناطق شمالي الفرات معروفة عند البابليين باسم سو – ري(Su - ri)[4]، وفي العبرية أطلق اسم سريون(Siryon) أولًا على شرقي لبنان ثم أطلق على كل البلاد[5].

1- تاريخ، الكتاب الثاني، فقرة 12.

2- حتي، تاريخ سوريا، ص62؛ الحلو، سوريا القديمة، ص81.

3- اوغاريت: مدينة ساحلية هامة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، تقع اطلالها في الوقت الحاضر في تل راس الشمرة قرب مدينة اللاذقية السورية (الذنون، عبد الحكيم، تاريخ الشام القديم، (سوريا: دار الشام القديمة للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع،1999م)، ص127؛ دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار، ترجمة: ليون يوسف، (بغداد: دار المأمون،1990م)، ج1، ص91).

4- حتي، تاريخ سوريا، ص62؛ هبو، احمد رحيم، تاريخ الشرق القديم (سورية)، ط2، (صنعاء: دار الحكمة اليمانية، 1999م)، ص9؛ زايد، الشرق الخالد، ص235؛ علي، تاريخ الشرق الأدنى، ج2، ص62؛ ميخائيل، نجيب، مصر وسورية في العصور القديمة، (د.م: 1958م)، ص6.

5- الكتاب المقدس " أي كتاب العهد القديم والعهد الجديد "، (دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط:1997م)، العهد القديم، سفر التثنية، 3: 9؛ سفر المزامير، 29: 6.

ومن المؤرخين من يشير إلى عدم وجود صلة في الاشتقاق بين سوريا ولفظة اسيريا أو آشوريا (Assyria) التي اطلقها اليونان على بلاد اشور[1]، ويؤكد المؤرخ (فيليب حتي) أنّ تسمية سوريا والسوريين غير واردة في النص العبري الاصلي للعهد القديم ولكنها استعملت في الترجمات العبرية اللاحقة للدلالة على الممالك الآرامية والآراميين[2] الذين أصبحوا يعرفون بالسريان وعاصمتهم دامسكي أي دمشق[3]. ويذكر أنّ هناك اسطورة تقول " أنّ ملكاً ارامياً[4] اسمه سورس كان معاصراً للنبي موسى (عليه السلام) أستولى على سوريا والعراق فنسبت إليه البلاد فسميت بلاد السورسيين ثم حرفت وأصبحت سوريين ومنها سوريا [5].

وفي الوقت الحاضر فأن اسم (سوري) ينطوي على مفهوم عرقي وجغرافي يعني به مواطن سورية فقط، أما لفظة سريان فانه يستعمل كمفهوم ديني يطلق على اتباع الكنيسة السورية القديمة او السريانية [6].

وكان اسم سيروس (Syrus) (سوري) بالنسبة للرومان يعني كل شخص يتكلم اللغة السريانية، غير أنّ ولاية سوريا الرومانية كانت تمتد من الفرات إلى مصر [7]، وهي الحدود نفسها التي وضعها الجغرافيون العرب ومنهم (الاصطخري)[8]

1- حتي، تاريخ سوريا، ص63؛ هبو، تاريخ الشرق القديم، ص9.
2- تاريخ سوريا، ص63.
3- بهنسي، عفيف، الشام لمحات اثارية وفنية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1980م)، ص12.
4- الاراميين: سمو بذلك نسبة إلى ارم الخامس من ابناء سام بن نوح (الدبس، المطران يوسف، من تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ج1، في تاريخ شعوب سوريا القدماء، مجلد الأول، 1893م، ص14؛ الذنون، تاريخ الشام القديم، ص 184؛ وللتفصيل عن الاراميين وتاريخهم انظر: السواح، فراس، ارام دمشق واسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط5، (دمشق: منشورات علاء الدين، 1995م)، ص186 – 198).
5- الاحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية، (بغداد: مديرية مطبعة الحكم المحلي، 1981م)، ص78.
6- حتي، تاريخ سوريا، ص63؛ هبو، تاريخ الشرق القديم، ص11.
7- حتي، المصدر نفسه، ص63؛ زايد، الشرق الخالد، ص235.
8- مسالك الممالك، ص43.

و(ابن حوقل)[1] فقد ذكرا حدود بلاد الشام بقولهما " فأما الشام فان غربها بحر الروم وشرقها البادية من أبلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم، وشماليها بلاد الروم وجنوبيها مصر، وأخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور المعروفة".

وعلى وفق ما ذكره الجغرافيون العرب يمكن أنّ نحدد الاطار الجغرافي لسوريا فحدها من جهة الشمال جبال طوروس ومن جهة الغرب البحر المتوسط ومن الجنوب تتصل بصحراء سيناء المصرية وشبه الجزيرة العربية في حين تشكل البادية ومجرى نهر الفرات حدودها الشرقية، أي انها كانت تشمل سوريا ولبنان وشرق الاردن وجزءاً كبيراً من فلسطين.

أما كلمة الشام فهي تسمية عربية للاقليم كله وتعني اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمن التي تعني اليمين أو الجنوب وذلك بالنسبة إلى أهل الحجاز كما نقول اليد اليمنى واليد اليسرى [2].

تمتاز سوريا بأختلاف بيئتها الجغرافية ففيها سهول ساحلية خصبة ذات موانىء بحرية صالحة، وفيها وديان وجبال وعرة تتخللها مناطق أشبه بالواحات تمتاز بخصوبة ما حولها من الاراضي، كما توجد فيها أيضاً مساحات واسعة من الاراضي الصالحة للزراعة[3]، وبشكل عام فان المنطقة تقسم طولياً إلى خمسة اقسام أولها المنطقة الساحلية وتمتد من خليج الاسكندرونة (ابسوس قديماً) شمالاً حتى شبه جزيرة سيناء جنوباً، ويحد هذا القسم من الشرق سلسلة جبال عالية تقترب في بعض الاماكن اقتراباً كبيراً من الساحل ولاسيّما لبنان وتبتعد عنه في بعض الاجزاء مثل فلسطين [4]، أما ثاني

1- صورة الأرض، ص165.
2- ميخائيل، مصر وسورية، ص7.
3- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص53.
4- المصدر نفسه، ص53؛ رفلة، فيليب واحمد، سامي مصطفى، جغرافية الوطن العربي، (القاهرة: دار السعادة، 1962م)، ص40؛ سليم، احمد امين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر - سورية القديمة)، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص221.

الاقسام فهـو سلاسـل الجبـال الغربيـة التي تسمى جبال لبنان الغربية وتبدأ بجبل الامانوس[1] في الشمال وتمتد حتى جبل سيناء المرتفع في الجنوب، وتشكل هذه السلسلة الجبلية أول عائق للمواصلات يربط بين البحر وما يقع ورائه من الشرق، ولا يمكن اختراق هذا الحاجز إلا في الطرفين الشمالي والجنوبي، في الشمال عند خليج الاسكندرونة حيث يسير الطريق التجاري الكبير [2] الموصل إلى مابين النهرين، وفي الجنوب عند خليج السويس الذي يتم الاتصال بواسطته مع البحر الاحمر وبلاد العرب، وما عدا ذلك فانه لا يمكن اختراق هذا الحاجز الجبلي إلا في شمال طرابلس وشرق عكا وحيفا [3]، وأعلى قمم جبال لبنان هي القرنة السوداء يبلغ ارتفاعها نحو11.024قدماً عن سطح البحر[4]، وثالث الاقسام هي المنطقة الداخلية أو منطقة البقاع[5] وتقع إلى الشرق من سلسة الجبال الغربية، وهي عبارة عن وادي طويل ممتد من الشمال إلى الجنوب ويسمى العمق في الشمال وفيه مدينة حماة، ويسمى البقاع في لبنان ويمتد حتى يتصل بوادي الاردن والبحر الميت ثم وادي عربة حتى

1- جبل الامانوس: يسمى في المصادر العربية (اللكام) وفي السريانية (أوكاما) أي الاسود وفي التركية (كاور – داغي) أي جبل الكفار لأنه كان لمدة طويلة حصن الإمبراطورية البيزنطية ضد الدولة العربية الاسلامية، وجبل امانوس التواء فرعي يمتد من جبال طوروس التي تفصل سوريا عن آسيا الصغرى باتجاه الجنوب ليتصل بكتلة الجبال السورية، ويحيط بخليج الاسكندرونة فيشكل حاجز بين سوريا وكيليكا ويبلغ ارتفاعه 5000 قدماً عن سطح البحر (حتي، تاريخ سوريا، ص32؛ علي، تاريخ الشرق الأدنى، ج2، ص57؛ باقر، مقدمة، ج2، ص213هامش (1)).

2- يقصد به الطريق الذي يبدأ من ساحل سيناء ويتجه شمالاً نحو ساحل فلسطين حتى الكرمل على مسافة من البحر وهناك يتفرع إلى طريقين يتجه أحداهما إلى الساحل فيصل صور وصيدا وجبيل وسائر الموانئ السورية ويسير الأخر إلى الداخل فيجتاز سهل مجدو ويعبر الاردن في واديه الشمالي ثم يتجه رأساً إلى دمشق في الشمال الشرقي، ويتفرع منه طريق يعبر بادية الشام بواسطة تدمر ويربط مركز سورية مع قلب بلاد الرافدين الذي تمثله على التوالي بابل والمدائن وبغداد (حتي، تاريخ سوريا، ص64 – 65).

3- سليم، في تاريخ الشرق الأدنى، ص222 – 223.

4- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص53. أي مايقارب 3360م.

5- البقاع: معناه (حين تركد المياه) وهو سوريا المجوفة في العصر الكلاسيكي، وكان يضم حوران وقسماً من الاردن (Strabo,Op.Cit,bk.XVI,ch.20 - 21؛ حتي، تاريخ سوريا، ص40).

خليج العقبة[1] ويتراوح عرض البقاع بين ستة وعشرة اميال ويرتفع في جوار بعلبك إلى 3770 قدماً عن سطح البحر، وعلى مقربة منه يتفرع نهران احدهما نهر العاصي أكبر أنهار سوريا ويتجه نحو الشمال ونهر الليطاني الذي يتجه نحو الجنوب ويصب في البحر بين صيدا وصور، والعاصي والليطاني هما النهران الكبيران الوحيدان في سوريا[2].

وتكون سلسلة الجبال الشرقية القسم الرابع من اقسام البلاد السورية وهي تحد العمق والبقاع من الناحية الشرقية، تبدأ من جنوبي حمص[3] وتسير موازية في ارتفاعها لجبال لبنان الغربية حيث تسمى بجبال (انتي لبنان) أو(لبنان الشرقية) ثم تنخفض عند جبل الشيخ[4] إلى منطقة حوران[5] التي تمتد بعد ذلك إلى شرق الاردن ثم إلى جبل جلعاد وهضبة مؤاب وتنتهي في جبل سعير جنوبي البحر الميت[6]، ويقسم مجرى نهر بردى[7] سلسلة جبال لبنان الشرقية إلى قسمين شمالي مقفر من الحياة لاسيّما في

1- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص54؛ حتي، تاريخ سوريا، ص40 - 41؛ قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، تقييم: احمد حامدة، عبيد مرعي، فيصل عبد الله، (سوريا: منشورات جامعة دمشق، د.ت)، ص170.

2- فخري، المصدر نفسه، ص54؛ دانيال، موسوعة، ج2، ص338.

3- حمص: يسميها الرومان إيميسيا وتقع في منتصف المسافة بين دمشق وحلب (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص425).

4- جبل الشيخ: أو جبل حرمون، اسمه بالتوراة سريون (Serion) (سفر التثنية، 3: 9؛ سفر المزامير،29: 6) ويسميه الجغرافي العربي المقدسي (جبل الثلج)، (احسن التقاسيم، ص160) ويبلغ ارتفاعه 9383 قدماً عن سطح البحر (باقر، مقدمة، ج2، ص218، 220).

5- حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب وذكرها في اشعارهم كثير وقصبتها بُصرَى (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 2، ج3، ص193) وتسمى منطقة اورانس (Aurantis) في العصر الكلاسيكي و (باشان) في التوراة و (جورانو) عند الآشوريين وتعني (الأراضي المجوفة) (حتي، تاريخ سوريا، ص45هامش (1)؛ باقر، مقدمة، ج2، ص220 هامش (3)).

6- سليم، في تاريخ الشرق الأدنى، ص226؛ قابلو، تاريخ الحضارة، ص170.

7- نهر بردى: اسمه في التوراة نهر أيانا، ينبع في مرتفعات وادي الزيداني وينتهي بالعتيبة وبعد أن يمر من غوطة دمشق يتفرع منه خمسة جداول تروي شوارع دمشق ودورها (حتي، تاريخ سوريا، ص44؛ معلوف، المنجد، ص120)

جانبه الغربي، وجنوبي أشتهر بكونه أخصب مناطق سوريا حول دمشق ويرويها نهر بردى[1]، ويمتاز لبنان الشرقي بشكل عام بقلة أمطاره مما جعل سكانه أقل كثافة من لبنان الغربي [2].

أما سهول حوران فأمتازت بكونها منطقة بركانية التكوين إلا أنّ تربتها الخصبة أشتهرت بغلات الحبوب بحيث كانت مخزن الغلال السورية، ومن حوران تمتد هذه السلسلة في شرق الاردن حتى تصل أخيراً إلى بُصرى في الجنوب[3].

وبادية الشام هي القسم الخامس من الاقسام الجغرافية لسوريا، وتعد امتداد للصحراء العربية وتفصل سوريا عن العراق، وتشكل مع البادية العراقية مثلثاً كبيراً تستند قاعدته في خليج العقبة من جهة الغرب وعلى خليج الكويت من جهة الشرق، ويمتد رأسه إلى جهة حلب في الشمال [4]، ويعيش في تلك الصحراء الواسعة اقوام من البدو لعبوا دوراً كبيراً في التحكم بطريق القوافل التي تمر هناك [5].

وهكذا يتضح من ذلك الوصف الجغرافي أنّ هناك عوامل عدة أثرت في تاريخ سوريا وسكانها، أولها وضعها الجغرافي كمجموعة من المناطق المختلفة كان له انعكاسه في وجود خليط من السكان والجماعات العرقية والمذاهب الدينية، كما أنّ طبيعة هيئتها لم يسمح بتشكيل نظام سياسي قوي ومن ثم التوحد في دولة قوية واحدة[6]، والعامل الثاني هو موقعها

1- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص54 – 55؛ حتي، المصدر نفسه، ص44 – 45؛ سليم، في تاريخ الشرق الأدنى، ص226.

2- حتي، المصدر نفسه، ص44؛ باقر، مقدمة، ج2، ص220.

3- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص54 – 55؛ هبو، تاريخ الشرق القديم، ص14 – 15.

4- حتي، تاريخ سوريا، ص46؛ سليم، في تاريخ الشرق الأدنى، ص227.

5- فخري، تاريخ الشرق الأدنى، ص55.

6- حتي، تاريخ سوريا، ص64؛ موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1957م)، ص37؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص265.

الاستراتيجي كحلقة أتصال مابين القارات الثلاث القديمة (أسيا وأفريقيا وأوربا) فقد اتاح لها هذا الموقع أنّ تقوم بدورها في التبادل التجاري، وفي انتشار كثير من المظاهر الحضارية بين اقطار الشرق الأدنى، وهذا الدور الذي لعبته تفسره لنا أعمال الفينيقيين الذين كانوا أول التجار الدوليين[1] فكانوا على مايرجح أول من اكتشف المحيط الاطلسي وأول من اخترع الحروف الابجدية ونشروها[2]، كما أنّ ذلك الموقع جعلها من جهة أخرى عرضة للهجرات والغزوات العديدة من جميع الجهات [3].

والعامل الثالث هو مجاورتها لأقدم مركزين للحضارة وهما حضارة وادي الرافدين من جهة الشرق وحضارة وادي النيل من الجنوب مما جعلها ملتقى التأثيرات الثقافية المنبعثة من هذين المركزين الحضاريين، وفي العصور التالية تعرضت سوريا إلى تأثيرات مختلفة من الاقوام الهندية الاوربية في جزر ايجة واليونان والرومان ومن جهة البر لتأثيرات بلاد فارس والهند [4].

وخلاصة القول أنّ سوريا وأن كانت صغيرة في حجمها الجغرافي إلا إنها كانت كبيرة وعالمية في تأثيرها الحضاري.

1- اسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته " بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة "، (دمشق: مؤسسة شباب الجامعة، 1997م)، ص133؛ عصفور، المصدر نفسه، ص264؛ فرزات، محمد حرب، موجز في تاريخ سورية القديم، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، د. ت)، ص11 – 12.

2- صائب، سعد، دور سورية في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ، (دمشق: دار طلس للدراسات والترجمة والنشر، 1994م)، ص18.

3- اسماعيل، الشرق العربي القديم، ص133؛ عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص265؛ حتي، تاريخ سوريا، ص64.

4- حتي، المصدر نفسه، ص64؛ اوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، (د.م:مكتبة النهضة المصرية، 1962م)، 15 – 16.

2 ـ تاريخ سوريا السياسي حتى سنة226م.

بعد وفاة الاسكندر المقدوني سنة323ق.م أُلحقت سوريا في أوّل الأمر بآسيا الصغرى[1]، وكان بطليموس ملك مصر أول الطامعين بسوريا ولاسيّما الجزء الجنوبي منها وهو الإقليم الذي يعرف باسم جوف سوريا(Coel Syria)، ويشمل فلسطين وجنوب سوريا وفينيقيا[2]، وبفضل مساعدة حليفه السلوقي الملك سلوقس الأول تمكن سنة 312ق.م من الاستيلاء على ذلك الإقليم بعد تغلبه على خصمه ديمتريوس بن انتيوخوس الذي كان يتولى ادارته[3] غير إن ميزان القوى مال إلى جانب الملك سلوقس الأول وأصبحت سوريا من نصيبه على أثر الهزيمة التي الحقها بغريمه انتيجونوس في موقعة ابسوس سنة 301ق.م[4] وأصبحت أنتيوخيا التي بناها على نهر العاصي وسماها باسم والده عاصمة حكومة سوريا ومع ذلك تعد سنة 312ق.م ميلاد للدولة السلوقية وبدأ التاريخ السلوقي [5].

1- حتي، تاريخ سوريا، ص260.

2- العبادي، مصطفى، العصر الهللينيستي، (بيروت: 1988م)، ص34؛ فرح، الشرق الأدنى، ص47؛ كان إقليم جوف سوريا من الإقاليم الحيوية بالنسبة لمصر لكونه يتحكم بطرق التجارة التي تأتي من الشرق وتصب في البحر المتوسط، إلى جانب غنى جبال لبنان بالاخشاب اللازمة لبناء الاساطيل البطلمية التي تمكن مصر من إحكام سيادتها على البحر الايجي (نصحي، مصر في عصر البطالمة، ج1، ص28).

3- الحلو، سوريا القديمة، ص682؛ فرح، المصدر نفسه، ص48.

4- العابد، سوريا في عصر السلوقيين، ص52.

5- يعد التقويم السلوقي أهم الانجازات الادارية التي قام بها الملك سلوقس الأول، وقد اتخذ من تاريخ عودته إلى بابل في تشرين الأول سنة 312 ق.م تاريخاً لبدء العمل في التقويم الجديد الذي استمر العمل به في معظم اصقاع الإمبراطورية السلوقية. (الشريف، محمد، التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية، مجلة (دراسات تاريخية)، العدد 85 – 86، (دمشق: 2004م)، ص62 – 63).

وبعد مقتله سنة 280ق.م بدأت الضربات تتلاحق عليها إلى حد وصلت فيه درجة من الضعف والتخاذل كادت أن تنهار معها بعد فقدها للكثير من المناطق[1]، إلّا إنها عادت تقف على قدميها مرة أخرى في عهد الملك انطيوخوس الثالث (223 – 187ق.م) الملقب بـ (الكبير) فبعد قتال مستمر دام عشرين سنة تمكن من إستعادة كل المناطق التي فقدتها إمبراطوريته في عهد أبيه وجده [2].

وأهم الأمور التي تذكر عن الملك انطيوخوس الثالث أنه حدث في عهده أول صدام مع روما فقد أعلنت الاخيرة حربها عليه[3] وتمكنت من الانتصار عليه في

1- إذ أستغل الملك البطلمي بطليموس الثاني موت الملك سلوقس الأول وتمكن من احتلال دمشق فكان ذلك فاتحة لسلسة من الحروب سميت بـ (الحروب السورية) أنهكت قوى الدولتين فأستغلت الأقاليم الخاضعة لنفوذها ولاسيّما الأقاليم الشرقية تلك الظروف فأعلنت انفصالها واستقلالها عن الإمبراطورية ومنها مملكة باكتريا التي أعلنت استقلالها سنة 250ق.م بقيادة ملكها ديودوت الثاني (Diodot II) (256 – 250ق.م) ومملكة الفرثيين التي أعلنت استقلالها سنة 247ق.م بقيادة زعيمها أرشاك الأول (ArshakI) (Bevan,Op.Cit,Vol.1,p.59؛ فرح، الشرق الأدنى، ص121 – 122).

2- حارب انطيوخوس الثالث الفرثيين وتمكن من الاستيلاء على عاصمتهم هيكاتومبيلوس (قومس) سنة209 ق.م واجبر ملكها اردوان الأول (214 – 196ق.م) على الاعتراف بتبعيته للدولة السلوقية (سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص415؛ كرانتوسكي وآخرون، تاريخ إيران، ص133) كما تمكن من استرجاع جنوب سوريا بعد ان الحق هزيمة كبرى بالجيش البطلمي سنة 198ق.م؛

Jouguet,P., Alexander The Great and Hellensti Civilization, (Chicago,1978), p.207;

حتي، تاريخ سوريا، ص265؛ وللتفصيل عن معاركه مع البطالمة انظر: (العابد، سوريا في عصرالسلوقيين، ص108 – 109؛ علي، محاضرات، ص149 – 150؛ 62 - Bevan,Op.Cit,VoI.I,p.p.61).

3- يعود السبب في ذلك إلى أن الملك انطيوخوس الثالث أستغل فرصة انشغال ملك مقدونيا فيليب الخامس (222 – 179ق.م) بحروبه مع الرومان، فأستولى على آسيا الصغرى وأجزاء من تراقيا سنة 167ق.م الامر الذي اثار مخاوف الرومان وساورهم الشك في أن يكون عمله هذا مقدمة لغزو روما نفسها بمساعدة حليفه فيليب الخامس، لذلك انذروه بوجوب التخلي عن الممتلكات البطلمية والمقدونية التي أستولى عليها واتخذوا من رفض الملك السلوقي انطيوخوس الثالث لذلك الإنذار إلى جانب إيواء الأخير إلى القائد القرطاجي هانيبال الذي حرضه على محاربة الرومان ذريعةً لحربه (العابد، سوريا في عصر السلوقيين، ص110 – 115؛ فرح، الشرق الأدنى، ص142 – 144).

معركة مغنيسيا سنة 190ق.م فقد بعدها كل مناطق آسيا الصغرى[1] رغم هذه الهزائم التي انعكست نتائجها السلبية على سوريا فقد بقيت المملكة على شيء من القوة والتماسك إلى درجة تمكن الملك السلوقي انطيوخوس الرابع (175 - 164ق.م) من الاستيلاء على مصر سنة 169ق.م ومحاصرة الاسكندرية نفسها ولم يخرج منها إلا بتدخل الرومان [2].

كان عهد الملك انطيوخوس الرابع آخر مراحل الازدهار والقوة في تاريخ الإمبراطورية السلوقية وبوفاته ابتدأت حقبة طويلة من التدهور استمرت مئة سنة حتى السيطرة الرومانية على سوريا سنة64ق.م لم تعرف البلاد فيها شيئاً من الاستقرار، فقد تفاقمت الكوارث عليها وأصبحت سلطتهم في سوريا مهددة بالزوال[3]

وخلال الاثنتي عشرة سنة بين عامي 96 - 84ق.م تعاقب على عرش سوريا ستة ملوك من السلوقيين[4] بل حدث في مرتين متتاليتين أنّ كان هناك ملكان يحكمان

1- حتي، تاريخ سوريا، ص266؛ الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، ص249 - 250؛ وللتفصيل انظر: العابد، سوريا في عصر السلوقيين، ص115 - 116.

2- الحلو، سوريا القديمة، ص871؛ وللتفصيل انظر: فرح، الشرق الأدني، ص149 - 151.

3- يعود ذلك إلى عوامل عدة فإلى جانب الإنشقاق الداخلي والنزاع العائلي والصراع مع بطالمة مصر والتدخل الروماني وغارات الفرثيين في الشرق، تعرضت الدولة لمتاعب جمة من جانب الأرمن في الشمال الذين أعلنوا انفصالهم عن الإمبراطورية سنة90ق.م، واليهود في أرض يهوذا بفلسطين، ونحو سنة130ق.م قامت وبتأييد من الفرثيين مملكة اسروهين في الرها ومملكة أخرى في حمص كذلك نشأت دول أخرى على أيدي الايتوريين في البقاع جنوب سوريا (حجل، بدري، سوريا وتاريخها الحضاري، (د.م: دار الفكر للأبحاث والنشر: 2005م)، ص173 - 174؛ واكيم، سليم، إيران والعرب " العلاقات العربية - الإيرانية عبر التاريخ "، (بيروت: 1967م)، ص40 - 41؛ كسواني، جوريا حنا، الادارة والتنظيمات الادارية الرومانية في سورية (64ق.م - 305م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2005م)، ص10 - 11).

4- هم سلوقس السادس ابيفانس (96 - 93ق.م)، انطيوخوس العاشر يوسيبوس (94 - 92ق.م)، انطيوخوس الحادي عشر (95 - 94ق.م)، فيليب الأول فيلادلفوس (92 - 83ق.م)، ديمتريوس الثالث تيوس (95 - 88ق.م) انظر: (حتي، تاريخ سوريا، ص274).

في وقت واحد[1]، حتى أنّ أهالي سوريا ضاقوا ذرعاً بتلك الفوضى والصراعات العائلية التي أنهكتهم وأثقلت كواهلهم فرفضوا إطاعتهم وتطلعوا إلى خلاص بلادهم منهم، وقد وجدوا في ملك أرمينيا تيكران الثاني الملاذ الآمن لما هم فيه ولذلك سلموا انفسهم وبلادهم له سنة 83ق.م وظل يحكمها حتى سنة 69ق.م [2].

وبعد انسحاب ملك أرمينيا عادت الفوضى إلى سوريا حيث ظهر العديد من المطالبين بالعرش السلوقي وفي عام 64ق.م وصل إلى سوريا القائد الروماني بومبي(70 – 55ق.م) وأدرك على الفور إنّ أبناء البيت السلوقي غير جديرين بالحكم، كما شجعه موقع سوريا الاستراتيجي وغناها بالموارد البشرية والاقتصادية على التوجه نحوها، ومن ناحية اخرى فإنّ السوريين وجدوا إنّ القبول بالحكم الروماني أفضل من العودة إلى دوامة الصراع الأسري فحرضوا بومبي على أنّ يضع حداً للحكم السلوقي ويقال إنّهم دفعوا له مبلغاً من المال من أجل هذا الغرض فاستجاب لهم بومبي وقرر سنة 64ق.م تحويل سوريا إلى ولاية رومانية[3].

وهكذا توارت الدولة السلوقية من على مسرح التاريخ واختفت في زاوية النسيان.

ومنذ بداية عهد السيطرة الرومانية عُدّت سوريا مقاطعة ذات أهمية متميزة عن كل الأقاليم الاخرى فإلى جانب موقعها الاستراتيجي واقتصادها الغني كانت الولاية المواجهة للدولة الفرثية في الشرق أكبر وأخطر خصم للرومان في آسيا، ونظراً لأهميتها تلك فقد خضعت إدارتها للحكم المباشر من جانب والي روماني بدرجة

1- هما فيليب الأول فيلادلفوس وانطيوخوس الخامس يوسيبوس (حتي، تاريخ سوريا، ص271 – 273).

2- علي، محاضرات، ص222؛ الحلو، سوريا القديمة، ص912؛ الناصري، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى، ص272.

3- Gilman,Arthur.,The story of Rome from the Earliest Times to the End of the Republic,http://WWW.blackmask.com,p.72;Bevan,Op.Cit,VoI.I,p.267.

قنصل سابق (بروقنصل)(ProConsul)[1] كان يختار من أبرز الشخصيات وله في سوريا صلاحيات القنصل نفسه كتجنيد الجيوش واعلان الحرب، وكان أول حاكم من هذا النوع اولوس جابينيوس(Aulus Gabinius) (57 – 55ق.م) [2] الذي قام ببعض الاجراءات لانعاش الاقتصاد في سوريا [3] كما اخذ يتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الفرثية، حيث قام بتأييد أحد المطالبين بالعرش ضد الملك الفرثي ارد الأول (56 – 37ق.م) إلا أنّه لم يقدم له الدعم العسكري المباشر [4].

بعد جابينيوس جاء ليكينيوس كراسوس[5] (Licinius Carssus) (55 – 53ق.م) وهذا الحاكم كان يرغب في الحصول على مجد عسكري وتخليد تاريخي يوازي

1- اول ما ظهر نظام القناصل في روما حوالي 509ق.م حيث كان ينتخب قنصلان لمدة سنة واحدة، وكانت لهما صلاحيات كاملة عسكرية ومدنية وقضائية والإشراف على الانتخابات والمجالس (الحلو، سوريا القديمة، صق918 هامش (4)؛ حاطوم، نور الدين، موجز تاريخ الحضارة، (دمشق: جامعة دمشق، 1964م)، ج1، ص556).

2- Millar,F.,The Roman Near East 31B.C - 337A.D, Second Edition,(Harvard, 1994) , p.27;

3- يذكر عنه إنه وقف بوجه جباة الضرائب وحاول إعادة الحقوق لإصحابها المحرومين منها، فتوترت العلاقة بينه وبين ملتزمي الضرائب الذين كبح جماحهم من خلال إعفائه مدناً بأكملها من الضرائب مثل مدينة صور، كما قام بإعادة بناء جملة من المدن في فلسطين كانت قد هدمها المكابيون. للتفصيل انظر:
(Dobias, Josef., Histoire de la province Romaine de Syria, (Praha,1924), p.553; Bowersock, Gelen., Studies on the Eastrn Roman Empire, (Goldbach ,1994), p.p.196 - 170).

4- علي، التاريخ الروماني، ص214، ويذكر إن جابينيوس شجع مهرداد الثالث ضد اخيه ارد الأول اللذان تنازعا على العرش عقب وفاة والدهما فرهاد الثالث (69 – 60ق.م) (سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص467؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص234).

5- ليكينيوس كراسوس: عرف بطمعه وكان يلقب بـ (الغني السمين) ووصف بانه انتهازي يتبع أي وسيلة توصله إلى تحقيق مآربه، أشتهر بقضائه على ثورة العبيد في إيطاليا بقيادة سبارتاكوس سنة 73ق.م، انتخب سنة 70ق.م قنصلاً مشاركاً للقائد بومبي، وفي سنة 60ق.م شكل مع بومبي ويوليوس قيصر حكومة ثلاثية (الاحمد، تاريخ الرومان، ص102 – 105؛ صبري، مصطفى، تاريخ الرومان، (مصر: مطبعة المحروسة، د.ت)، ص117؛ شيفمان، أ. ش، المجتمع السوري القديم، ترجمة: احسان اسحاق، (دمشق: مؤسسة الوحدة، د.ت)،ص48)

ماحصل عليه القائد بومبي[1] ولذلك جعل من سوريا قاعدة مهمة لعملياته العسكرية ضد الدولة الفرثية التي بدأها سنة 54ق.م، إلا أنّه في حملته الثانية التي قادها ضدهم سنة 53ق.م لاقى هزيمة كبيرة في مدينة كرها[2] (Carrhae) (حران) حيث تمزق جيشه وأُبيد اكثرهم، أمّا هو فقد قتل وقطع رأسه وأرسل إلى الملك الفرثي ارد الأول (55 – 37 ق.م)، ويقال إنّه سكب ذهباً مصهوراً في فمه وهو يقول " اشبع نفسك الآن بما لم تشبع منه في حياتك " [3].

وعلى الرغم من أنّ الفرثيين لم يهاجموا ولاية سوريا عقب ذلك الانتصار مباشرة، إلاّ انّهم لم يتخلوا عن فكرة الاستيلاء عليها لأنّ ذلك الاستيلاء يكفل لهم السيطرة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ومناطق غرب آسيا، ولذلك استغل الملك الفرثي ارد الأول الفوضى والتخبط السياسي الذي كانت تعيشه سوريا بسبب النزاع على الحكم بين الأباطرة انطونيوس واغسطس وأرسل لغزوها ابنه باكروس سنة40ق.م فتمكن الأخير من الاستيلاء عليها بعد أنّ قتل حاكمها ديكيديوس ساكسا(Decidus Saxa) (41 – 40ق.م) كما أستولى على فلسطين[4].

1- رجبي، هزاره هاى كم شده، ج4، ص91؛ كالج، اشكانيان، ص36؛ كوتشميد، تاريخ إيران، ص143؛ لويد، سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الان)، ترجمة: طه باقر وبشير فرنسيس، (القاهرة: 1948م)، ص149.

2- كرها (حران): قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها مسافة يوم، وكانت منازل الصابئة الحرانيين (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص210، 226؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص389).

3- Plutarch, Crassus, ch.20 - 22; Tarn,W., Parthia,in The Cambridge Ancient History, (Cambridge,1951), p.p.607 - 609; Robinson, Op.Cit, Part.1, p.p.197 - 198;

برويز، عباس، دو سنه اربا ونصد ساله ايران، جلد اول " از قديم ترين ازمنة تاريخي تاشكيل سلسلة طاهريان، (تهران: جاب علي اكبر علمي، د.ت)، ص149.

4- Rey Coquais, J.P., Syrie Romaine de Pompee a Diocletien, Journal of Roman Studies, 68, (London,1978), p.62; Ghrishman,Op.Cit, p.253;

سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص483.

ويذكر إنّ السوريين نعموا بالرخاء خلال حكم الأمير باكروس الذي استمر سنة واحدة (40 – 39ق.م) لعدالته ولأنه خلصهم من الاضطرابات [1].

مما لا شك فيه أن امتداد نفوذ الدولة الفرثية إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط يعني انهم صاروا يشكلون خطراً كبيراً على الرومان، كما أن الاخيرين شعروا أن نفوذهم في الشرق أصبح مهدداً بالضياع ولذلك سارع القائد انطونيوس إلى تسوية مشاكله في الغرب والتوجه مرة أخرى نحو الشرق سنة39ق.م[2]، وقد عهد بولاية سوريا إلى قائده فنتيديوس باسوس(Ventidius Bassus) (39 – 38ق.م) وأوكل اليه مهمة طرد الفرثيين منها[3] وقد نجح ذلك القائد في مهمته تلك سنة 38ق.م[4]، ومع إن القائد انطونيوس تمكن من استعادة سوريا إلى السيطرة الرومانية إلاّ إنّه منحها سنة 37ق.م كهدية لزواجه من الملكة كليوباترا السابعة آخر ملوك السلالة البطلمية في مصر[5]، فكان ذلك سبباً في إستياء منافسه في الحكم اغسطس فوصفه بالخائن لتفريطه بممتلكات الشعب الروماني، ولقي تصريحه قبول وتأييد مجلس الشيوخ الروماني الذي أغضبه منح ولايات

1- Dawney,G.,The Persian Campaign in Syria In 540 A.D,(Speculum,1953), p.p.159 - 160.

2- فرح، الشرق الأدنى، ص352.

3- Rey Caqais,Op.Cit,p.62;Robinson,Op.Cit,part.I1,p.228;
سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص484؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص242؛ شيفمان، المجتمع السوري، ص52.

4- حيث جرت بين الطرفين معركة شمال سوريا قتل فيها الامير الفرثي باكروس، ويقال إن تلك المعركة حدثت في الذكرى السنوية لمعركة حران التي إنهزم فيها الرومان
Smith,Op.Cit,P.314;Ghrishman,Op.Cit,p.254;
كوتشميد، تاريخ إيران، ص156 – 161؛ مشكور، محمد جواد، إيران در عهد باستان، جاب جهارم، (طهران: 1363ش)، ص338 – 339؛ برويز، دو سنه اربا ونصد ساله ايران، ص150).

5- Plutarch,Antonius,ch.50;Mattingly,Op.Cit,p.357
علي، كليوباترا، ص64 – 65؛ العبادي، مصر من الاسكندر، ص69 – 100.

الإمبراطورية الشرقية لملكة اجنبية[1] ومهما يكن الأمر فإنّ الحرب الاهلية تلك حسمت نتيجتها في الأول من آب سنة30ق.م في معركة اكتيوم البحرية لصالح اغسطس حيث أصبحت مصر منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية [2].

انفرد اغسطس عقب تلك المعركة بحكم الدولة الرومانية، وسمي عهده عهد السلام الاوغسطي (Pax Auyusta) لما قام به من اصلاحات سياسية وادارية حيث قام بتقسيم الولايات التابعة للإمبراطورية الرومانية إلى نوعين سناتورية وإمبراطورية، وكانت سوريا من الولايات الإمبراطورية وذلك لأهميتها الاستراتيجية [3]، وهذا يعني إنّها أصبحت خاضعة لإشراف الإمبراطور المباشر.

وفيما يتعلق بموقف الرومان من الدولة الفرثية في عصر اغسطس، فان الدولة الرومانية حرصت على عدم الدخول في مواجهة مع الفرثيين، وحرص هؤلاء من ناحيتهم على إظهار حسن النية تجاه الرومان [4] فعقدوا معاهدة فيما بينهما سنة 20ق.م أعيدت بموجب شروطها الأعلام الرومانية والأسرى الذين

1- كرانت، مايكل،كليوبطرة ملكة مصرية، (بيروت:مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،د.ت)، 94؛ السير ريد،هيجارد،كليوباترا ملكة مصر،ترجمة: م. ع. ج،(رواية نشرت في جريدة الاهرام، د.ت)،ص70؛ الخليلي،بشرى عناد محمد، كليوباترا السابعة " السيرة الذاتية والانجازات السياسية 51 – 30ق.م "، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد – كلية الاداب: 2008م)، ص135 – 142.

2- القاضي، عبد الواحد اسماعيل، تاريخ الثورات المصرية، (د.م، د.ت)،ج1، ص216؛ حسين، محمد عواد، المسألة المصرية في السياسة الرومانية، حوليات اداب عين الشمس، مج4، (مصر: 1965م)، ص24 – 39؛ وللتفصيل عن معركة اكتيوم انظر: نافتالي، الحياة العامة في مصر، ص17؛

Griffiths,Op.Cit,P.113;Grant,Op.Cit,P.202.

3- رستوفتزف، م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة: زكي علي و محمد سالم سليم، (القاهرة: م1957)، ص80 – 85؛ داوني، جلانفيل، انطاكيا القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، (القاهرة:1967م)، ص109.

4- فرح، الشرق الأدنى، ص354، يذكر (هاملتون) إن الحكمة التي كان الإمبراطور اغسطس يؤمن بها هي (الاحتفاظ بالإمبراطورية ضمن حدودها) (أديث، الاسلوب الروماني في الادب والفن والحياة، ترجمة: حنا عبود، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1997م)، ص235.

وقعوا في أيدي الفرثيين خلال حملتي كراسوس وانطونيوس، وفي المقابل حرص اغسطس على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الفرثية، وهكذا وصل الطرفان إلى حالة من التعايش السلمي (Modus Viviend) [1] وعادت سوريا إلى قوتها وأزدهارها حيث تناوب على حكمها سلسلة من الأباطرة الرومان الأقوياء ذوي الإدارة الحازمة عملوا على النهوض بها اقتصادياً طمعاً في الحصول على مقدراتها الاقتصادية المتنوعة على اعتبار إن السياسة ترتكز بشكل كبير على دعائم الثروات الاقتصادية [2].

وبعد مرور ما يقارب مئة واثنين وثمانين سنة على المعاهدة التي عقدت بين الرومان والفرثيين (20ق.م - 162م) جدد الأخيرين هجماتهم على سوريا حيث تولى عرش الدولة الفرثية الملك بلاش الثالث (148 - 191م) وقد تمكن من توحيد كلمة الفرثيين على محاربة الرومان وإعادة أمجاد الدولة الاخمينية والسيطرة على سوريا وموانيء البحر المتوسط [3]، فعبرت قواته سنة 162م نهر الفرات غرباً باتجاه سوريا وأجبرت حاكمها الروماني انتيدوس كورنيليانوس (Anttidius Cornelianus) (156 - 162م) على التقهقر والهرب أمامها وبدأت تعيث خراباً في البلاد [4] ولم يتمكن الرومان من طردهم منها الا سنة 164م بقيادة القائد الروماني الذي أصبح حاكماً على

1- دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص245؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص167؛ كالج، اشكانيان، ص41؛ فرح، المصدر نفسه، ص354

2- للتفصيل عن إدارة سوريا والتنظيمات الادارية من عهد الإمبراطور اغسطس حتى نهاية عهد الاباطرة الصالحين انظر: (كسواني، التنظيمات الادارية، ص75 - 136).

3- رجبي،هزار هاي كم شدة،ج4، ص139؛مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص720.

4- Marceilinus,Ammianus.,Rerum Gestarum Libri,http://WWW ammianus info/ Vertaling,Book. XX111,ch.6;

يني، جورج افندي، تاريخ سوريا، (بيروت: المطبعة الادبية، 1881م)، ص178؛ برويز، دو سنه اربا ونصد ساله ايران، ص161.

سوريا فيما بعد[1] افيديوس كاسيوس (Avidius Cassius)، ولم يجرؤ الفرثيين بعد ذلك على مهاجمة سوريا حتى نهاية دولتهم سنة 226م [2].

3- محاولة اردشير الاستيلاء على سوريا (230 - 232م).

في عهد الإمبراطور الاسكندر سيفيروس[3] (222 – 235م) شهد الشرق الادنى القديم تطوراً مهماً، يتمثل في سقوط الدولة الفرثية وقيام الأسرة الساسانية بالسيطرة على مقاليد الحكم في بلاد فارس وقد إزداد في ظل هذه الاسرة التعصب للقومية الفارسية وأخذ الساسانيون يتزعمهم اردشير بن بابك يحلمون في إعادة أمجاد أجدادهم الاخمينيين، ومن ثم فأنه أي – اردشير – وبعد أنّ فرغ من توطيد عرشه في الداخل عبر سنة 228م الفرات باتجاه الغرب لأستعادة ما أستولى عليه الرومان من أرض الإمبراطورية في عهد الفرثيين[4] وفي سنة 230م حاصر مدينة نيسيبيس وتوغل في الأراضي السورية حيث وصل إلى العاصمة أنتيوخيا فأصيب الاسكندر ووالدته

1- وذلك خلال السنوات (166 – 175م)

2- Dio,Op.Cit,bk.LXX1,ch.2;Robinson,Op.Cit,Part.11,p.383;
شوشتري، عباس بور محمد علي، إيران نامة يا بهره دوم از كارنامة إيرانيان در عصر اشكانيان، (تهران: جابخانة ملي إيران، 1321ش)، ج3، ص140؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص192 – 193؛ كوتشميد، تاريخ إيران، ص219 – 220.

3- الاسكندر سيفيروس: اسمه الكسيانوس باسيانوس وهو أبن خالة الإمبراطور ايلاجبالوس (Elagabalus) (218 – 222م) تولى الحكم وعمره أربع عشرة سنة ولهذا وقع تحت تأثير جدته جوليا ميزا (Julia Musea) وأمه جوليا مامايا (Julia Mamaea) وبعد وفاة الأولى سنة 226م ادارت الثانية معه الإمبراطورية طول مدة حكمه وقد ربته على إطاعتها طاعة عمياء فكان عهده يمثل سياسة الحكم السوري الانثوي المطلق في حكم الإمبراطورية؛
(Bochier,E.S.,Syria As a Roman province,(New York,1926),p.103;
الاحمد، تاريخ الرومان، ص225؛ جاويد، ميسون مدحت، ولاية سوريا الرومانية منذ عهد الأسرة السيفيرية حتى عهد دقلديانوس، إطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة عين شمس: كلية الاداب، 2005م)، ص56 – 57.

4- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص537؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص223؛ أبو مغلي، إيران، ص140.

التي كانت معه في أنتيوخيا بالذعر حالما سمعا النبأ[1] ومما يجدر ذكره إنَ الإمبراطور الاسكندر سيفيروس ووالدته كانا محبان للسلام، فقد أهتم بأصلاح الجهاز الاداري لما إعتراه من الفساد وعين موظفيين مدنيين في وظائف الدولة بدلاً من العسكريين، ودافع عن الضعفاء والفقراء، وأنقص الترف في البلاط، وخفف الضرائب وفرض مبادئ المساواة بين جميع السكان وأخضع الإمبراطور نفسه للقانون[2]، ويذكر (جيبون) إنّ قصره كان مفتوحاً لجميع رعاياه، وإنه كان هناك منادياً يقول "مرحباً ومحذراً لايدخلن أحدكم هذه الابواب المقدسة إلاّ وهو مطمئن إلى طهارة عقله وبراءته"[3].

وبسبب كونه محباً للسلام فقد حاول الابتعاد عن الحرب وذلك مستفاد من الرسالة التي أرسلها إلى الملك الساساني اردشير وحاول فيها أن يثنيه عن عزمه ومذكراً إياه فيها بالهزائم التي أصيب بها الفرثيون على يد الإمبراطور الروماني تراجان والإمبراطور سيبتيموس سيفيروس يقول فيها "... لاتقم بهذا العمل فتصبح سبباً في ثورة آسيا، وستدخل في حروب كبيرة، وليكن معلوماً لديك بأنّ القتال مع الرومان يصبح غير القتال مع القبائل المتوحشة مثل قبيلتك ومن الضروري أن يخطر على بالك انتصارات تراجان وسبتميوس سفيروس " [4].

ويبدو إنّ الملك اردشير أراد أن يبث الرعب والخوف في قلب عدوه ويبين له كثرة الجيش الساساني وما يتمتع به من مقدرة عسكرية من حيث الإعداد والتدريب،

1- Dio, Op.Cit, Vol.V, bk.76, ch.9; Bochier, Op.Cit, p.p.103 - 104; Robinson, Op.Cit, Part.11,p.396.

2- Dawney,Op.Cit,p.251;
حتي، تاريخ سوريا، ص381 – 382؛ حاتم، نور، الذكريات السورية في روما، مجلة (الحوليات الاثرية العربية السورية)، مج11 – 12، (دمشق: 1961 – 1962م)، ص169.

3- اضمحلال، ج1، ص203.

4- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص538؛ دريايي، تورج، شاهنشاهي ساساني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: انتشارات ققنوس، 1383ش)، ص13.

فارسل إليه رده برسالة مع وفد يتكون من أربعمئة فارس بكامل قيافتهم الحربية[1] يقول له فيها " إنّ ما يمتلكه الرومان في آسيا هو إرث لي ويجب على الرومان الاكتفاء بأوربا والانسحاب من آسيا وبلاد الشام"[2] فأثار تمادي الملك اردشير غضب الإمبراطور الاسكندر وأمر بالقبض على الرسل واعتبارهم أسرى حرب[3] وأمر بتجميع الجيوش من كافة أنحاء ولايات الإمبراطورية وأتخذ من أنتيوخيا مركزاً لحشد قواته وممارسة تدريباتهم الحربية [4].

وفي سنة 231م توجه الاسكندر بجيوشه لأستعادة الأراضي التي سيطر عليها الملك الساساني اردشير، وانطوت خطته على تقسيم جيشه إلى ثلاثة اقسام أرسل القسم الأول منه إلى الشمال وأوكل اليه مهمة مساعدة حليفه ملك أرمينيا الفرثي خسروف الثاني في هجومه على اتروباتين، وأرسل القسم الثاني إلى الجنوب لمهاجمة اقليم فارس أما القسم الثالث فقد تولى قيادته بنفسه وتوجه به لحماية حدود ولاية سوريا[5].

وقد استفاد اردشير من الصلة المنقطعة بين هذه الجيوش فتمكن من هزيمة الجيش الثاني (القسم الجنوبي) وأبادة كل قواته[6] أما الإمبراطور الاسكندر فقد تمكن سنة 232م من إستعادة نيسيبيس وأجبر الجيوش الساسانية على الانسحاب من الأراضي السورية التي غزتها وحاصرتها [7] في الوقت الذي كان فيه الملك اردشير

1- زرين كوب، تاريخ مردم، ص420؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص769.

2- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص538؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص223.

3- سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص538.

4- Dio,Op.Cit,Vol.V,bk.76,ch.9;Bouchier,Op.Cit,p.105.

5- Dio,Op.Cit,Vol.V,bk.76,ch.10;

سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص538 – 539؛ رازي همداني، تاريخ مفصل إيران، ص56 – 57.

6- الاحمد، تاريخ الرومان، ص140؛ أبو مغلي، إيران، ص140.

7- حاتم، الذكريات السورية، ص170ويذكر إن الاسكندر عاد إلى روما في نهاية سنة 233م ليحتفل بانتصاره على الساسانيين (فرح، الشرق الأدنى، ص369).

منشغلاً بمحاربة ملك أرمينيا، ومهما يكن فإن تفشي المرض بين صفوف الجيش الروماني نتيجة الحر الشديد دفعت الإمبراطور الاسكندر الذي كان فيما بعد من ضحاياه[1] إلى عقد الصلح مع الساسانيين سنة 232م استمر أربع سنوات تنازل بموجبه عن أرمينيا التي ظل ملكها يقاوم اردشير بمفرده [2].

4 ـ أوضاع الدولة الرومانية خلال المدة (235 ـ 284م).

تغير ميزان القوى بعد مقتل الإمبراطور الاسكندر سيفيروس وبدأ الضعف يتغلغل في صفوف الحاميات الرومانية نتيجة الاضطرابات التي أصابت العرش الإمبراطوري وهلهلت بقدوم أزمة طاحنة استمرت نصف قرن (235 – 284م) كانت من أسوأ الفترات التي مرت بها روما قاطبةً، أطلق عليها الباحثون المحدثون بـ(ازمة القرن الثالث) أو (الفوضى العسكرية) وقد شملت جميع أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ووضعت الأطر العامة للقضاء على مجد الإمبراطورية الرومانية ومكانتها العالمية[3].

أولاً: الحالة الاقتصادية: ـ

رافقت حروب الدولة الرومانية واتساع أملاكها في أيامها الأولى تدفق الثروات الهائلة عليها وكان لذلك أثره في ميل الطبقة الأرستقراطية إلى الترف

1 – تورتون، جود، اميرات سوريات حكمن روما، ترجمة: خالد سعد عيسى، (دمشق: 1987م)، ص34.

2 – سايكس، تاريخ إيران، ص539؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص226.

3 – عاقل، نبيه، الإمبراطورية البيزنطية (دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري)، (دمشق: 1969م)، ص9؛ موس، هـ، سانت ل. ب، ميلاد العصور الوسطى 395 – 814م، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: السيد الباز العريني، (القاهرة: عالم الكتب، 1967م)، ص17؛ الحويري، محمود محمد، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، (القاهرة: دار المعارف، 1995م)، ص24.

والرفاهية والتطلع إلى الكماليات والتنافس في ما بينها للإستحواذ على أكبر قدر ممكن من معدني الذهب والفضة الذين ظهرا على شكل حلي وأواني وغيرها من أدوات الزينة مما أدى إلى قلة تداول هذين المعدنين في الأسواق وبقي الحال كذلك حتى بعد توقف عمليات التوسع الروماني في القرن الثالث الميلادي ولم تحاول الطبقة الحاكمة إيجاد مصادر جديدة للمعادن الثمينة تحل محل المصادر المألوفة في أيام الإمبراطورية الأولى [1]، فالمحافظة على حدودها ضد هجمات القبائل الجرمانية حملها ما لا تطيق من نفقات باهظة ألقت على كاهل الخزينة عبئاً كبيراً، إلى جانب ذلك إنغماس الأباطرة الرومان باللذات وميلهم إلى الإسراف الشديد وما ضمته قصورهم الضخمة من أعداد هائلة من الخدم والموظفين والحراس، وما يتطلبه الجيش من نفقات وانتشار الرشوة والفساد وثقل الضرائب التي فرضت على أهالي الولايات التابعة للإمبراطورية وأعباء الحروب الأهلية كل ذلك كان سبباً في أن تعاني الإمبراطورية من أزمة مالية حادة إبان القرن الثالث الميلادي فلحق الضرر بالتجارة وتوقفت مسيرة الأساطيل التجارية الرومانية في مياه البحر المتوسط الذي تحول إلى وكراً لقراصنة البحار ولم تخل الطرق البرية من قطاع الطرق واللصوص فتحولت هي الأخرى إلى أطلال غير آمنة[2]، وكان من نتيجة استمرار الأزمة الاقتصادية إنخفاض قيمة العملة النقدية صاحبها أرتفاع كبير في الأسعار مما أدى إلى التضخم وإزاء ذلك لجأ الأهالي إلى ممارسة الأساليب القديمة في معاملاتهم التجارية مثل المقايضة[3].

1- Kent (j.p.C),panter(K.S).,Wealth of the Roman World " Gold and Silver A.D 399 - 700", (British museum , 1977) , p.15;

موس، المصدر نفسه، ص26

2- Hay ,Denis., The medieval Centuries , (London,1974) , p.3.

3- Robinson, Op.Cit,Part.11, p.p. 402 - 404.

وشمل التدهور الاقتصادي الزراعة أيضاً فقد أصاب مساحات كبيرة من الأراضي الجفاف وتعرضت المزارع للتلف والخراب من جراء أنتشار المعسكرات والقلاع والحصون التي كانت تعج بالقوات الحربية، وأصبح من الصعب على ملاك الأراضي القيام بعمليات الإصلاح الزراعي لارتفاع التكاليف وقلة الأموال كما أدى قلة الإنتاج إلى استحالة تحصيل الضرائب من المزارعين الذين فاقت ديونهم قدرتهم على التسديد فكانت المحصلة النهائية تحولهم إلى عبيد[1]، ومما زاد في الطين بلة إن الأزمة الاقتصادية في منتصف القرن الثالث الميلادي قد أمتدت لتشمل المناطق الخاضعة إلى النفوذ الروماني كأسبانيا ومصر[2] اللتين امتنعتا عن إرسال محصول القمح إلى روما [3] إذ لم يعد إنتاجها لذلك المحصول يكفي لسد حاجتها المحلية.

ثانياً ـ الحالة الاجتماعية: ـ

إن المجتمع الروماني مجتمع طبقي تتفاوت فيه الفوارق بشكل واضح، تقف في مقدمة السلم الطبقي الطبقة العليا الارستقراطية صاحبة النفوذ والسلطة والتي كانت تضم العائلات السيناتورية وكبار الموظفين وأصحاب الملكيات الزراعية الواسعة، ومع إن افراد تلك الطبقة معفون من دفع الضرائب إلا إن اضطراب الاحوال السياسية في ذلك القرن أثرت فيهم بشكل واضح، إذ أخذت اعدادهم بالتناقص ونفوذهم يقل ويتضاءل والسبب في ذلك إن الكثير من الأباطرة الذين وصلوا إلى العرش الإمبراطوري تخلصوا من خصومهم السياسين من أعضاء السناتو بالقتل أو بأستبدالهم برجال أقل مقدرة وكفاءة، كما صادروا ممتلكات البعض منهم، تلك

1- Ibid,Part.11,p.p. 402 - 403.

2- العبادي، مصطفى، الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت)، ص148.

3- بكري، الأغريق والرومان، ص316.

التصرفات ملأت قلوب أعضاء السناتو بالحقد والكراهية للحكومة الرومانية فقل ولائهم لها وسرعان ما بدأت تنهار التقاليد القديمة التي حرصوا عليها في الايام الأولى للإمبراطورية [1]، حتى إن الرتبة السيناتورية أصبحت في القرن الرابع الميلادي مجرد لقب شرفي يمن به الإمبراطور على من يشاء من أتباعه والمقربين له [2].

أما الطبقة الوسطى فكانت تمثل عصب الحياة للإمبراطورية الرومانية في القرنين الأول والثاني الميلادي فمنها الزراع والصناع والتجار، إلا إنها في القرن الثالث الميلادي بدأت تنهار تحت وطأة الكوارث الاقتصادية التي ألمت بالإمبراطورية من جهة، وثقل الضرائب التي فرضت عليها من جهة أخرى[3]، وقد أفاد كبار الملاك من الخراب الذي حل بتلك الطبقة فابتاعوهم أراضيهم [4] وتحول بذلك الكثير من صغار الملاك إلى اقنان (Coloni) وصار لزاماً على كل من لديه قطعة من الأرض يتولى زراعتها أن يتعهد بدفع إيجارها نقداً أو عيناً أو خدمة [5] ومضت الحكومة في سياستها الظالمة فحرمت عليهم بيع الأرض أو التنازل عنها، كما منعتهم من ممارسة حرفة أخرى غير الزراعة وأغلقت في وجوههم باب الدخول إلى الجندية، هذه المأساة حولت الطبقة الوسطى التي هي عماد الدولة إلى عبودية ممقوتة كانت واحدة من العوامل الكبرى في هدم كيان الإمبراطورية الرومانية [6].

ولم يكن التجار والصناع وأرباب الحرف بأحسن حال من الزراع ففي نهاية القرن الثالث الميلادي صدر قانون يقتضي بمبدأ الوراثة بين أرباب الحرف فصارت

1- Dawney,Op.Cit, p.p.6 - 7.

2- عبيد، اسحق، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، تقديم: الاب جورج شحاتة قنواتي، (مصر: دار المعارف،1971م)، ص44.

3- Dawney,Op.Cit, p.47.

4- عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص42.

5- Dawney,Op.Cit , p.47.

6- عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص43.

الحرفة بذلك إلزاماً وكادراً طبقياً، وهذا يعني إن أبناء الخباز لابد وأن يستمروا خبازين إلى الأبد، وإن أبناء بائعي اللحوم لابد أن يصبحوا هم قصابين أيضاً، رغبوا في ذلك أم كرهوا[1].

وإذا انتقلنا إلى طبقة العبيد وهي الطبقة التي تمثل قاعدة السلم الاجتماعي الروماني فهؤلاء كانوا يشكلون الأغلبية من سكان إيطاليا وكانوا يعملون في ظروف صعبة وسيئة جعلت حياتهم بائسة، فقد لاقوا العذاب والأضطهاد والقسوة على يد سادتهم الذين اختلفت أهوائهم ومشاربهم فكانوا احياناً يضربون وأحياناً يقتلون [2].

وبشكل عام فان سكان الإمبراطورية خلال القرنين الثاني والثالث قد نقص عددهم إلى حد كبير بسبب المجاعات والأوبئة التي انتشرت آنذاك فضلاً عن إعراض الرومان عن الزواج، بعد أن ساء سلوكهم حتى إن المصنف اميانوس مارسيلينوس (Marceilinus, Ammianus) (325 – 391م) يرى إن جميع المآسي التي تعرضت لها الإمبراطورية، إنما ترجع إلى الفساد والتدهور الخلقي اللذين تغلغلا في جوانبها [3].

ثالثاً - الحالة السياسية: -

من أبرز معالم التاريخ السياسي لهذه الفترة كثرة الانقسامات السياسية والتنازع حول العرش وتدخل الجيش في هذه المنازعات [4] فبعد أن كان قائد الجيش أداة لتنفيذ أوامر الإمبراطور والقوة التي يعتمد عليها في الأيام الأولى للإمبراطورية تغير الوضع

1- Cary,M, and Wilson,John.,Ashorter History of Rome,(London,1963),p.208.
عبيد، المصدر نفسه، ص43 – 44.

2- للتفصيل عن الحالة السيئة التي كان يعيشها العبيد انظر:
Bury,J.B.,A History of the Roman Empire from its Foundation to the death of Marcus Aurelius 27B.C - 180A.D ,(London, 1930) ,p.p.592 - 593.

3- Katz,S.,The Decline of Medieval Europe ,(New York,1955),p.p.70 - 71;
طرخان، ابراهيم، نهاية الإمبراطورية الرومانية في الغرب 476م، مجلة (كلية الاداب)، مج 20، (جامعة القاهرة: 1958م)، ص100 – 101.

4- العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص147.

في القرن الثالث الميلادي [1] إذ تدافع العديد من القادة بهدف الاستيلاء على العرش الإمبراطوري وبدأ التنافس في أوجه، ولم يتمكن خلالها أي إمبراطور تثبيت دعائم حكمه أو تأسيس سلالة حاكمة [2] يسهم أفرادها في استقرار الحكم وتحقيق الازدهار بل على العكس فقد انتشر الفساد وعمت الفوضى داخل صفوف فرق الجيش الذين اخذوا يرفعون من يرغبون به لتولي العرش، ويعتبر ذلك الإمبراطور الجديد شرعياً مادام يمارس السلطة برضى قواته العسكرية، ومغتصب للعرش إذا ما واجه قوة عسكرية معادية يعجز عن القضاء عليها، وكثيراً ما كانت نهاية هؤلاء المتمردين على العرش على يد أحد أفـراد قواتهم العسكرية [3].

وفي ذلك الجو الذي صار فيه إرتقاء العرش الإمبراطوري امراً تتحكم فيه أهواء الجيش فقد مجلس الشيوخ سلطته تماماً وأهمل شأنه وأصبحت مهمته قاصرة على تأييد رغبة الإمبراطور الجالس على العرش، بل إن الموافقة الشكلية التي كان يبديها في تنصيب الأباطرة ضرب بها عرض الحائط، ولم تعد امراً مرغوباً فيه آنذاك[4].

1- الحويري، رؤية، ص22.

2- يذكر إن اطول مدة حكم بلغت سبع سنوات في عهد الإمبراطور فاليريان (253 – 260م) وثماني سنوات خلال عهد ابنه جالينوس (260 – 268م)، وأن ما لايقل عن ثلاثة وعشرين إمبراطوراً ارتقوا عرش الإمبراطورية في تلك الفترة القصيرة قتل الكثير منهم، والقليل من مات على فراشه

Dawney,Op.Cit,p.4;Robinson,Op.Cit,Part.11,p.p.396 - 397;

الحويري، المصدر نفسه، ص24.

3- Brown, Peter., TheWorld of Late Antiquity from Marcus Aurelius to Muhmmed, (London,1972), p.24.

4- Dawney,Op.Cit,p.7

بعد أن انتهت الحروب الاهلية بين انطونيوس واغسطس سنة 30ق.م حرص اغسطس اول الأباطرة على مراعاة قواعد الدستور وسار خلفاؤه على هذا المنوال، فحرصوا على ان يكون ارتقاؤهم إلى منصب الإمبراطورية دستورياً من ناحية الشكل على الاقل، فكان الطامع في العرش يحرص على أن يجمع افراد الحرس الإمبراطوري لكي ينادوا به إمبراطوراً، ويعتبر ذلك تأييد من الشعب لانتخابه، وقد أصبحت مسألة هتاف الحرس الإمبراطوري للإمبراطور هي البقية الوحيدة من مظاهر الدستور القديم (بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، (الدار القومية للطباعة والنشر: د. ت)، ص4 – 5 هامش (1).

ولم يقف الأمر على هذا الحد بل إن الأباطرة العسكريين أحاطوا مناصبهم بهالة من القدسية فكما كان الحال في ممالك الشرق أضاف الإمبراطور على نفسه طابع الإلوهية والقدسية، ووجب على الشعب الروماني أن ينحني له صاغراً [1].

وهذا يعني إن الإمبراطور لم يعد يعتمد في تثبيت حقه في العرش على هتافات التأييد الصاخبة من الحرس الإمبراطوري، بل أصبح نفوذه مستمداً من الحق الإلهي وأصبح سلطانه هبة من السماء.

وهكذا بعد أن كان الإمبراطور في أوائل عصر الإمبراطورية هو الرئيس، أخذ حكمه في القرن الثالث الميلادي يميل إلى الاستبداد وصارت بيده مقاليد الأمور والحل والنهي على اعتبار إن سلطته مستمدة من القوة الالهية [2] فالإمبراطور اورليان (Aurelian) (270 – 275م) عد نفسه سنة270م الهاً وكتب ذلك على نقود أصدرها، وأطلق على نفسه في كتاباته الإله اورليان [3].

ومجمل الفوضى والتدهور الداخلي التي شهدتها الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي أوجزها المؤرخ جونز (Jones) بعبارة بليغة ودقيقة بقوله " لقد ضاع كل شيء " [4].

5- هجوم الملك سابور الأول على سوريا وإستيلائه على أنتيوخيا260م

من أبرز مايميز أنتيوخيا موقعها الذي جعل منها مدينة عالمية أكثر منها عاصمة لسوريا ومقراً للحكم السلوقي ثم الروماني فهي تقع في القسم

1- بينز، المصدر نفسه، ص4.

2- الغمراوي، علي، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، (القاهرة:1975م)، ج1، ص69 – 71؛ الغمراوي، علي، مدخل إلى دراسة التاريخ الاوربي الوسيط، (القاهرة: 1977م)، ص191.

3- الاحمد، تاريخ الرومان، ص232 – 233.

4- A.H.M.,The Later Roman Empire 284 - 602 "A social Economic and Administrative Survey", (Oxford,1946), Vol.1,p.23.

الشمالي الغربي من سوريا على نهر العاصي عند الطرف الجنوبي لسهل العمق أو البقاع[1].

هذا الموقع جعل منها معبراً تجارياً هاماً ومركزاً تتقاطع فيه طرق القوافل التجارية الذاهبة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وقد هيأت الظروف الجغرافية أن يكون سهل العمق أحد المعابر الاساسية في طرق المواصلات الحربية والاقتصادية في القسم الشمالي الغربي من ذلك الإقليم، فكل حركة للتجارة والانتقال بين القسمين الجنوبي من آسيا الصغرى والساحلي أو الغربي من سوريا وفلسطين، وكذلك بين القسم الشمالي من العراق والبحر المتوسط كان يجب أن تمر من هذا السهل، وهكذا أصبحت أنتيوخيا ممراً للجيوش الحربية ومقراً هاماً للتجارة بين الشرق والغرب ومركزاً للمواصلات البرية والبحرية[2]، تلك الأهمية دفعت الملك الساساني سابور الأول إلى بذل محاولات عدة للاستيلاء عليها مستغلاً تردي الوضع الداخلي للدولة الرومانية والمتمثل بكثرة حركات العصيان التي قام بها الجيش والتنافس بين القادة على منصب الإمبراطور التي بدأت عقب وفاة الإمبراطور الاسكندر سيفيروس سنة235م[3]، فهاجم سنة 241م مدينة نسيبيس وتمكن من

1- سهل العمق: منخفض في شمالي سورية بين السلسلستين الشرقية والغربية يرويه العاصي وفيه بحر العمق، ويسمى البقاع في لبنان (معلوف، المنجد، ص380).

2- العابد، سوريا في عصر السلوقيين، ص324؛ حتي، تاريخ سوريا، ص276.

3- بعد أن قتل الجند الاسكندر سيفيروس سنة 235م نصبوا بدلاً عنه قائدهم غايوس ماكسيمينوس (Maximinus) إمبراطوراً (235 – 238م) وقد وصفت سنوات حكمه الثلاث بأنها سنوات رعب وارهاب لسياسته السيئة ولاسيّما مع الجيش الذي عزله ونصب بدلاً عنه الإمبراطور غورديان الأول (GordianI) (238م) وكان في الثمانين من عمره فاشرك معه أبنه واسمه غورديان أيضاً في الحكم، غير إن حكمهما لم يستمر أكثر من شهرين فنصب مجلس الشيوخ الروماني اثنين من أعضائه هما كلوديوس بوبينوس (Pupienus) وكيليوس بلبينوس (Balpinus) إمبراطورين شريكين بيد الأول السلطة المدنية والثاني العسكرية، غير إنهما ما لبثا أن قتلا أيضاً فتولى الحكم غورديان الثالث (Gordian III) (238 – 244م) (الاحمد، تاريخ الرومان، ص227 – 228؛ Cary& Litt,op.Cit,p.p.396 - 497).

الاستيلاء عليها وتهديم أسوارها ثم وأصل تقدمه بأتجاه سوريا وتمكن من التوغل في عاصمتها أنتيوخيا [1]، ولم يتمكن الإمبراطور الروماني غورديان الثالث (Gordian III) (238 – 244م) من إخراجه منها إلا في السنة التالية أي 242م بعد أن جهز جيشه لهذا الغرض [2] ساعده في قيادته القائد الكفوء فوريسوس تيميسيثيوس الذي كان يتولى مهمة الوصاية على الإمبراطور غورديان الثالث عندما تسلم الأخير العرش الإمبراطوري وهو في سن الثلاثة عشر من عمره [3].

واصل الجيش الروماني تقدمه فعبر نهر الفرات وأستولى على نيسيبيس ثم عبر نهر دجلة وحاصر طيسفون[4] وأوشك على الاستيلاء عليها غير إن وفاة قائده ثيميسيثيوس حال دون ذلك[5].

في تلك الآونة ارتبط الإمبراطور غورديان الثالث بعلاقة وطيدة مع ماركوس يوليوس فليبيوس(Marcus Julius Philippus) (فيليب العربي) وهو ابن شيخ عربي من سوريا وأخذت مكانته تزداد لدى الإمبراطور فعينه قائداً للحرس البريتوري، ولم يلبث أن أشركه معه في الحكم غير إن فيليب لم يقنع بهذه المكانة فدبر مؤامرة أودت بحياة الإمبراطور سنة 244م وتمكن من إعتلاء العرش بدلاً عنه[6].

ويبدو إنه كان ميالاً إلى السلام ولذلك كان العمل الأول له هو توقيع معاهدة صلح سنة 244م مع الملك سابور الأول تنازل بموجبها عن حقوق

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص544 – 545؛ زرين كوب، روزكاران، ص193.
2- فرح، الشرق الأدني، ص369؛ زرين كوب، المصدر نفسه، ص193.
3- الاحمد، تاريخ الرومان، ص228؛ الناصري، تاريخ وحضارة الشرق الأدني، ص292.
4- بيرنيا، تاريخ إيران، ص226؛ فرح، الشرق الأدني، ص369.
5- ولم تذكر المصادر تاريخ ذلك. سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص545؛ بيرنيا، المصدر نفسه، ص226؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ الناصري، تاريخ وحضارة الشرق الأدني، ص292.
6- Ghirshman,Op.Cit,p.292;
الاحمد، تاريخ الرومان، ص228؛ الحاج حمدان، الإمبراطور الروماني فيليب العربي، ص90.

الرومان في أرمينيا كما التزم بدفع غرامة حربية قدرتها المصادر بـ(500000ألف دينار) [1].

ومع إن تلك المعاهدة نصت على اطلاق يد الساسانيين في أرمينيا إلاّ أنّ الملك سابور الأول غض الطرف عن مهاجمتها واكتفى بتدبير مؤامرة قتل فيها ملكها خسروف الثاني سنة250م[2]، وانشغل خلال المدة 250 – 252م بتقوية حدود دولته من الناحية الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية[3].

وفي سنة 252م فرَّ الامير تيرداد الثالث بن ملك أرمينيا خسروف الثاني إلى روما وطلب من الإمبراطور فاليريان (253 – 260م) مساعدته في إستعادة عرش ابيه، فلبى الاخير طلبه لأنه وجد في ذلك فرصة مناسبة لإستعادة هيبة الرومان التي اذلها فيليب العربي فامتنع عن دفع الغرامة الحربية التي نصت عليها معاهدة سنة 244م[4]، ومن المؤكد إن سلوك الإمبراطور ذلك السلوك يعني إنه نقض المعاهدة وأستعد للحرب، الأمر الذي أثار غضب الملك الساساني سابور الأول فأرسل إلى الإمبراطور فاليريان كتاباً يلومه فيه على ذلك التصرف وينذره عاقبة رفضه المعاهدة وتدخله في شؤون أرمينيا، جاء فيه " لقد كذب القيصر مرة اخرى وقد اخطأ فيما يتعلق بأرمينيا ولهذا توجهت نحو الإمبراطورية الرومانية "[5].

1- Ghirshman,Op.Cit,p.292;Millar,Op.Cit,p.160.

زرين كوب، تاريخ مردم، ص193؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ مهر ابادي، تاريخ كامل إيران، ص785؛ الحاج حمدان، المصدر نفسه، ص90.

2- انظر ص 105 من هذه الاطروحة.

3- أستولى على مدينة بيشاور العاصمة الشتوية لمملكة كوشان بعدها واصل زحفه شمالاً فعبر جبال هندوكوش الفاصل الجنوبي بين إيران وشبه القارة الهندية وسيطر على اقليم باكتريا (افغانستان)، ثم عبر نهر سيحون وسيطر على مدينتي سمرقند وطشقند (زرين كوب، تاريخ مردم، ص428؛ باقر واخرون، تاريخ إيران، ص116 – 117).

4- زرين كوب، تاريخ مردم، ص429؛ العابد، معالم، ص42.

5- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ زرين كوب، المصدر نفسه، ص429.

ويحدد(ابن البطريق) [1] بداية هجوم سابور الأول على نيسيبيس التي تعد ضمن ممتلكات الدولة الرومانية في السنة الحادية عشر أو الثانية عشر لحكومته أي بين سنة (252 – 253م).

ويبدو أنّ الإمبراطور فاليريان اختار توقيتاً غير مناسب لنقض المعاهدة فخلال المدة 253 – 256م وهي المدة التي هاجم فيها الملك سابور الممتلكات الرومانية [2]، تعرضت دولته لحركات عصيان عدة فضلاً عن هجمات القبائل الجرمانية على الراين والدانوب [3] ومهما يكن الامر فان أستيلاء الملك سابور الأول على كرها ونيسيبيس ثم أنتيوخيا خلال المدة أعلاه ولدت شعوراً عميقاً بالأهانة عند الإمبراطور فاليريان فترك لخليفته جالينوس[4] (Gallinus) (253 – 267م) الذي أشركه معه في الحكم مهمة قيادة الجيوش الرومانية المرابطة على حدود الراين والدانوب وقرر هو على الرغم من إن عمره كان ثمانين سنة على قيادة الجيش[5] سنة 256م والتوجه نحو الشرق لأستعادة ماتم الاستيلاء عليه وتمكن من ذلك سنة 258م [6].

بعث ذلك النصر الغرور في نفس الإمبراطور فاليريان فاستمع إلى نصيحة قائده ماكريانوس(Macrianus) الطامع في عرش الإمبراطورية بالتوغل في أراضي الجزيرة الفراتية ومهاجمة الجيش الساساني المرابط في ادسا (الرها) إلاّ أنّ الدائرة دارت على

1- سعيد (افتيشيوس) (ت340هـ)، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، 1905م)، ج1، ص 97.

2- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226

3- الاحمد، تاريخ الرومان، ص229؛ وللتفصيل انظر: جيبون، اضمحلال،ج1،ص230 – 247.

4- جالينوس: هو ابن الإمبراطور فاليريان وقد أشركه معه في الحكم وعهد إليه قيادة الجيش الروماني المرابط على حدود الراين (الاحمد، تاريخ الرومان، ص229).

5- Zosimus,Op.Cit,bk.1,ch.20؛

جيبون، اضمحلال، ج1، ص248 – 249

6- ابن صراي، حمد، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، (دبي: 1997م)، ص135؛ فرح، الشرق الأدنى، ص370؛ رازي همداني، تاريخ كامل، ص58؛ العابد، معالم، ص42.

الإمبراطور فاليريان، فقد لعبت خيانة ذلك القائد دورها في تمكين الملك سابور من التصدي للجيوش الرومانية المهاجمة والحقت بها الكثير من الخسائر[1] وذلك في بداية سنة259م[2] وطوق الملك سابور الأول البقية الباقية من معسكر فاليريان باعداد كبيرة من الجند إلى درجة فشلت معها جهود جنود فاليريان بأيجاد ثغرة للفرار فلما اشتدت بهم وطأة المجاعة وفتكت بهم الاوبئة تمردوا على إمبراطورهم وطالبوه بالتسليم، ولم يجد الإمبراطور بُداً إلا التسليم لرغباتهم فارسل إلى الملك سابور الأول عارضاً عليه مبلغاً كبيراً من الذهب ثمناً للترخيص في إنسحاب مهين، إلاّ أنّ الملك سابور لم يرفض عرضه فحسب بل عمد إلى القاء القبض على الوفد الذي أرسله وأصرّ على قبول أحد الامرين الدخول في معركة فاصلة أو الاستسلام، وبعد أن تاكد للإمبراطور فاليريان إنه يخوض معركة خاسرة أعلن استسلامه، فدخل الملك سابور الأول معسكره واقتاده اسيراً مع ضباطه وجنوده الذين سلموا أسلحتهم للجيش الساساني وذلك سنة260م وقد سميت تلك المعركة بمعركة الرها نسبة إلى مكان وقوعها في مدينة الرها، وقد خلد الملك سابور الأول انتصاره في عدد من النقوش أهمها نقشي رستم[3] ونقش مدينة سابور، ففي نقش رستم يظهر الملك سابور ممتطياً جواده ممسكاً بيده اليسرى قبضة سيفه، وباسطاً يده اليمنى نحو الإمبراطور فاليريان الذي جثى أمامه وقد ثنى ساقه اليمنى واسند اليسرى إلى الأرض، ومد ذراعيه نحو الملك سابور الأول يلتمس عفوه [4]، واسفل النقش كتابة تشرح ذلك الانتصار

1- جيبون، اضمحلال، ج1، ص249؛ زرين كوب، روزكاران، ص194؛ سايكس، تاريخ إيران، ص546.

2- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226.

3- نقش رستم: هي رسومات حفرت في الواجهات الصخرية للجبل الذي يسمى في الوقت الحاضر (حسين كوه) وموقعه إلى الغرب من مدينة اصطخر بمسافة 3 كم (الاحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى، ص117).

4- Ghirshman, Roman., Iran Parthian and Sassanians, (France,1962), p.p.160 - 161; Bausani, Op.Cit, p.75.

انظر: شكل رقم (1)

تتكون من خمس اسطر مكتوبة بالخط البهلوي الساساني وترجمتها بالخط اليوناني وهي بالشكل الاتي:

1. Τ (Ο) [Π Ρ Ο Σ Ω] Π [Ο Ν Τ] Ο [γ Τ Ο] (Μ) Α [Σ] Δ Α Σ Ν [ΟΥ Θ ΕΟΥ]
2. Σ Α Π Ω] Ρ [Ο γ] Β Α [Σ Ι Λ] Ε Ω [Σ Β] Α Σ [Ι Λ Σ Ω] Ν [Α Ρ Ι Α Ν] Ω Ν
3. [Κ Α Ι Α Ν Α] Ρ Ι Α Ν [Ω Ν Ε Κ Γ Ε Ν Ο γ] Σ [Θ Ε Ω Ν γ Ι Ο Σ Μ Α Σ] Δ Α [Σ Ν Ο γ]
4. [Θ Ε Ο γ] Α Ρ [Τ] Α Ε Α Ρ Ο γ Β [Α] Σ [Ι Λ Σ Ω Σ Β Α Σ Ι Α Ε Ω Ν Α Ρ Α Ν Ω Ν]
5. [Ε Κ Γ Ε]Ν Ο γ Σ Θ Ε Ω [Ν Ε Κ Γ Ο Ν Ο γ Θ] [Ε Ο γ Π Α Π Α Κ Ο γ Β Α Σ Ι Λ] Ε [Ω Σ] [1]

أما نقش مدينة سابور فيظهر فيه الملك سابور الأول ممتطياً جواده وتحت اقدام الجواد شخص ملقى على الأرض وأمامه الإمبراطور فاليريان راكعاً [2].

وتختلف المصادر في تقدير عدد الضباط والجنود الذين أسُّروا مع إمبراطورهم فـ (الفردوسي) [3] يذكر إنهم كانوا (ألف وستمئة نفس) وهو رقم مقبول إذا صحت رواية الطبري [4] بأنه " أسكنهم جنديسابور" [5] فهكذا عدد ممكن أن تستوعبه مدينة،

1- عريان، سعيد، راهنماي كتيبه هاي ايراني ميانه بهلوي – بارتي، ناشر: معاونت بزوهشى، بزوهشكده زبان وكويش، (تهران: خيابان آزادى، 1382ش)، ص89.

2- Ghirshman,Iran Parthian,P.159؛ سفينسيسكايا، أ. س، المسيحيون الاوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، ط2، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، (سورية: منشورات علاء الدين، 2007م)، ص263، ويرجح الباحث (سعيد نفيسي) أن يكون الشخص الملقى على الارض اخر ملوك الفرثيين (اردوان الخامس) (تمدن إيران ساساني، (إيران: انتشارات جامعة طهران،1331هـ)، ص215). انظر: شكل رقم (2)

3- الشاهنامة، ج2، ص57.

4- تاريخ، ج1، ص394.

5- جنديسابور: معنى اسمها (عسكر سابور) (الاصفهاني، تاريخ سني، ص39)، وهي من مدن اقيلم خوزستان، (الاصطخري، مسالك الممالك، ص93،89).

وقيل إن عددهم 60 ألف [1] وقيل 70 ألف [2] ونحن نميل إلى هذا العدد لأنه يدل على الأستعداد الكبير الذي قام به الإمبراطور فاليريان لأسترجاع الحقوق الرومانية التي فرط بها فيليب العربي، كما إن المصنف (ابن قتيبة الدينوري)[3] ذكر إن الملك سابور الأول قد فرقهم في ثلاث مدن(جند يسابور، وسابور[4]، وتستر[5]) وهذا بالتأكيد يدل على إن عددهم كان كبيراً.

وفيما يتعلق بمصير الإمبراطور فاليريان فإن بعض المصادر تبالغ في سوء معاملة الملك سابور الأول له، فتذكر إنّ الملك سابور الأول أمر بألباس الإمبراطور فاليريان ملابس ملكية وأن يقيد بالسلاسل وأن يعرض للعامة لمشاهدته على تلك الحال، وإنه كان يتخذ منه مصعداً يضع عليه قدمه عندما يريد ركوب جواده، ولـم يكتف سابور بذلك بل إنه أمر بعد وفاة فاليريان بسلخ جلده وحشوه بالقش واحتفـظ به في احد المعابد الزرادشتية كرمز للنصر [6]، وأنكرت مصادر اخرى سوء المعاملة تلك فذكرت إن الإمبراطور فاليريان ظل اسير حرب وإن الملك سابور الأول كان يصطحبه معه ويستشيره في بعض اموره [7] وطلب مقابل أطلاق سراحه أن يقوم

1- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص226؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص291؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429.

2- Iran from,p.292. Ghirshman,

3- المعارف، ص654.

4- سابور: من المدن التي بناها الملك سابور الأول وسماها (بيشابور) ثم أختصر الاسم فصارت تسمى (سابور) (الاصفهاني، تاريخ سني، ص39) موقعها في إقليم فارس، والمسافة بينها وبين مدينة شيراز 25فرسخ (150كم)، (الاصطخري، مسالك الممالك، ص123،97، 143؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ج5، ص6).

5- تستر: أو ششتر، معنى اسمها النزه الحسن والطيب اللطيف (ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج1، ج2، ص443) وهي من أهم مدن إقليم خوزستان بينها وبين جنديسابور ثمانية فراسخ (48كم) (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص122).

6- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص547؛ جيبون، اضمحلال، ج1، ص252؛ لويد، الرافدان، ص162؛ ابو مغلي، إيران، ص143.

7- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص57 – 58؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص214 – 215.

وجنوده ببناء جسر وسد كبير على نهر الكارون في مدينة تستر، وبعد أن أكمل بناء هذا السد الذي عرف بـ(سد القيصر) أي سد الإمبراطور[1]، عاد إلى بلاده [2]، والراجح إنه توفي في اسره سنة 267م [3].

ويبدو إن ذلك الانتصار زاد من شهوة سابور الأول في إذلال الرومان فأخذ يتدخل في شؤونهم الداخلية إذ عين للعرش الروماني خلفا لفاليريان شخصاً موالياً له من اهل أنتيوخيا يسمى سرديأس (Cyriadis) ومنحه لقب الإمبراطور وأجبر فاليريان وجنوده الأسرى على التصديق على هذا التعيين بالسجود للامبراطور الجديد، ومقابل هذا التكريم اظهر سرديأس إستعداده لأن يكون تابعاً ودليلاً للملك سابور الأول [4]، فقاده عبر الفرات إلى أنتيوخيا وبعد أن استولى عليها سابور بسهولة توجه نحو كيليكيا فأستولى على مدينة طرسوس[5] ثم توغل في أواسط آسيا الصغرى (كبدوكيا) وأستولى على عاصمتها (قيصرية) [6]، عاد بعدها إلى بلاده محملًا بالغنائم الوفيرة من خزائن الممتلكات الرومانية[7].

والواقع إنّ المصادر التي تحدثت عن أعمال سابور الحربية لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أنّه أقام نظام سياسي خاص بالدولة الساسانية في كل من سوريا وآسيا الصغرى على الرغم من إستيلائه على عاصمتيهما وهذا يحملنا على الاعتقاد إن

1- نولدكه، تاريخ إيران، ص61 هامش (2)؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص293؛ كرستنسن، إيران، ص210.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص394؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص 58.

3- Bausani,Op.Cit,p.57؛ اوليري، علوم اليونان، ص18

4- جيبون، اضمحلال، ج1، ص250؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429؛ مكاريوس، تاريخ إيران، ص68.

5- طرسوس: مدينة في ثغور الشام بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم بينها وبين اذنة ستة فراسخ (36كم)، يشقها نهر البردان (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص883)

6- جيبون، اضمحلال، ج1، ص250 – 251؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص548.

7- لويد، الرافدان، ص162.

حروبه كانت لمجرد الكر والفر ولإرضاء غروره السياسي وليس من أجل الاستيلاء على البلاد وحكمها.

وهكذا أوصل غرور سابور بانتصاراته لدرجة ادعائه ملكية العالم فاتخذ لنفسه لقب (شاهنشاه إيران وانيران) أي ملك ملوك إيران وغيرها [1].

1- Ghirshman, Iran Parthians,P.162;
عريان، راهنماي كتيبه هاي ايراني ميانه،ص89؛ واكيم، إيران والعرب، ص52؛ كرستنسن، إيران، ص210؛ العابد، معالم، ص41.

المبحث الرابع:
تدمر والصراع الساساني - الروماني.

تدمر واحة تقع في الأطراف الشمالية لبادية الشام [1]، إلى الشرق من مدينة حمص[2]، بينها وبين حلب[3] خمسة أيام[4]، أي إنها تقع تقريباً في منتصف المسافة بين الفرات من جهة وبين حمص وحلب من جهة اخرى[5] وهي رأس المثلث الوهمي المتساوي الاضلاع يمثل ضلعه الشرقي في حدود العراق وضلعه الغربي مشارف بلاد الشام، أما قاعدته الجنوبية فتمثل شمالي شبه الجزيرة العربية [6].

هذا الموقع كان من أهم العوامل في ازدهار تدمر اقتصادياً إذ جعل منها محطة من أهم محطات الواحات على طريق القوافل التي تعبر الصحراء الذي سمي فيما بعد بـ(طريق الحرير البري) [7] الممتد من الصين حتى روما عبر أقطار المشرق القديم،

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج2، ص433.
2- ابو الفداء، تقويم البلدان، ص89.
3- حلب: من مدن بلاد الشام وهي قصبة جند قنسرين (ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج2، ج3، ص166).
4- ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج1، ج2، ص433.
5- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1994م)، ص167.
6- ابن المغيرة، عبد الله، تاريخ العرب القديم، مخطوط محفوظ في المركز الوطني للمخطوطات، تحت الرقم 24030، رقم الفلم 1988، ورقة 146؛ باشميل، محمد احمد، العرب في الشام قبل الاسلام (دراسة وتحليل لتاريخ خمس اجيال عربية حكمت واستوطنت الشام لمدة اكثر من عشرة الاف سنة قبل الاسلام)، (المملكة العربية السعودية: دار الفكر، 1973م)، ص41.
7- عبد السلام، عادل، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية السورية وطريق الحرير، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، (دمشق: 1992م)، ص37.

ونقطة تنطلق منها التجارة العربية الجنوبية إلى الشمال[1] ولذلك وصفت بأنها مدينة القوافل[2]، هذا النشاط التجاري عاد على تدمر بالخير فأصبحت العاصمة المالية للشرق القديم آنذاك [3]، وصار لها شأن على مر العصور حتى أصبحت إمارة مستقلة ومنطقة محايدة لعبت دوراً هاماً في الصراع التقليدي الدائر بين الإمبراطوريتين الفرثية - الساسانية والرومانية اللتين كانتا تتنازعان السيادة على العالم [4].

وطبيعي أن يثير موقع تدمر الاستراتيجي وثرائها أهتمام الرومان ورغبتهم في إخضاعها، وأول من أستعد لذلك الإمبراطور الروماني انطونيوس إذ يذكر (ابيانوس)[5] في حوادث سنة 41 ق.م " إن الإمبراطور انطونيوس بعد عودته من حرب الفرثيين توجه إلى بلاد الشام عائداً إلى روما، فلما اقترب من تدمر أرسل إلى أهلها رسلاً يخبرهم إنّه قاصد مدينتهم ليريح عندهم جنوده مما نالوه من عناء الحرب ومشقة الطريق، إلاّ أنّ التدمريين سرعان ما أدركوا حقيقة نواياه، فأخلوا مدينتهم وسارعوا حاملين أمتعتهم الثمينة لعبور نهر الفرات، إلاّ أنّ انطونيوس وجنوده اقتفوا أثرهم حتى أدركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين " [6].

1- الخالدي، شذى احمد عيسى، تدمر ابان القرنيين الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة البصرة: كلية الاداب، 2001م)، ص2.

2- البني، عدنان، تدمر والتدمريون، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1978م)، ص104.

3- زهدي، بشير، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، مج42، (دمشق: 1996م)، ص139.

4- باشميل، العرب في الشام، ص42.

5- ابيانوس: مصنف روماني ولد في الاسكندرية وانتقل إلى روما، عاش في القرن الثاني الميلادي وعاصر الاباطرة تراجان (98 - 117م) وهادريان (117 - 138م) وانطونيوس بيوس (138 - 161م)، كتب تاريخ روما في اربعة وعشرين جزءاً وقد فقد بعضها، للتفصيل انظر: (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص42).

6- نقلاً عن: اليسوعي، الاب سبستيان رتزفال، زينب (الزباء) ملكة تدمر، مجلة (المشرق)، الاعداد 13 - 22، السنة الأولى، (دمشق: 1898م)، ع13، ص558 - 589؛ علي، المفصل، ج3، ص85 - 86.

على أنّ ذلك الفشل لم يثن الرومان عن عزمهم في الاستيلاء عليها والسيطرة على نشاطها التجاري، وتجمع المصادر على أنّ تدمر أعترفت بسيادة روما عليها في عهد الإمبراطور تيبريوس(14 – 37م) [1]، والراجح إنّ هذا الأعتراف كان إعترافاً اسمياً أملته طبيعة مصالح تدمر الإقتصادية وأرتباطها مع مصالح الرومان الذين أصبحوا منذ عهد الإمبراطور اغسطس(27ق.م – 14م) يسيطرون على الطرق والموانئ في سوريا ومصر وآسيا الصغرى [2]، فالمدينة لم تفقد حكمها الذاتي، إذ بقيت إدارة البلاد بايدي وجوه زعماء المدينة (مجلس الشيوخ) يديرونها على وفق السياسة الرومانية وإدارة الأباطرة وأوامرهم[3]، وهذا يعني إنّ الرومان كانوا يعدون أولئك المشيخة وكلاء لهم في المنطقة كما إنّهم سمحوا لأهل تدمر الاحتفاظ بقواتهم العسكرية للحفاظ على أمن المدينة وتأمين حراسة الطرق والقوافل والمواضع التي تخدم تجارتها [4].

إنتهى الحكم الذاتي وأصبحت تدمر خاضعة كلياً للرومان في عهد الإمبراطور تراجان (98 – 117م) الذي ضمها إلى ما يسمى بالولاية العربية أو الكورة العربية التي أقامها بعـد استيلائه على الانباط[5] سنة 106م [6].

1- حتي، تاريخ سوريا، ص435؛ حتي، فيليب، تاريخ العرب المطول، ط4، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1965م)، ج1، ص98؛ باشميل، العرب في الشام، ص47؛ علي، المفصل، ج3، ص86؛ البني، تدمر والتدمريون، ص70.

2- البني، المصدر نفسه، ص70.

3- علي، المفصل، ج3، ص86، 90؛

Encyclopedia Britanica,Palmyra,The Edition 15,(London ,1985),Vol.9,p.96.

4- البني، تدمر والتدمريون، ص71.

5- الانباط: وهي من الممالك العربية القديمة التي نشأت في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، واتخذت من البتراء عاصمة لها وقد بلغت أوج أزدهارها في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت قرابة أربعمئة سنة تشغل مركزاً خطيراً على طريق البخور الذي يقطع الصحراء واصلاً بين اليمن في الجنوب وبين ثغور البحر المتوسط، للتفصيل انظر: (عباس، احسان، دولة الانباط، (عمان: دار الشروق، 1978م).

6- البني، تدمر والتدمريون، ص72؛ زيادة، نقولا، الاجراءات الامنية في تدمر في القرنين الأول والثاني الميلادي، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، مج 42، (دمشق:1996م)،ص124.

ودخلت العلاقات التدمرية - الرومانية مرحلة جديدة من التقدم في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي تمثلت بحصول تدمر على الحقوق التي تمتعت بها المستعمرات الرومانية وذلك خلال حكم الإمبراطور سبتميوس سيفروس (193 - 211م) عندما منحها لقب (مستعمرة رومانية عليا) (Colonia Roman) تكريماً لأهلها الذين وقفوا إلى جانبه في حربه مع الفرثيين [1] سنة 198م وبموجب ذلك اللقب أصبحت تدمر مساوية للمدن الرومانية في الحقوق فأعفيت من دفع الضرائب، ومنحت الحرية التامة في إدارة سياسة المدينة[2]، وأصبحت لهم عملتهم الخاصة من معدن البرونز كتب عليها (Palmrya)[3]، ولكن هذا لايعني إنها صارت مقاطعة رومانية خالصة بل يمكن القول بأنها أصبحت حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في إدارة شؤونها خاضعة خضوعاً اسمياً للرومان.

ويذكر إنّ الرجال البارزون في تدمر أخذوا يضيفون أسماء رومانية إلى أسمائهم ويبدو إنّهم أرادوا بهذه المحاكاة إضفاء صفة القوة والمهابة على أنفسهم، وأول من لقب نفسة بـ(سبتيميوس) الحاكم (حيران بن وهب اللات) [4] فصار اسمه (سبتيميوس حيران) [5].

وظلت تدمر تتمتع بمكانتها العالية لدى الرومان في مدة حكم الإمبراطور كركلا(211 - 217م) [6].

غير إن مفاجأة غير سارة كانت تنتظر تدمر ففي سنة 226م قامت الدولة الساسانية وكان من نتائج ظهور تلك الدولة تجدد الحرب بينها وبين الرومان، ولـم تلبث أن

1- ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 148؛ حتي، تاريخ سوريا، ص436.
2- علي، المفصل، ج3، ص87؛ جاويد، ولاية سوريا، ص186.
3- شيفمان، المجتمع السوري، ص208.
4- لم تذكر المصادر مدة حكمه الا انها تشير إلى إنه أول حكام التدمريين الذين تمتعوا بمكانة عالية عند اهل تدمر وعند الرومان (علي، المفصل، ج3، ص91؛ حتي، تاريخ سوريا، ص436).
5- حتي، المصدر نفسه، ص335 - 336؛ البني، تدمر والتدمريون، ص75.
6- علي، المفصل، ج3، ص88.

استولت على مصبات دجلة والفرات، وبالتالي أغلقت أهم الممرات التجارية للقوافل التدمرية مما أدى إلى خنق تجارتها وتكدس بضائعها الأمر الذي دفعها إلى مغادرة تلك الطرق نحو الشمال عبر سهول نيسيبيس وأدسا إلى أنتيوخيا[1].

ومن أجل إيقاف مشاريع الساسانيين التوسعية ولمنع تفاقم الكارثة التي بدأت تقترب من بلادهم إندفع ساسة التدمريين إلى مؤازرة الرومان، غير إن اخفاقات الاخيرين المتكررة أمام الساسانيين وإنشغالهم في الوقت نفسه بصد هجمات القبائل الجرمانية في الغرب شجعت حاكم تدمر اذينة بن حيران بن وهب اللات (235 - 251م) على أستغلال الفرصة فأخذ يعمل سراً على أستقلال بلاده والتخلص من الحكم الروماني نهائياً، فتخلى عن عضويته في مجلس الشيوخ الروماني وأتخذ لقب ملك من دون موافقة رجال مجلس الشيوخ والإمبراطور تربينيانوس جالوس(Trebonianus Gallus) (251 - 253م) وذلك حوالي سنة 250م، ولما شعر الإمبراطور بخطورة ما يسعى إليه اذينة على مصالح الرومان أوعز إلى قائده روفينوس(Rufinus) بقتله سنة 251م [2].

ترك اذينة ولدين هما حيران والأخر اذينة الثاني وقد تولى حيران الأمر في تدمر بعد مقتل ابيه، وقد منحه الرومان منصب رئاسة مجلس الشيوخ في تدمر، ولم يذكر الباحثون المؤرخون شيئاً يدل على أنّ حيران كان ذا شأن يذكر في تاريخ تدمر وإنما ذكروا انه توفي سنة 258م وخلف ابناً صغيراً يدعى معنى[3].

تولى رئاسة تدمر من بعده أخيه (اذينة الثاني) وهو أشهر ملوك تدمر على الاطلاق، فقد تركزت معظم السلطات بيديه وكانت له خبرة عسكرية ليست بقليلة منذ عهد والده الذي أشركه معه في الحكم وعهد إليه مسؤولية قيادة

1 - البني، تدمر والتدمريون، ص75.
2 - اليسوعي، زينب، ع 13، ص592؛ علي، المفصل، ج3، ص91 - 92؛ باشميل، العرب في الشام، ص47 - 48.
3 - اليسوعي، المصدر نفسه، ع13، ص592؛ باشميل، المصدر نفسه، ص48.

الجيش[1]، كان اذينة عازماً على الأنتقام من الرومان إلّا إنه أبقى خططه في طي الكتمان[2]، وكتب اذينة إلى الإمبراطور فاليريان (253 – 260م) أن يقتص له من قاتل أبيه القائد روفينوس، إلاّ أن الإمبراطور لم يهتم بطلبه ولم يحسب له حساباً، فغاظ ذلك اذينة وأثار نقمته ودفع حقده على الرومان إلى التفكير في الاتصال بالساسانيين ليكون وإياهم يداً واحدة على الرومان[3].

وجاءت الظروف السياسية المحيطة بالإمبراطورية الرومانية عامة وبسورية خاصة ملائمة لخروج تدمر إلى دائرة النشاط السياسي، ففي سنة 258م خرج الإمبراطور فاليريان لمحاربة الملك الساساني سابور الأول ويذكر المؤرخ (Wright) إنّ الحملة مرت بتدمر فمنح الإمبراطور فاليريان حاكم تدمر اذينة الثاني لقب (القنصل) وهو من أكبر الرتب في الدولة الرومانية وخلع عليه الخلع والهدايا تقرباً له ولتحسين العلاقة معه بعد أن تجاهل شكواه، غير إن اذينة الغاضب على الرومان لمقتل أبيه لم يحفل بتلك الخلع والهدايا ففرقها في مشايخ قبائل تدمر فكسب ولائهم[4]، فلما بلغه خبر وقوع الإمبراطور أسيراً بيد الملك الساساني سابور الأول سُر لذلك تشفياً بالرومان، واغتنمها فرصة وأرسل رسله إلى الملك سابور الأول حاملين إليه الهدايا الثمينة وكتاباً يتودد فيه إليه ويظهر رغبته في التحالف معه ضد الرومان[5] ولكن يبدو إنّ الغرور أعمى بصيرة الملك الساساني سابور الأول فعدّ مخاطبة اذينة له وعرضه التحالف معه، إهانة

1- ستاركي، جان، والمنجد، صلاح الدين، تدمر عروس الصحراء، (دمشق: مديرية الاثار العامة، 1947م)، ص30؛ علي، المفصل، ج3، ص92.

2- William.,Palmyra and Zenobia ,(London,1987),p.p.112,115.

3- علي، المفصل، ج3، ص92؛ باشميل، العرب في الشام، ص49.

4- Op.Cit,p.116.

5- Ibid,p.118;
زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الاسلام (مؤلفات جرجي زيدان الكاملة)، (بيروت: دار الجيل، 1982م)، مج10، ص119؛ علي، المفصل، ج3، ص93.

لأن سابور الذي هو ملـك الملـوك لا ينظر إلى اذينة إلاّ كما ينظر إلى شيخ قبيلة بدوي يعيش في قفر من الارض بين حفنة من الاعراب ولذلك أظهر متعجرفاً تعجبه من جرأة ذلك الشيخ فتساءل " من هو اذينة هذا الذي تبجح هكذا وكتب إلى مولاه؟ اذا كان يمني نفسه بتخفيف عقابه فدعوه يخر راكعاً تحت أقدام عرشنا ويده مغلولتان إلى ظهره فأذا تردد، فلتصبوا الخراب فوق رأسه وبني جنسه وبلده " [1]، ثم مزق رسالته ورمى بها تحت قدميه، وأهان رسل اذينة وأمر برمي الهدايا التي بعث بها اليه في نهر الفرات [2].

أثـار تصـرف الملـك سـابور الأول هـذا غضـب اذينـة الثانـي، فقـرر الأنتقـام منـه، لذلـك تناسـى مابينـه وبيـن الرومـان، بـل أرسـل إلـى الإمبراطـور جالينـوس(Gallinus) (253 – 267م) وهـو ابـن الإمبراطـور فاليريـان يخبـره بعزمـه على محاربة الملك سابور الأول [3].

سرَّ الإمبراطور بهذا التحول في سياسية اذينة ومده ببعض الكتائب الرومانية ضمها اذينة الثاني إلى جيشه المتكون فضلاً عن أهالي تدمر من رجال القبائل العربية الموالية له على أطـراف تدمر وعهد بقيادتهم إلى ابنه سبتيميوس هيرودس(Septimius Herodes) واثنين من كبار قواده هما (زبدا) على فرقة الفرسان و(زّباي) على فرقة الرماة، وسار بنفسه قاصداً طيسفون[4] للأنتقام من الملك سابور الأول، ويبدو إنه لم يكن قاصداً العاصمة طيسفون بالذات وإنما أراد إجبار الملك

1- جيبون، اضمحلال، ج1، ص521 – 522؛ زرين كوب، روزكاران، ص193.

2- Wright,Op.Cit,p.118;

رازي همداني، تاريخ مفصل إيران، ص58؛ علي، المفصل، ج3، ص93.

3- باشميل، العرب في الشام، ص50 – 51.

4- اليسوعي، زينب، ع14، ص637؛ محل، سالم احمد، دور العرب في الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين، مجلة (اداب الرافدين)، ع 16، (الموصل: 1986م)، ص377 – 378.

سابور الأول على الأنسحاب من سوريا والتوجه لأنقاذ عاصمته طيسفون مما يسبب لجيشه التعب والأنهاك بسبب بعد المسافة أولاً وليصبح اذينة سيد الموقف فيختار المكان والزمان المناسب لملاقاتهم ومحاربتهم ثانياً.

وفي الوقت الذي أتجه فيه الملك اذينة الثاني إلى طيسفون كان الملك سابور الأول مشغولاً بمهاجمة مدينة بومبيوبوليس (Pompeiopolis) الساحلية إلاّ أنّ الأخير فشل في هجومه إذ تمكن القائد الروماني كاليستوس (Callistus) من الأيقاع بعسكره وقتل جماعة منهم وأسر بعض نسائه [1]، ولما وصلت انباء هذا الفشل إلى مسمع الملك اذينة الثاني غير اتجاهه وأسرع بقطع طريق العودة على الملك سابور الأول وجيشه فالتقى بهم غرب الفرات حيث دارت هناك معركة عنيفة أجبرت الملك سابور الأول على التراجع إلى ما وراء نهر الفرات، وتمكن اذينة الثاني من أستعادة كرها ونيسيبيس، وأرمينيا التي تنازل عنها الإمبراطور فيليب العربي [2].

ولم تذكر المصادر تاريخ حدوث هذه المعركة ولم تحدد موقعها بدقة، ونعتقد إن حدوثها كان سنة 262م لأنه في تلك السنة منح الإمبراطور جالينوس اذينة الثاني لقب(زعيم الشرق) [3]، وهو أرفع لقب يحصل عليه حاكم من غير الرومان وبالتأكيد إن اذينة الثاني حصل على هذه المكافأة بعد أنتصاره على الملك سابور الأول ذلك الأنتصار الذي أعاد إلى الرومان هيبتهم التي فقدوها بعد أسر الإمبراطور فاليريان سنة 260م، وقد علق (جيبون) على ذلك بقوله " وهكذا احتفظ سوري أو عربي من تدمر لروما بعظمتها التي امتهنها الفرس"[4].

1- اليسوعي، زينب، ع14، ص639؛ اوليري، علوم اليونان، ص18؛ الخالدي، تدمر ابان القرنيين الثاني والثالث، ص 53.

2- Zosimus,Op.Cit,bk.1,ch.21;
كرستنسن، إيران، ص213؛ علي، المفصل، ج3، ص94 – 95؛ السيد، أرمينيا، ص46.

3- حتي، تاريخ سوريا، ص437.

4- اضمحلال، ج1، ص252.

ومما يلفت النظر إن الملك سابور الأول لم يول اهتماماً لهذه الخسارة فلم يحاول الأنتقام لها، وهذا يحملنا على الجزم بأن حروبه مع الرومان كانت مجرد عمليات كر وفرَّ وليست من أجل الاستيلاء على البلاد وحكمها وإن ما حققه من انتصار على الرومان في البداية يعود إلى ضعف قدرات الأخيرين على المواجهة بسبب ما كانوا يعيشونه من الفوضى العسكرية المتمثلة بكثرة تنصيب وعزل الأباطرة وتوالي هجمات القبائل الجرمانية عليها من جهة الغرب.

ازداد اذينة الثاني أيماناً بقدراته العسكرية فواصل نشاطه الحربي ضد الساسانيين إذ سار مرة اخرى سنة 264م بجيوشه نحو طيسفون فذعر الملك سابور الأول وجمع كل ما عنده من قوة للدفاع عن العاصمة غير إن تدابيره لم تستطع إيقاف زحف التدمريين الذين وصلوا العاصمة ونصبوا عليها الات الحصار من منجنيقات وغيرها، فانهار الملك سابور الأول وأوشك أن يطلب الامان من اذينة الثاني، غير إن الأخير أضطر إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى بلاد الشام لمعالجة الوضع فيها [1]، إذ تمرد على الإمبراطور جالينوس اثنان من قواده، وهما القائد كاليستوس (Callistus) الذي أنقذ مدينة بومبيوبوليس من الملك سابور الأول، والقائد مكريانوس(Macrianus) نائبه الأعلى في إدارة الأمور المدنية والعسكرية، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً على آسيا الصغرى ومصر وبلاد الشام كلها ما عدا تدمر التي ظلت موالية إلى الإمبراطور جالينوس[2]، وأستعد اذينة الثاني للقضاء عليه إلاّ أنّ مكريانوس قتل فنشط ابنه كياتوس لمقاومة اذينة الثاني الذي حاصره في مدينة ايميسا، وبعد أن اشتد حصاره على المدينة ورأى اهلها عدم جدوى المقاومة، قتل القائد كاليستوس سيده كياتوس، وفتح أبواب المدينة أمام اذينة الثاني بعد أن استأمنه، إلاّ أنّ الاخير ما لبث أن قتله لخروجه عليه وأعلان نفسه ملكاً[3].

1- علي، المفصل، ج3، ص95؛ محل، دور العرب، ص378.

2- باشميل، العرب في الشام، ص51؛ اوليري، علوم اليونان، ص18.

3- اليسوعي، زينب، ع15، ص686 – 687.

بعد هذه الانتصارات التي حققها اذينة الثاني على أعداء الإمبراطور جالينوس من الساسانيين ومعارضيه من الحكام الرومان كافئه الإمبراطور بمنحه لقب إمبراطور على الشرق، وجعل تحت قيادته جميع القوات الرومانية الموجودة هناك[1]، وضربت النقود باسمه[2]، ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب (اغسطس) وهو لقب أباطرة الرومان انفسهم[3]، وهذا يعني إنه صار برضى روما مساوياً للأباطرة الرومان في مناصبهم، إلاّ أنّ اذينة الثاني أختار لنفسه لقب أكثر قرباً إلى نفوس الشرقيين وهو لقب (ملك الملوك)[4]، ويبدو أنه أراد بهذا اللقب منافسة الساسانيين وأنتزاع أقوى الألقاب منهم بعد أنتصاراته المتكررة عليهم، إذ إن الملك الساساني كان يتلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك.

وإمعاناً في إذلال الملك سابور الأول ولتوثيق عرى الصداقة مع الإمبراطور جالينوس قرر اذينة الثاني سنة 265م الزحف على العاصمة الساسانية طيسفون والقضاء على ملكها سابور الأول نهائياً، فأعد لتحقيق هذه الغاية جيشاً كبيراً سار على رأسه نحو طيسفون بعد أن عين ابنه سبتيميوس هيرودس(من زوجته الأولى التي هي غير زنوبيا)، نائباً عنه في تدمر ليدير شؤونها، ولم يجد في طريقه أي مقاومة من الساسانيين حتى وصل إلى طيسفون فحاصرها حصاراً شديداً أضطر معه الملك سابور الأول إلى اظهار استعداده لقبول الصلح الذي أشترط فيه اذينة الثاني اطلاق سراح الإمبراطور فاليريان[5]، غير إن عبور القوط للبحر الاسود وتوجههم نحو آسيا الصغرى بهدف الاستيلاء عليها وعلى بلاد الشام، أجبرت اذينة الثاني على انهاء حصار طيسفون

1- علي، المفصل، ج3، ص96.

2- اليسوعي، زينب، ع15، ص688؛ علي، المفصل، ج3، ص97.

3- علي، المصدر نفسه، ج3، ص97؛ باشميل، العرب في الشام، ص53.

4- اليسوعي، زينب، ع15، ص688؛ باشميل، المصدر نفسه، ص52.

5- علي، المفصل، ج3، ص98؛ باشميل، المصدر نفسه، ص53 – 54.

والعودة إلى بلاده لمواجهة القوط الذين ما أن علموا بقدومه نحوهم حتى سارعوا بالعودة إلى البلاد التي جاءوا منها [1]، عندئذ قرر اذينة الثاني العودة من جديد لمحاربة الساسانيين والاستيلاء على طيسفون، إلا إنه قتل مع ابنه هيرودس على يد ابن اخيه معنى اثناء وجوده في مدينة حمص سنة266م[2].

ومما ينبغي التنويه عنه إن الاخباريين والمؤرخين العرب لم يذكروا لنا شيئاً عن أنتصارات اذينة الثاني على الملك الساساني سابور الأول على الرغم من أهميتها، والراجح إن السبب في ذلك الموارد الأصلية التي استقوا معلوماتهم منها وهي موارد فارسية متعصبة لم يرق لها الأشارة إلى الأنتصارات التي حققها ملكٌ كوَّن مملكة في البادية على ملك الملوك سابور الأول الذي تمكن من أسر إمبراطور أقوى إمبراطورية منافسة لهم في العالم القديم انذاك.

تولت رئاسة تدمر بعد اذينة الثاني زوجته زنوبيا(Zanobia) وصية على ابنها الصغير وهب اللات [3]، وقد اظهرت مقدرة وكفاءة عالية في أمور السياسة والحرب، جعلتها عدواً شديداً وخصماً عنيداً للإمبراطوريتين المتعاديتين الساسانية والرومانية، ويبدو إنها حصلت على تلك الخبرة من مصاحبتها لزوجها ومساعدتها له في تحقيق اهدافه [4]، ومما يؤكد إن دورها السياسي كان كبيراً في حياة زوجها اذينة الثاني ما قاله عنها الإمبراطور الروماني اورليان (Aurelian) (270 – 275م) في رسالة وجهها إلى مجلس الشيوخ الروماني رداً على منتقديه "يلومونني لأنني تباهيت بالنصر على امرأة، إنهم ما كانوا يتفوهون بمثل ذلك لو كانوا يعلمون أي امرأة هي، لو كانوا يعلمون ثباتها على القرارات، وحزمها مع

1- اليسوعي، زينب، ع15، ص691؛ علي، المصدر نفسه، ج3، ص98 – 99.

2- علي، المصدر نفسه، ج3، ص99؛ باشميل، العرب في الشام، ص55.

3- ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 151؛ اليسوعي، زينب، ع16، ص731 – 732.

4- اليسوعي، المصدر نفسه، ع15، ص691.

الجنود،...، إن اذينة مدين لزوجته بنصره على الفرس، وفرار سابور أمامه ووصوله إلى طيسفون " [1].

عملت زنوبيا جاهدة على استقلال بلادها التام من التبعية الرومانية وتكوين دولة ذات سيادة عربية، فتبعت سياسة زوجها في التقرب من القبائل العربية المجاورة والاعتماد عليهم كقوة فعالة ضاربة في حروبها مع الرومان التي بدأت بها سنة 268م[2]، ففي هذه السنة أرسل الإمبراطور جالينوس الذي توجس خيفة من استعداداتها العسكرية جيشه إلى الشرق للقضاء عليها في عقر دارها والتخلص منها قبل أن يستفحل امرها، متظاهراً بالأنتقام من الملك سابور الأول وقاتلي اذينة الثاني، غير إن زنوبيا كشفت حيلة الإمبراطور وسوء مقصده فسارت على رأس جيشها لمواجهة جيوشه التي كان يقودها القائد الروماني هراقليانس وألتقت بهم شمال سوريا[3]، فدارت بين الطرفين معركة أنهزمت بها الجيوش الرومانية بعد أن تركت قائدها مقتولاً في أرض المعركة، وقد وصف المؤرخ الفرنسي (شامباني) [4] نتائج تلك المعركة بقوله " وفي تلك الواقعة انتصرت آسيا على روما، وانقطعت الروابط التي كانت تربط بينهما إلى الأبد ".

وكان لهذه الهزيمة صداها المؤثر في روما يتجلى ذلك في مناداة مجلس الشيوخ في أثناء إنتخابهم اوريليوس كلوديوس (Aurelius Claudius) (268 – 270م) خلفاً للامبراطور جالينوس الذي قتل بعد مدة قصيرة من هزيمته امام زنوبيا " يا كلوديوس اغسطس نجنا من زنوبيا... اغثنا من التدمريين " [5].

1- نقلاً عن: البني، تدمر والتدمريون، ص79.
2- Robinson,Op.Cit,part.11,p.400؛ علي، المفصل، ج3، ص113
3- لم تذكر المصادر المكان على وجه التحديد.
4- نقلاً عن: اليسوعي، زينب، ع18، ص825.
5- المصدر نفسه، ع18، ص825.

أما زنوبيا فقد شجعها ذلك الأنتصار على مزاحمة الرومان في ممتلكاتهم فوجهت انظارها نحو مصر ووضعت خططها للأستيلاء عليها بعد أن مهدت لنفسها التدخل في شؤونها بادعائها إنها من نسل الملكة السابعة كليوبترا، ويبدو إن زنوبيا قصدت من إستيلائها على مصر تعزيز نزعتها الأستقلالية بالحصول على مرافق اقتصادية جديدة ترفع من مكانتها بين القبائل العربية، فالسيطرة على مصر تعني السيطرة على طريق التجارة العالمي عبر البحر الاحمر والمحيط الهندي، وقد وجدت زنوبيا الفرصة مناسبة لتحقيق هدفها سنة 269م فالإمبراطور كلوديوس قد شغل عنها بصد هجمات القبائل الجرمانية والقوط على حدود إمبراطوريته[1]، كما إن المعارضين للحكم الروماني في مصر وعلى رأسهم فيرموس(Firmus) [2] كتب إلى زنوبيا يشجعها على تخليص مصر من الحكم الروماني ولاسيّما إن قائداً رومانياً يسمى بروبانوس(Probunos) أستغل هو الأخر الأرباك الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية، فأستولى على مصر معلناً نفسه ملكاً عليها[3]، وأظهر فيرموس إستعداده لتجهيز جيوشها بكل ما تحتاج اليه[4]، عندئذ أرسلت زنوبيا إلى مصر جيشاً قيل ان عدده بلغ (70.000) الف مقاتل يقودهم القائد التدمري (زبدا) الذي ما أن دخل البلاد حتى التقى بحاكمها الروماني بروبانوس ومعه (50.000) الف مقاتل فدار بين الطرفين قتال

1- Zosimus,Op.Cit,bk.1,ch.23;Robinson,Op.Cit,part.11,400;
علي، المفصل، ج3، ص113 – 114.

2- فيرموس: من التجار الرومان الأثرياء في مصر، له علاقات تجارية مع الهند والعرب، وشجع المصريين على التمرد على الحاكم الروماني وقادهم بنفسه إلى مدينة الاسكندرية حيث أتخذ لنفسه لقب الإمبراطور، وضرب النقود باسمه، وأصدر الأوامر وكون جيشاً خاصاً به أنفق عليه من أمواله الخاصة، حالف اذينة ثم زوجته زنوبيا فجعلت منه والياً على مصر سنة 272م، وبعد سقوط تدمر قبض عليه الإمبراطور اورليان وقتله (جيبون، اضمحلال، ج1، ص274).

3- اليسوعي، زينب، ع18، ص826 – 827.

4- علي، المفصل، ج3، ص114.

شديد كان النصر فيه للتدمريين وكان ذلك نحو سنة 269م[1]، ثم عاد القائد زبدا إلى تدمر بعد أن ترك هناك حامية تدمرية تحت قيادة تيمجينيس (Timagenes)، إلاّ إن بروبانوس هاجم تلك الحامية وتمكن من طردها من مصر، لذا عاد القائد زبدا ثانية إلى مصر والحق ببروبانوس وجيشه الهزيمة بالقرب من بابليون[2](Babylon) وبذلك أصبحت مصر إقليماً تابعاً لتدمر وكان ذلك نحو سنة 270م [3].

ويبدو إن الإمبراطور كلوديوس أدرك عبث محاربة زنوبيا وهي على هذا المستوى من القوة لذلك أضطر في اواخر حكمه سنة270م إلى عقد اتفاقٍ معها، نص على أن يكون حكم مصر مشتركاً بينهما، وقد أستمر هذا الاتفاق في بداية سني حكم الإمبراطور اورليان (Aurelian) (270 – 275م)[4]، والراجح إن إقرار الأخير بحق زنوبيا في رئاسة مصر كان يريد به تهدئة الوضع ريثما يتفرغ من خطر القوط في الغرب الذي لم ينته إلا بعد عقد هدنة ومعاهدة منح القوط بموجبها مقاطعة داكيا (Dacia) [5].

وإذا كانت الملكة زنوبيا قد قبلت أن يشاركها الرومان في حكم مصر فان سيادتها كانت مطلقة على بلاد الشام وآسيا الصغرى والجزيرة الفراتية وهي من الممتلكات التابعة للرومان إنتزعها منهم وسيطر عليها زوجها اذينة الثاني فحافظت هي عليها ثم اضافت إليها ممتلكات جديدة هي مصر والجزء الشمالي الغربية من الجزيرة العربية [6]، ولم يحاول

1- Zosimus,Op.cit,bk.1,ch.23;

اليسوعي، زينب، ع18، ص827

2- بابليون: امبابة في الوقت الحاضر وهي من مدن محافظة الجيزة الواقعة على الضفة الغربية لنهر النيل (معلوف، المنجد، ص67، 209).

3- Zosimus,Op.cit,bk.1,ch.23;

علي، المفصل، ج3، ص114

4- علي، المفصل، ج3، ص115؛ العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص155.

5- داكيا: هي منطقة رومانيا الحالية وتتكون من تراتسلفانيا وملدافيا وفلاشيا (طرخان، دولة القوط، ص29).

6- باشميل، العرب في الشام، ص60 – 61.

الملك الساساني سابور الأول وابنه هرمز الأول (272 - 273م) القيام باي عمل عسكري ضدها على الرغم من إنهماكها في حروبها مع الرومان بل عقدوا معها معاهدة صلح[1][2]، إلاّ أنّ زنوبيا بقيت حذرة من الساسانيين واحتاطت من هجماتهم التي قد يوجهونها إليها ببناء حصن على حدود مملكتها على نهر الفرات عرف بـ (حصن زنوبيا) [3][4].

وبعد أن امن اورليان حدود إمبراطوريته من هجمات القبائل الجرمانية قرر تأديب زنوبيا التي أعلنت استقلالها الكامل بأقاليمها الممتدة من البوسفور والبحر الاسود حتى الشاطئ الشرقي لنهر الفرات ومصر وأفريقيا ودومة الجندل [5] في شبه الجزيرة العربية، وصرحت بتحديها له بأن ألغت التعامل بالنقود التي عليها صورة الإمبراطور في تلك الأقاليم، وأصدرت بدلاً عنها عملة جديدة عليها صورة ابنها وهب اللات حاملاً لقب الإمبراطور [6] وأستعدت للمواجهة، ويقال إنها تفاوضت مع الملكة فكتوريا ملكة بلاد الغال لتوحيد الخطط في مهاجمة الإمبراطورية الرومانية واقتسامها[7].

بالمقابل وضع الإمبراطور اورليان خطة ذات هدفين، الأول استرجاع مصر إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية، والثاني التوجه إلى آسيا الصغرى والعمل على دفع زنوبيا إلى سوريا ومن ثم إلى تدمر حيث تتم محاصرتها فيها [8].

1- لم تذكر لنا المصادر نص هذه المعاهدة ولم يتسنى لنا معرفة مع من عقدتها زنوبيا مع الملك سابور الأول أم ابنه، والراجح إنها عقدتها مع الملك سابور الأول.
2- اليسوعي، زينب، ع16، ص735.
3- حصن زنوبيا: يذكر (البكري) إن حصن زنوبيا هو الخانوقة (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت478هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، 1403هـ)، ج2، ص485) بنتها على الجانب الشرقي لنهر الفرات بالقرب من مدينة الرقة (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص448).
4- علي، المفصل، ج3، ص113.
5- دومة الجندل: موضع يفصل بين الشام والعراق، على سبع مراحل من دمشق (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص82).
6- العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص155.
7- علي، المفصل، ج3، ص116.
8- الخالدي، تدمر ابان القرنين الثاني والثالث، ص64.

سارت زنوبيا في اوائل سنة 271م بعد أن أكملت استعداداتها العسكرية على رأس الجيش التدمري إلى آسيا الصغرى لمواجهة الإمبراطور اورليان، فاستولت على إقليم بيثينية[1] (Bithynia) واستمرت في تقدمها حتى وصلت اسوار بيزانتيوم[2] (بيزنطة او القسطنطينية) فضربت الحصار على مدينة خلقدونية[3] القريبة من القسطنطينية، وهي على درجة عالية من الثقة بالنفس وبلغ بها الطموح إلى حد أعتقادها إنها ستستولي على روما نفسها، وتنفيذاً لتلك الخطة أضطرت إلى سحب القسم الأكبر من جيشها الموجود في مصر لمساندتها [4]، فأستغل الإمبراطور اورليان تلك الفرصة

1- بيثينية: إقليم في شمال غرب آسيا الصغرى، يؤلف جزء من تركيا في الوقت الحاضر (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص457).

2- بيزنتيوم (بيزنطة): مدينة يونانية قديمة سميت بذلك نسبة إلى القائد بيزاس (Byzas) الذي قاد إليها جماعة من مدينة ميغارة (Megara) البحرية في القرن السابع قبل الميلاد للأتجار بحبوب روسيا الجنوبية ومعادن حوض البحر الاسود ومصايد البوسفور (رستم، اسد، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف،1955م)، ج1، ص62؛

Vasiliev,A.A., History of the Byzantine Empire 324 - 1453 ,Second Edition ,The Regents of the University of Wisconsin (1952),p.57)

وقد برزت أهميتها اثناء الصراع اليوناني الاخميني وفي أثناء حرب البيلوبونيز لسيطرتها على مدخل البحر الاسود الذي كانت مدينة أثينا تعتمد في غذائها على حقول القمح الواقعة على شواطئه الشمالية، وأدرك كل من فيليب المقدوني (359 - 336 ق.م) وابنه الاسكندر(336 - 323ق.م) إنها الباب الرئيس الموصل إلى آسيا، ولكن الإباطرة الرومان عدّو موقعها الاستراتيجي مصدر تهديد لهم فقضوا على ما كان لها من أمتيازات حتى ضعفت أهميتها وأصبحت مدينة محدودة الشان حتى عهد الإمبراطور قسطنطين (306 - 337م) الذي أتخذها عاصمة لإمبراطوريته سنة330م، وقد سماها (روما الجديدة) غير إن الناس فضلوا تسميتها مدينة قسطنطين أو القسطنطينية تخليداً لذكرى مؤسسها (رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961م)، ص5).

3- خلقدونية: مدينة في آسيا الصغرى تقع على الضفة الشرقية من مضيق البوسفور قبالة العاصمة بيزنطة (القسطنطينية) (Ostrogorsky, George., History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, (Oxford,1968), p.95.

4- علي، المفصل، ج3، ص116؛ باشميل، العرب في الشام، ص63.

وأوعز إلى قائده في مصر بروبوس[1] (Probus) بعد أن أرسل اليه الأمدادات العسكرية بطرد ما تبقى من التدمريين، عندها أرسلت زنوبيا قائدها زبدا لمساعدة فيرموس نائبها هناك، فوقعت سنة 271م معركة بين الفريقين إندحر فيها الجيش التدمري وأضطر القائد زبدا إلى الانسحاب تاركاً مصر فكانت هذه أول خسارة تلقتها زنوبيا من الرومان[2].

وبلا ريب فان خسارة مصر شجعت أهل خلقدونية على الصمود وأرسلوا مستغيثين إلى الإمبراطور اورليان الذي تشجع هو الأخر على ملاقتها ودحرها، فعبر البوسفور في اوائل سنة 272م وتفاجأ التدمريون بأستيلائه على إقليم بيثينية، وقد أدركت زنوبيا حراجة موقفها العسكري، فأضطرت إلى التخلي عن آسيا الصغرى كلها وأنسحبت إلى بلاد الشام [3]،إلّا أنّ الإمبراطور اورليان تعقب أثرها حتى التقى بها بالقرب من أنتيوخيا فأوقع بجيشها الهزيمة [4] أضطرت على اثرها إلى الأنسحاب إلى مدينة ايميسا التي دارت عند اسوارها معركة بين الطرفين [5]، أجبرت زنوبيا على سحب قواتها والتحصن داخل مدينتها (تدمر) فأسرع الإمبراطور اورليان إلى محاصرتها قبل أن تتمكن من الاتصال بالساسانيين وبالقبائل العربية المجاورة، وقد بذل الإمبراطور عدة محاولات لأقتحام المدينة من دون جدوى بسبب قوة تحصيناتها وبسالة أهلها في الدفاع عنها، حتى إن مجلس الشيوخ الروماني سخر منه لعجزه عن الاستيلاء على مدينة صحراوية والتغلب على امـرأة فكتب راداً عليهم

1- بروبوس: تولى اورليوس بروبوس (276 – 282م) عرش الإمبراطورية الرومانية بعد الإمبراطور تاسيتوس الذي حكم مدة قصيرة بعد اورليان
(الاحمد، تاريخ الرومان، ص232؛ Robinson,Op.Cit,part.11,p.400).

2- Cary& Litt, Op.Cit,p.728.

3- اليسوعي، زينب، ع22، ص1034.

4- للتفصيل عن هذه المعركة انظر: الخالدي، تدمر ابان القرنين الثاني والثالث، ص67 – 69.

5- للتفصيل انظر: اليسوعي، زينب، ع22، ص1035 – 1036.

"قد يضحك مني بعض الناس على محاربتي لامرأة... فاعلموا إن زينب إذا قاتلت كانت أرجل من الرجال " [1].

وكانت زنوبيا في مقاومتها للحصار قد علقت الأمال في الحصول على مساعدة الساسانيين والقبائل العربية المجاورة، إلا إنها اصيبت بخيبة أمل فالساسانيين على الرغم من إنهم كانوا تواقين لمساعدتها ضد خصمهم اللدود، إلا انهم كانوا في شغل عنها، إذ توفي الملك سابور الأول سنة 272م وكان ابنه هرمز الأول (272 – 273م) الذي تولى العرش من بعده رجلاً ضعيفاً فعزل بعد سنة من تنصيبه، واشتعلت نيران الفتن الداخلية التي لم تسمح لهم وهم في هذه الحالة أن يقدموا أي مساعدة لزنوبيا [2]، أما القبائل العربية فأمرها معروف فهي مع الأقوى دائماً، وقد وجدوا إن مساندتهم لزنوبيا لن تفيد لأن قوة الرومان كانت أكبر من أن ينالوا منهم، ولذلك تخلوا عن مناصرتها، لا بل إن قسماً منهم أنضم إلى جانب الإمبراطور الذي أغدق عليهم الاموال ووعدهم بأن يكونوا ضمن عساكره الذين ينالوا الالقاب والجاه [3].

ازاء ذلك وبعد أن تعزز موقف الإمبراطور اورليان بوصول الإمدادات العسكرية، لم تر زنوبيا بُداً غير الألتجاء إلى الساسانيين والأستنجاد بهم [4]، غير إن جند الإمبراطور اكتشفوا تحركها وتمكنوا من القاء القبض عليها وهي تهم ركوب زورق لعبور نهر الفرات، وكان ذلك في اوائل سنة 273م [5]، وقد نتج عن أسر زنوبيا أن اضطر أهل تدمر إلى الاستسلام، فدخل الإمبراطور اورليان المدينة وأستولى على ما فيها من الثروات،

1- نقلاً عن: المصدر نفسه، ع22، ص1037 – 1038؛ علي، المفصل، ج3، ص120.

2- علي، المفصل، ج3، ص121.

3- المصدر نفسه، ج3، ص121؛ باشميل، العرب في الشام، ص70 – 71.

4- اليسوعي، زينب، ع23، ص1058.

5- Zosimus,Op.Cit,bk.1,ch.27

وللتفصيل انظر: علي، المفصل، ج3، ص122 – 123.

ثم ترك فيها حامية من جنده وأنسحب مع اسيرته إلى روما [1]، إلا إنه في طريق العودة سمع بتمرد أهل تدمر وقتلهم الحاكم الروماني وتنصيبهم احد افراد اسرة زنوبيا حاكماً عليهم، وفي الوقت نفسه تمرد أهل مصر أيضاً على الحاكم الروماني وأخذوا يسعون للتعاون مع أهل تدمر لتشكيل جبهة موحدة هدفها الاستقلال عن الرومان عند ذلك عاد الإمبراطور اورليان مسرعاً إلى تدمر فدخلها واستباح لجيشه تدميرها ونهبها، ثم توجه بعد ذلك إلى مصر وتمكن من القضاء على تمردها، ثم عاد إلى روما سنة 274م بعد أن أعاد لسلطان روما من جديد أقاليم الشرق [2]، ولقب بلقب (معيد الشرق إلى روما) [3].

1- اليسوعي، زينب، ع23، ص1059 – 1060.

2- للتفصيل انظر: البني، تدمر والتدمريون، ص86 – 87.

3- Cary& Litt,Op.Cit,p.729;

باشميل، العرب في الشام، ص78

الفصل الثالث

التنافس الروماني ـ الساساني على الجزيرة الفراتية وأرمينيا (276 ـ 379 م)

المبحث الأول – استيلاء الرومان على طيسفون والتنازل الساساني عن الجزيرة الفراتية وأرمينيا سنة 283م.

المبحث الثاني – دقليديانوس وحكومته الرباعية (284 – 312م).

المبحث الثالث – معاهدة السلم الأربعيني.

المبحث الرابع – الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين الاول (306 – 337م).

1 – مرسوم ميلان سنة 313م.

2 – بناء القسطنطينية (324 – 330م).

المبحث الخامس – الدولة الساسانية في عهد الملك سابور الثاني (309 – 379م).

1 – علاقة الملك سابور الثاني بالعرب.

2 – موقف الدولة الساسانية من الديانة المسيحية (الاضطهاد الأربعيني).

3 – محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على أرمينيا 337 – 342م.

4 – محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على نسيبيس 338 – 350م

5 – استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا سنة 350م واستعادة الرومان لها سنة 352م

المبحث السادس – الاوضاع العامة في الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية خلال المدة (350 – 357م) وأثرها في تجدد الحروب بينهما.

المبحث السابع – استيلاء الملك سابور الثاني على (أمد، سنجار، بازبدا سنة (359 – 360م)

المبحث الثامن – حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م.

المبحث التاسع – استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا 367 – 368م.

المبحث الأول:
استيلاء الرومان على طيسفون والتنازل الساساني عن الجزيرة الفراتية وأرمينيا سنة 283م

في سنة 276م توفي الملك بهرام الأول فتولى الحكم من بعده ابنه بهرام الثاني (فهرام الثاني) (Vahram 11) (276 – 293م) وتجمع المصادر على أنه في سنة 282م واجه تحدياً خطيراً هدد عرشه من الجهة الشرقية لإمبراطوريته، فقد رفع راية العصيان ضده أخيه هرمز الأول حاكم إقليم سيستان (سجستان) وحاول الأنفصال عن الدولة وساعده في ذلك أمير مملكة كوشان الذي كان يأمل هو الآخر استعادة استقلال بلاده[1]، كما حظي بتأييد ملك أرمينيا عمه الامير نرسي الطامع بالعرش الساساني[2]، وبينما كان الملك بهرام الثاني منشغلاً بالقضاء على ذلك التمرد هاجم الإمبراطور الروماني ماكسيوس اوريليوس كـاروس (Carus M.Aurelius) (282 – 283م)[3] أرض الجزيرة الفراتية وتمكن من الاستيلاء عليها بسهولة [4] ولصعوبة مواجهة خطرين

1- Ghirshman, Iran from, P.294;
يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص229؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص443؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص802.

2- زرين كوب، روزكاران، ص198؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص26.

3- بعد وفاة الإمبراطور اورليان سنة 275م مارس مجلس الشيوخ سلطته للمرة الأخيرة في إنتخاب الإمبراطور كلوديوس تاسيتوس (M.Claudius Tacitus) (275 – 276م) ولم يمض وقت طويل على تنصيبه حتى إغتاله بعض جنوده ونادوا باخيه فلوريانوس 276م إمبراطوراً بدلاً له غير إنهم قتلوا الاخير عند سماعهم بترشيح الفرق الاخرى إلى اورليوس بروبوس (M. Aurelius Probus) (276 – 282م) إمبراطوراً وقد أحرز انتصارات في الراين والدانوب، كما أخمد ثورات في آسيا الصغرى ومصر، ثم ثار عليه الجند ونصبوا بدلاً عنه اوريليوس كاروس، وعين الأخير ولده كارينوس شريكاً معه في الحكم وعهد إليه مواجهة القبائل الجرمانية في جهة الغرب في وقت سار هو إلى الشرق لمحاربة الساسانيين (جيبون، اضمحلال، ج1، ص282؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص232).

4- رازي همداني، تاريخ مفصل، ص60؛ أبو مغلي، إيران، ص144 – 145.

في آن واحـد، وللخطـورة التي شكلها ذلك التمرد على عرشه قرر الملك بهرام الثاني التفرغ لمواجهته بعقد الصلح مع الإمبراطور الروماني كاروس فأرسل رسله إليه للتفاوض بشأن ذلك، ويبدو أن الاخير كان مصرًا على تأديب الساسانيين وإجبار ملكهم على دفع ثمن فتوحات جده الملك سابور الأول غالياً فرفض الصلح ورد الرسل مهدداً " طالما إن ملك بلاد فارس لا يخضع فلن اترك القتال وساجعل بلاد فارس جرداء لا شجر فيها " [1]، والراجح إن ذلك التهديد أخذ مأخذه في إلقاء الرعب في نفوس الساسانيين إذ تشير المصادر إلى إن الإمبراطور في تقدمه باتجاه العاصمة طيسفون لم يجد مقاومة يعتد بها، ولذلك تمكن من الاستيلاء عليها بسهولة سنة 283م، إلاّ أنه لم يهنأ بذلك الانتصار طويلاً فقد وجد ميتاً في خيمته[2].

أربـك مـوت الإمبراطـور كاروس صفـوف الجيـش الرومانـي المرابـط فـي العاصمـة الساسـانية طيسـفون، فوجـد الملـك بهـرام الثاني فـي ذلك فرصة مناسـبة للتخلـص من خطرهم[3]، فبعث إلى إمبراطورهم الجديـد نوميريانوس (Numerianus) (283 – 284م) – وهـو ابـن الإمبراطـور كاروس – هدايـا ثمينـة كـي يكسـب صداقته وعـرض عليـه الصلـح والإنسـحاب مـن العاصمـة طيسـفون[4]، بالمقابـل وجـد الإمبراطـور نوميريانـوس فـي قبـول عقـد الصلـح فرصـة جيدة لإعـادة تنظيم جيشـه والتفـرغ لمواجهـة خطر القبائـل السـارماتية[5] (Sarmatians) التي تهـدد حدود دولته من جهة تراقيا [6].

1- مشكور، إيران، ص397 – 398؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص556؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص231.
2- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص229؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص444؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص60؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص29.
3- زرين كوب، المصدر نفسه، ص444.
4- Ghirshman, Iran from, p.295.
5- تشمل سارماتيا كل المنطقة الواقعة شرقي نهر الفستولا (طرخان، دولة القوط، ص8 هامش (5)).
6- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص112؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص29.

وهكذا عقد الإمبراطور نوميريانوس سنة 283م صلحاً مع الملك الساساني بهرام الثاني تنازل الأخير بموجبه للرومان عن أرض الجزيرة الفراتية وأرمينيا [1].

إنّ هذا التنازل وإن دل على ضعف الملك الساساني بهرام الثاني إلاّ أنّ له أسبابه فإقليم سجستان من الأقاليم الاستراتيجية المهمة للإمبراطورية الساسانية بسبب قربه من مملكة كوشان المركز الرئيس في تجارة بلاد فارس مع الشرق والهند من جهة ولأنه الحاجز الذي يمنع عنها هجمات القبائل البربرية فيما وراء النهر من جهة ثانية، لذا تطلب الأمر من الملك بهرام الثاني أن يوجه كامل قواه العسكرية لمواجهة تمرد اخيه ومحاولته الانفصالية هناك، ولم نجد في المصادر التي ذكرت أخبار ذلك التمرد ولا تفاصيل إخماده والسنة التي أخمد فيها، إلاّ أنّها أشارت إلى أنّ الملك بهرام الثاني خلد انتصاره ذلك في نقش رستم[2] وبعد أن تمكن من إخماده وإحكام سيطرته على الإقليم عهد بولايته إلى ابن أخيه هرمز الامير بهرام الثالث [3]، ولقبه بـ (سكانشاه) أي ملك سجستان[4].

وفيما يتعلق بأرمينيا فأن الرومان ولكي يضمنوا بقائها تحت نفوذهم عينوا على عرشها سنة 286م تيرداد الثالث (286 – 331م) ابن الملك خسروف الثاني الناقم على الحكم الساساني فقام وبدعم من الرومان بمهاجمة ممتلكات الساسانيين في اتروباتين وأرض الجزيرة الفراتية، ولم يتمكن الملك بهرام الثاني من مواجهته [5].

1- Ghirshman, Iran from, p.295; Bausani, Op.Cit, p.58;
يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص229؛ كرستنسن، إيران، ص217.

2- كرستنسن، المصدر نفسه، ص218.

3- المصدر نفسه، ص217 – 218؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص91.

4- الاصفهاني، تاريخ سني، ص40؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص106؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص29.

5- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص113؛ زرين كوب، روزكاران، ص199.

المبحث الثاني:
دقلديانوس وحكومته الرباعية (284 ـ 312م)

وقع اختيار الجند على القائد دقلديانوس[1] (Dioclctien) (284 – 305م) فأعلنوه إمبراطوراً عقب مقتل الإمبراطور نومريانوس من قبل البعض من ضباطه خلال مرورهم بآسيا الصغرى في طريق العودة [2].

تجمع المصادر على أن مدة حكم الإمبراطور دقلديانوس تمثل بداية حقبة جديدة من حقب التاريخ الروماني أمتدت إلى نهاية القرن الرابع الميلادي تقريباً، فتذكر عنه إنه أمسك زمام الامور بيد قوية، وكرس نفسه لمهمة أعجزت من سبقه من الأباطرة وهي وقف الإمبراطورية الرومانية من الإنزلاق إلى هوة التدهور والفوضى التي كانت مندفعة إليها وإعادتها إلى سابق مجدها وعظمتها[3]، ولتحقيق ذلك وجه جهوده نحو ثلاثة أهداف كبرى هي:

---

1 – دقلديانوس: سمي دقلديانوس نسبة إلى البلدة التي ولد فيها (ديوكليا) في إقليم دلماشيا سنة 245م، وقيل إنه ولد في سالونا (Salona)، كان والده من العبيد المعتوقين، تدرج في مراتب الجيش من جندي بسيط حتى وصل إلى مرتبة القنصل ثم تولى وظيفة قائد القصر الإمبراطوري وهي من الوظائف الخطيرة، ظهرت كفاءته في حرب الساسانيين خلال حكم الإمبراطور نومريانوس (283 – 284م)، وبعد وفاة الأخير أعترف به بأنه أجدر شخص لعرش الإمبراطورية (جيبون، اضمحلال، ج1، ص285 – 286؛ عمران، محمود سعيد، مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي، (د.م:1996م)، ص48؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص234).

2- Cary& Litt, Op, Cit, p.73; Robinson, Op.Cit, part.11p.401;
جيبون، المصدر نفسه، ج1، ص286.

3 – عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص341 – 342؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص36؛ الحويري، رؤية، ص34؛ العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص243؛ الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ مصر البيزنطية، (د.م:1999م)، ص85

1. تقوية سلطته المركزية.
2. إقامة جهاز إداري منظم يتمكن من الإشراف على شؤون الدولة وموظفيها.
3. فصل السلطتين العسكرية والمدنية فصلاً تاماً [1].

ويفوق أعمال دقلديانوس أهمية في مجال إصلاحه لنظام الحكم والإدارة إدراكه صعوبة أنْ يدير رجل واحد إمبراطورية مترامية الأطراف يتربص بها الاعداء من كل جانب لذلك أصدر سنة286م مرسوماً يقضي بأن تكون السلطة العليا في يد إمبراطورين يتخذ كل منهما لقب (اغسطس) أي إنّ الإمبراطور قسم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي، يتولى هو حكم القسم الشرقي وعهد بحكم القسم الغربي إلى صديقه مكسيميان (Maximian) [2]، ولتجنب قيام تمردات محلية نتيجة لمزاعم الجند بأن لهم الحق في تنصيب الأباطرة ووضع حد للمغامرين العسكريين من أمكانية وصولهم إلى العرش أصدر دقلديانوس سنة 293م مرسوماً جديداً يقضي بأن يكون لكل إمبراطور ولي عهد (نائب) يحمل لقب (قيصر) ليحل محله عند وفاته أو استعفائه من الحكم[3]، فأصبح كالريوس (Calerius) قيصراً له وقسطنطيوس (Constantius)

1- **Ostrogorsky, Op.Cit, p.34;**

عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص13؛ عبد العزيز، وسام، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية 284 – 1025م، (القاهرة:1982م)، ج1، ص7.

2- **العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية 323 – 1081م، (بيروت: دار النهضة العربية، 1982م)، ص23 – 24؛ الشيخ، تاريخ مصر، ص15؛**

Homo, Leon., Roman Political Institutions From City to State, (London, 1929), p.280; Reid, J.S., The Re Organization of The Empire, In The Cambridge Medieval History, (Camridge, AtUniversity Press, 1936), Vol, 1, p.27.

3- **العريني، الدولة البيزنطية، ص24؛ عبد الحميد، رأفت، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1997م)، ص11 – 12؛**

Reid, Op.Cit, p.27; Jones, The Later Roman Empire, Vol.I, p.39).

قيصراً إلى الإمبراطور الثاني مكسيميان، وجرى توثيق الوحدة السياسية بين اولئك الاربعة بالمصاهرة والزواج [1].

ويبدو إن الإمبراطور دقلديانوس أدرك بثاقب بصره أن المركز الحقيقي لقوة العالم الروماني أصبح في الشرق، حيث أمتازت ولاياته بوفرة خيراتها، وكثـرة سكانه، ومهارة أيديه العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة، فأتخذ من نيقوميديا[2] (Nicomedia) عاصمة له [3]، بعد أن احتفظ لنفسه بحكم تراقيا وآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر [4]، ولأعتبارات عسكرية أتخذ الاغسطس مكسيميان من ميلان شمال إيطاليا عاصمة له، ذلك لأنها تتحكم في معظم ممرات جبال الألب الأمر الذي يسهل عملية نقل جيوش الإمبراطورية منها إلى غالة والمانيا عند الهجوم أو اخماد أي تمرد[5]، أما نطاق حكمه فشمل فضلًا عن إيطاليا نفسها الأراضي الواقعة بين نهر الدانوب وبحر الادرياتيكي إلى جانب أفريقيا [6].

كذلك أختار القياصرة عواصمهم في أقصى الغرب وأقصى الشرق بحيث يُمكَنهم وضعهم من حماية الحدود ضد الساسانيين والقبائل الجرمانية، فالقيصر قسطنطيوس الذي عهد إليه الدفاع عن بلاد الغال وبريطانيا وأسبانيا أتخذ من مدينة

1- Homo, Op.Cit, p.280;

جيبون، اضمحلال، ج1، ص290

2- نيقوميديا: تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة وهي مدينة ازمير التركية في الوقت الحاضر (معلوف، المنجد، ص42 (.

3- دياكوف و كوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص692؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص36 – 37؛ Cary& Litt, Op.Cit, p.159

4- Painter, S., AHistory of The Middle Ages, (NewYork, 1954), p.6.

5- Bloch, G., Empire Romain, (Paris, 1931), p.195;

جيبون، اضمحلال، ج1، ص293

6- أي البلاد المعروفة باسم الجزائر، تونس وطرابلس في الوقت الحاضر

Painter, Op.Cit, p.5.

تريف[1] عاصمة له، أما القيصر كالريوس فقد أتخـذ مـن سرميـوم[2] عاصمة له، ونطاق حكمه كان منطقة الدانوب وشبه جزيرة البلقان التي تضم كل من (داكيا ومقدونيا وبلاد اليونان) [3].

وهكذا أصبحت الإمبراطورية الرومانية مقسمة إلى أربعة أقسام كبرى يحكمها أربع حكام، اثنان منهم أعلى مقاماً يحملان لقب الإمبراطور والاثنان الباقيان أقل درجة ويحملان لقب (قيصر) يخلفان الأولين في حالـة الوفـاة أو العزل[4]، ومما ينبغي تأكيده أن هذا الأجراء لم يكن تقسيماً حقيقياً للإمبراطورية، بل كان تقسيماً لأعباء إدارتها، فلم يكن هناك إمبراطوريتان أو أربعة بل إمبراطورية واحدة وعلى الرغم من أن الإمبراطورين كانا متساويين أسمياً في الحقوق، إلا إنهما لم يكونا كذلك فعلياً إذ أن سلطة الإمبراطور دقلديانوس هي التي كانت تحكم سلطة زميله مكسيميان[5].

والظاهر أن هذا النظام حقق المنفعة السياسية المتوخاة في إعادة الأمن والإستقرار إلى الدولة، فتذكر المصادر أن الإمبراطورين ومساعديهما أنشغلوا في الدفاع عن مناطقهم ونجحوا في إيقاف الهجمات الخارجية وقمع الثورات المحلية، فقد قضى مكسيميان على تمرد الفلاحين[6] في غالة سنة 286م، وإستعاد قسطنطيوس

1- تريف: ترير في الوقت الحاضر غرب المانيا (معلوف، المنجد، ص172).

2- سرميوم: بلغراد في الوقت الحاضر عاصمة الصرب على ملتقى الدانوب وسافا (المصدر نفسه، ص134).

3- Painter, Op.Cit, p.5;
دوسن، كرستوفر، تكوين اوربا، ترجمة ومراجعة: محمد مصطفى زادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب،1967م)، ص21؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص37؛ الحديثي والحيدري، دراسات، ص244.

4- عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص38؛ عكاشة واخرون، اليونان والرومان، ص206.

5- Vasiliev, Op.Cit, p.78; Lot.F., The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, (London, 1931), p.14; Betten, Op.Cit, p.553.

6- عرف هؤلاء الفلاحون باسم الباغوادي حيث تركوا اراضيهم سنة 286م ونظموا عصابات مسلحة للنهب والقتل، وذلك بسبب ثقل الضرائب وعدم قدرتهم على الدفع بسبب تخريب الغزوات الجرمانية لأراضيهم (الاحمد، تاريخ الرومان، ص235).

بريطانيا وأعاد الأمن إليها بعـد أن قتل كيروسيوس[1] (Carousius) سنة296م، كما صد القيصران هجمات القبائل الجرمانية علـى حدود الراين والدانوب، كذلك قضى الإمبراطور دقلديانوس على تمرد نشب في مصر سنة 296م بزعامة دمتيانوس[2] (Domitianus) وأرسل قوات[3] لضرب القبائل المعروفة باسم البليميس(Al - Blemyes) الذين كانوا يهاجمون جنوب مصر [4].

ومما لاشك فيه أن نجاح هكذا نظام يحتاج إلى يد قوية وحازمة ولذلك عمد الإمبراطور دقليديانوس إلى أن يضفي على منصب الإمبراطور نوعاً من المهابة ومظاهر القداسة تثير الرهبة في نفوس رعاياه[5] فتخلص من مظاهر الحكم الجمهوري وتبنى المراسيم الملكية الاستبدادية المطلقة بحيث أصبحت تلك المراسيم واحدة

1- هـو قائـد اسـطول مضيق القنـال (بحر الشـمال) المسـؤول عـن حراسـة وحماية السـاحل الشـمالي لغالة المطـل علـى المحيـط الاطلسـي مـن القراصنـة، أعلـن نفسـه سـنة 287م إمبراطـوراً فـي بريطانيا وسـيطر علـى مينـاء غيسـورياكوم (مينـاء غالة) وتحالـف مع القبائـل البربريـة عبر الرايـن وأخذ يهـدد غالة، خرج الإمبراطـور مكسـيميان لحربـه ألاّ إنـه أضطـر إلـى عقـد السـلام معـه بعـد أن تحطم اسـطوله فـي عاصفة سـنة290م، غيـر إن قسـطنطيوس تمكـن من دحـره وقتله سـنة 297م (جيبـون، اضمحـلال، ج1، ص291؛ Robinson, Op.Cit, part 1, p.159).

2- هوأحد القواد الرومان، عرف في مصر باسم اخيليوس (Achilleus) ثار ضد الإمبرطور دقلديانوس وأعلن نفسه إمبراطوراً في مصر متخذاً من مدينة طيبة مركزاً له، ومثلت ثورته خطراً حقيقياً بالنسبة للإمبراطور دقلديانوس لأنها هدفت إلى إيجاد إمبراطور جديد أولاً ولأنها أتخذت من مصر مركزاً لها وذلك يعني منع أرسال القمح إلى روما، للتفصيل عن تلك الثورة انظر: (العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص245 – 246؛ عمران، مقالات، ص54).

3- يذكر إن الإمبراطور دقلديانوس عقد معاهدة مع أهل النوبة والحبشة تنازل فيها عن الأراضي الواقعة بين اسوان ووادي حلفا مقابل أن يصدّ هؤلاء الاعداء الذين يغيرون على حدود مصر الجنوبية، وهذه المعاهدة كانت تتجدد سنوياً ويقام لها احتفال تنحر فيه الذبائح طبقاً لطقوس الديانة المصرية القديمة (عمران، المصدر نفسه، ص54).

4- هسي، ح، م، العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق: رأفت عبد الحميد، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية: 1997م)، ص19.

5- Painter, Op.Cit, p.5.

من العلامات المميزة في البناء الحكومي للإمبراطورية الرومانية[1]، فأدعى أن نفوذه مستمد من الحق الالهي وسلطانه وحقه في العرش هو هبة من الالهة[2]، ولاشك إنه أفاد من وجوده في القسم الشرقي على مقربة من الحكم الساساني في بلاد فارس والعراق ووسط الولايات الشرقية التي كانت تمثل الممالك الهللنستية القديمة في مصر البطلمية وسوريا السلوقية، فأتخذ لنفسه ما يتخذه ملوك الشـرق من لبس التاج المرصع بالجواهر والملابس الحريرية المذهبة، وحجب نفسه عن شعبه وحتى عن كبار موظفيه بمراسيم دقيقة وحاشية كبيرة، فكان على رعاياه إذا ما سمح لهم بالمثول بين يديه أن ينحنوا له صاغرين [3].

وهذا يعني إن النظم والطقوس الشرقية لم يقتصر تأثيرها على تنظيمات الأباطرة فحسب بل أمتدت أيضاً إلى اعلاء كلمة الإمبراطور وتمتعه بسلطة مطلقة تشبه سلطة الأكاسرة.

ويبدو أن تجارب القرن الثالث الميلادي أثبتت للإمبراطور دقلديانوس وجوب إلغاء التمييز بين الولايات السناتورية والولايات الإمبراطورية فأصبحت الولايات كلها تابعة للإمبراطور مباشرة يتولى إدراتها ولاة أقتصرت سلطتهم على النواحي المدنية فقط، أي أنه فصل بين واجبات القائد العسكري والحاكم المدني، وقد اقترن عمله هذا بأنقاص حجم الولايات وزيادة عددها حتى يمنع أستغلال ولاتها لضخامة الولاية ومواردها في التمرد على الحكومة المركزية[4].

1- Vasiliev, Op.Cit, p.p.61 - 62؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص39

2- بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص5.

3- بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص4؛ هسي، العالم البيزنطي، ص20.

4- بينز، المصدر نفسه، ص3، 147 – 150؛ هسي، المصدر نفسه، ص20. يذكر إن الإمبراطور دقلديانوس قسم الولايات الاربعة الرئيسة إلى وحدات إدارية اصغر تسمى كل منهما دوقية بلغ عددها سبعة عشر قسمت بدورها إلى مئة وعشرين ولاية تقريباً، أصبح حكام تلك الولايات مسؤولين أمام نواب الحاكم العام والنواب مسؤولين أمام الحاكم العام للإقليم وهؤلاء الحكام مسؤولين أمام الإمبراطور دقلديانوس الذي يتولى عزلهم وتنصيبهم (عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص38).

ويتراءى لي من خلال استقراء الاحداث إن المؤرخ جونز (Jones) أصاب الحقيقة في ثنائه على منجزات الإمبراطور دقلديانوس في مواجهة الحالة المتدهورة التي خلفتها أزمة القرن الثالث إذ يقول "إنّ أروع انجازات دقلديانوس إنّه تمكن من أن يحكم إحدى وعشرين سنة متواصلة وأن يعتزل في النهاية بصورة طوعية مقارنة مع الفوضى التي سادت الإمبراطورية في القرن الثالث" [1].

في سنة305م أعتزل الإمبراطوران المشاركان دقلديانوس ومكسيميان الحكم فكان إعتزالهما إيذاناً بعودة الفوضى والأضطرابات وتجدد الحروب الاهلية التي أستمرت مدة عشرين عاماً (305 – 324م) من جراء تقسيم الأراضي بين الحكام الأربعة الذين عينهم الإمبراطور دقلديانوس[2]، وبموجب القانون الرباعي الذي أوجده أصبح كالريوس (Galerius) (305 – 311م) حاكماً مشاركاً للقسم الشرقي، وقسطنطيوس (Constantius) (305 – 306م) حاكماً مشاركاً للقسم الغربي، وقد أختارا بدورهما قيصرين لهما فأصبح ماكسيمين دايا (Maximin Daia) قيصراً للشرق وسفيروس (Severus) قيصراً للغرب [3].

لم ينعم الإمبراطور المشارك قسطنطيوس في الحكم طويلاً إذ توفي سنة 306م فأعلن الجيش الروماني المرابط في بريطانيا ابنه قسطنطين إمبراطوراً خلفاً له [4]، وفي السنة نفسها حدث في القسم الشرقي من الإمبراطورية تمرد في روما ضد الإمبراطور

1- **The Later Roman, Vol.1, p.40.**

2- **اومان، شارل، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، (القاهرة: مطبعة دار الفكر العربي، 1953م)، ص12؛ Homo, Op.Cit, p.291.**

3- **تشارلزورث، م. ب، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجيس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة: دار الفكر العربي،1961م)، ص205؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص8 – 9؛**
Robinson, Op.Cit, part.11, p.416.

4- **Eusebius., The History of the Church from Christ to Constantine, Translated by:G.A.Williamson, (Middlesex, 1965,)p.347; Robinson, Op.Cit, part.11, p.417.**

كالريوس، تزعمه ماكسنتيوس(Maxentius) ابن إمبراطور الغرب السابق مكسيميان وقام بدعوة والده ليجلس على عرش القسم الغربي من جديد[1]، فتصدى له قيصر القسم الغربي سيفيروس إلاّ أن ماكسنتيوس تمكن من إلحاق الهزيمة بجيشه وقتله، وفي محاولة لأنقاذ الموقف أعلن إمبراطور الشرق كالريوس قبوله لقسطنطين كقيصر لإقليمي غالة وبريطانيا وقام بتعيين ليكينيوس (Licinius) إمبراطوراً للقسم الغربي من الإمبراطورية، ولم يكن أمام ليكينيوس بعد أن فشل في القضاء على ماكسنتيوس سوى أسترضائه فجعل منه قيصراً نطاق حكمه منطقة الدانوب وشبه جزيرة البلقان[2].

وهكذا أصبح في الإمبراطورية الرومانية سنة 309م ستة أباطرة يحكمون معاً هم (كالريوس، ليكينيوس، قسطنطين، ماكسيمين دايا، ماكسنتيوس ومكسيميان)[3] فكان هذا مدعاة لقيام حرب اهلية قتل على أثرها مكسيميان سنة310م بأمر من قسطنطين[4]، وفي سنة311م توفي إمبراطور القسم الشرقي كالريوس من مرض أصابه وتم تقسيم ممتلكاته بين كل من ليكينيوس وماكسيمين دايا [5]، أما ماكسنتيوس فقد أتسم حكمه بالتعسف ووصف بأنه ذو أخلاق سيئة ومتعطشاً للدماء ولذلك نفر منه شعبه فأستغل قسطنطين ذلك وزحف سنة 312م بجيشه نحو إيطاليا بعد أن تحالف مع ليكينيوس وتمكنا من إيقاع الهزيمة بجيوش

1- رستم، الروم، ج1، ص 52 – 53؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص9؛
Vasiliev, Op.Cit, p.44.

2- عبد العزيز، دراسات، ج1، ص9.

3- جيبون، اضمحلال، ج1، ص669؛ عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص52؛ رستم، الروم، ج1، ص52.

4- رستم، المصدر نفسه، ج1، ص52 – 53. يذكر إن مكسيميان أختلف مع ابنه فتركه والتحق بمعسكر قسطنطين وحين حاول الثورة ضده قبض عليه قسطنطين وقتله
(Jones, A.H.M., Constantine and the Conversion of Europe, (London, 1961), p.p.71 - 72).

5- Ibid, p.72; Robinson, Op.Cit, part.11, p.417;
رستم، المصدر نفسه، ج1، ص53؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص10.

ماكسنتيوس في معركة (ساكسه روبرة) (Saxa Rubra)[1] في السنة نفسها، وتمكن ماكسنتيوس من الهرب إلاّ إنه ما لبث أن غرق في أثناء هروبه في مياه نهر التيبر[2].

وهكذا لم يبق في الميدان سوى قسطنطين الذي أنفرد بحكم القسم الغربي وليكينيوس الذي أنفرد بحكم القسم الشرقي من الإمبراطورية.

ويتبين لنا مما تقدم إن الحروب الاهلية التي اندلعت عقب اعتزال الإمبراطور دقلديانوس وأن الأستقرار والأمان الذي عم الإمبراطورية طوال عهده الذي استمر من (284 – 305م) لم يكن راجعاً إلى النظام الاداري الجديد الذي أدخله إلى الإمبراطورية بل يعود بالدرجة الأولى إلى شخصية دقلديانوس نفسه بدليل أنه عندما أستقال من منصبه أجبر زميله مكسيميان على التقاعد مثله.

1- وتسمى أيضاً بمعركة الصخور الحمراء أو معركة جسر ميلفيان (Milvian Bridge) الواقع شمال روما بمسافة ثلاثة اميال أي 6 كم (تشارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص207؛ عبد الحميد، بيزنطة، ص35؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص53).

2- كانتور، تاريخ العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مراجعة: علي الغمراوي، (القاهرة: 1977م)، ج1، ص76؛

Reid, Op.Cit, p.4; Vasiliev, Op.Cit, p.44.

المبحث الثالث:
معاهدة السلم الاربعيني سنة 298م

ما أن تولى نرسي[1](Narsea) (293 - 302م) عرش الدولة الساسانية حتى أستغل انشغال الإمبراطور الروماني دقلديانوس بأخماد تمرد نشب في مصر ضد الحكم الروماني وقام في أوائل سنة 296م بمهاجمة أرمينيا فتمكن من الاستيلاء عليها وطرد ملكها تيرداد الثالث (286 - 331م) الذي سارع بالأرسال إلى روما مستنجداً [2]، فأثار هذا الأمر الإمبراطور الروماني دقلديانوس فأستدعى نائبه وصهره القيصر كالريوس (Galerius) الذي كان يتولى قيادة الجيوش الرومانية في منطقة الدانوب وأمره بقيادة الجيش الروماني الموجود في سوريا وبالتعاون مع الجيش الأرمني الذي يقوده الملك تيرداد الثالث توجها لمحاربة الملك الساساني نرسي فألتقى الفريقان في اواخر سنة 296م بالقرب من كرها ودارت بين الجانبين معركة أنتهت بهزيمة الرومان وفرار القيصر كالريوس والملك الأرمني تيرداد الثالث [3]، إلّا أنّ القيصر كالريوس ثار لهزيمته في السنة التالية أي سنة 297م وتمكن بهجوم ليلي مباغت من جهة أرمينيا من إيقاع الهزيمة بالجيش الساساني الذي ضعفت قواه وفقد قدرته على المقاومة بعد أن

1- هو اخو بهرام الثالث بن هرمز بن سابور، تولى عرش الدولة الساسانية بعد اخيه بهرام الثالث الذي لم يستمر حكمه سوى أربعة اشهر (الاصفهاني، تاريخ سني، ص14؛ ابن قتيبة، المعارف، ص655.

2- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص114؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص558.

3- Jones, The Later Roman, Vol.1, p.4;

استارجيان، المصدر نفسه، ص114؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص56؛ زكي، محمد امين، و عوني، محمد علي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الان، (بغداد: مطبعة صلاح الدين، 1961م)،ج1، ص88؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص811.

اصيب ملكه نرسي وفراره متخلياً عنه وعن زوجته الملكة (ارسان) التي وقعت مع عدد من أفراد أسرته أسرى بيد الرومان[1]، وعلى أثر ذلك الانتصار عبر الإمبراطور دقلديانوس الفرات وألتقى مع نائبه القيصر كالريوس في منطقة نيسيبيس[2]، أما الملك الساساني نرسي فلم يجد أمامه خيار غير طلب الصلح فأرسل رسله إلى القيصر كالريوس للتفاوض بشأن ذلك فوافق الاخير سنة 298م على عقد معاهدة صلح بين الطرفين عرفت بمعاهدة نيسيبيس[3]، أما شروطها التي فرضها القيصر كالريوس على الملك نرسي فهي:

1. يكون نهر دجلة حداً فاصلاً بين الإمبراطوريتين بدلاً من نهر الفرات.
2. بموجب الشرط الأول يتنازل الساسانيون عن الولايات الخمسة الواقعة على ضفتي نهر دجلة وهي (ارزون (ارزن) [4]، مك أو ملوك، زابدة، رحيمة، كردو أو كاردو) إلى أرمينيا.
3. تكون أرمينيا دولة مستقلة ويعاد تيرداد الثالث ملكاً عليها.
4. إطلاق يد الرومان في إقليم ايبريا (Iberia) (كرجستان)، وتأتي أهمية هذا الشرط من أن الايبريين كانوا يسيطرون على أحد مضايق جبال القفقاس

1- **Cary& Litt, Op.Cit, p.730;**

سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص559؛ كرستنسن، إيران، ص233؛ رستم، الروم، ج1،ص50.

2- **استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص115؛ تاج بور، تاريخ الاقليتين المذهبية، ص 159.**

3- **نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص81 – 82 هامش (3)؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص61 – 62؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص57.**

4- **ارزون: او ارزن، مدينة بالقرب من خلاط لها قلعة حصينة، وهي غير ارزن الروم (ارضروم) التي هي بلدة اخرى من بلاد أرمينيا (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج1، ص125؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص395)، وموقع ارزن كما ذكره (لسترنج) على شيء يسير من ميافارقين على الضفة الغربية لنهر أو وادٍ يسمى سربط (بلدان الخلافة، ص141)، أما (مك او ملوك، وزابدة، ورحيمة، وكردو او كاردو) فلم أتمكن من تحديد اسمائها ومواقعها لعدم ذكر المصادر الجغرافية المتوافرة في مكتباتنا لها.**

المسمى بمضيق داريال[1] وكان سكان الشمال يستطيعون الأعتداء على حدود بلاد فارس بموافقتهم.

5. تكون مدينة نيسيبيس المركز التجاري الوحيد الذي يتم فيه تبادل البضائع التجارية بين الإمبراطوريتين.

6. تكون مدة المعاهدة أربعون سنة[2].

وتشير بعض المصادر أن الشرط الأخير حذف من شروط المعاهدة نزولاً عند رغبة الملك نرسي[3].

لقد حققت تلك المعاهدة للرومان مكاسب لم يسبق وأن حصلوا عليها لذا استمروا في تطبيق بنودها دون إخلال [4]، وفيما يتعلق بأرمينيا فقد منحتها تلك المعاهدة حياة سياسية مستقلة مدة أربعين سنة (298 - 337م)، وجعلت منها طيلة المدة المذكـورة حليفة للرومان ترتبط معهم باتفاق دفاعي عسكري[5]، أما نتائج تلك المعاهدة على الجانب الساساني فكانت وبالاً عليه إذ أستغل العظماء[6] المتنفذون

1- مضيق داريال: هو أحد ممرات جبال القفقاس المعروف بممر قلعة باب اللان الواقعة على راسه (ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص136) يوصل أرمينيا مع الأقاليم التي تقع خلف هذه الجبال (طه، صلاح الدين امين، فتح العرب ارمينية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد - كلية الاداب،1970م)، ص 22).

2- مشكور، إيران، ص399 - 400؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص560؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص233؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص61؛ زرين كوب، روزكاران، ص200؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص57؛ زكي وعوني، خلاصة تاريخ الكرد، ج1، ص88.

3- سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص560؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص812؛ بيرنيا، المصدر نفسه، ص233.

4- Ghirshman, Iran from, p.296.

5- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص114.

6- العظماء: هؤلاء يمثلون الطبقة العليا أو الممتازة في سلم الطبقات الرباعي الذي وضعهُ الملك اردشير الأول للمجتمع الساساني، وقد أسندت اليهم إدارة أمور الدولة مثل، رئيس الوزراء والقائد الاعلى للجيش ورئيس الكتاب (للتفصيل انظر: الموسوي، جواد مطر، وصالح، مهدية فيصل، طبقات المجتمع الساساني (226 - 636م)، مجلة (كلية الاداب)، العدد 68، (بغداد: 2005م)، ص79 - 85).

ورؤساء الاسر النبيلة[1] ضعف السلطة المركزية التي يمثلها ملك الملوك في العاصمة طيسفون وأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة الداخلية المهمة حتى وصل بهم الامر إلى حد تعيينهم الملك وعزله وقد ظهر ذلك واضحاً في عزلهم الملك (اذر نرسي) [2] سنة 309م بعد مدة قليلة من توليه الحكم بعد أبيه هرمز الثاني(هرمزد الثاني) (Harmizd II) (302 – 309م)، كما سملوا عينا أحد أخوته، وسجنوا الاخر وهو(هرمز) إلا إنّه تمكن من الهرب من سجنه والتجأ إلى الرومان[3]، ونصبوا على عرش الدولة الطفل سابور الثاني (شابور الثانـي) (Shahpur II) (309 – 379م) تحت وصاية أمه وهو لا يزال صغيراً في المهد[4].

1- رؤساء الاسر النبيلة: يقصد بهم رؤساء الاسر السبع ذات السيادة والنفوذ في الدولة الساسانية وهم: الاسرة الاردوانية (الساسانية) واسرة قارن وسورين واسباهبد وزيك وسبندياد ومَهَّران (للتفصيل انظر: المصدر نفسه، ص81 – 83).

2- لـم نجـد فـي المصـادر القديمـة إن اذر نرسـي تولـى الحكـم، ولعل ذلك يعـود إلـى إن مدة حكمـه كانت قصيرة جداً.

3- نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص82 هامش رقم (1)؛ دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص295؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص448.

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص141؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص62.

المبحث الرابع:
الإمبراطورية الرومانية
في عهد الإمبراطور قسطنطين الاول (306 ـ 337م)

لم يستمر الصفاء والتفاهم بين الإمبراطورين الظافرين قسطنطين وليكينيوس طويلاً، إذ تشير المصادر إلى أنهما تحولا منذ سنة 313م إلى خصمين، نتيجة أطماع كل منهما في فرض سيطرته على أنحاء الإمبراطورية كافة[1]، فأشتبك الطرفان في معارك عدة أسفرت عن أنتصار قسطنطين في معركة خريسوبولس (Chrysopolis) إذ قتل فيها غريمه سنة 324م وبذلك أصبح قسطنطين حاكم الإمبراطورية الأوحد حتى وفاته سنة 337م [2].

وتجمع المصادر على أن بداية حكم الإمبراطور قسطنطين تعد مرحلة انتقالية لبداية قيام الإمبراطورية البيزنطية لما فيها من أحداث كان لها آثارها المهمة في إعطاء الجزء الشرقي من الإمبراطورية وجهة جديدة خاصة تميزه عن كل من الإمبراطورية الرومانية القديمة، والجزء الغربي من أوربا، ومن أهم هذه الاحداث:

1- **Orton, C.W.Previte., " The Later Roman Empire to the Twelfth Century", In The Shorter Cambridge Medieval History, Vol.1, (Cambridge At the University Press, 1953), Book.1, p.1; Betten, Op.Cit, p.558.**

رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص19؛ اليوسف، عبد القادر احمد، الإمبراطورية البيزنطية، (بيروت: المكتبة العصرية، 1966م)، ص12.

2- **جيبون، اضمحلال، ج1، ص319؛ رستم، الروم، ج1، ص53؛ عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية " مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي "، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2000م)، ص22.**

1. الأعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية.
2. نقل العاصمة من شواطئ نهر التيبر إلى شواطئ البوسفور، ومن روما إلى القسطنطينية أو ما يعرف بروما الجديدة [1].

1 ـ مرسوم ميلان سنة 313م.

وقفت الدولة الرومانية من المسيحيين موقفاً معارضاً لتحديها المعلن للنظم الرومانية القائمة على أسس وثنية إذ فرضت على رعاياها تأليه الإمبراطور، فأخذت تجاهر برسالة السيد المسيح القائلة (لا تعبد غير الرب إلهك) ولم يكتف المسيحيون بذلك بل تطاولوا على آلهة الدولة المقدسة ووصفتها بأنها (شرذمة من الأبالسة)[2]، وكان من الطبيعي أن يتحول موقف الأباطرة الرومان ازاء هذا التشدد المسيحي من سياسة المهادنة إلى سياسة الاضطهاد [3][4].

1- بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ي؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص6؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص26؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص11.

2- عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص28.

3- لم تقتصر سياسة الاضطهاد على الأباطرة المتطرفين أمثال نيرون (54 - 68م) وهو أول من اتبع هذه السياسة، ودوميشيان (81 - 96م) وتراجان (98 - 117م) وانطونيوس بيوس، وماركوس اورليوس (161 - 180م)، للتفصيل عن ذلك انظر: (جيبون، اضمحلال، ج1، ص423 - 440؛ سفينسيسكايا، المسيحيون الاوائل، ص261 - 264؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص51)، بل شملت كذلك أباطرة مصلحين معروفين باعتدالهم ومنهم دقلديانوس الذي عرف بسفاح المسيحيين، فقد نص مرسومه الذي اصدره في 24 شباط سنة 303م على تهديم كنائسهم وحرق كتبهم وحبس قساوستهم وطردهم من الوظائف الحكومية، وأمر بتطبيق كافة انواع العقوبات بحقهم (هادريل، ج.م، والاس، أوربا في صدر العصور الوسطى، ترجمة: حياة ناصر الحجي، (الكويت: 1979م)، ص11 - 12؛ يتيم، الأب ميشيل وديك، الأب اغناطيوس، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، (حلب: مطبعة الاحسان، 1963م)، ص68.

4- توفيق، عمر كمال، تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م)، ص41 - 42؛ يتيم وديك، المصدر نفسه، ص68 - 69.

وعندما أعتزل الإمبراطورين دقلديانوس ومكسيميان الحكم سنة 305م بمحض إرادتهما أرتقى إلى منصب الإمبراطور كل من قسطنطيوس وكالريوس فاتبع كل منهما سياسة مغايرة للآخر تجاه المسيحيين، فالإمبراطور قسطنطيوس أستعمل سياسة التسامح داخل ولاياته فأصبح الكثير من رجال قصره من المسيحيين، إلاّ أنّ مدة حكمه كانت قصيرة إذ توفي سنة306م، أما كالريوس فقد أستبد برعاياه المسيحيين في النصف الشرقي من الإمبراطورية في تراقيا وآسيا وسوريا ومصر، غير إن قسوته لم تجد نفعاً، بل على العكس من ذلك أعطت شهداء الديانة المسيحية مكانة خاصة في المجتمع الروماني فاصبحوا بمثابة المثل الأعلى للإيمان، وكان ذلك عاملاً في اقبال الناس على المسيحية وانتشارها[1]، عندئذ لم يجد بداً ولاسيّما إنّه أصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت سوى التراجع عن موقفه الاضطهادي فأصدر مرسوم التسامح سنة 311م ومما جاء فيه "... ومن هنا أتجهت ارادتنا إلى أن نبسط مزايا رأفتنا المالوفة على هؤلاء الأفراد التعساء، ولذلك نرخص لهم في إعلان آرائهم الخاصة في حرية تامة، وفي عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو ازعاج، شريطة أن يظهروا دوماً الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة..." [2].

يفهم مما ورد في هذا المرسوم إن الإمبراطور كالريوس أول من إعترف بشرعية الديانة المسيحية، فقد سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية شريطة أن لا تتعارض مع قوانين الدولة وأنظمتها القائمة، وبالتأكيد فأن دافعه لم يكن دينياً وإنما كان دافعاً

1- جنيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت)، ص171؛ عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص52.

2- جيبون، اضمحلال، ج1، ص479؛ عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص24؛ بارو، ر.هـ، الرومان، ترجمة: عبد الرزاق يسري، مراجعة: سهير القلماوي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1968م)، ص191. عن النص الكامل للمرسوم انظر ملحق رقم (1).

سيآسيا خاصاً بمصلحة الدولة ولاسيّما إنّ هذه المصلحة أخذت تتركز في الشرق الذي هو مصدر المسيحية.

أما ما يسمى بـ (مرسوم ميلان) (Edict of Milan) الذي صدر في آذار سنة 313م عن كل من الإمبراطورين قسطنطين وليكينيوس في أثناء اجتماعهما في مدينة ميلان عقب انتصارهما في معركة ساكسة روبرة [1]، فإن المؤرخ الروسي (فازليف) (Vasiliev) يشير إلى أنه لم يكن مرسوماً بالمعنى الحقيقي، وإنما هـو مجرد رسالة بعث بها الإمبراطور ليكينيوس إلى حاكم نيقوميديا في آسيا الصغرى يبلغه فيها قرار الإمبراطورين في الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية ويحثه على وجوب تنفيذ ما ورد في مرسوم التسامح الذي أصدره كالريوس سنة311م [2]، الذي يبدو إنه لم ينفذ بشكل مرض.

نعتقد أن اشارة (فازليف) بأن مرسوم ميلان لم يكن مرسوماً بالمعنى الحقيقي كان ربما يقصد بها إن هذا المرسوم لم يكن قانوناً جديداً فالأعتراف بالمسيحية أعلن عنها الإمبراطور كالريوس في مرسوم التسامح الذي اصدره سنة 311م إلاّ أنّ المصادر تشير إلى أن كالريوس كان من أشد المضطهدين للمسيحيين وإن مرسومه لم يخل من التجريح بهم وإتهامهم بالعناد، أما الإمبراطور قسطنطين فقد أظهر تعاطفه وميله إلى المسيحيين منذ نشأته الأولى وارثاً هذ الاتجاه عن والده[3]، فمرسومه الذي اصدره بالاشتراك مع ليكينيوس قد أعاد الهدوء والسلام للمسيحية، إذ إنه لم يقتصر على

1- **Bury, History of the Later Roman, Vol.1, p.6**

2- **Op.Cit, p.52.**

3- **لم يكن قسطنطيوس والد قسطنطين يقرَّ سياسة العنف مع رعاياه المسيحيين، وعلى الرغم من إنه اضطر إلى تنفيذ أوامر الإمبراطور دقلديانوس بهدم الكنائس إلا إنه قام بحماية المسيحيين من جور القوانين، وما أن أرتقى عرش الإمبراطورية سنة 305م بالاشتراك مع كالريوس حتى أخذ يعمل على تخفيف وطاة الآلم عن رعايا الدولة من المسيحيين ولم يمنعه قصر مدة حكمه من ارساء أسلوب جديد للتسامح كان لابنه قسطنطين فيه قدوة يحتذيها لا في الولايات الغربية فقط بل في الإمبراطورية جميعها (جيبون، اضمحلال، ج1، ص475؛ عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص52)**

الأعتراف الرسمي بالديانة المسيحية بل أنه ضمن للمسيحيين حماية الدولة ورعايتها، ولهذا عده المؤرخ (جيبون) قانون عام أساسي من قوانين الدولة الرومانية[1]، ويغنينا ذكر النص الكامل لمرسوم ميلان عن شرح ماحظي به المسيحيون من إمتيازات وحقوق وحريات واسعة[2].

وقد أثار اصدار المرسوم شقاقاً وجدلاً كبيراً بين المؤرخين بحيث لم يتفق حول الدافع إلى أصداره اثنين منهم على الرغم من الدراسات والابحاث التي قاموا بها [3]، فمؤرخ كنيسة قيسارية في فلسطين الراهب(يوسابيوس القيصري) (Eusebius) [4] (264 – 340)م يذكر أن سلوك الإمبراطور قسطنطين يرجع إلى اقتناعه وإيمانه الصادق بالمسيحية ولا سيّما إنّه في أثناء زحفه على روما سنة 312م لمحاربة خصمه ماكنتيوس رأى في السماء صليباً مكتوباً عليه (اغلب بهذا) (By this Conquer)، وفي الليلة الثانية رأى في منامه أن السيد المسيح (عليه السلام) جاءه حاملاً الصليب وأمره باتخاذه راية له في هجومه على العدو، وبالفعل امتثل الإمبراطور قسطنطين لذلك الأمر وأتخذ الصليب شعاراً له ثم صارت هذه الراية التي عرفت باسم لاباروم[5](labarum) الراية الرسمية للدولة البيزنطية[6].

1- جيبون، اضمحلال، ج1، ص475؛ عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص25.

2- انظر ملحق رقم (2).

3- Vasiliev, Op.Cit, p.45.

4- حياة قسطنطين العظيم، تعريب: القمص مرقس داود، (القاهرة: مكتبة المحبة، 1975م)، الكتاب الأول، الفصلين 28 و30.

5- لاباروم:هو عبارة عن عمود خشبي له رأس مدبب يتقاطع معه قضيب مستعرض تتدلى من عارضته الافقية قطعة من الحرير موشاة بالذهب ومحلاة بالاحجار الكريمة تحمل صورة الإمبراطور قسطنطين واولاده وفي قمة العمود تاج من الذهب كتب في وسطه الحروف الأولى من السيد المسيح (XP) (يوسابيوس، المصدر نفسه، الكتاب الأول، الفصل 31؛ جيبون، اضمحلال، ج1، ص577؛
Wenzel, Marian., Finding Out About the Byzantines, (London, 1965), p.17).

6- Ibid, p.16؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص20

ويرى قسم من المؤرخين إن أعتراف قسطنطين بالمسيحية هو مجرد إجراء سياسي أتخذه لتحقيق أهدافه الخاصة وكان في مقدمة هؤلاء المؤرخ الألماني جاكوب بوركهارت (JacobBurchardt) فقد وصف الإمبراطور قسطنطين بإنه رجل لا ديني أستغل الاوضاع التي تردت فيها أحوال المسحيين في أوائل القرن الرابع الميلادي لتحقيق أهدافه السياسية في وحدة الإمبراطورية وأخضاع الجميع لسلطانه، وأن تفضيله الديانة المسيحية يرجع إلى إدراكه بأنها ستصبح قوة عالمية[1].

ولعل الذي دفع المؤرخ (بوركهارت) إلى طرح هذا الرأي هو إن قسطنطين لم يتنكر لديانة الدولة الوثنية، فقد احتفظ كأسلافه الأباطرة الوثنيين بلقب الكاهن الاعظم (Pontifex Maximus)[2]، كما إنه لم يتخلَ عن عبادة الإمبراطور التي كانت مصدراً اساسياً لقوة الأباطرة ونفوذهم، ويؤكد ذلك المؤرخ بينز بقوله " إنها ظلت قائمة في الولايات ولكن بشكل معدل فأصبحت مجرد احتفال لا تصحبه اية قرابين وثنية "[3]، ويفوق ذلك في الأهمية إن وظائف الدولة المهمة صارت قسمة بين الوثنيين والمسيحيين وأن النقود التي سكت في عهده كتب عليها أشارات مسيحية ووثنية [4].

ومهما يكن من أمر الدوافع التي حددت موقف الإمبراطور قسطنطين من المسيحية فيبدو لنا أنه تمكن بذكاء من أن يمسك العصا من الوسط ويربط بين العطف على المسيحية والأخذ بيد أتباعها وبين مصالح الدولة السياسية، فالضعف الذي أصاب قسم الإمبراطورية الغربي في القرن الثالث الميلادي في

1- نقلاً عن: توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص5؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص13؛ هسي، العالم البيزنطي، ص75 هامش (4).

2- Ostrogorsky, Op.Cit, p.739.

3- الإمبراطورية البيزنطية، ص10.

4- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص55.

المجالات الاقتصادية جعل الحكومة تعتمد بشكل رئيس في الحصول على مواردها المالية وشؤونها الدفاعية من جهاتها الشرقية في آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وبقية الساحل الشمالي الافريقي تلك الجهات التي تركزت فيها المسيحية[1]، كما إن العلاقات العدائية بين الساسانيين والرومان من جهة والهجمات التي تعرضت لها الإمبراطورية من قبل قبائل القوط في جهات الدانوب من جهة اخرى كانت من العوامل المهمة التي جعلت كل من الإمبراطورين الشريكين قسطنطين وكالريوس يعملان على كسب ولاء السكان في الجهات الشرقية حفاظاً على وحدة الإمبراطورية ومناعتها وذلك بجعل الكنيسة قوة مؤيدة بدلاً من معاداتها، فضلاً عن أمكانية الإفادة من جهود رجال الدين التبشيرية بين القبائل الوثنية الجرمانية في جهات الدانوب بشكل خاص لكسر حدة طباعهم ودفع شرورهم بمؤاخاتهم دينياً ولأمكانية الإفادة منهم في شؤون الإمبراطورية الدفاعية [2]، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ (هـ. جرايجورا H.Gregoire) " من أراد الشرق فعليه إما أن يكون نصرانياً أو صديقاً للنصرانية " [3].

وتتجلى لنا بوضوح فطنة الإمبراطور قسطنطين ونجاحه في أستغلال أخطاء سابقيه من الأباطرة من الذين نكلوا بالمسيحية واضطهدوا اتباعها في خدمة هدفه السياسي في أن يبقى سيداً مطلقاً لإمبراطورية موحدة، أنه حرص طول مدة حكمه أن لا يثير شكوك رعاياه من الوثنيين والذين يمثلون معظم سكان الإمبراطورية، فلم يصدر ضد الوثنية مرسوم اضطهاد أو أنه مارس أي شكل من اشكال التنكيل بهم على العكس من ذلك حاول إيجاد نوع من التوازن بين المسيحية والوثنية [4]، ولهذا يشير المؤرخ

1- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص16.

2- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص16.

3- نقلاً عن: عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص28؛ توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص43.

4- بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص9؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص18 - 19.

اوستروغورسكي (Ostrogorsky) بأن سياسته تلك كانت تعبر عن تطور فكري أكثر منها عن تحول روحي [1].

والخلاصة إن تعاطف الإمبراطور قسطنطين وميله للمسيحية سواء كان نابعاً عن أيمان حقيقي أو راجعاً إلى ذكائه السياسي لا يعني أنه أعطاها الشرعية التي كانت تفتقدها فحسب وإنما هيأ لها الفرصة لأن يكون لها كيان خاص بالدولة وبشكل ضمن لها القوة والازدهار التي تجلت مظاهره بصورة واضحة في تشييده الكنائس التي عمت أرجاء الإمبراطورية كافة، ومن هنا فأن موقفه يختلف تماماً عما كان قد سبقه من مواقف تجاه المسيحية وفي ذلك ما يؤكد أن سياسته تعبر عن تطور فكري أكثر من تحول روحي.

2 ـ بناء القسطنطينية (324 ـ 330م)

قبل أن نستطرد في الحديث عن تأسيس القسطنطينية وآتخاذها عاصمة للإمبراطورية الرومانية لابد من الاشارة إلى إن أول الأباطرة الذين فكروا بنقل العاصمة من روما إلى الشرق هو الإمبراطور يوليوس قيصر (49 – 44ق.م) فيذكر أنه أراد أن يجعل عاصمته الاسكندرية أو في موضع مدينة طروادة في آسيا الصغرى مما أدى إلى اغتياله [2].

أما الإمبراطور قسطنطين فأن المصادر التاريخية تشير إلى إنه بدأ بنقل مركز ثقل الإمبراطورية من الغرب إلى الشرق عقب انتصاره على شريكه الإمبراطور ليكينيوس مباشرة[3]، ملتمساً لذلك اسباب عدة منها: إن موقع روما في منتصف شبه الجزيرة الإيطالية وجبال الالب التي تفصلها عن بقية أنحاء الإمبراطورية فضلاً عن البحر

1- Op.Cit, p.47.

2- الاحمد، تاريخ الرومان، ص113؛ توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص35؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص19.

3- Ostrogorsky, Op.Cit, p.44; Lindsay, Jack., Byzantium in to Europe, (London, 1952), p.16; Wenzel, Op.Cit, p.16.

المتوسط الواسع جعلها تتباطأ في مواجهة الاخطار التي أخذت تهدد الإمبراطورية بشكل متزايد على الجبهتين (الأرمنية - السورية) المتمثلة بالدولة الساسانية ومحاولاتها المستمرة في الاستيلاء على ولايات روما الشرقية و(الجبهة الدانوبية) المتمثلة بالقبائل البربرية المتدفقة من جهة الشمال[1]، كما إنها لم تعد المكان المناسب للأباطرة الذين كانوا يرغبون في أن تكون سلطتهم مطلقة على حساب جميع السلطات الاخرى بالدولة[2]، ويفوق ذلك أهمية إن المركز الحقيقي لقوة الإمبراطورية الاقتصادي ولاسيّما بعد أزمة القرن الثالث الميلادي أصبح يتركز في قسمها الشرقي إذ امتازت ولاياته بوفرة خيراتها وكثرة سكانها ومهارة أيديه العاملة [3].

ولم تكن القسطنطينية المكان الأول الذي أختاره فقد فكّر بعدة أماكن قبل إقدامه على بنائها، ومنها مسقط رأسه مدينة نيسوس[4] (Naissus) ولكن موقعها غير المناسب جعله يعدل عن رأيه فعلى الرغم من إنها مدينة حدود بين اوربا وآسيا، إلا إنها كانت بعيدة عن البحر، كما فكر بمدينة سرديكا[5] (Sardica) وللاسباب ذاتها صرف النظر عنها، ولعل أحد الأسباب التي جعلته يعدل عن أختيار نيقوميديا إنها كانت المكان الذي أصدرت فيه قرارات الإمبراطورية الخاصة باضطهاد المسيحيين في عهد الإمبراطور دقلديانوس، وتحت تأثير ما ذكرته الاساطير من إن الشعب الروماني الذي أسس مدينة روما ينحدر من أصل طروادي شرع قسطنطين في إعادة بناء مدينة طروادة، لتكون عاصمة لإمبراطوريته[6]، غير إنه حدث ما جعله يغير قراره،

1- اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص15؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص5؛
Wenzel, Op.Cit, p.21; Orton, Op.Cit, bk.1, p.11.

2- توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص34.

3- Ostrogorsky, Op.Cit, p.41؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص29

4- تسمى (نيش) في الوقت الحاضر في يوغسلافيا

5- صوفيا في الوقت الحاضر عاصمة بلغاريا.

6- Robinson, Op.Cit, Part.11.p.418;

ويوجه نظره نحو مدينة بيزنطة، وبحسب ما تذكره المصادر فإن فكرة أختيار قسطنطين لعاصمته الجديدة كان بوحي من الرب، إذ تراءت له في منامه وهو في رحاب بيزنطة آلهة المدينة بصورة فتاة باهرة الجمال تقدمت نحو الإمبراطور فألبسها بيديه شعارات العظمة الإمبراطورية[1]، وقد علق المؤرخ (جيبون) على هذه الرؤيا بقوله "وجرت عادة الرومان منذ القديم إنْ أرادوا إنشاء مدينة أو مستعمرة ينسبونها إلى أمثال تلك المعجزات ثم يحتفلون في افتتاحها حسبما تأمر به خوارق الطبيعة التي سببت بنائها"[2].

والواقع إن الحتمية المكانية التي انفردت بها بيزنطة عن سواها من المدن جعلها جديرة بأن يتخذها الإمبراطور قسطنطين عاصمة لإمبراطوريته، فهي تقع عند التقاء القارتين أوربا وآسيا يحدها مضيق البوسفور من جهة الشرق والقرن الذهبي[3] من جهة الشمال وبحر مرمرة من جهة الجنوب[4]، أي إن المنطقة التي أقيمت عليها تمثل شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، وبالتأكيد فأن هذا الموقع أكسبها قوة دفاعية وجعلها تتمتع بدرجة عالية من المناعة لسيطرتها على المضايق التي تربط البحر الاسود بالبحر المتوسط من جهة وصعوبة مهاجمتها والاستيلاء عليها من جهة اخرى.

اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص16؛ رستم، الروم، ج1، ص62.

1- Vasiliev, Op.Cit, p.58;

2- جيبون، اضمحلال، ج1، ص497؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص20.
المصدر نفسه، ج1، ص497.

3- القرن الذهبي: خليج على ساحل البوسفور الاوربي، شكله يشبه القرن يمتد داخل الاراضي مسافة سبعة اميال قبل اتصال البوسفور ببحر مرمرة (رنسيمان، ستيفن، المدنية البيزنطية، ترجمة: صالح احمد العلي، (بغداد: مطبعة وزارة الاوقاف، 1956م)، ص33، ويسميه (جيبون) ذراع البوسفور (اضمحلال، ج1، ص493).

4- Ostogorsky, Op.Cit, p.45; Robinson, Op.Cit, part.11, p.419; Munro, Dana Carleton&Sontag, Baymond James., The Middle Ages 395 - 1500, (London, 1928), p.227; Jones, A.H.M., The Decline World, (London, 1974), p.50; Hay, Op.Cit, p.14.

أما من الناحية التجارية فأن أهمية هذا الموقع جعل منها أهم مراكز التجارة العالمية حيث تلتقي فيها طرق التجارة المهمة التي تربط البحر الاسود ببحر ايجة، وشمال أوربا وغربها بآسيا [1]، فمنها تتجه طرق التجارة شمالًا إلى روسيا وشرقاً إلى آسيا حيث تؤدي الطرق البرية إلى الهند والصين ووسط آسيا، وغرباً إلى وسط اوربا، وجنوباً إلى الشام ومصر وأفريقيا [2]، وقد اوضح مصنف روما في القرن الثاني (بوليبوس) (Polybius) أهمية موقع بيزنطة التجاري بقوله " إنه لم يكن من الممكن لأي مركب تجاري أن يعبر البسفور بدون موافقة اهالي بيزنطة " [3]، وأكد (اومان) تحكم أهل بيزنطة بطرق التجارة ولا سيّما سيطرتهم الكاملة على تجارة البحر الاسود بقوله "إن ثروة مئة مدينة هيلينية واقعة على البحر الاسود كانت دائماً تحت رحمة سادة بيزنطة"[4]، وبالطبع كان لهذا اثره في رخاء المدينة وثرائها حتى أن احد الرحالة الغربيين كما يقول (رنسيمان) أعلن بشيء من الحسد "أن خزينة الإمبراطورية ليس لها حد ومقياس"[5].

ويبدو إن الإمبراطور قسطنطين لم يغفل الجانب الحضاري فموقعها في منطقة حاطت بها مراكز الحضارة الهللنستية جعلها تتأثر مع مرور الوقت بالطابع الهللينستي على حساب الطابع الروماني، بل إنها ما لبثت أن أصبحت المركز الاساس الذي تشع منه الحضارة الهللنستية، وفي ذلك يقول المؤرخ (اوسبنسكي) (Uspensky) "... إن الخدمة العظمى التي قدمها قسطنطين للعالم لا تقع في سياسة التسامح الديني الأمر الذي لا بد وأن يتبعه خلفاءه بل في نقله لعاصمة

1- Ostrogorsky, Op.Cit, p.45; Wenzel, Op.Cit, p.22.

2- Jones, The Declne, p.50; Hay, Op.Cit, p.14.

3- نقلاً عن: توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية، ص36.

4- الإمبراطورية البيزنطية، ص6.

5- المدنية البيزنطية، ص9.

العالـم إلـى القسـطنطينية فـي الوقـت المناسـب لأنقـاذ الثقافـة القديمـة وخلـق قرية تناسب أنتشار المسيحية " [1].

في أواخر سنة 324م بدأ الإمبراطور قسطنطين بنفسه وضع اسس عاصمته الجديدة في المكان المعروف في الوقت الحاضر (استنبول) [2] وبعد خمس سنوات ونصف السنة من البناء الذي سخر للعمل فيه أربعين الف من العمال أفتتحها رسمياً في منتصف سنة330م[3]، وقد سماها (روما الجديدة) غير إن الناس فضلوا تسميتها مدينة قسطنطين أو القسطنطينية تخليداً لذكرى مؤسسها [4].

ومن الجدير بالذكر إن القسطنطينية شيدت لتكون مسيحية الصبغة ويبدو أن موافقته على إبقاء معابد بيزنطة القديمة قائمة كان مـن بـاب مصالحـة الوثنييـن العاملين بتشييد المدينة الذين أرادوا التعبير عن التمسك بعقائدهم الوثنية[5]، إلا أنه ما إن تم أفتتاح المدينة حتى أصدر مرسوماً يقضي بتحريم ممارسة الطقوس الوثنية[6]، وعد تماثيل الالهة التي إزدانت بها مباني المدينة مجرد قطع فنية لا نصب يعبدها الناس[7].

وأخيراً فأننا لم نجد اثنان من المؤرخين يقللان من خطورة هذه الخطوة التي اتخذها الإمبراطور قسطنطين وأثرها في التاريخ فنقل العاصمة إلى هذا المقر الجديد

1- نقلاً عن: توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص39.

2- هذا المكان عبارة عن نتوء بارز من التلال يشبه شكله العام المثلث المتساوي الساقين له قمة مفلطحة تواجه آسيا، محصورة بين القرن الذهبي وبحر مرمرة (رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص6).

3- العريني، الدولة البيزنطية، ص30؛ رنسيمان، المصدر نفسه، ص6؛

Ostrogorsky, Op.Cit, p.45; Wenzel, Op.Cit, p.22; Lindsay, Op.Cit, p.16.

4- رنسيمان، المصدر نفسه، ص6؛

Lamb, Harold., Constantinople: Birth of an Empire, (NewYork, 1957), p.20; Wenzel, Op.Cit, p.29.

5- رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص23؛ بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص8 – 10.

6- بينز، المصدر نفسه، ص9.

7- اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص24.

أعطى الدولة الرومانية حصناً منيعاً يصد عنها هجمات المهاجمين، وحفظ تراثها الحضاري الكبير، ومد المسيحية بعاصمة تنطلق منها إلى جميع الجهات، وهكذا فأنه وبهذه العاصمة المنيعة وبذلك الدين العالمي تبرز الملامح الأولى لدولة قدر لها أن تعمر أكثر من الف عام اطلق عليها المؤرخون اسم الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد لتمييز شخصيتها عن شخصية الإمبراطورية الرومانية.

ونظرياً اصبحت القسطنطينية (روما الجديدة) بمثابة العاصمة الثانية للأمبراطورية الرومانية بحيث امكن الحديث عن امبراطورية رومانية في المشرق، صحيح ان الوحدة السياسية للقسمين استمر بعض الوقت وان الامبراطور جستنيان (525 – 567م) مرة اخرة حول المتوسط الى منطقة نفوذ روماني لكن بعد وفاته ضعف الغرب نهائياً فيما ظل القسم الشرقي قائماً لأكثر من الف سنة.

المبحث الخامس:
الدولة الساسانية
في عهد الملك سابور الثاني(309 ـ 379م)

1 ـ علاقة الملك سابور الثاني بالعرب

إن الوضع المتردي الذي آلت إليه الدولة الساسانية عقب وفاة الملك هرمز الثاني سنة309م والمتمثل بفقدان السلطة المركزية التي يمثلها ملك الملوك في العاصمة طيسفون، وأستشراء الفساد الإداري نتيجة لزيادة نفوذ العظماء، ورؤساء الأسر النبيلة وتلاعبهم بمقدراتها إلى حد تنصيبهم للطفل سابور الثاني ملكاً تحت وصاية أمه قد أفقد البلاد هيبتها ومكانتها وأطمع فيها جيرانها من العرب والرومان الذين كانوا يتربصون الفرص المؤاتية لإضعافها [1].

كان العرب أشد الطامعين بأملاك الساسانيين، فيذكر (الطبري) أنه في عهد الدولة الفرثية تركت عدد من القبائل العربية بلادها في اليمن والحجاز ولكنها لم تدخل العراق خوفاً من الملوك الفرثيين، ولذلك أثرت الإقامة في البحرين[2][3]، ويبدو إن بلاد البحرين لم تكن تلبي احتياجات تلك القبائل بسبب شحة مواردها الطبيعية

1 - الطبري، تاريخ، ج1، ص399؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،1971م)، ج2، ص172.

2 - البحرين: اسم أطلقه العرب على الإقليم الغربي من ساحل الخليج العربي والممتد من البصرة إلى عُمان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج2، ص275)، ويشمل هذا الإقليم في الوقت الحاضر (الكويت والإحساء وقطر وجزر البحرين المعروفة قديما بأسم اوال (العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام، (بيروت: الدار العربية للموسوعات،2000م)، ص19 – 20.

3 - تاريخ، ج1، ص399.

وقسوة مناخها لذا أخذت تتحين الفرص للأنتقال للعراق ووجدت في نهاية الدولة الفرثية فرصتها المناسبة لذلك الأنتقال [1]، فما كادت السلطة تؤول إلى الساسانيين حتى كان قسم من تلك القبائل قد سكنت أطراف العراق ومنها قبيلة الازد [2]، وبكر بن وائل[3]، وتميم[4]، وتغلب وغيرها من القبائل[5]، ثم إن أضطراب أوضاع الدولة الساسانية بعد وفاة الملك هرمز الثاني سنة 309م قد أطمع قبائل البحرين مرة أخرى في الإغارة على أملاكها ومنها قبيلة إياد بزعامة شيخها الحارث بن الأغر الأيادي إذ خرجت من هجر[6] والبحرين بعد تحالف قبيلتا عبد القيس[7]، وشنَّ ابن أفص ضدها

1- الملاح، الوسيط، ص214.

2- الازد: يذكر (اليعقوبي) إن الازد خرجت من اليمن بعد إنهيار سد مأرب حتى وصلت السراة، واستقر بعض من بطونها في عُمان ثم لحقت بهم جماعة أخرى أنتشروا في البحرين وهجر (تاريخ، ج1، ص174 - 175).

3- بكر بن وائل: ذكر (الهمداني) إن ديار بكر أمتدت من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالابلة فهيت (الحسن بن محمد بن يعقوب (ت350 هـ أو360هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م)، ص284.

4- تميم: من أكبر القبائل العربية التي أنتشرت في هضبة نجد من الحجاز إلى الأطراف الشرقية للجزيرة العربية وسكنت بعض بطونها في البحرين (الاصطخري، مسالك الممالك، ص22 - 27).

5- عمر، فاروق، تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى الإسلامية 1 - 906هـ/ 622 - 1500م، ط2، (بغداد: 1985م)، ص72؛ غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة والمدينة والمملكة العربية، (بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، 1936م)، ص8.

6- هجر: أهم مدينة في إقليم البحرين بحيث سماها بعض جغرافي العرب باسمها (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص93؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص438).

7- عبد القيس: جاءت قبائل عبد القيس إلى البحرين من تهامة (الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محجوب (ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1926م)،ج1، ص81؛ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (456هـ)، جمهرة انساب العرب، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، ص299) وأنتشرت بطونها في أكثر أطرافها ونزلت أهم مدنها وساحلها ولذلك عد بعض المؤرخين البحرين لعبد قيس (ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص31).

وضد الازد حلفائهم إلى العـراق [1] وأستقـرت بمنطقـة الحيرة[2] غربي الفرات مابين كربلاء وبادية البصرة[3] بعد تغلبها على الحامية الساسانية الموجودة هناك في معركة وقعت بين الطرفين عرفت بمعركة دير الجماجم[4] وذلك قبل أن يبلغ الملك سابور الثاني سن الرشد[5]، وقد خلد شعراء القبيلة ومنهم الشاعر أبو دؤاد الإيادي هذا الانتصار بقوله:

ألا ابـلـغ خـزاعـة أهـل مـرٍّ ... وإخـوتـهـم كنانة عـن إيـاد
تـركـنـا دارهـم لـمـا ثـرونـا ... وكنا أهلها مـن عهد عـاد
وأسهلنا وسهل الأرض يخشى ... بجرد الخيل مشنقة القياد
فنازعنا بني الأحـرار حتى ... علفنا الخيل من خضر السواد

وقول شاعر أخر:

على رغـم سابور بن سابور أصبحت
قباب إيـاد حولهم الخيل والنعم [6]

ويبـدو إن هـذه الواقعـة كانـت من الأهميـة بحيـث إتخذتهـا قبيلة إيـاد تاريخاً لهـا تـؤرخ بـه[7]، أمـا اسـم (طبـق) الذي عرفـت بـه فيما بعـد فيظهر إنـه أطلـق عليها

1- البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ)، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (مصر: دار المعارف، 1959م)، ج1، ص29.

2- الحيرة: عاصمة دولة المناذرة، ويذكر إنها سميت بذلك نسبة إلى كثرة ملوكها الذين حملوا اسم (المنذر) كما سميت بدولة النعامنة لكثرة من تسمى بـ (النعمان) من ملوكها وسميت بالدولة اللخمية نسبة إلى قبيلة (بنو لخم) التي ينتمون إليها، كذلك اطلق عليهم اسم آل نصر وآل محرق (المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصادق، (القاهرة: درب الجماميز، 1938م)، ص158؛ علي، المفصل، ج3، ص159؛ الملاح، الوسيط، ص213)

3- عمر، تاريخ الخليج العربي، ص72.

4- دير الجماجم: موضع يبعد عن الكوفة مسافة سبع فراسخ (42كم) (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص556) ويقال إنه سمي بذلك لكثرة من قتل من الساسانيين (البلاذري، انساب الأشراف، ج1، ص26).

5- البلاذري، المصدر نفسه، ج1، ص26؛ البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص573.

6- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص175.

7- المصدر نفسه، ص175.

لإطباقها على أرض العراق كلها فيذكر عنهم إنهم كانوا يصيفون في ارض الجزيرة ويشتون في أرض العراق[1]، وحذت قبيلة عبد القيس وقبائل أخرى في البحرين وكاظمة[2] والخط[3] وعمان[4] حذو قبيلة إياد في أستغلال فرصة أضطراب الأمن وضعف الحكومة الساسانية بسبب صغر سن الملك فعبروا الخليج العربي وغاروا على السواحل الجنوبية من إيران[5]، وأستولوا على خوزستان وريف اردشير[6] وإيرانشهر (خراسان) واردشير خرة[7]، وأشاعوا حالة من الفوضى والأضطراب فيها[8]، وظلوا على ذلك حقبة من الزمن حتى بلوغ سابور الثاني مبلغ الرجال وتولى زمام الأمور في المملكة فوجه جهوده بادي ذي بدء إلى

1- البلاذري، انساب الأشراف، ج1، ص28؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص240؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص173.

2- كاظمة: أصلها جو أو جون وهي أودية على ساحل البحر في الطريق بين البصرة والبحرين، بينها وبين البصرة مرحلتان (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص367؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص85) وكاظمة في الوقت الحاضر تقع في الشمال الغربي من دولة الكويت (العاني، البحرين في صدر الإسلام، ص101).

3- الخط: من مدن البحرين القديمة بناها الملك الساساني اردشير بن بابك (224 - 241م) وسماها بـ(بتن اردشير) (حمزة الأصفهاني، تاريخ سني، ص38)، ويسميها الطبري بـ(فنياذ اردشير) (تاريخ، ج1، ص391)، ولا يعرف سبب إنشاءها أو إسكانها، ويذكر البكري إن الخط ساحل مابين عمان والبصرة، ومن كاظمة إلى الشحر، وإليه تنسب الرماح الخطية (معجم ما أستعجم، ج2، ص503).

4- عمان: إقليم يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية، الفاصل بينه وبين البحرين مدينة جرفار (جلفار)، (لوريمر، ج، ج، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، (الدوحة: مطبعة علي بن علي، د.ت)، ج5، ص1736).

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص399؛ علي، المفصل، ج2، ص638.

6- ريف اردشير: من المدن التي بناها اردشير على ساحل الخليج العربي، وموقعها عند ريشهر في شبه جزيرة بوشير(خوري، إبراهيم والتدمري، احمد جلال، سلطنة هرمز العربية (سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي)، (رأس الخيمة:1999م)، مج1، ص136).

7- اردشير خرة: من مدن إقليم فارس بينها وبين شيراز عشرين فرسخاً (120كم)، وهي من بناء الملك اردشير والعرب يسمونها جور وإليها ينسب الورد الجوري (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج1، ص122).

8- الطبري، تاريخ، ج1، ص399؛ خوري والتدمري، سلطنة هرمز، ج1، ص136.

ضبط أمور دولته الداخلية فوضع حداً لتدخل النبلاء والعظماء في شؤونها [1]، ثم قرر الانتقام من القبائل العربية التي تجاوزت وعاثت فساداً في حدود مملكته فعد جيشاً سار على رأسه لمهاجمة من أستقر منها في الأقسام الجنوبية لإقليم فارس فقتل وأسر عدداً كبيراً [2]، ولم تذكر المصادر تاريخ ذلك على وجه التحديد إلا أنها تشير إلى أن ذلك حدث عندما بلغ الملك سابور الثاني السادسة عشر من عمره، وهذا يعني إن مواجهته للعرب كانت سنة 324م وليس سنة 309م[3].

ومهما يكن الأمر فإنه بعد أن انتهى من معاقبة القبائل التي استقرت في الأقسام الجنوبية من دولته توجه نحو أراضي العراق لمعاقبة قبيلة إياد فسمع بذلك الشاعر لقيط بن يعمر الأيادي[4] الذي كان يعمل [5] آنذاك في البلاط الساساني فكتب لقبيلته أبياتاً من الشعر يحذرهم فيها هجوم سابور الثاني جاء فيها:

سلامٌ في الصّحيفَةِ من لقيط

إلى مَنْ بالجزيرة من إياد

1- انظر: ابن البلخي، فارس نامة، تحقيق: يوسف الهادي، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001م)، ص70 - 71؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص449.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص400.

3- المصدر نفسه، ج1، ص399؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص240؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص109).

4- لقيط بن يعمر الأيادي: شاعر مقل من الشعراء العرب قبل الإسلام لا يعرف له من الشعر غير هذه القصيدة التي مطلعها:

يا دارَ عمرةَ من مُحتلها الجزعا هاجتُ لي الهَّم والأحزان والوجعا

(الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد القرشي (ت356هـ)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج2، ص358).

5- يذكر (المسعودي) أنه كان حبيساً في سجن الملك سابور الثاني (مروج الذهب، ج1، ص240).

بـــأن الـلّـيـث كـســرى قـد أتـاكـمُ
فـــلا يـحـبـسـكـم سُـــــوقُ الـنَـقـادِ
أتـــاكـــمُ مُـنـهـمُ سـبـعـون ألـفـاً
يـــجـــرُّوَن الـكـتـائـبَ كـالَـجَـرادِ
عـــلـــى خـيـــل ســتـأتـيـكـم فـهـذا
أوإنُ هـلاكـهـم كـهـلاك عـــاد [1]

يتبين من الأبيات أعلاه إن الجيش الذي أعده الملك سابور الثاني لمقاتلة العرب كان ما يقارب السبعين ألف، وهو رقم كبير إلا أنه يدل على إن من تغلغل من القبائل العربية في الأراضي التي كانت من ممتلكات الساسانيين كان من الخطورة بحيث تطلب منه الأمر إعداد هكذا عدد من الجيش للقضاء عليها، ثم إن الرقم يصبح مقبولاً إذا ما أخذنا بالحسبان إن حملته لم تقتصر على العراق وإنما شملت مناطق واسعة من بلاد الجزيرة العربية أمتدت كما تذكر المصادر غرباً نحو يثرب[2]، وقدرت المسافة التي قطعها وجيوشه من مركزه اردشير خرة حتى وصلت إلى يثرب بأكثر من 1100كم [3].

والظاهر إن قبيلة إياد لم تقم وزنا لتحذير شاعرها لقيط إذ لم نجد في المصادر ما يشير إلى أنها استعدت للمواجهة، ولذلك أثخن الملك سابور الثاني القتل في رجالها الذين لم ينج منهم حسب ما ذكرته تلك المصادر إلا من فرَّ إلى الأراضي التي تعد من ممتلكات الدولة الرومانية [4].

1- المسعودي، المصدر نفسه، ج1، ص240؛ الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص360.
2- الطبري، تاريخ، ج1، ص400؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص110؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص253؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص713.
3- الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، 1985م)، ص377؛ خوري والتدمري، سلطنة هرمز، ص136.
4- المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص242؛ ابن الأثير، الكامل، ج1، ص252 - 253.

واصل سابور الثاني الزحف بحملته فعبر أسطوله الذي قاده بنفسه إلى الخليج العربي[1] حتى وصل البحرين وكان فيها قبائل بني تميم، وبعد أن أوقع فيهم القتل[2]، استأنف مسيرته بأتجاه مدينة الخط الساحلية وشرع في الفتك بأهلها، ثم مضى إلى مدينة هجر فأفشى القتل بمن فيها من قبائل تميم وبني بكر بن وائل وعبد القيس، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس[3]، فأباد أهلها وفعل مثل ذلك في اليمامة [4]، وأستمر في تقدمه حتى وصل إلى مشارف يثرب فقتل من وجد هناك من الأعراب وأسر الباقي، ثم منها أتجه نحو منازل بكر وتغلب فيما بين الدولتين الساسانية والرومانية، أي إنه هاجم قبائل بادية السماوة[5] ففعل بها ما فعل بالأراضين الأخرى [6].

ولم تتوقف جيوش سابور عند حد القتل بل إنه أمعن في الأنتقام من الأسرى بثقب أكتافهم، فقيل إنه كان يجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقة ويسبيه ولهذا يسميه الإيرانيون بـ (هويه سنبا) أي نقاب الأكتاف والعرب يسمونه (ذو الأكتاف)[7].

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص562؛ حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة وتعليق: السيد يعقوب بكر، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية، د.ت)، ص91؛ الأحمد، تاريخ الخليج العربي، ص374.

2- المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص242.

3- لعل الذي قصده المؤرخون هو خط عبد القيس وليس بلاد عبد القيس لأن البحرين كلها كما وصفت كانت لهم، أما خط عبد القيس فهي السبخة التي أطلقها العرب على الشاطيء الممتد من البصرة إلى عمان (عمر، تاريخ الخليج العربي، ص74).

4- اليمامة: اسمها القديم جوا (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1483) كانت منازل طسم وجديس ونسبها البلدانيون العرب إلى اليمامة بنت مرة (ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص30) واليمامة تبعد عن البصرة ست عشر مرحلة وعن الكوفة مثل ذلك، بها تنبأ مسيلمة الكذاب (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص97).

5- يقصد بهم القبائل التي استقرت في منطقة الفرات الأوسط ما بين الكوفة وبلاد الشام.

6- الطبري، تاريخ، ج1، ص400؛ الثعالبي، غرر السير، ص519 – 520.

7- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 118؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص41.

وفي الوقت الذي تجمع فيه المصادر القديمة والحديثة العربية والإيرانية على إن لقب (ذو الأكتاف) لحق بسابور الثاني لإنفاذه هذه العقوبة بحق العرب فإن المؤرخ الألماني (نولدكه) ينكر هذه الصفة ويعتقد إن لقب ذو الأكتاف ينطوي على صفة مشرفة ومعناه الرجل القوي الأكتاف الذي يتحمل أعباء الحكم والمسؤولية الثقيلة[1]، وهذا مستبعد لأن في تاريخ الساسانيين ما يؤكد شيوع هذا النوع من التعذيب غير الإنساني إذ يذكر (الأصفهاني) إن الملك كسرى ابرويز(590 – 627م) أمر بخلع كتفي أحد الحيريين الذي نقل إليه خبر هزيمة الساسانيين في معركة ذي قار[2]، كما إنه هدد المنجمون الذين خافوا عقابه وكتموا عليه خبر إنهدام أيوانه في اليوم الذي بعث فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: "والله لأمرن على أخركم ولأنزعن أكتافكم، ولأطرحنكم تحت أيدي الفيلة أو لتصدقني ما هذا الأمر الذي تلفقون علي"[3].

ويبدو إن القتل وثقب أكتاف الأسرى لم يشفِ غليل الملك سابور الثاني في الأنتقام فعمد إلى إلحاق أفدح الإضرار بأهم مورد اقتصادي في بيئة ذات طبيعة صحراوية إذ تشير روايات الإخباريين إنه ردم وطم جميع الآبار التي مر بها [4].

ونتفق مع رأي الدكتور (جواد علي) في إن حملة الملك سابور الثاني الواسعة نجحت وتمت بمساعدة قبائل عربية مؤيدة إذ لا يمكن للجيش الساساني وحده أجتياز بوادي الصحراء الشاسعة المنهكة، كما إنه لا يتحمل مهما بلغت

1- تاريخ إيرانيان، ص84 هامش (1).

2- الاغاني، ج24، ص71؛ الكعبي، نصير عبد الحسين صبار، التاريخ السياسي للدولة الساسانية في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الاداب: جامعة الكوفة، 2002م)، ص84.

3- الطبري، تاريخ، ج1، ص471.

4- مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص110؛ الثعالبي، غرر السير، ص519؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص71؛ ابو الفداء، المختصر، ج1، ص83.

درجة تنظيمه وتدريبه العطش وحرارة الصحراء القاسية ولاسيّما إنه عمد إلى ردم وطم الآبار التي مر بها [1].

ولما كانت سمة القبائل البدوية الأغارة المستمرة على حدود من يجاورها اتخذ الملك سابور الثاني بعض الاجراءات التي تؤمن حدود دولته من هذه الغارات منها حفر خندق بينه وبينها عرف بـ(خندق سابور) أمتد من هيت[2] حتى كاظمة على الخليج العربي[3]، وقوى المسالح[4] بأن وضع فيها حاميات عسكرية قوية[5].

كما أقام الانابير[6] ومنها عكبرا[7] والانبار [8]التي وصفها البكري بأنها حد فارس وأنها سميت بذلك تشبيها لها ببيت التاجر الذي ينضد فيه متاعه[9]، كما عهد إلى ملوك أل نصر اللخميين حماية الحدود من هجمات القبائل العربية[10] أي إنه جعلهم يقومون

1- المفصل، ج2، ص639 - 640.

2- هيت: يسميها الرومان دياكيرا، وهي مدينة تقع شمالي الفرات بها عيون القار والنفط بينها وبين الانبار واحد وعشرون فرسخاً (126كم) (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص119 - 120؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص299).

3- البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت: منشورات مكتبة الهلال،1988م)، ص292؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج3، ص250؛ نولدكة، تاريخ إيرانيان، ص88 هامش رقم (1).

4- المسالح: مفردها مسلحة وهي كالثغر والمرقب أُعدت لمراقبة العدو، والعرب يسمونها المناظر (ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص487؛ علي، المفصل، ج2، ص628 - 629).

5- علي، المصدر نفسه، ج2، ص640.

6- الانابير: هي مخازن وضعت في أماكن مهمة لخزن الاسلحة والاطعمة وتوزيعها عند الحاجة على حاميات المسالح والاعراب الموالين (علي، المصدر نفسه، ج2، ص640 - 641).

7- عكبرا: بليدة من نواحي دجيل في الجانب الشرقي من نهر دجلة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ أي 60 كم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ج4، ص342)

8- الانبار: أو فيروز سابور بلدة قديمة من نواحي بغداد على شاطئ الفرات (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص27؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص301) المسافة بينهما اثنا عشر فرسخاً (72كم) (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص71)، وهي من بناء الملك الساساني سابور الأول (241 - 272م) (الاصفهاني، تاريخ سني، ص39).

9- معجم ما أستعجم، ج1، ص197.

10- خنجي، امير حسين، تاريخ إيران زمين (تاريخ إيران از دور تربن دوران تا سال 628 ميلادي)، ص52
www.irantarikh.com taarikh.htm - 67k - lmCach - Ahnlicheseite

بدور الشرطة المسؤولة عن حماية الحدود، كذلك أجلى الملك سابور الثاني بعض القبائل من منازل اخرى أبعد فأسكن بني تغلب في موضعين من البحرين في دارين[1] والخط ونقل من كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم إلى مدينة هجر واسكن قبائل بكر بن وائل في مكران، ومن كان من بني حنظلة في منطقة الرملية في مدينة خوزستان[2].

إلا إن سياسة الملك سابور الثاني كان لها مردوداً عكسياً إذ إن استقرار هذه القبائل شكل اساسا لنزوح قبائل عربية اخرى فيما بعد وأستقرارها في فارس وكرمان، فقد أشار(ابن دريد) [3] إلى أن لبني قيس وأل الصفاف وهم بطون من قبيلة الازد عدداً ورياسة وشرف في بلاد فارس [4]، كما إن الحيرة بدلًا من أن تكون نقطة لطرد القبائل العربية أصبحت منطقة جذب للكثير منها أستقرت بها أو حولها.

2 ـ موقف الدولة الساسانية من الديانة المسيحية (الاضطهاد الاربعيني)

وقفت الدولة الساسانية منذ قيامها سنة 226م موقفاً مسالماً ومسامحاً تجاه المسيحية لقلة اتباعها من جهة ولموقفها المعارض من الإمبراطورية الرومانية التي كانت الوثنية ديانتها الرسمية من جهة ثانية، وقد ظهرت سياسة التسامح هذه بشكل جلّي في عهد الملك الساساني سابور الأول (241 – 272م) إذ سمح للأسرى الرومان الذين اسكنهم في مدن (جنديسابور وسابور وتستر) ممارسة شعائرهم الدينية بحرية

1- دارين: ميناء في البحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ج4، ص283).

2- الطبري، تاريخ، ص400؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص110.

3- أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مصر: مكتبة الخانجي، د.ت)، ج2، ص499.

4- عمر، تاريخ الخليج العربي، ص77.

تامة، كما سمح لهم بتشييد الكنائس وصيانتها في الوقت الذي كانت فيه المسيحية معرضة للأضطهاد من الحكام الرومان أنفسهم [1] وهذا يعني إن الملك سابور الأول أسهم بشكل فاعل من حيث لا يشعر في أنتشار المسيحية وزيادة عدد اتباعها في الدولة الساسانية.

وتشير المصادر السريانية إلى أن المسيحية كانت منتشرة في مناطق نفوذ الدولة الساسانية ولاسيّما إقليم العراق منذ القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد [2].

والظاهر إن المسيحيين ظلوا يتمتعون بهذا التسامح النسبي حتى السنوات الأولى من عهد الملك سابور الثاني (309 – 379م) حتى يقال إن الإمبراطور قسطنطين أرسل له رسالة يشكره فيها على حسن معاملته للمسيحيين ويوصيه بهم خيراً [3].

غير إن مدة السلام والهدوء تداعت في السنة التاسعة من حكم الملك سابور الثاني لتبدأ موجة من الاضطهاد اثارها سببان ديني وسياسي، فالسبب الديني يتمثل بالخطر الذي شكله انتشار المسيحية وكثرة معتنقيها في أنحاء دولته على ديانتها الرسمية (الزرادشتية)، أما السبب السياسي فهو إن الكنيسة الساسانية كانت خاضعة دينياً لسلطة كنيسة أنطاكية التابعة للدولة الرومانية التي أصبحت المسيحية ديانتها الرسمية بموجب مرسوم ميلان الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين سنة 313م[4]، لذا

1- ابونا، الاب البير، تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، (الموصل: المطبعة العصرية، 1973م)، ج1، ص27 – 28؛ اوليري، علوم اليونان، ص20.

2- اسحق بابو، روفائيل، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى ايامنا، (بغداد: مطبعة المنصور، 1948م)، ص4، وأهم مراكزهم مدينة اربل (اربيل) عاصمة إقليم حدياب، بيت زبدى (جزيرة ابن عمر)، كرخ سلوخ (كركوك)، كسكر (واسط) وفرات ميشان (البصرة) انظر: (ادي شير، تاريخ كلدو واشور، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، 1912م)، ج2، ص6 – 7).

3- يوسابيوس، حياة قسطنطين، الكتاب الرابع، الفصل 13.

4- ساكا، الأب اسحق، تاريخ دير مار متي " مستخلص من كتاب دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متي العجيب "، (بغداد: مطبعة الزمان، 1975م)، ص9 – 10.

عد الملك سابور الثاني رعاياه من المسيحيين موالين لعدوه الإمبراطور الروماني فبدأ بحملة قمع ضدهم سنة 319م حيث أصدر مرسوماً يقضي بقتل الذين لم يرتدوا عن دينهم [1]، وفي سنة 328م وقع اضطهاد آخر على المسيحين تمثل في فرض الضرائب العالية، وتهديم الكنائس، وأحراق الأديرة، كما أستعمل ولاة الأقاليم ضدهم أقسى أنواع التعذيب لأجبارهم على ترك دينهم وأعتناق الزرادشتية [2].

والراجح إن الإمبراطور قسطنطين أمتعض من سياسة سابور القمعية لكنه لم يتخذ أي اجراء عسكري ضده، يؤكد ذلك إن المؤرخ السرياني (الكلدانـي)[3] ينكر معاملة الملك سابور الثاني الحسنة للمسيحيين ويذكر إن الإمبراطور قسطنطين إنما أرسل رسالته التي أوصاه فيها بالمسيحيين نتيجة لما لاقوه من جور واضطهاد على يده، أما امتناعه عن إتخاذ أي أجراء عسكري ضده فنعتقد إنه يعود إلى إلتزامه ببنود معاهدة السلام الأربعيني وانشغاله ببناء القسطنطينية.

ومهما يكن الأمر فإن الملك سابور الثاني لم يعبأ برسالة الإمبراطور قسطنطين بل أمعن في التنكيل بالمسيحيين إذ تشير المصادر إلى إن الاضطهاد الأخير الذي أوقعه بالمسيحيين كان أسوء تلك الاضطهادات، وأطولها مدة وأكثرها قتلاً وأقساها تعذيباً، وقد عرف بـ (الاضطهاد الأربعيني) لأستمراره نحو أربعين سنة (339 – 370م) أي حتى وفاة الملك سابور الثاني، وشمل معظم البلاد التي يسكنها المسيحيون والخاضعة لنفوذ الدولة الساسانية [4]، أما سببه فهو رغبته في تعويض فشله في الاستيلاء

1- الكلداني، بطرس نصرى، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، (الموصل: دار الآباء الدومنيكيين، 1905م)، ج1، ص77.

2- المصدر نفسه، ج1، ص77؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص63.

3- ذخيرة الأذهان، ج1، ص77.

4- ساكا، دير مار متي، ص9؛ أدي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص64؛ كرستنسن، إيران، ص254؛ ويحدد (رستم) بداية ذلك الاضطهاد بسنة 340م (الروم، ج1، ص75)، في حين نجد قسم من المصادر السريانية تحدده بسنة 341م (الكلداني، ذخيرة الاذهان، ج1، ص78؛ ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص40).

على نيسيبيس سنة 338م[1] بالثأر من المسيحيين الموجودين في بلاده واخذ يختلق لعمله الأعذار، فأصدر مرسوماً فرض فيه ضرائب مضاعفة على المسيحيين بحجة سد نفقات حربه مع الرومان [2]، وتفصيل ذلك إن الملك سابور الثاني كتب رسالة إلى ولاة الأقاليم الأرمن جاء فيها "... حالما تطلعون على أمرنا هذا نحن الآلهة... عليكم أن توقفوا شمعون[3] زعيم النصارى ولا تخلوا سبيله إلى أن يوقع سنداً يتعهد فيه بجباية ودفع جزية الرأس مضاعفة وضرائب مضاعفة من شعب النصارى...، لأننا نحن الآلهة ليس لنا غير متاعب الحرب وهم يتمتعون بالراحة والهناء "[4]، وقد سجن شمعون ولكنه رفض إطاعة أمر الملك وكتب إليه يقول " إنه قد أقيم رئيسا روحياً على النصارى وليس جلاداً أو جابياً للأموال والضرائب، وإن النصارى فقراء ليست لهم القدرة على دفع تلك الضرائب المضاعفة" [5].

أثار جواب شمعون غضب الملك سابور الثاني فهدد وتوعد شمعون قائلاً " إن شمعون يريد أن يحمل بني أمته على خلع طاعتي ويجعلهم عبيداً لقيصر الذي هو من مذهبهم، فلافعلن بهم ولأصنعن " [6].

إن هذا التهديد يشير إلى أن الملك سابور الثاني نظر إلى رعاياه من المسيحيين على أنهم حلفاء لعدوه الإمبراطور الذي يشاركهم المذهب وأنهم دخلاء متآمرين

1- انظر ص 208 من هذه الاطروحة.

2- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص65؛ ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص39 - 40.

3- شمعون: هو مار شمعون برصباعي من أهالي مدينة سوسة، خلف الجاثليق (الرئيس الاعلى للمسيحيين) فافا بن اجاي على كرسي المدائن (طيسفون) (328 او 329 - 341م) (الكلداني، ذخيرة الاذهان، ج1، ص75 - 76).

4- ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص38؛ كرستنسن، إيران، ص254.

5- ابونا، المصدر نفسه، ج1، ص40؛ ميلر، و. م، تاريخ كليساي قديم در إمبراطوري روم وإيران، ترجمة: علي نخستين، (تهران: 1382ش)، ص275.

6- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص65.

وبتعبير عصري أدق (طابور خامس) يعمل على تقويض أركان دولته من الداخل لصالح الرومان، وإزاء هذا الرفض من شمعون أصدر الملك سابور الثاني أمراً بقتل كل رؤساء المسيحيين وتخريب كنائسهم فهدمت كنيسة المدائن [1]، سنة 340م [2].

وكان مار شمعون برصباعي ورفاقه المئة والثلاثة في الدفعة الأولى من الذين راحوا ضحية هذا الاضطهاد [3]، وأستمرت كنيسة المشرق ترزح تحت وطأة الاضطهاد والتنكيل خلال السنين اللاحقة حتى وفاة الملك سابور الثاني سنة 379م، ومع إن الكنيسة فقدت العديد من رؤسائها وابنائها إذ تذكر المصادر إن عدد الذين ذهبوا ضحية هذا الاضطهاد من الذين عرفت اسمائهم يزيدون على ستة عشر الف [4]، إلّا أن المسيحية خرجت من هذه المحنة صامدة وأخذ المسيحيون يستعيدون كيانهم وينظمون شؤونهم وينشرون هذه الديانة التي تعذر على السيوف القضاء عليها.

3ـ محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على أرمينيا 337ـ 342م

بعد أن تمكن الملك سابور الثاني من إعادة الامور إلى نصابها في داخل دولته بالحد من نفوذ النبلاء والعظماء، وبعد أن حجّم خطر القبائل العربية وقضى على الخطر الذي يتهدد حدود دولته في الشرق والمتمثل بالدولة الكوشانية، قرر استئناف نشاطه الحربي ضد عدوه اللدود الإمبراطورية الرومانية جاعلاً من مهاجمة أرمينيا والاستيلاء عليها هدفه الأول، ومتخذاً من المسيحية التي أعلنها الإمبراطور قسطنطين

1- في اوائل القرن الرابع الميلادي تمكن أسقف مدينة المدائن (طيسفون) فافا بن اجاي (316 - 329م) من أن يجمع شمل المسيحيين في بلاد فارس تحت إدارة مركز روحاني واحد في طيسفون، واقروه رئيساً أعلى عليهم ولقبوا بالجاثليق أي (الرئيس العام) (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص106 - 107).

2- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص66.

3- ويحدد ابونا تاريخ تلك المجزرة البشرية في يوم الجمعة 14 نيسان سنة 341م (تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص41)

4- ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص277؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص255.

ديانة رسمية في بلاده سنة 313م سبباً لذلك الهجوم، وذلك لأنها – أي المسيحية – كانت سبباً في توثيق الصلات بين الإمبراطورية الرومانية وأرمينيا التي أعلنت تنصرها سنة 301م[1]، وهذا يعني أنها أصبحت موالية للإمبراطورية الرومانية وأنها ستقف إلى جانبها باسم الاخوة في الدين في حروبها القادمة مع الدولة الساسانية، أكد ذلك المؤرخ (استارجيان) فقد ذكر أن ملك أرمينيا تيرداد الثالث ذهب برفقة الأسقف غريغوريوس إلى روما لتهنئة الإمبراطور قسطنطين بمسيحيته أولاً ولتجديد التحالف الأرمني – الروماني ثانياً، وأن الأخير استقبله بالترحاب وعقد معه معاهدة تحالف سنة 315م موجهة ضد عدوهما المشترك الدولة الساسانية، وأن تلك المعاهدة كانت أول المعاهدات التي عقدها الإمبراطور قسطنطين مع الدول الشرقية [2]، الأمر الذي أثار حفيظة الدولة الساسانية التي كانت تسعى إلى ضمها اليها دينياً وقومياً ولذلك حاولت اعادة سيطرتها عليها وأتبعت لأجل ذلك طريقة دبلوماسية قائمة على التدخل في شؤونها الداخلية بأثارة التخاصم والفرقة بين أبناء البلاد، فقام بحماية وتشجيع النبلاء (الطبقـة الارستقراطيــة) الوثنيين الموالين له على معارضة ورفض الدين الجديد واثارة الفوضى والاضطرابات[3].

ويبدو إن نجاح سياسة سابور الثاني الدبلوماسية في إضعاف جبهة أرمينيا من الداخل شجعته على المواجهة العسكرية وأعلان الحرب على الإمبراطورية الرومانية، فأرسل إلى الإمبراطور قسطنطين مطالباً إياه بان يعيد له المقاطعات الخمس التي

1- اعتماد السلطنة، تاريخ اشكانيان، ص 180؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص57؛ رستم، الروم، ج1، ص75؛ فرح، نعيم، تاريخ بيزنطة منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، (دمشق: جامعة دمشق،1978م)، ج1، ص41؛ ويحدد (اميل) تاريخ ذلك التنصر بسنة302م، (تاريخ أرمينيا، ص18)، أما (استارجيان) فيرجع تاريخ ذلك التنصر إلى سنة 305م (تاريخ الأمة الأرمنية، ص116).

2- المصدر نفسه، ص119 – 120.

3- دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص297؛ وللتفصيل عن المنازعات بين القبائل الأرمنية وما احدثته من فوضى في البلاد انظر: استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص122.

اقتطعت من دولته في عهد جده الملك نرسي بموجب معاهدة نيسيبيس سنة 298م، ولذلـك أخـذ الإمبراطور قسطنطين سنة 337م يستعد عسكرياً لمواجهة تهديد الملك سابور الثاني، ويقـال إنه طلب من بعض الأساقفة مرافقته إلى ميدان الحرب لإقامة الصلوات[1].

والواقع إن المعلومات التي أوردتها المصادر عن استعدادت الإمبراطور قسطنطين العسكرية قليلة وغير واضحة، فالمؤرخ (يوسابيوس) [2] يشير إلى أن الإمبراطور قسطنطين أوقف تلك الاستعدادات لأن الساسانيين فاوضوه في طلب الصلح، وأن هذا حدث قبيل عيد الفصح الذي صادف في 3 نيسان 337م[3]، ومع أننا نجد إشارة مماثلة في روايات المؤرخين الاوائل وفيها " إن سابور هادن قسطنطين ملك الروم"[4]، إلّا إنه يظهر لنا من خلال استقراء الاحداث إن استعدادات الملك سابور الثاني كانت أقوى من أن يطلب الصلح، وأنه لا يوجد هناك ما يبرر هذا الطلب، ونعتقد أن تلك المهادنة حدثت في وقت سابق أي قبل سنة 337م ربما في الوقت الذي أنشغل فيه الملك سابور الثاني بتأديب القبائل العربية التي تجاوزت على المناطق الجنوبية من دولته، أو في الوقت الذي انشغل فيه بمواجهة خطر الدولة الكوشانية، وبما أن حملة القمع والاضطهاد التي قام بها الملك سابور الثاني ضد المسيحيين الموجودين في بلاده بدأت سنة319م فهذا يعني إن علاقة الصداقة والمهادنة بينه وبين الإمبراطور قسطنطين، انتهت بتلك السنة.

1- يوسابيوس، حياة قسطنطين، الكتاب الرابع، الفصل 56؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص65؛ ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص37 - 38.

2- حياة قسطنطين، الكتاب الرابع، الفصل 57.

3- رستم، الروم، ج1، ص72.

4- الطبـري، تاريـخ، ج1، ص400؛ المسـعودي، مـروج الذهـب، ج1، ص254؛ ابـو الفـداء، المختصـر، ج1، ص83.

ومهما يكن الأمر فإن المصادر تجمع على أن الإمبراطور قسطنطين توفي في 22 آيار 337م قبل أن يبدأ خططه الحربية ضد الساسانيين[1]، وخلفه على عرش الإمبراطورية أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثاني (Constantine II) (337 – 340م) وهو الاكبر وكان في الحادية والعشرين من عمره، تولى حكم الجزء الغربي من الإمبراطورية[2]، وقسطنطيوس (Costantius) (337 – 361م) وكان في العشرين من عمره وقد تولى حكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية[3]، أما الابن الثالث وهو قسطانز(Constans) (337 – 350م) فكان له من العمر سبع عشرة سنة وقد تولى حكم الليريا[4] (Illyricum)[5]، غير إن هؤلاء الاخوة لم يكونوا على وفاق فقد طمع كل منهما في ملك الاخر.

وهذا يعني أنهم انشغلوا بمنازعاتهم الداخلية عن محاربة الملك سابور الثاني الذي أستغل تلك الاوضاع لصالحه فهاجم في نهاية سنة 337م أرمينيا، في عهد ملكها خسروف كوداك (337 – 340م) الذي ما أن علم بمهاجمة الملك سابور الثاني لبلاده حتى سارع إلى إرسال جيشٍ بلغ تعداده (40.000) الف مقاتل عهد بقيادته إلى قائده (بزنوني تادابين)، ويبدو أن ذلك القائد كان من الحزب الموالي للساسانيين فبدلاً من أن يحارب الملك سابور الثاني أنظم مع الجيش الذي تحت أمرته إلى جانبه في محاربة ابناء بلاده وهكذا تمكن الملك سابور الثاني وبسبب خيانة ذلك القائد من استعادة اتروباتين التي كانت قد ضمت إليها سنة 298م بموجب معاهدة نيسيبيس[6].

1- تشارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص216؛ اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص26؛
Reid, Op.Cit, p.32; Robnson, Op.Cit, Part.11, p.420.

2- إيطاليا وغالة واسبانيا وقسماً من شمال أفريقيا.

3- مصر وسوريا وآسيا الصغرى وتراقيا.

4- وسط البلقان وبلاد اليونان وقسماً من شمال أفريقيا.

5- يوسابيوس، حياة قسطنطين، الكتاب الرابع، الفصل 52؛ رستم، الروم، ص74؛
Vasiliev Op.Cit, p.65.

6- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص123؛ زرين كوب، روزكاران، ص207.

ويبدو إن ذلك الانتصار شجع الملك سابور الثاني على معاودة الهجوم مرة ثانية وكان ذلك سنة339م [1]، ولم تذكر المصادر الايرانية التي تحدثت عن نشاط سابور الثاني الحربي لا من قريب أو من بعيد إلى اخبار ذلك الهجوم والراجح إن ذلك يعود إلى تعصب اولئك المؤرخين القومي ولاسيّما أن سابور الثاني أخفق في تحقيق ما يصبوا إليه، أذ يقول المؤرخ (استارجيان) " إن الأرمن وأن فقدوا في المعركة قواداً كباراً من بينهم (واجي ماميكونيان) القائد العام إلا انهم انتصروا انتصاراً باهراً " [2].

وفي سنة 340م توفي ملك أرمينيا خسروف كوداك (337 – 340م) فأستغل الملك سابور الثاني ذلك وبادر إلى إرسال اخيه الامير نرسي للاستيلاء عليها وتولي العرش فيها قبل أن يدخلها الرومان وبالفعل تحقق للملك سابور ما كان يصبو إليه فأنضمت أرمينيا إلى دولته سنة341م[3]، والراجح إن الذي منع الرومان من الوقوف إلى جانب أرمينيا في التصدي للملك سابور الثاني إنه في سنة 340م وقعت معركة بين قسطنطين الثاني حاكم الجزء الغربي وأخيه قسطانز حاكم الليريا سببها طمع قسطنطين الثاني في ملك اخيه الأمر الذي دفعه إلى محاربته، إلاّ أنّه وقع قتيلاً في معركة اكويليا (Aquileia) في السنة نفسها [4].

ومهما يكن الامر فإن جلوس الامير نرسي على العرش الأرمني لم يستمر طويلاً ففي سنة 342م تمكن الأرمن من ألحاق الهزيمة به، واجلسوا على العرش الملك ديران بن خسروف (342 – 350م)[5].

1- استارجيان، المصدر نفسه، ص123.

2- المصدر نفسه، ص123.

3- خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص214؛ زرين كوب، روزكاران، ص207.

4- Jones, The Later Roman, Vol, 1, p.112;

جيبون، اضمحلال، ج1، ص553

5- خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص214 – 215؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص124.

وهكذا فأن محاولات سابور الثاني وإن فشلت في الاستيلاء على أرمينيا إلا إنها كانت اول حرب معلنة للقضاء على المسيحية أي إن حربه مع الرومان خلال تلك المدة كان ذا طابع ديني بعد إن كان سياسي واقتصادي.

4 ـ محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على نيسيبيس 338 ـ 350م.

يبدو إن نجاح الملك سابور الثاني في استعادة اتروباتين في نهاية سنة 337م شجعه على مواصلة حروبه مع الرومان الذين كانوا في ذلك الوقت في شغل شاغل عنه نتيجة انشغال الحكام الثلاث - اولاد قسطنطين - بالصراع فيما بينهم على حكم الإمبراطورية، ولذلك حاصر سنة 338م مدينة نيسيبيس المركز الرئيس للرومان في أرض الجزيرة الفراتية، وأستمر الحصار مدة شهرين، إلا إن تحصينات المدينة ومقاومة اهلها إلى جانب الأمراض التي تعرض لها جيشه بسبب كثرة الحشرات من البعوض والذباب أجبرت الملك سابور الثاني على إنهاء الحصار والأكتفاء بالاغارة على نواحي المدينة وهزيمة الفرق الرومانية التي اعترضت طريقه [1].

لم تثن تلك الهزيمة عزيمة الملك سابور الثاني في استعادة الأراضي التي تنازل عنها جده نرسي سنة 298م ولذلك عاد ثانية إلى محاصرة نيسيبيس سنة 346م إلا إنه لم يوفق[2]، وبعد سنتين أي سنة 348م سار بجيش كبير نحو أرض الجزيرة الفراتية فألتقى بجيوش الإمبراطور قسطنطيوس عند مدينة سنكارا (Singara) [3] (سنجار)،

1 - مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص823؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص564، وقد أوعز المؤرخ (ابونا) فشل حصار الملك سابور الثاني إلى صلوات القديس يعقوب اسقف المدينة وتلميذه افرام (تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص124).

2 - حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص60؛ رستم، الروم، ج1، ص75.

3 - سنكارا (سنجار): من مدن الجزيرة الفراتية، بينها وبين الموصل ثلاثة ايام (ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص210).

وتدل الخطة التي وضعها الملك سابور الثاني لهذه المعركة على كفاءته الحربية وأستعداده التام للمواجهة، فقد انطوت تلك الخطة على أفساح المجال أمام الرومانيين لنهب معسكره وسلب كل ما فيه، أما هو فقد جمع جيوشه في التلال المطلة على المدينة، فلما حل الظلام هاجم الجنود الرومانيين الذين كانوا غارقين في الاحتفال بما وقعت عليه ايديهم من أسلاب وتمكن سابور الثاني من أن يحسم النتيجة لصالحه [1].

بعد ذلك الانتصار واصل الملك سابور الثاني زحفه بأتجاه نيسيبيس فحاصرها سنة 350م مستعيناً بالفيلة التي كان قد استقدمها من الهند، وبعد سبعين يوماً من الحصار غير المجدي فكر الملك سابور الثاني بتحويل المنطقة المحيطة بالمدينة إلى بحيرة فقام بسد مصب نهر مقدونيوس[2] (Mygdonius) (جغجغ) في نهر الخابور بعد أن يترك نيسيبيس، ففاض النهر حتى أحاط بالمدينة واحدث في سورها ثغرة واسعة عندها ساق الملك سابور الثاني جيشه من الخيالة والفيلة باتجاه المدينة غير أنه لم يوفق في دخولها بسب بسالة اهلها في الدفاع وأسراعهم في أصلاح الأضرار التي أصابت أسوارها، كما أن المياه أغرقت من غرق من الجيش الساساني وأربكت صفوفه وأخيراً وبعد أن فقد ما يقارب 20.000 الف من جنوده قرر انهاء الحصار والتوجه للاستيلاء على أرمينيا[3].

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص565؛ جيبون، اضمحلال، ج1، ص553؛ رستم، الروم، ج1، ص75.

2- نهر مقدونيوس (جغجغ): هذا النهر هو بقايا نهر سُكير العباس الواقع على نهر الهرماس قرب ملتقاه بنهر الخابور (لسترنج، بلدان الخلافة، ص127 و128 هامش رقم (33)).

3- مار ميخائيل السرياني (ت520هـ)، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغور لويس يوحنا ابراهيم، (حلب: دار ماردين للطباعة، 1996م)، ج1، ص193 - 194.

5ـ استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا سنة 350م واستعادة الرومان لها سنة 352م.

أثار انتصار الساسانيين في معركة سنكارا وإقدامهم على محاصرة نيسيبيس للمرة الثالثة القلق والخوف في نفس الملك الأرمني ديران بن خسروف من أن تكون بلاده هدفاً لملكهم سابور الثاني بعد أن يتم له الاستيلاء على نيسيبيس لذلك مال إلى مصادقته وتعهد بدفع الجزية له[1]، إلا إنّ الاخير وجد في ضعف الملك ديران إلى جانب نقمة الشعب منه لأخلاقه السيئة[2] فرصة مناسبة للاستيلاء على أرمينيا وبسبب انشغاله بمحاصرة نيسيبيس عهد بتنفيذ تلك المهمة إلى حاكم ولاية اتروباتين الذي كان يضمر للملك الأرمني الحقد ويتحين الفرص للثأر منه [3]، فتمكن سنة 350م وبمؤامرة دبرها من أسر الملك ديران وأسرته، ونقلهم بعد أن سمل عيني الملك إلى البلاط الساساني [4].

ويذكر إن خلع الملك وسمل عينيه أحدث حالة من الخوف والهلع لدى الأرمن الذين خافوا من أن يستولي على العرش أحد الامراء الساسانيين لذلك سارعوا إلى طلب المساعدة من الإمبراطور قسطنطيوس، فلبى طلبهم وسار بنفسه لمواجهة الجيش الساساني الذي كان متوجهاً للاستيلاء على أرمينيا، وفي أحدى سهولها حدثت معركة بين الطرفين أُجبر فيها الملك سابور الثاني على مهادنة الإمبراطور[5]، والعودة إلى بلاده لمواجهة خطر الاسكيثيين والهون[6] الذين أخذوا يغيرون على

1- خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص215؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص125.

2- للتفصيل عن أخلاق الملك ديران السيئة انظر: استارجيان، المصدر نفسه، ص124 – 125.

3- للتفصيل عن سبب تلك العداوة انظر: المصدر نفسه، ص125 – 126.

4- Baynes, Norman., Byzantine Studies and Other Essays, (London, 1955), p.188;
استارجيان، المصدر نفسه، ص125 – 126.

5- Ibid, p.188;
المصدر نفسه، ص126

6- سنأتي على الحديث عنهم لاحقاً بالتفصيل.

الحدود الشمالية الشرقية لدولته[1]، وإن الإمبراطور قسطنطيوس أشترط عليه اطلاق سراح الملك الأرمني الكفيف واعادته إلى بلاده [2].

ولعل السبب الذي دفع الإمبراطور قسطنطيوس إلى قبول الهدنة على الرغم من أن الفرصة كانت مناسبة له في أن يجعل الملك سابور الثاني بين فكي كماشة ويواصل انتصاره ومن ثم تقدمه باتجاه العاصمة طيسفون، هو إنه وجد في تلك الهدنة فرصة طيبة لإعادة توحيد الإمبراطورية تحت سلطانه بعد مقتل اخيه قسطانز سنة 350م[3].

والراجح إن ادراك الملك سابور الثاني لصعوبة القتال على جبهتين وخوفه من أن يتحالف الأرمن الذين أُهينت كرامة ملكهم مع الرومان ضده في الوقت الذي كان عليه مواجهة خطر القبائل الاسكيثية والهون جعله يعيد الملك ديران الى بلاده، ويوافق على طلبه في أن يتولى عرش البلاد ابنه ارشاك الثاني (Arshak II) (351 – 367م)[4].

وأعترافاً بفضل الإمبراطور قسطنطيوس، وأنتقاماً لكرامة والده أستغل الملك الأرمني ارشاك الثاني انشغال الملك سابور الثاني بحروبه الشرقية فعقد سنة 352م تحالفاً مع الرومان وضع بموجبه بلاده تحت نفوذهم، ولتوثيق عرى ذلك التحالف زوَّجه الإمبراطور قسطنطيوس من اولمبياس(Olympias) خطيبة أخيه قسطانز وبذلك خرجت أرمينيا مرة ثانية من تبعيتها للدولة الساسانية[5].

1- دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص297؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص451؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص237.

2- Baynes, Op.Cit, p.188;

استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص126

3- Jones, The Later Roman, Vol.1, p.113;

جيبون، اضمحلال، ج1، ص553

4- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص126؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص61.

5- استارجيان، المصدر نفسه، ص 126؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص568؛ ابو مغلي، إيران، ص148 – 149؛ ويحدد (رستم) تاريخ التحالف الأرمني الروماني بسنة 355م ويسمي الملك الأرمني (ارشك الثالث) (الروم، ج1، ص76).

المبحث السادس:
الاوضاع العامة في الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية خلال المدة (350- 357م) وأثرها في تجدد الحروب بينهما

استمرت حروب الملك سابور الثاني الشرقية مع القبائل الاسكيثية وقبائل الهون مدة سبع سنوات(350 – 357م)[1]، ومعلوماتنا عن تلك الحروب بسيطة ومحدودة فلم يصلنا منها إلا ما يفيد إن الملك سابور الثاني تمكن من أخضاع تلك القبائل وإنه سنة 357م عقد معها معاهدة تحالف تقرر بموجبها إسكان تلك القبائل في القسم الشمالي من دولة كوشان مقابل تعهدهم بتقديم المساعدة والوقوف إلى جانبه في حروبه مع الرومان [2].

ولم يكن الوضع الداخلي في الدولة الرومانية بأحسن حال من نظيره في الدولة الساسانية في تلك المدة، ففي سنة 350م ثار الجند على حاكم الجزء الغربي قسطانز وقتلوه وأغتصب العرش شخص لم تذكر لنا المصادر عنه شيء سوى إن اسمه ماجنتيوس Magnentius وإنه أنهزم أمام قسطنطيوس في معركة مورسا Mursa في 28 ايلول سنة 351م [3].

ويذكر إن الإمبراطور قسطنطيوس كان رجلاً عاقراً لا وارث له، فأضطر تحت ضغط الحكم أن يبحث عن شريك يشاطره في حكم الإمبراطورية ولذلك استدعى

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص567؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص451؛ العابد، معالم، ص48؛ حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص61.

2- لويد، الرافدان، ص166؛ سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص565 – 566.

3- Jones, The Later Roman, Vol, 1, p.113;
جيبون، اضمحلال،ج1، ص553؛ بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص41.

ابن عمه جالوس[1] (Gallus) (350 – 353م) وكان عمره خمس وعشرون سنة من منفاه وجعله سنة 350م إمبراطوراً على جهة الشرق، فأتخذ الأخير من أنتيوخيا عاصمة له، إلاّ إنه أثبت عدم صلاحيته للحكم فيذكر إنه كان قاسياً فظ القلب أتسم حكمه بالطغيان والأرهاب ولم يكن ذلك ليرضي الإمبراطور قسطنطيوس فاستدعاه إليه في روما سنة 353م واتهمه بالتآمر وسوء الإدارة وأصدر أمراً باعدامه في السنة نفسها وهكذا انتهى الأمر بإنفراد قسطنطيوس بالسلطة وحكم الإمبراطورية دون منافس [2].

وفي سنة355م عين الإمبراطور قسطنطيوس ابن عمه جوليان (Julien) قيصراً على غالية، وزوجه من ابنته هيلينا وأمره أن يحارب القبائل الجرمانية التي تغير على بلاد الغال [3].

في سنة 356م تلقى الملك سابور الثاني رسالة من الإمبراطور قسطنطيوس يعرض عليه الدخول في المفاوضات لعقد صلح دائم بين الطرفين، فكتب له سابور الثاني يقول " من سابور رفيق النجوم، اخو الشمس والقمر، إلى اخاه القيصر قسطنطيوس، إن الإمبراطور قد أصلح بالتجربة خطأه وعاد إلى الطريق السوي، وقد مد آباؤه (أباء سابور) سلطانهم إلى حدود مقدونيا، وإنه كذلك قد جاوز في الجلال

1- جالوس: هو جالوس بن يوليوس، ابن عم الإمبراطور قسطنطيوس، فبعد وفاة الإمبراطور قسطنطين عمد أبنه قسطنطيوس على التخلص من جميع أقاربه الذين حضوا بمكانة في حكم الإمبراطوية في عهد والده خوفاً من منافستهم له في الحكم ماعدا جالوس وجوليان اللذان كانا أطفالاً صغار أولهما كان عمره اثني عشر سنة والثاني ست سنوات، فقد أكتفى بنفيهما إلى قلعة ماسللوم (Macellum) المنيعة قرب قيصرية في كبدوكيا، للتفصيل انظر: (جيبون، المصدر نفسه، ج1، ص549 – 551).

2- جيبون، اضمحلال،ج1،ص556 – 557؛ Jones, The Later Roman, Vol, 1, p.p.113, 116؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص26؛ أما المؤرخ (بينز) فيذكر أن إنفراد الإمبراطور قسطنطيوس بحكم الإمبراطورية الموحدة كان سنة 350م (الإمبراطورية البيزنطية، ص41)، في حين يحدد المؤرخ (رنسيمان) تاريخ ذلك بسنة 351م (الحضارة البيزنطية، ص26).

3- Jones, The Later Roman, Vol, 1, p.117;

فرح، المصدر نفسه، ج1، ص26؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص35.

وكثرة الفضائل الملوك الأولين، وأن عليه أن يستعيد أرمينيا وبلاد الجزيرة اللتين أخذتا غصباً من جده، وإنا لن نجيز الرأي الذي اجزته في عتوك الرأي الذي يرى كل فوز في الحرب جديراً بالثناء من غير أن يفرق بين نصر يرجع إلى الشجاعة ونصر أساسه الحيلة الخادعة، وكما إن الاطباء يكوون أو يبترون أعضاء الجسد أحياناً، فعلى الإمبراطور أن يتنازل عن جزء صغير من أرضه على هذه الطريقة، وإذا عاد السفراء الساسانيون من غير أن يظفروا بشيء فأن الملك العظيم سيسير بكل قواه لحرب الإمبراطور، بعد استراحة الشتاء " [1].

رد عليه الإمبراطور قسطنطيوس يقول " من قسطنطيوس المظفر في الأرض والبحر، والعظيم دائماً، إلى اخيه الملك سابور، أرفض عرضك رفضاً تاماً، وإذا كان الرومان قد أثروا أحياناً الحرب الدفاعية على الحرب الهجومية فإن هذا الآيثار لم يكن عن خوف ولكنه عن اعتدال، وإذا كان الرومان قد أضطربوا في الحرب في بعض المعارك فإن النتيجة النهائية للحرب لم تكن تدور عليهم " [2].

يفهم من مضمون رسالة الملك سابور الثاني إنه لم تكن له نوايا صادقة في عقد الصلح وإن أسلوب التهديد الذي تضمنته ما هو إلا انذار صريح بأعلان الحرب بعد أن ينتهي من مشكلة الجبهة الشرقية، ويأمن أوضاع بلاده الداخلية.

1 – كرستنسن، إيران، ص226؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص569؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص237.

2 – كرستنسن، المصدر نفسه، ص226؛ العابد، معالم، ص48 – 49.

المبحث السابع:
أستيلاء الملك سابور الثاني
على آمد، سنجار، بازبدا سنة (359 ـ 360م)

بعد أن انتهى الملك سابور الثاني من حروبه في حدوده الشرقية، وأكمل إعداد وتنظيم جيشه بدأ سنة 359م حروبه الثانية مع الرومان، وقد شرح لنا المؤرخ (اميانوس مرسيلينوس) (Ammianus Marceilinus) الذي كان جندياً مشاركاً في تلك الحرب تفاصيلها وجزيئاتها، فذكر إن القوات الرومانية المرابطة في نيسيبيس ما أن سمعت بأستعداد الملك سابور الثاني لمحاربة الرومان حتى أرسلت اميانوس إلى جوفينين (Jovenien) الحاكم الساساني لولاية جوردين الأرمنية وكان موالياً للرومان، فبعث جوفينين معه دليلاً يعرف الاماكن، ومن أحد التلال العالية شاهد فرقاً كثيرةً من الجيش الساساني يتقدمها الملك سابور الثاني لابساً خوذته المرصعة بالجواهر ومحاطاً بالملوك والامراء[1] تعبر نهر دجلة على جسر من القوارب، عندئذ سارع هو - أي اميانوس - بالعودة مجتازاً الجبال ليلتحق بالجيش الروماني الذي أستعد للحرب وشرع باحراق وتدمير حقول القمح [2]، أي إنه اتبع سياسة الأرض المحروقة حتى يقطع على عدوه طريق التقدم لعدم قدرة تلك الحقول على سد حاجة جيشه من المؤن.

1- يقصد ملك الهون كرومباتس (Crombates) وابنه وكان قد تعهد للملك سابور الثاني بتقديم المساعدة والوقوف إلى جانبه في حربه مع الدولة الرومانية بعد أن اسكنهم الأخير في القسم الشمالي من دولة كوشان (لويد، الرافدان، ص 166؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص565 - 566)

2- نقلاً عن: كرستنسن، المصدر نفسه، ص229 - 230.

ثم واصل تقدمه باتجاه مدينة موش[1] الأرمنية ليتمكن عندها من عبور نهر دجلة ومواجهة العدو[2]، أما الملك سابور الثاني وجيشه فقد واصل تقدمه سالكاً طرق الجبال الملتوية ومتتبعاً أودية سفوحها الخصبة وقد أدت به تلك الطرق إلـــى المرور من مدينة نيسيبيس إلا إنّه تجنب محاصرتها [3]، ويبدو إن خطة سابور أنطوت على محاصرة الجيش الروماني المتقدم باتجاه مدينة موش وجعله بين المطرقة والسندان، فيذكر عنه إنه أرسل ألفاً من جنوده عهد بقيادتهم إلى قائديه (سابور ونخوذار) وأمرهم بالتخفي وراء التلال المحيطة بمدينة اميدا[4](Amida) (آمد)، فما أن وصل الجيش الروماني إلى المدينة حتى حدث اللقاء الذي وصفه اميانوس قائلاً: " وبينما نحن نسير على ضوء الشروق الضعيف، نبغي مدينة موش، رأينا من فوق تل بريق الاسلحة، وسمعنا صيحات تنذر بأن العدو هناك،...، فوقفنا وجمعنا الصفوف،...، ورأينا أن لا مفر لنا من القتال، وكنا مترددين فيما نتخذ من رأي، وقتل جماعة منا وهم الذين أسرفوا في التقدم وحينئذ تقارب الجيشان "[5].

ويواصل شرحه لتفاصيل معركة آمد فيقول: " ولما مضى على ذلك نصف ساعة، صاح رجال مؤخرتنا، وكانوا على قمة تل، بأنهم يرون وراءنا فرقاً اخرى من الفرسان تقترب منا مسرعة كل الاسراع، ولم نستطع أن نعرف أي ناحية نتبع،...، وهكذا هربنا ونحن نتفرق،...، ولكنا لم نستطع أن نتجنب الاشتباك مع طلائع العدو ونحن نحاول كل بمفرده الخلاص من الخطر المحدق بنا، وفي هذه اللحظة لم يفكر

1- موش: بلدة من نواحي خلاط بأرمينيا (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص409).

2- نقلاً عن: كرستنسن، إيران، ص230.

3- كرستنسن، إيران، ص230؛ لويد، الرافدان، ص166 – 167؛ رستم، الروم، ج1، ص76.

4- اميدا (آمد): قصبة ديار بكر، تقع غرب دجلة، وصفت بأنها كثيرة الشجر والزروع (المقدسي، احسن التقاسيم، ص137، 140؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص287).

5- نقلاً عن: كرستنسن، إيران، ص230.

أحد في أكثر من النجاة بحياته، ولقد دافعنا عن انفسنا بكل قوانا، وأندفعنا نحو شواطئ دجلة الوعرة، وهنا هوى بعضنا وكان مثقلاً بما عليه من أسلحة فغاص في النواحي الواطئة من النهر وآخرون جرفهم اليم بدواماته العميقة فغرقوا، وآخرون وقفوا يناهضون العدو ويحاربونه، موفقين وخائبين، وكان هناك من ملئوا رعباً من الجموع المتراصة من الجند فحاولوا بلوغ أقرب فجاج جبل طوروس " [1].

ثم وصف الخسائر التي أصابت الجيش الروماني في تلك المعركة، فذكر إن الجيش الساساني فتك بالجيش الروماني إلى درجة " إن جثث الموتى ظلت واقفة في الزحام لا تجد فسحة من الأرض تهوى إليها " [2].

ثم تقدم الجيش الساساني نحو المدينة ونصب المناجيق نحوها، وأخذوا يسقطون عليها وابلاً من النشاب، ثم سار الملك سابور الثاني واثقاً من نفسه ومحاطاً بحرسه الملكي وبجيشه[3] الذي أنظم إليه ملك الهون كروميباتس وابنه الذين شاركا مع جيشهم في القتال إلى جانب الساسانيين، بمحاذاة أسوارها معتقداً بأنه سيقع الرعب في نفوس أهلها وسيدفعهم الخوف إلى الاستسلام، غير إنه ما أن اقترب من بوابتها حتى أخذ رماة المدينة يطلقون عليه السهام، فاصاب احدها خوذته وأصاب أخر ابن الملك كروميباتس [4]، فأغضب ذلك الملك سابور الثاني وقرر محاصرة المدينة محاصرة شديدة أستعمل فيها كل أنواع الات الحصار إلى جانب الفيلة الهندية التي وصفها (مرسيلينوس) بقوله " ليس هناك من شيء أرهب وأهول للعقل البشري من اصواتها وضخامة اجسامها " [5]، وبعد ثلاثة وسبعين يوماً من الحصار الذي فقد فيه

1- نقلاً عن: كرستنسن، إيران، ص231.

2- نقلاً عن: المصدر نفسه، ص231.

3- يذكر استارجيان إن تعداد ذلك الجيش كان مئة الف جندي (تاريخ الأمة الأرمنية، ص134).

4- كرستنسن، إيران، ص232 – 233؛ لويد، الرافدان، ص167؛ خنجي، تاريخ إيران، ص555.

5- نقلاً عن: كرستنسن، المصدر نفسه، ص234؛ لويد، المصدر نفسه، ص167.

الملك سابور الثاني 30.000 من جنوده إنهدم جزء من سور المدينة فتمكن سابور وجنوده من دخولها وشرعوا في قتل وأسر أهلها [1].

ويختم المؤرخ روايته لتفاصيل تلك المعركة قاصاً تفاصيل هربه مع اثنين من رفاقه، فيذكر إنهم أجتازوا الجبال ووصلوا إلى مدينة ميلتين[2](Melitine) (ملطية) في أرمينيا الصغرى، ومنها سافروا بصحبة ضابط روماني إلى أنتيوخيا[3].

وفي سنة 360م تمكن الملك سابور الثاني من الاستيلاء على مدينة سنكارا[4]، وقد أثار ذلك غضب الإمبراطور قسطنطيوس ويبدو أنه خاف من أن تؤثر أنتصارات الملك سابور الثاني في أستمالة الأرمن والايبريين إلى جانبه[5]، ولذلك خرج في السنة نفسها من القسطنطينية متوجهاً لصد الجيش الساساني الذي توجه لمحاصرة بازبدا [6] (Bezabda)[7]، وفي قيصرية عاصمة كبدوكيا ألتقى بملك أرمينيا ارشاك الثاني الذي كان قد دعاه اليه لتجديد عهود الصداقة بينهما، ويقال إن ملك أرمينيا ارشاك أقسم له يميناً بالولاء والأخلاص ثم قال " إنني لأرجحن الموت على أن أسلك سبيلاً معوجاً بسياسة مضادة للرومان " [8].

1- كرستنسن، المصدر نفسه، ص234 – 237؛ لويد، المصدر نفسه، ص167؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص134.

2- مليتين (ملطية): أهم مدن الولايات الشرقية على حدود الفرات (لسترنج، بلدان الخلافة، ص152) وهي من مدن تركيا في الوقت الحاضر.

3- نقلاً عن: كرستنسن، إيران، ص237.

4- دياكونوف، تاريخ إيران باستان، ص297؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص570؛ رستم، الروم، ج1، ص76؛ ابو مغلي، إيران، ص149.

5- دياكونوف، المصدر نفسه، ص 298.

6- بازبدا: أو بيت زبدى: قرية من ناحية جزيرة ابن عمر سميت كورتها بها، تقع على ضفة نهر دجلة الغربية وبالقرب منها جبل الجوديّ وقرية الثمانيين (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج2، ص256؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص152؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص123).

7- رستم، الروم، ج1، ص76.

8- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص134.

وبعد رحيل الملك الأرمني ارشاك سار الإمبراطور قسطنطيوس نحو الفرات فوصل مدينة ادسا، وبعث إلى ابن عمه جوليان يطلب منه أن يرسل إليه ما تحت قيادته من الجيش ليتمكن من التصدي للقوات الساسانية إلاّ إن الأخيرين تمردوا أحتجاجاً على طلب الإمبراطور ونادوا بالقيصر جوليان إمبراطوراً سنة360م في مدينة لوتيشيا (Lutetia) (باريس)[1]، وكتب إلى الإمبراطور قسطنطيوس يطلب منه الأعتراف بما تم، الأمر الذي أثار غضب الأخير فغادر أنتيوخيا بجنوده وتوجه لملاقاة ابن عمه ومنعه من دخول القسطنطينية، إلا إنه مرض في طريق العودة وتوفي قرب طَرَسوس سنة 361م بعد أن كان قد أوصى بجوليان خلفاً له في الحكم [2].

1- فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص26؛ رستم، الروم، ج1، ص76.

2- فرح، المصدر نفسه، ج1، ص26؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص76 - 77؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص134 - 135.

المبحث الثامن:
حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م

دخل جوليان وجنوده القسطنطينية في الحادي عشر من كانون الأول سنة 361م، وما أن تربع على عرش الإمبراطورية حتى اتخذ لنفسه لقب (الحبر الاعظم) [1] ثم أمر بفتح معابد الوثنية وأشتد في مضايقة المسيحيين[2]، وهذا يعني إنه تخلى عن المسيحية وتمسك بالوثنية، ولذلك لقب بالجاحد أو المرتد [3].

كان الإمبراطور جوليان إمبراطوراً طموحاً يتطلع إلى التشبه بالاسكندر المقدوني في فتوحاته في الشرق[4] لذا نقل مقر قيادته إلى أنتيوخيا فوصلها في التاسع عشر من تموز سنة362م[5]، ويبدو أن الملك سابور الثاني لم يرغب في الحرب هذه المرة بل حاول مفاوضته في إقامة السلم والوئام ولذلك أرسل رسله إلى أنتيوخيا ليطلعوا الإمبراطور بذلك، إلا إن الإمبراطور الأخير أبى أن يصغي إلى الرسل، وأكتفى بالرد عليهم (قريباً ترونني)[6]، وأخذ يستعد أستعداداً تاماً للمواجهة فأرضى اليهود في مملكته طمعاً في أن يعاونه أخوانهم الموجودين في أراضي الدولة الساسانية[7]،

1- جيبون، اضمحلال، ج2، ص35.
2- رستم، الروم، ج1، ص80؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص27؛ وللتفصيل انظر: جيبون، المصدر نفسه، ج2، ص45 - 59.
3- مار ميخائيل، تاريخ، ج1، ص202؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص77؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص60؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص135.
4- جيبون، اضمحلال، ج2، ص9.
5- رستم، المصدر نفسه، ج1، ص83.
6- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص571؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص84؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص237.
7- للتفصيل عن معاملته الحسنة لليهود انظر: جيبون، اضمحلال، ج2، ص35 - 53.

وحالف ملك أرمينيا ارشاك الثاني على الرغم من ديانته المسيحية[1]، ويبدو أن رغبته في إذلال الساسانيين والتدخل في شؤونهم دفعته إلى أصطحاب الأمير (هرمز) الاخ الاكبر لسابور الثاني الذي كان قد هرب لاجئاً إلى بلاطه[2] ليجعله على العرش الساساني تحت حمايته [3].

ومما ينبغي التوقف عنده إن المؤرخ (اسد رستم) يقول عن هرمز الذي يسميه (هورمزد) " وكان هذا لا يزال داخل الحدود الرومانية منذ سنة 324م"[4]، وهذا يعني إن الامير هرمز ظل في سجنه الذي سجنه فيه العظماء المتنفذون في دولته منـذ سنة 309م حتى سنة 324م وهي السنة التي تولى فيها سابور الثاني زمام الامور في دولته بصورة فعلية، ويبدو إن خوف الامير هرمز من أن تطوله يد اخيه (من غير أمه) سابور الثاني وطمعه في أن يتولى عرش البلاد دفعه إلى الفرار إلى الرومان أملاً في الحصول على مساعدتهم في تحقيق هدفه الأخير، وهذا يفسر لنا سبب مرافقته للإمبراطور جوليان في حملته ضد أخيه (أي هرمز) الملك سابور الثاني.

بالمقابل وجد الإمبراطور جوليان في مساعدة الأمير هرمز في الجلوس على عرش بلاد فارس فرصة طيبة في فرض شروطه عليه والحصول على بعض الأمتيازات في أراضيه [5].

واستناداً إلى ما ذكره المصنف الروماني (اميانوس مرسيلينوس) الذي كان جندياً مشاركاً في حملة الإمبراطور جوليان على العراق - إن الإمبراطور جوليان سار[6]

1- رستم، الروم، ج1، ص84.

2- انظر ص 177 من هذه الاطروحة.

3- Zosimus, Op.Cit, bk.3, ch.77;

رستم، الروم، ج1، ص84؛ خنجي، تاريخ إيران، ص558.

4- المصدر نفسه، ج1، ص84.

5- خنجي، تاريخ إيران، ص558.

6- عن مسير حملة الإمبراطور جوليان على العراق انظر: خارطة رقم (2)

في 26 أذار سنة 363م من أنتيوخيا بأتجاه الفرات على رأس جيش كبير مكون من 65 الف جندي[1] واسطول نهري قوامه ألف ومئة سفينة، وعند وصوله إلى مدينة كرها قسم جيشه على قسمين عهد بقيادة القسم الأول إلى قائده بروكوبيوس (Procopius)[2] وأوكل إليه مهمة التوجه شرقاً إلى نيسيبيس ليهاجم بمساعدة حليفه ملك أرمينيا أرشاك الثاني ولايات بلاد فارس الحدودية[3] وبعد أن يجتازها يتقدم بأتجاه العاصمة الساسانية طيسفون حيث يلتقي بالجيش الروماني الرئيس الذي سيكون هناك، أما هو فقد تولى قيادة الجيش الرئيس وسار بأتجاه الفرات في طريقه إلى العاصمة طيسفون[4].

ويبدو أن الملك سابور الثاني اخطأ التقدير فحسب إن الجيش الروماني وكعادته في حملات الأباطرة السابقين سينطلق من نيسيبيس لذا أتجه بكامل جيشه نحو نهر دجلة للقائه هناك [5]، غير إن الإمبراطور جوليان سار بالقسم الأكبر من جيشه الذي يرافقه الاسطول جنوباً وبمحاذاة الضفة اليسرى لنهر الفرات [6]، وفي احدى محطات التوقف على الفرات أستقبله (المشارقة) (Saraceense) رؤساء القبائل العربية وقدموا له تاجاً من الذهب مع بعض القطعات المحاربة تعبيراً عن الدخول في طاعته فقبلها الإمبراطور بالرضى[7].

1- في رواية ستين الف (استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص135) وفي رواية اخرى مئة الف (سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص572) علماً إن المؤرخ الانكليزي المهتم بالدراسات الإيرانية سايكس أعتمد في إيراد معلوماته عن حملة جوليان على العراق على التفاصيل التي ذكرها المصنف مرسيلينوس، ويبدو ان نزوعه القومي جعله يزيد من حجم جيش العدو ليظهر للقارئ مدى ضخامة الحملة ليقارنها بالنتيجة التي أنتهت إليها.

2- يذكر أنه أعطه في السر ثوباً أرجوانياً وعيّنه خلفاً له في حالة وفاته (رستم، الروم، ج1، ص85).

3- أي إقليم اتروباتين، نقلاً عن: Zosimus, Op.Cit, bk.3, ch.77.

4- نقلاً عن: Ibid, bk.3, ch.76؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص572 – 573.

5- رستم، الروم، ج1، ص 85.

6- Zosimus, Op.Cit, bk.3, ch.77;

لويد، الرافدان، ص169

7- مرسيلينوس، اميانوس، العراق في القرن الرابع للميلاد، ترجمة: فؤاد جميل، مراجعة: سالم الالوسي، (بغداد: الموسوعة الصغيرة (413)، دار الشؤون الثقافية العامة، 1998م)، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 1.

وأكدت روايات المصادر العربية مشاركة العرب في تلك الحملة إلى جانب الرومان إذ جاء فيها " ... واجتمع في عسكر لليانوس (جوليان) من العرب مئة الف وسبعون الف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس[1]، أما من بقي في عسكر لليانوس من العرب ... " [2].

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في عدد العرب الذين انظموا إلى معسكر الإمبراطور جوليان إذ بلغ ثلاثة اضعاف الجيش الذي أعده الإمبراطور نفسه إلا أنه يدل دلالة أكيدة على رغبة اولئك العرب في الأنتقام من الملك سابور الثاني بسبب سياسة القسوة والعنف التي انتهجها ضدهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه أن عدداً كهذا كان كافياً بمفرده أن يوقع بالملك سابور الثاني دون الحاجة إلى مساعدة الإمبراطور جوليان؟ والراجح ان الذي منعهم من ذلك أفتقارهم إلى التنظيم والقيادة الموحدة.

ومهما يكن الأمر فان الذي يفهم من رواية المؤرخين أعلاه أن الإمبراطور جوليان قسم العرب الى فرقتين، فرقة ضمها إلى قائد مقدمته يوسانوس، وفرقة ضمها إلى الجيوش التي تولى قيادتها هو بنفسه.

وهكذا بصحبة تلك الجموع العربية دخل الإمبراطور جوليان حصن قرقيسيوم[3](Cercusim) (قرقيسيا) [4]، وظل فيه حتى عبرت جيوشه الجسر العائم الذي أقاموه على نهر ابوراس (الخابور) ليوصلهم إلى حدود الإمبراطورية الساسانية

1- يوسانوس: يسميه الاصمعي (برسانوس) (نهاية الارب، ورقة 229)، ومهما يكن فانه الإمبراطور جوفيان الذي أختاره الجنود الرومان إمبراطوراً لهم بعد وفاة جوليان.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص400؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص111؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 254.

3- قرقيسيوم (قرقيسيا): أكبر وأهم مدن ديار مضر، تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات بالقرب من الرقة (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص281؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص127)، وقيل هي نفسها مدينة الزباء صاحبة جذيمة الابرش (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص112).

4- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 1.

وبعد أن عبر هو النهر وكان أخرهم أمر بقطع الجسر دلالة على عــزم لارجعة منه[1] وقد أتبع في تقدمه سياسة الأرض المحروقة إذ أباح لجيشه سلب ونهب وتخريب جميع القلاع والقرى والمدن التي يمرون بها في طريقهم أو يستولون عليها، وبعد يومين من المسير من قرقيسيا وصلوا إلى مدينة دورا[2] (Dura) فوجدوها مدينة خربة لكنها كثيرة الغزلان وبعد أن اصاب الجيش والبحارة مؤنتهم منها [3]، واصلوا تقدمهم وأستيلاءهم على مدن الفرات الاوسط الواحدة بعد الاخرى، إذ تمكنت فرقة من اسطوله النهري كانت تحمل ألف مقاتل يقودهم لوكيليانوس(Lucilianus) من الاستيلاء على حصن اناثا(Anatha) (مدينة عانة) [4] [5]، وبعد أن نهب الجيش على ما في المدينة احرقها وسار متابعاً النهر حتى وصل إلى منتصفه وهناك كان يقع حصن ثلوثا[6] (Thalutha) الذي امتاز بقوة تحصيناته التي وفرتها له الطبيعة، ويبدو أن الإمبراطور أدرك صعوبـة الاستيلاء

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 4؛

Zosimus, Op.Cit, bk.3, ch.77.

2- دورا: يقصد بها دورا يوروبوس (Dura Europos) التي انشائها الملك السلوقي سلوقس الأول (312 – 280 ق.م)، استولى عليها الملك الساساني سابور الأول (241 – 272م) وخربها سنة 256م، وذكر (موسيل) إنها دورين (الوا، الفرات الاوسط " رحلة وصفية ودراسات تاريخية "، ترجمة: صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة: صالح احمد العلي وعلي محمد المياح، (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1990م)، ص338)، وخرائب دورا يوروبوس تعرف في الوقت الحاضر بـ (الصالحية) قرب دير الزور (سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية، (بغداد: دار الحرية للطباعة،1986م)، ج2، ص380؛ محمد، مشتاق طالب، مدن العراق القديمة، ترجمها عن الموسوعة البريطانية، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد المزدوج 5 و6، (بغداد: مركز دراسات الأمة العراقية، 2005م)، ص69).

3- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الأول، فقرة 5.

4- عانة: مدينة صغيرة على الفرات بين الرحبة وهيت (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص228؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص912).

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الأول، فقرة 6.

6- حصن ثلوثا: هذا الحصن عند (موسيل) هو جزيرة تلبس الصخرية الواقعة على بعد 14 كم جنوب شرق مدينة عانة (الفرات الاوسط، ص361).

عليه ولذلك أكتفى بمطالبة أهله بالاستسلام ولأن الاخيرين واثقين من قوة حصانة مدينتهم ومناعتها على الاعداء رفضوا الاستسلام وأجابوا الإمبراطور جواباً يفهم منه " أن الرومان على الرغم من قوتهم في مهاجمتهم أراضي الفرات وأحتلالهم لها إلا أنهم وصلوا إلى نهاية المطاف " [1]، لكنهم بعد ذلك سمحوا لسفنهم أن تمر أمام أسوار مدينتهم من دون مقاومة[2]، والراجح أن ذلك حدث بعد مفاوضات بين الطرفين وبعد أن اخذوا المواثيق على الإمبراطور بأن لا تتعرض مدينتهم للتخريب من قبل جنوده.

وقد فعل أهالي حصن اخياكالا[3] (Achaiacala) مثل ذلك، أما الحصن الأخر[4] الذي وصلوا اليه في اليوم التالي فقد وجدوه مهجوراً بسبب ضعف اسواره وعجز اهله عن المقاومة وبعد أن احرقوه[5]، استمروا في تقدمهم حتى وصلوا إلى مكان يسمى باراكسملخا[6] (Paraxmalcha) وبعـد أن قطعوا مسافة 7 أميال[7] عبروا النهر إلى مدينة دياكيرا (Dicira) (مدينة هيت) وقد وجدوها هي الاخرى خالية من السكان، إلا إنها كانت تحتوي على مخازن كبيرة للحبوب والملح، وهذا يعني إن اهلها فروا تاركين امتعتهم بعد أن علموا بأقتراب الإمبراطور وجيوشه من مدينتهم، ويستطرد (مرسيلينوس) في قوله " ورأينا فيها معبد أقيم على قمة عالية واحرقنا المدينة وقتلنا بعض النسوة اللاتي وجدناهن فيها "[8].

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 1.

2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 2.

3- حصن اخياكالا: يحدده (موسيل) بمدينة حديثة في الوقت الحاضر (الفرات الاوسط، ص362).

4- يرجح (موسيل) ان يكون مكان هذا الحصن خربة سفلة (Sifle) الواقعة على بعد 20 كم جنوب شرق مدينة حديثة (المصدر نفسه، ص362).

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 2.

6- باراكسملخا: ومعنى الاسم (المخاضة أو الفرضة الملكية) ويرجح (موسيل) ان يكون موقعه خرائب العويرا (Awera) الواقعة على بعد 10 كم من مدينة هيت (الفرات الاوسط، ص362).

7- اي 14 كم.

8- Zosimus, Op.Cit, bk.3, ch.78;

العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة3

ثم واصل الجيش مدفوعاً بنشوة النصر بموازاة الضفة اليسرى للنهر حتى وصل إلى ماسيبراكتا[1] (Macepracta) فشاهدوا فيها بقايا أسوار مخربة يقال أنها كانت تحمي بلاد اشور من الهجمات الخارجية [2]، وعند هذه المدينة يتفرع من نهر الفرات فرعان احدهما نهر ملخا[3] (Nahr Malcha) الذي يمر من طيسفون[4] وعند مدخله برج أقام عليه الجنود جسراً[5] أوصلهم إلى مدينة بيريسابوراس أو فيروزسابور (Pirisaboras) (الأنبار) وهي مدينة كبيرة وحصينة، ولما تبين للإمبراطور حصانتها أمر بمحاصرتها لتخويف أهلها وحملهم على الأستسلام الذي رفضوه عندما أنذرهم به، وما أن نصبت الآت الحصار على المدينة وبدأت برمي قذائفها[6] التي هدمت أحد ابراجها [7]، حتى سارع المدافعون إلى الأستسلام وبلغ عدد من استسلم2500 شخص أما باقي السكان

1- يرجح (موسيل) أن يكون الموضع المشار إليه هو خرائب أم الروس الواقعة على بعد 12 كم شمال شرق المشهد (الفرات الاوسط، ص57، 363)، والمشهد هو الجامع الذي بني اكراماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قرية صندودا الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات فوق مدينة الانبار (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص168).

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 5.

3- نهر ملخا أو نهر ملكا: يرى (موسيل) ان المؤرخ (مرسيلينوس) اخطأ في تسمية هذا النهر بنهر ملكا وذلك لان نهر ملكا يتفرع من نهر الفرات في مكان ابعد إلى الجنوب الشرقي بمسافة كبيرة، ويرجح (موسيل) أن يكون هذا النهر هو نهر الكرمة (الصقلاوية) (الفرات الاوسط، ص363 – 364) والذي سمي في عهد الدولة العباسية بنهر عيسى نسبة إلى عيسى بن علي عم الخليفة المنصور الذي جدد حفره (لسترنج، بلدان الخلافة، ص91 – 92)، ويذكر الاستاذ (سوسة) إن نهر ملكا او الملك هو النهر الثالث الذي يتفرع من الجانب الايسر لنهر الفرات في موضع يبعد بضع كيلو مترات جنوب نهر صرصر (ابي غريب في الوقت الحاضر) وذلك قرب صدر الرضوانية عند (تل ابي محمد) ثم يجري في أتجاه نهر الرضوانية حتى إذ وصل مدينة سيبار (أبي حبة) ينقسم إلى نصفين، الشرقي يجري بموازاة جدول اليوسفية ماراً بموكا ملخا (خان ازاد) ثم ينحدر إلى الجنوب الشرقي نحو نهر دجلة (تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، ص156).

4- نعتقد إن الأصح إنه يؤدي إلى طيسفون لأنه يصب في نهر دجلة جنوب بغداد.

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 7.

6- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 9.

7- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 12.

فهربوا بقوارب صغيرة إلى الضفة الثانية من النهر، وبعد ان نهب الجيش مخازن الاسلحة والمؤن[1]، أحرق كعادته المدينة [2].

وبعد أن سار قرابة 14ميلاً [3] من هناك وصلوا إلى حقول ذات مستنقعات طبيعية[4]، ويتابع (مرسيلينوس) قوله " وبما إن الفرس كانوا عارفين بأننا سنسلك هذا السبيل رفعوا السدود وغمروا الأرض بالمياه فتحولت إلى ما يشبه البطائح " [5].

وبعد أن تمكن الجيش الروماني من عبور منطقة المستنقعات وصل إلى مدينة موكا ملخا[6] (Maogamalcha)، وهي من المدن الحصينة[7]، وما أن أكمل الإمبراطور استعداداته لمحاصرته حتى عاد إليه قائده فيكتور (Victor) من جولته الاستكشافية التي كان قد كلفه فيها لتأكد من سلامة الطرق المؤدية إلى طيسفون، فاخبره قائلاً " أن لا عقبة في طريقنا اليها " [8].

مما يلفت الانتباه في وصف (مرسيلينوس) أعلاه إننا لم نجد مقاومة رسمية من قبل الملك سابور الثاني تصد تقدم الإمبراطور وجيوشه وتوقف عمليات التخريب في أراضيه حتى وصل ذلك الجيش إلى العاصمة طيسفون! وهذا بالتأكيد يدعونا إلى

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 22.
2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثالث، فقرة 3.
3- أي 28 كم.
4- يحدد (موسيل) موقع منطقة المستنقعات بقناة (دفّار) الواقعة في جنوب شرق مدينة الانبار، ويصفها بانها سهل منخفض لا يزال يفيض عليها نهر الفرات بين حين وآخر مكوناً بحيرة أو اخدوداً موحلاً يزيد طوله على 15كم وعرضه1 كم (الفرات الاوسط، ص364).
5- العراق، الكتاب 24، الفصل الثالث، الفقرتان 10و11.
6- موكا ملخا: او ميوزا ملخا (Maiozamalcha) ومعنى اسمها حصن الملك أو الحصن الملكي سميت بذلك لوقوعها على نهر ملكا، موقعها يعرف بـ (خان ازاد) على بعد 18 كم غرب طيسفون (موسيل، الفرات الاوسط، ص366). وبما إن هذه المدينة تقع على ضفاف نهر ملكا أو نهر الملك فهذا يعني أن الجيش الروماني أجتاز النهر قبل وصوله إليها.
7- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 2.
8- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 13.

التساؤل لماذا اقتصرت مقاومة العدو على الجهود الذاتية لسكان كل مدينة وبشكل مستقل عن المدن الاخرى، ولم نجد ما يشير إلى أنها تلقت مساعدة رسمية من الجيش الساساني؟.

ولعل روايات الاخباريين[1] تسعفنا في أدراك السبب الذي جعل الملك سابور الثاني يقتصر في مواجهة جيش العدو أول الأمر على التدابير الاحتياطية الذاتية فقد جاء فيها " إن الملك سابور الثاني بعد أن علم إن الإمبراطور لليانوس (جوليان) زحف نحو بلاده بجيش مكون من الروم والعرب والخزر[2] بعث عيونه ليأتوه بالاخبار عن عدوه، ولما اختلفت عليه الاقاويل قرر أن يفعل ذلك بنفسه فخرج من بلاده متنكراً مع مجموعة من ثقاته، وعند اقترابهم من مقدمة جيش الإمبراطور الذي كان يقوده يوسانوس (جوفيان)، أرسل الملك سابور الثاني بعض مرافقيه لاستطلاع الاخبار واخباره بحقيقة جيوش عدوه، غير أن هؤلاء قبض عليهم وأخذوا إلى يوسانوس فأخبره احدهم بحقيقة أمرهم ودله على مكان الملك سابور الثاني وسأله أن يرسل معه بعض من جنوده ليسلم لهم سابور، فلما سمع بذلك يوسانوس وكانت بينه وبين سابور مودة قديمة أرسل معه أحد المقربين منه ليحذر سابور ويطلعه على ما صار عليه أمره"[3].

1- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 237 – 238؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص52؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص400 – 401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص111 – 112؛ الثعالبي، غرر السير، ص521 – 528؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص72 – 73.

2- الخزر: قوم من أصل تركي، سكنوا منطقة شمال بحر قزوين الذي عرف ببحر الخزر نسبة لهم، أي في مناطق جنوب روسيا، عاصمتهم اتل او ايتيل (للتفصيل انظر: الداقوقي، حسين علي، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، (عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1999م)، ص60 – 87).

3- ذكر قسم من المؤرخين روايات تختلف عن الرواية أعلاه، وبعد قراءة متفحصة لمضمون تلك الروايات تبين لنا إنها روايات ذات طابع اسطوري وفيها خلط وتداخل بين عهد الملكين سابور الأول وسابور الثاني، وقد أكد ذلك المؤرخ (ابن خلدون) الذي علق عليها بعد أن ذكرها بشكل مختصر قائلاً " وهي قصة واهية تشهد العادة بكذبها " (تاريخ، ج2، ص174). ومما جاء في تلك=

يتضح من هذه الرواية فطنة الملك سابور ومقدرته العسكرية فبعد أن تبين له حقيقة عدد عدوه وقوته قرر عدم زج جيشه في معارك جانبية تنهك قواه، وإن من الأفضل ادخار تلك القوة للمعركة الرئيسة الفاصلة التي حرص أن تكون قريبة من العاصمة طيسفون ليجتمع على جيش العدو الذي أنهكه طول الطريق وشدة الحر حصانة المدينة وقوة الجيش المستعد للمواجهة.

وبعد مغادرة الجيش الروماني لمدينة موكا ملخا[1] سار قدماً حتى وصل إلى منطقة ذات بساتين وحقولٍ خصبة فيها أشجار كثيرة ومشيداً فيها قصراً فخماً مبنياً على الطراز الروماني فسره ذلك ولم يمسه بضرر [2].

= الروايات (إن سابور الثاني بعد أن فرغ من أمر العرب أخبر اصحابه أنه يرغب بدخول أرض الروم ليعرف اخبارهم وعدد جنودهم، فتنكر وسار إلى القسطنطينية، فصادف وليمة أقامها القيصر اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل سابور الثاني في جملتهم، وجلس على بعض موائدهم، وكان القيصر قد أمر مصور أتى عسكر سابور فصوره له، فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على انية الشراب من الذهب والفضة، وأتى من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس، فعجب من اتفاق الصورتين، فقام إلى الملك فاخبره، فامر به فمثل بين يديه، فسأله عن خبره، فأجابه: إني من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني، فدعاني ذلك إلى الدخول إلى أرضكم، فلم يقبل منه، فأمر القيصر بأن تذبح بقرة، ويلبس سابور جلدها، وأنتهز القيصر فرصة وقوع سابور بيده، فسار بجنوده إلى العراق، فقتل وخرب حتى وصل إلى مدينة جنديسابور فحاصرها، فبينما هو على ذلك إذ اغفل المؤكلون بحراسة سابور، وكان بقربه جماعة من أسارى بلاد فارس، فأمرهم أن يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هناك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص، وسار إلى المدينة وأخبر حراسها فأدخلوه، فارتفعت اصوات أهلها، فاستيقظ الروم، وجمع سابور من بها وخرج إلى الروم فقاتلهم وأسر القيصر وغنم امواله ونساءه وأمره ببناء سد تستر وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبني به ما هدم المنجنيق من جنديسابور وأن يغرس الزيتون مكان النخل والتمر الذي عضده ولم يكن يُعهد بالعراق الزيتون من قبل، ثم قطع عقبه وبعث به إلى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا) (ابن قتيبة، المعارف، ص657 - 658؛ ابن البطريق، كتاب التاريخ، ج1، ص119 - 121؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص242 - 243؛ الثعالبي، غرر السير، ص522 - 528؛ وذكر الفردوسي رواية غير تلك انظر: (الشاهنامة، ج2، ص65 - 69).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 30.

2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 1.

وهذا يعني تأثر الملوك الساسانيين بفن العمارة والبناء الروماني فشيدوا قصورهم على طرازه وبالتأكيد أنهم أفادوا في هذا الجانب من خبرة المهندسين الرومان الأسرى.

ويتابع (مرسيلينوس) وصفه فيقول كان في ذلك المكان حديقة حيوانات واسعة ضمت انواعاً من الحيوانات المتوحشة، أريد من جمعها تسلية الملك ولهوه، وبعد أن خرب الجيش هذا المتنزه وقتل من فيه من الحيوانات [1]، أقام معسكره على مقربة من كوخي[2] (Coche) التي تسمى بـ (سلوقية) أيضاً، وبعد يومين من الاستراحة والتزود بالماء والمؤن من ذلك المكان[3]، واصل الجيش مسيرته فحاصر الحصن[4] وبعد مقاومة عنيفة واجهها من حامية الحصن المحاصرين ومن الجيش الساساني الذي كان على الجانب الايسر من النهر تم الاستيلاء على الحصن وأحراقه [5]، وأستمر الجيش في تقدمه حتى وصل إلى قناة تسمى نهر الملك[6] كان الإمبراطور تراجان (98 – 117م) وبعده الإمبراطور الكسندر سفيروس (222 – 235م) قد عُنيا بتعميقها وتوسيعها لجعلها صالحة للملاحة بين نهري الفرات ودجلة، وقد وجد الإمبراطور هذه القناة جافة [7]، ويبدو أن الساسانيين عملوا حساباً لهذه الحركة من جانب الرومان فعمدوا إلى إعاقة الملاحة فيها بسدها بالاحجار، وبعد أن أزال الإمبراطور تلك العوائق عبرت

1- العراق، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 2.

2- كوخي: احدى ضواحي مدينة سلوقية، يعتقد إن موقعها كان بين النهروان والعزيزية (المصدر نفسه، تعليق الالوسي ص63 هامش رقم (48)).

3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 3.

4- لم يذكر لنا اسمه، ربما يكون سلوقية.

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الخامس، الفقرات 7، 11.

6- نهر الملك: لم يكن هذا النهر هو نهر الملك ذاته الذي يصب في دجلة جنوب بغداد، وإنما هي قناة مدت من نهر ملكا إلى نقطة تقع فوق العاصمة طيسفون (لويد، الرافدان، ص170).

7- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السادس، فقرة 1.

قواربه إلى نهر دجلة ثم عبر الجيش تلك القناة على جسور عائمة إلى الضفة اليسرى من النهر وأصبح على مقربة من كوخي في الجهة الاخرى [1].

وبعد أن أقام الجند معسكرهم في هذا المكان وضع الإمبراطور خطته الحربية التي انطوت على العبور إلى الضفة اليمنى للنهر (ضفة طيسفون) بعد الاستيلاء على سلوقية، وعهد بتنفيذ هذه المهمة إلى قائده الكونت فيكتور[2]، وما أن أستولى الاخير على سلوقية وأصبح على مقربة من ضفة طيسفون[3] حتى تصدى له قسم من الجيش الساساني[4].

ويقف (مرسيلينوس) عن وصف الحملة إلى وصف الجيش الساساني وكيفية تنظيمه، فذكر إن فرقة الخيالة كانت تقف في المقدمة ووصف تنظيمها قائلاً " كانوا يسيرون في تراص ونظام فيغش منظر جسومهم وسلاحهم الباهر الابصار "، أما جيادهم " فكانت تحميها أغطية قوية من الجلد "، أما المشاة فكانوا في الصف الثاني تغطي اجسامهم دروع معقوفة مستطيلة الشكل مصنوعة من جلود خاصة، أما الفيلة فكانت خلفهم، ووصف ضخامتها قائلاً " إنها كالتلال المتحركة، وإن اجسمها الهائلة كانت تهدد كل من يقترب منها بالفناء والهلاك "[5].

ثم يعود ليواصل تفاصيل الحملة فيذكر إن جنود القائد فكتور اشتبكوا معهم في مناوشات اولية ثم ما لبثت أن تعالت صيحات الحرب من كل جانب فأسرعت جيوش الإمبراطور لنجدته واشتبك الفريقان في معركة عنيفة استمرت من الصباح إلى غسق الليل خسر فيها الساسانيون ما يقارب 2500 من جنودهم وأجبر الباقون مع قادتهم

1- مرسيلينوس، العراق، الفصل السادس، فقرة 2.
2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، فقرة 4.
3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرتان 5و6.
4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرة 8.
5- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرة 8.

بيكرانس (Pigranes) وسورينا (Sueena) ونرسي (Narses) على التحصن في طيسفون وقد أصيبوا أثناء تراجعهم بجروح في ارجلهم وظهورهم [1].

ومع إن روايات المصادر العربية تؤيد رواية المصنف (مرسيلينوس) في الأيقاع بجيش سابور الثاني وأجباره على التحصن في العاصمة طيسفون، إلا أن تلك الروايات تنسب ذلك الدور للعرب المشاركين في تلك الحملة فجاء فيها " وإن من كان في عسكر لليانوس من العرب سألوه أن ياذن لهم في محاربة سابور، فأجابهم إلى ما سألوه فزحفوا إلى سابور، فقاتلوه ففضوا جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب سابور فيمن بقي من جنده ... " [2].

ويبدو أن تعجرف الإمبراطور جوليان وأغتراره بما حققه من أنتصار اثناء تقدمه حتى وصوله إلى العاصمة طيسفون جعله لا يحسن التعامل مع حلفائه العرب فيذكر (مرسيلينوس) إن الإمبراطور رفض طلبهم في أن يقدم لهم معونات الذهب التي كانت تقدم عادة إلى رؤساء القبائل على شكل مكافأة، فساءهم ذلك فتركوه[3]، ويبدو أن الملك سابور الثاني أستغل ذلك فعمل على مصالحتهم واسترضائهم فاسكنهم في مناطق عدة من أرضه، وقد أكدت المصادر العربية تلك المصالحة فجاء فيها " إن سابور أستصلح العرب وأسكن بعض قبائل عبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوَّج[4] وخوزستان "[5]، وبالتأكيد إن هذا الأسترضاء والمصالحة جاءت بعد استيعابه للدرس الذي تلقاه على أيدي اولئك العرب في أثناء حربه مع الرومان فأخذ يصلح خطأه في الاستهانة بقوتهم بأسكانهم في أماكن عدة من دولته ليؤمن خطرهم من جانب وليضمن

1- مرسيلينوس، العراق، الفصل السادس، الفقرات 10 - 15.
2- الطبري، تاريخ، ج1، ص401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص112؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص173.
3- نقلاً عن: علي، المفصل، ج2، ص643.
4- توج: من كور اردشيرخرة من مدن إقليم فارس (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص85).
5- الطبري، تاريخ، ج1، ص402؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص113؛ الثعالبي، غرر السير، ص529؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص69؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص173.

مساعدتهم له في حروبه القادمة مع الرومان من جانب أخر، وهذا ما حدث بالفعل فيذكر إنهم انقلبوا على الإمبراطور جوليان، بل ان قسماً منهم إنحاز إلى جانب الساسانيين، وأخذوا يتحرشون بعسكر الإمبراطور، وألحقوا به الخسائر، وباعوا من وقع في أيديهم من الأسرى في أسواق النخاسة [1]، وأن سيد قبيلة عربية اسمه مالخوس (Malechus) (مالك) وقد عرف والده بـ (بودوساكيس) (Podosacis)، تمكن بمساعدة رجل أخر اسمه سورينا (Surena) من نصب كمين لكتيبة من الجيش الروماني، فوقعت تحت سيوف العرب، وذكر إن (مالك) كان سيد قبيلة اسمها (Assanitarum) يقال انهم الغساسنة [2].

ومع إن روايات المصادر تذكر " إن لليانوس أحتوى على مدينة طيسفون محلة سابور، وظفر ببيوت اموال سابور وخزائنه فيها " [3]، إلا إننا نرجح إن ذلك الاحتواء لم يكن على العاصمة طيسفون نفسها وإنما على ضواحيها، فمن المعلوم إن المدائن كانت تتكون في الاصل من سبع مدن، وقد أكد تلك المسألة المؤرخ (مرسيلينوس)، ومع إنه يرجع سبب ذلك إلى الأرتباك الذي أصاب صفوف المهاجمين بعد مقتل قائدهم فيكتور[4]، إلا إننا نعتقد أن ذلك سبب غير كافٍ، فموت احد القادة من الأمور المسلم بها في حملة واسعة الهدف كتلك، والراجح إن الذي أجبر الإمبراطور على

1- نقلاً عن: علي، المفصل، ج2، ص643.

2- المصدر نفسه، ج2، ص643. والغساسنة هم أبناء عمرو بن عامر مزيقيا الملقب بـ (ماء السماء) نزحوا إلى الاطراف الجنوبية من بلاد الشام بعد أنهيار سد مأرب في القرن الأول للميلاد، وفي منتصف القرن الثاني للميلاد دخلوا بلاد الشام وسيطروا على المنطقة المحيطة بدمشق وتدمر بعد تغلبهم على ابناء عمومتهم القضاعيون مستغلين انشغال الرومان بحربهم مع الساسانيين، ولخوف الرومان من أن تستميلهم الدولة الساسانية إلى جانبها أعترفوا بملكهم على الشام وعقدوا معهم حلفاً عسكرياً مشتركاً ضد الساسانيين، للتفصيل انظر: (نولدكه، تيودور، امراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي و قسطنطين زريق، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1933م)، ص4؛ باشميل، العرب في الشام، ص175 - 229).

3- الطبري، تاريخ، ج1، ص401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص112؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254.

4- العراق، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرة 13.

التراجع عن دخول المدينة إلى جانب تحصيناتها وقوة استحكاماتها فشل خطته في الحصول على الأمدادات من جيشه الثاني الذي أتجه شرقاً نحو نيسيبيس والمقرر الألتقاء به امام مشارف العاصمة طيسفون بسبب امتناع حلفاءه الأرمن عن تقديم المساعدة له[1]، ولاسيّما إنه كان بحاجة إلى تلك الأمدادات لعلمه إن الملك سابور الثاني سيتوجه بجيش كثيف لحماية طيسفون[2]، ويفوق ذلك في الأهمية الدور الذي أدته القبائل العربية في الأيقاع بجيشه بعد أن اساء معاملتها، ازاء ذلك وبعد أن رأى الإمبراطور عدم الجدوى من محاصرة طيسفون قرر الانسحاب والعودة إلى بلاده[3].

وفيما يتعلق بطريق العودة فأن الإمبراطور جوليان بعد أن أدرك إن سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها في تقدمه حتى وصل إلى العاصمة طيسفون قد دمرت الكثير من المراعي والحقول وإن القرى الباقية غير قادرة على سد حاجة جيشه من المؤن، ولان الانهار في هذا الوقت قد فاضت بسبب ذوبان ثلوج الشتاء [4]، فأنه قرر

1- كان الإمبراطور جوليان قد أرسل إلى حليفه ملك أرمينيا ارشاك الثاني يطلب منه الاسراع بمساعدة قائده بروكوبيوس في عبور نهر دجلة، ويبدو إن تعصب الملك ارشاك الثاني لديانته المسيحية جعلته يتقاعس عن تقديم تلك المساعدة للإمبراطور جوليان الذي ارتد عن المسيحية، فأكتفى بأرسال فرقة بقيادة قائد قواته (زورا رشدوني) وهذا بدافع التعصب الديني أيضاً أمتنع عن خدمة الامبرطور المرتد، فأثار ذلك غضب الإمبراطور جوليان وعد ذلك خيانة من جانب الملك ارشاك الثاني فكتب اليه كتاب يتهدده ويتوعده جاء فيه " إن القوة التي أرسلتها معنا، عادت بقيادة رئيسها، كان بامكاننا أرسال بعض كتائبنا في اعقابهم والنيل منهم، لكننا تركناهم لسببين اولاً لكي لا يتحدث الفرس عنا إننا نجلب الجنود غصباً عن إرادتهم، وثانياً لكي نختبر ولاءك، فأذا لم يكن ما فعله برضاك، فأثبت ذلك بأبادته مع أسرته ولا تبق له ذرية، أما أن كان الأمر برضاك... فاقسم بان اهلكك عند عودتي مع جيشي الذي لا يغلب وادمر بلادك" (خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص219) " فرد الملك ارشاك على هذا الكتاب بتمزيقه وأمتناعه عن تقديم المساعدة (استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص135 - 136) ولم نجد في المصادر ما يشير إلى إن الملك ارشاك الثاني مال إلى جانب الساسانيين، وهذا يعني إن موقف أرمينيا هذه المرة كان موقفاً محايداً.

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السابع، فقرة 1.

3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السابع، فقرة 3.

4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثامن، فقرة 2.

التوجه نحو المقاطعات الشرقية والاستيلاء على إقليم كردوينا[1] (Corduene) (كردستان) [2]، ولخوفه من أن يقع اسطوله غنيمة بيد العدو الذي سيلاحقه قرر تحطيم ذلك الاسطول فأشعل النار فيه ولم ينج من تلك السفن سوى 12 سفينة امر أن تُحمل على عربات إذ قد يكون لها نفع في بناء الجسور[3].

وما أن علم الجيش الساساني ببدء زحف الإمبراطور جوليان على المناطق الجبلية في السادس عشر من حزيران سنة 363م، حتى أخذ بملاحقته فجرت بين الطرفين مناوشات حادة، حسمت نتيجتها لصالح الرومان[4]، الذين واصلوا سيرهم إلى مدينة هوكمبرا[5] (Hucmbra) (بعقوبة) [6]، وما لبثت المشاكل أن انهالت عليه تباعاً، فإلى جانب حرارة الصيف المحرقة، وهجمات الساسانيين المتلاحقة واجهوا مشكلة الحصول على المؤن إذ عمد الساسانيين إلى قطع خطوط التموين عليهم بأحراق المحاصيل والأغلال التي من حولهم[7]، وما أن أصبحوا على مقربة من مدينة مرنكس[8] (Maranx) حتى اعترضتهم جموع الساسانيين وهم في كامل استعدادتهم الحربية[9]، وقد نشبت بين الجانبين معارك غير حاسمة[10]، ثم عقدت هدنة بينهم

1- أي الإقليم الشمالي من العراق.

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثامن، فقرة 5.

3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السابع، الفقرتان 4و5.

4- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الأول، الفقرات 1 – 3.

5- هوكمبرا (بعقوبة): مدينة كثيرة البساتين يسقيها نهر جلولاء، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (60كم) (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص294؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص207).

6- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل الأول، فقرة 4.

7- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الأول، فقرة 10.

8- مرنكس: يعتقد إن مكان هذه المدينة هي قرية مارا او ماراح (Marrah) الواقعة على المشارف الغربية من جبال حمرين (المصدر نفسه، تعليق الالوسي ص87 هامش رقم (60)).

9- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الأول، الفقرتان 11 و 12.

10- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الأول، الفقرات 13 – 18.

لمدة ثلاثة أيام[1]، نقضها الجانب الساساني في 26حزيران بهجوم متتابع على مقدمة ومؤخرة الجيش الروماني الذي أنهكه شدة الحر وشحة المؤن، قتل فيه الإمبراطور جوليان بعد أن اصابه سهم في كبده [2].

لقد عزز خبر وفاة الإمبراطور جوليان موقف الجانب الساساني وشجع الملك سابور الثاني على الأسراع في حسم النتيجة لصالحه فأرسل فرقة من الفرسان الملكيين[3] مدداً لقواته لتهجم على مؤخرة الجيش الروماني الذي أصاب صفوفه الأرباك بعد مقتل ثلاثة من قواده، ولم يجد الإمبراطور الجديد جوفيان (Jovian) سبيلاً امامه سوى التراجع السريع نحو الغرب فوصل إلى مدينة سومير[4] (Sumere) (سامراء) [5] وظل الجيش الساساني يلاحقهم بهجماته المتلاحقة والخاطفة حتى اوصلهم إلى منطقة دورا (Dura) [6] في الأول من تموز سنة 363م[7]، ولم تكن تفصلهم عن تخوم إمبراطوريتهم غير عبور نهر دجلة الذي صادف فيضانه في هذا الوقت الأمر الذي يصعب معه اقامة الجسور للعبور، فضلاً عن إن الجيش الساساني تمكن من فرض سيطرته على ضفتيه[8]، بتلك الأسباب برر الإمبراطور جوفيان رفضه لطلب جنوده بالمغامرة بعبوره، إلاّ إن الحاحهم المتزايد وخوفه من أن ينقلبوا عليه سمح

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل الثاني، فقرة 1.

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل الثالث، الفقرات 2 – 7، 23.

3- هي فرقة من الفرسان الاشداء تسمى فرقة الخالدين وتتكون من عشرة الاف مقاتل (نفيسي، تاريخ تمدن، ص22؛ كرستنسن، إيران، ص198).

4- سوميرا (سامراء): مدينة على شاطئ دجلة الشرقي، بينها وبين عكبرا اثنا عشر فرسخاً (72كم) (الاصطخري، مسالك الممالك، ص85؛ المهلبي، الكتاب العزيزي، ص116).

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 4.

6- دورا: هي موقع ناحية الدور الواقعة شمال مدينة سامراء (لسترنج، بلدان الخلافة، ص74، 82 هامش رقم (1)؛ الالوسي، سالم، اكتشاف مهم في تلول العبرة الصغيرة، مجلة (سومر)، مج 10، ج1، (بغداد: مديرية الاثار القديمة العامة، 1954م)، ص 147).

7- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 9.

8- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السادس، الفقرتان 11 و12.

على سبيل المجازفة لـ (500) جندي من الجنود الذين اعتادوا عبور الانهار الكبيرة على عبوره[1]، وقد شجع نجاحهم في ذلك بقية الجند على العبور ولم يثنهم عن عزمهم على ذلك إلا ما وعدهم به المهندسون الرومان من اقامة جسر عائم من جلود الحيوانات[2]، غير إن شدة تيار النهر أفشل تلك المحاولة، فأصبح الجنود في وضع نفسي سيء وقد بلغ بهم التعب والجوع مبلغه[3]، فأستغل الجانب الساساني هذه الظروف لصالحه وأرسل ملكهم سابور الثاني رسله إلى الإمبراطور جوفيان للتفاوض في عقد معاهدة صلح بين الطرفين[4]، وعلى الرغم من الشروط الصعبة والمهينة التي اشترطها سابور إلا إن الإمبراطور وافق عليها مضطراً[5]، والشروط التي نصت عليها معاهدة 363م هي:

1. تعاد للدولة الساسانية الولايات الخمس الواقعة فيما وراء نهر دجلة التي سلمها الملك الساساني نرسي للإمبراطورية الرومانية بموجب معاهدة نيسيبيس سنة 298م.
2. تعاد للدولة الساسانية نيسيبيس وسنكارا والقلعة المسماة بـ (معسكر المغاربة) [6] فضلًا عن خمسة عشر حصناً أخر.
3. عدم تدخل الدولة الرومانية في امور أرمينيا.
4. يكون نهر الفرات الحد الفاصل بين الدولتين الساسانية والرومانية.
5. تحدد مدة المعاهدة بين الطرفين بثلاثين سنة [7].

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25،الفصل السادس، الفقرتان 13و14و الفصل السابع، فقرة 3.
2- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 15.
3- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، فقرة 4.
4- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، الفقرتان 5 و6.
5- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، فقرة 7.
6- معسكر المغاربة: وحدة عسكرية من مغاربة شمال أفريقية تابعة للجيش الروماني كانت ترابط في اعالي نهر الفرات (المصدر نفسه، تعليق الالوسي ص90 هامش رقم (86)).
7- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، الفقرات 9، 12، 14ولم يذكر اسماء الحصون الخمسة عشر؛ جيبون، اضمحلال، ج2، ص83؛ سايكس، تاريخ إيران،ج1، ص580؛ لويد، الرافدان، ص173.

وبهذه الشروط التي تضمنتها المعاهدة ينتهي وصف اميانوس مرسيلينوس لحملة من اكثر الحملات خطورة على العراق.

أما المصادر العربية التي ترددت فيها أصداء تلك الحملة فتذكر " إن الملك سابور الثاني بعد ان استنقذ مدينة طيسفون من الإمبراطور جوليان فإن الأخير إنسحب إلى مدينة (به اردشير) (سلوقية) وبينما كان جالساً في غرفته اصابه سهم طائش فقتله، وإن جنوده خافوا مما سيصيبهم على يد الملك الساساني (سابور الثاني) لذلك ملكوا عليهم يوسانوس (جوفيان) وكان هذا يدين بالديانة المسيحية فشرط عليهم الرجوع إلى المسيحية فقبلوا ذلك، وأن الملك سابور الثاني لما علم بمقتل لليانوس (جوليان) أرسل إلى قواد الروم يقول لهم (إن الله قد أمكننا منكم، وأدالنا عليكم بظلمكم إيانا، وتخطيكم إلى بلادنا، وأنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهيئ لقتالكم سيفاً، ونشرع له رمحاً) وطلب منهم أن يرسلوا اليه من ملكوه عليهم ليجتمع به، فسار إليه يوسانوس مع ثمانين من رجاله فتلقاه الملك سابور الثاني بالترحاب وبالغ في إكرامه، ثم عقد معه الصلح على أن يعوضوه قيمة ما أفسدوا وخربوا أو يتنازلوا له عن نيسيبيس، وأملاً في الخلاص وافق الإمبراطور يوسانوس (جوفيان) على الشرط الاخير"[1].

يفهم من الرواية أعلاه إن الإمبراطور جوليان بعد أن أنقذ الملك سابور الثاني منه مدينة طيسفون أنسحب إلى سلوقية أي إنه عاد من الطريق نفسه الذي قدم منه، وأنه بعد هذا الأنسحاب لم يقع قتال بين الطرفين، وإن نوع من المودة والصداقة جرت بين سابور الثاني وبين الإمبراطور الجديد يوسانوس الذي كان يدين بالمسيحية، وأن الملك سابور الثاني أكتفى تعويضاً عن الخسائر التي سببتها تلك الحملة من قتل وحرق وتخريب بالتنازل له عن مدينة نيسيبيس فقط.

1- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 239 – 240؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص52 – 53؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص112؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254 – 255؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص173 – 174.

الذي يظهر لنا إن تلك الرواية لا تتفق مع الواقع التاريخي، فالمصادر تؤكد إن الملك سابور الثاني كان عازماً على أسترداد المقاطعات الخمسة التي تنازل عنها جده نرسي للرومان بموجب معاهدة نيسيبيس سنة298م، ولأجل ذلك دخل في حرب مع الرومان مدة 12سنة (338 – 350م) جددها سنة 359م بعد أن أنهى حروبه الشرقية رافضاً الصلح الذي عرضه عليه الإمبراطور قسطنطيوس سنة 356م[1]، ولهذا كان أول الشروط التي عقد على أساسها الصلح مع الإمبراطور جوفيان هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإمبراطور جوفيان كان مسيحياً، وان الملك سابور الثاني عرف باضطهاده للمسيحيين الذي أستمر أربعون سنة من (339 – 379م)، ومعلـوم أن هــذا الاضطهاد مرتبط بالجانب السياسي فالسنة التي يكون فيها صلح مع الرومان فانها تعد سنة اطمئنان للمسيحيين إذ يتوقف فيها الاضطهاد والمضايقة، ولم نجد في المصادر ما يشير إلى إن المسيحيين نعموا بمثل ذلك الاطمئنان في مدة حكم الإمبراطور جوفيان.

والخلاصة التي نصل اليها من ذلك هي التحفظ في قبول روايات المصادر العربية عن حملة الإمبراطور جوليان على العراق لاعتمادها على ترجمة ابن المقفع المتوفى نحو سنة 143هـ/ 760م لكتاب (خداي نامة) الذي أُلف في أواخر عهد الدولة الساسانية وبالتحديد في بداية عهد حكم الملك يزدجرد الثالث (Jezdegerd 111) [2]، وعليه فإن المعلومات التي قدمها (اميانوس مرسيلينوس) الذي كان جندياً مشاركاً في تلك الحملة وشاهداً لاحداثها تعد المصدر الرئيس لحروب الملك سابور الثاني مع الرومان على الرغم من عاطفته ونزعته القومية.

وبأبرام هذه المعاهدة استطاع الملك سابور الثاني ان يرفع من شأن دولته التي ضعفت زمن جده الملك نرسي إلى أوج الرفعة والعظمة فقد أنهى النفوذ الروماني في

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص 569؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص70؛ كرستنسن، إيران، ص226؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص237؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص65.

2- كرستنسن، إيران، ص46.

أرض الجزيرة الفراتية بعد أن استمر قرابة 165 سنة ليصبح هذا القسم من العراق تحت النفوذ الساساني حتى الفتح الاسلامي، ولذلك يعد عهد سابور الثاني عهد مشرف من ناحية الانتصارات العسكرية ولأجل ذلك ولفتوحاته الاخرى اطلقوا عليه لقب سابور الكبير [1].

1- سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص580؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص239.

المبحث التاسع:
أستيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا 367 ـ 368م

يذكر المؤرخ الأرمني (باوسدوس) بشأن شروط معاهدة 363م التي عقدها الإمبراطور جوفيان مع الملك سابور الثاني " لما عقد الصلح بين الساسانيين والرومانيين كتب يوفيانوس (جوفيان) كتاباً إلى شابوه (الملك سابور الثاني) أدرج فيه تعهداته قائلا: " سأعطيك نيسيبيس والقسم السوري من مابين النهرين، وليست لي أي غاية في أرمينيا فإذا تمكنت من غلبها ووضعها تحت حمايتك وفي خدمتك فلن أعينها عليك"[1]، وأكد المؤرخ الروماني (مرسيلينوس) ذلك التعهد[2].

يفهم مما تقدم أعلاه إن الإمبراطور جوفيان تعهد بعدم تقديم المساعدة والامداد العسكري إلى أرمينيا عند وقوع حرب بينها وبين الساسانيين، طبيعي أن ذلك التعهد عزز من رغبة الملك سابور الثاني في الاستيلاء على أرمينيا وضمها إلى بلاده ويبدو إنه أستعد لذلك باتباع اسلوب المباغتة مرة والحيلة مرة اخرى، فقد نجحت مجموعة من جيشه أرسلها سنة 367م بصحبة أحد كبار الأرامنة الموالين من الاغارة على القسم الجنوبي من أرمينيا وتمكنت من الاستيلاء على بعض القرى والقصبات وعدد من القلاع كما دمرت أسوار حصن(أني) [3]، ونبشت قبور الملوك الأرمن بعد

1- نقلاً عن: استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص137.

2- Marceilinus, Ammianus, Rerum Gestarum Libri, http://WWW.Ammianus. info/ Vertaling, Boek XXVll, ch.1.

3- حصن آني: مدينة توجد اطلالها على الضفة اليمنى من نهر اریاتشاي (اخوريان) على بعد عشرين ميلاً أي 40كم من ملتقى هذا النهر بنهر الرّس، يرجح إن اسمها مأخوذ من اسم معبد للآلهة اناهيد من آلهة بلاد فارس (استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص186).

دخولها فيه[1]، ومع إن ملك أرمينيا ارشاك الثاني تمكن بعد أن وصلت إلى مسامعه أخبار تلك الغارة، من التنكيل بتلك القوة وطردها خارج حدود دولته[2] إلّا أن تلك الغارة كانت لها نتائجها السلبية على أوضاع بلاده الداخلية فقد خلقت أزمة سياسية بين الامراء والقادة الكبار خوفاً من مهاجمة الملك سابور الثاني لبلادهم، وبعد أن تاكد لهم عدم قدرتهم على أحتمال تلك الحروب التي لا نهاية لها طلبوا من الملك ارشاك الثاني مصالحة الملك سابور الثاني وضم بلادهم إليه، من جانب أخر أستغل الملك سابور الثاني تلك الأضطرابات فأرسل رسله إلى الملك ارشاك الثاني يدعونه إلى زيارة بلاده، فما كان من الأخير بعد أن انقطع أمله في إبقاء أمته ومن حلفاؤه الرومان ولأعتقاده من أنه سيتمكن من أقناع الملك سابور الثاني من الالتزام بوعوده التي كان قد قطعها له رسله[3] في إقامة علاقة صداقة بين الطرفين توجه بصحبة كبار قادته إلى العاصمة طيسفون، الا أن الملك سابور الثاني لم يبر بقسمه فقبض على الملك ارشاك الثاني أثناء مأدبة أقامها له وسجنه[4] في قلعة تسمى (لاتذكر)[5] ثم أرسل إلى أرمينيا قواته بقيادة اثنين من القادة الأرمن الموالين له وهما كوليكس (Cylaces) واربانس (Arrabannes) وعهد إليهما الاستيلاء على البلاد وتولي زمام الأمور الادارية فيها وبعد أن تمكنت القوات الساسانية التي كان يقودها هذين القائدين من تدمير عدداً من مدن البلاد وقراها توجها

1- يذكر (مرسيلينوس) إن ملك أرمينيا ارشاك الثاني كان عند وقوع تلك الغارة في حالة استعداد على الحدود الساسانية في اتروباتين خوفاً من احتمال مهاجمتهم لبلاده (Op.Cit.bk.XXVll.ch.1 - 2).

2- Ibid, bk.XXVll.ch.1 - 2.

3- Marceilinus, Op.Cit, bk.XXVll.ch.3;
يذكر (استارجيان) إن الملك ارشاك الثاني كان متردداً في سفره الا أن الملك سابور الثاني كان قد ارسل مع رسوله ختمه الخاص وهذه الأشارة كانت أقدس يمين عند الساسانيين (تاريخ الأمة الأرمنية، ص139).

4- Marceilinus, Op.Cit.bk.XXVll.ch.3;
يذكر (سايكس) ان الملك سابور الثاني سمل عيني ارشاك الثاني وقيده بالقيود (تاريخ إيران، ج1، ص581).

5- سميت بذلك الاسم تهديداً بإن كل من يذكر اسمها يقتل بأمر الملك (استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص139 هامش رقم (1)).

نحو العاصمة ارتوكيرس (Artogerass) وقلعتها التي كانت الملكة بيرزن (Perzen) زوجة الملك ارشاك قد تحصنت بها مع ولدها ولي العهد الامير بابا (Papa)، ويبدو إن القائدين حاولا أتباع أقصر السبل للاستيلاء على المدينة وقلعتها فطلبا مفاوضة الملكة وبعد أن أذنت لهما بذلك دخلا القلعة وذكرا لها تهور الملك سابور الثاني وحدة طباعه ونصحاها بفتح أبواب القلعة وتسليمها، إلاّ أن الأمور أنقلبت رأساً على عقب فيذكر إن إباء الملكة وقوة بيانها أثرت في نفوس المفاوضين ونجحت في إقناعهما بالانضمام إلى صفوف قوادها، وبعد أن أقسما لها يمين الولاء والاخلاص عادا إلى القوات الساسانية المحاصرة للمدينة واوهموهم بأنهما مازالا منشغلين بأمر المشاورة بفتح وتسليم القلعة، وما أن جن الليل حتى هاجم المحاصرون هجوماً مباغتاً على المحاصرين واوقعوا بهم الخسائر، وتمكن ولي العهد (بابا) من الفرار إلى الإمبراطورية الرومانية فأستقبله إمبراطور القسم الشرقي فالنز (Valens) (364 – 378م) بالحفاوة والتكريم [1].

وما أن وصلت اخبار تلك الخسارة إلى مسامع الملك الساساني سابور الثاني حتى أشتد غضباً وقرر التوجه سنة 380م على رأس جيشه نحو العاصمة ارتوكيرس لمحاصرتها[2].

ومما يجدر ذكره إن الأرمن لما علموا بحسن استقبال الإمبراطور فالنز لولي عهدهم (بابا) تشجعوا فأرسلوا إليه وفداً برئاسة قائد القوات الأرمنية (موشيع ماميكونيان) طالبين منه الامداد العسكري وأعلان ولي العهد (بابا) ملكاً إلا إن الإمبراطور رفض المساعدة العسكرية التزاماً منه ببنود معاهدة سنة364م [3]، إلّا إنه سلم الامير (بابا) إلى أحد قواده وأرسله معه سنة 368م إلى أرمينيا ليتولى حكم البلاد على يديه من دون أن يحمل الشارات الملكية[4].

1- Marceilinus, Op.Cit.bk.XXVll.ch.5.

2- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص140؛ سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص581

3- Marceilinus, Op.Cit.bk.XXVll.ch.7.

4- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص140 – 141.

ومهما يكن الأمر فأن المصنف الأرمني (استرجيان) يذكر إن الملكة بيرزن ظلت تدافع عن المدينة وقلعتها مدة أربعة عشر شهراً قبل تسليمها [1]، وهذا يعني إن الأرمن قرروا الأعتماد على انفسهم في التصدي للملك سابور الثانـي بعــد أن يأسوا من مساعدة حلفاؤهم الرومان.

الذي يتراءى لنا إن استارجيان كان غير دقيق في تحديده المدة التي قاومت بها الملكة حصار الملك سابور الثاني، ويبدو إن عاطفته ونزعته القومية دفعته إلى المبالغة في الاطالة بها، فهو يذكر في صدد الموضوع إن الملك سابور الثاني حاصر المدينة وقلعتها بكل ما أوتي من قوة [2]، وفي موضع أخر إن أكثرية القادة والامراء الأرمن كانوا قد سأموا الحروب وفضلوا مصالحة الساسانيين على الاشتراك معهم في حرب لا نهاية لها[3] ولذلك نعتقد أن حصار الملك سابور الثاني لمدينة ارتوكيرس كان أربعة اشهر وهي مدة معقولة تتناسب مع وضع المدينة وحجم الاستعدادات الذاتية التي اتخذتها للمواجهة.

وما أن تم له الاستيلاء على المدينة حتى أسر الملكة بيرزن ونهب الخزينة الملكية المحفوظة فيها وبعد أن أنجز مهمته ترك أرمينيا عائدا إلى بلاده بعد أن عهد بإدارتها إلى اثنين من الامراء الأرمن الموالين له وهما (مهروجان ارزروني) وخاله (وهان ماميكونيان) وقد أثبت هذان الاميران ولائهما للملك سابور الثاني، فيذكر إنهما عمدا إلى هدم الكنائس والأديرة وأحراق الكتب المقدسة المكتوبة باللغة اليونانية وعمدا على نشر الديانة الزرادشتية وأقاما في أماكن عدة هياكل لعبادة النار وقتلا كل من خالفهما أو عارضهما رجل كان أم أمراة [4].

1- تاريخ الأمة الأرمنية، ص141.

2- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص141.

3- المصدر نفسه، ص138.

4- Marceilinus, Op.Cit.bk.XXVll.ch.9;

استارجيان، المصدر نفسه، ص141

الفصل الرابع

الخلافات الدينية
والأخطار الخارجية (الساسانية ـ الجرمانية)
ودورهما في سقوط روما 476م

المبحث الأول – الخلافات الدينية.
1 – أسبابها.
2 – الخلافات الدينية في القرن الرابع الميلادي.
أ – الصراع بين المذهب الآريوسي والمذهب الاورثوذوكسي النيقي(318 – 361م).
ب – الردة الوثنية 361 – 363م.
ج – عودة المسيحية وانتصار المذهب الاورثوذوكسي النيقي.
3 – جهود الإمبراطور ثيودوسيوس الأول في توحيد الإمبراطورية الرومانية.
المبحث الثاني – الاخطار الخارجية.
1 – الخطر الساساني خلال المدة (379 – 420م).
أ – اقتسام أرمينيا سنة 384م.
ب – فترة الوفاق والسلام (399 – 420م).
المبحث الثالث – تجدد الخلافات الدينية في القرن الخامس الميلادي.
1 – الصراع بين المذهب النسطوري والمذهب الاورثوذوكسي النيقي.
2 – الصراع بين مذهب الطبيعة الواحدة ومذهب الطبيعتين.
المبحث الرابع – الخطر الساساني خلال السنوات (421 – 476م).
1 – تجدد الحروب الساسانية في عهد الملك بهرام الخامس(421 – 438م).
2 – معاهدة السلم الستيني سنة 442م.
المبحث الخامس – هجمات الشعوب الجرمانية.
1 – أصل الجرمان وتسميتهم ومواطن سكناهم الأولى.
2 – علاقتهم المبكرة بالإمبراطورية الرومانية.
أ – في العهد الجمهوري.
ب – في العهد الإمبراطوري حتى سنة 192م.
3 – الغزوات الجرمانية من القرن الثالث الميلادي حتى سقوط روما سنة 476م.
أ – الهـــون.
ب – القـوط.
ج – الونـدال.
د – البرجنديون.
4 – سقوط روما 476م.

المبحث الأول:
الخلافات الدينية

1 ـ أسبابها

شهد القرن الرابع الميلادي خلافات مذهبية كان لها أثراً كبيراً لا في توجيه التيارات السياسية فحسب بل في تغيير مجرى الأحداث التاريخية في الشرق والغرب عامة، أما سببها فيعود إلى جملة عوامل منها:

أولاً - إنّ الديانة المسيحية كانت خلال القرون الثلاثة الأولى من عمرها حركة سرية طقوسها تقام في الخرائب والأطلال، وكان من الطبيعي في هذه الأحوال أن تظهر اختلافات في تفسير الدين[1].

ثانياً - في الوقت الذي أعترف فيه بالمسيحية ديانة رسمية كانت تلك الديانة قد وضعت بعض نظمها وأصبح لها ثلاث مراكز رئيسية مستقلة هي بطريركيات[2] روما وأنتيوخيا والاسكندرية، أما بطريركية أورشليم (بيت المقدس) والقسطنطينية فلم يكن لها من القدم ما كان للبطريركيات الثلاث الأول ولا يمكنها

1- توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص58.

2- البطريركية: لقب يطلق على الأسقفيات التي يرقى زمنها إلى الكنيسة القديمة (كنيسة السيد المسيح الكبرى الجامعة)، وقد اقرَّ مجمع نيقية سنة 325م صدارة ثلاث كنائس كبرى وهي كنيسة روما وأنتيوخيا والاسكندرية، وأسقف هذه المجموعات الكبيرة من الكنائس يسمى بطريرك (اليسوعي، الأب صبحي حموي، معجم الايمان المسيحي، ط2، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: الأب جان كوربون، (بيروت: دار المشرق،1998م)، ص111؛ قنوتي، جورج شحاتة، المسيحية والحضارة العربية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ص15؛

Syme, Ronald., The Roman revolution, (Oxford University press, 1967), p.1 - 2).

التنافس في تأسيسها على تلك البطريركيات الثلاث التي أسسها رسل السيد المسيح الأول[1]، فبطريركية اورشليم كانت قد خربت على يد تيتوس (Titus) [2] سنة70م، أما كنيسة روما فكانت في بداية أمرها مجرد أسقفية، وفي بادئ الأمر لم يكن هناك أي تفوق ثابت لأي من البطريركيات على الأخرى، لكن بعد إن أعترفت الدولة بالمسيحية تنافس البطاركة فيما بينهم على بسط نفوذهم والمطالبة بأسبقية بطريركيتهم على غيرها لاسيّما بين بطريركية القسطنطينية وروما مما أدى إلى قيام النزاع بينهم [3].

ثالثاً - منذ الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية أصبح هناك تعاون بين الدولة والكنيسة وعلى الرغم من إن سياسة التعاون تلك أفاد منها الجانبان إلاّ أنّه من ناحية أخرى أدت إلى خلق مشاكل بينهما، فالديانة المسيحية منحت للإمبراطورية وحدة روحية قوية وأمدت الاستبداد الإمبراطوري بتأييد أدبي قوي، أما الكنيسة فقد زادت ثرواتها المادية بما حصلت عليه من الدولة من الأملاك والأموال فضلاً عن إعفائها من الضرائب[4]، كما إنها أفادت من تأييد الأباطرة لها في مهاجمة أعدائها والقيام بالأعمال التبشيرية، على إن ذلك الترابط في المصالح الدنيوية والكنسية لم يكن في كل الأحوال

1- توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص58.

2- تيتوس: والده الإمبراطور فسبيسيان عهد إليه مهمة القضاء على ثورة اليهود في اورشليم سنة 66م بأمر من الإمبراطور نيرون إلا أن وفاة الأخير جعلته يعهد بتلك المهمة إلى ولده تيتوس بعد أن تولى هو - أي فسبيسيان - العرش الإمبراطوري، فتمكن تيتوس من القضاء على الثورة وتخريب بيت المقدس سنة 70م وبعد وفاة والده تولى هو العرش الإمبراطوري (79 - 81م)

Dio, Op.Cit, Vol.V, bk.66, ch.1 - 7; Robinson, Op.Cit, Part.11, p.p.312 - 321;)

السواح، فراس، تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، (دمشق، منشورات دار علاء الدين، 2003م)، ص278 - 280؛ السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الادنى، ط3، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1997م)، ص154).

3- توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص58.

4- Vasiliev, Op.Cit, p.53.

في حالة من الوفاق والوئام فالتعاون بين السلطتين الدينية والسياسية تحول في كثير من الأحوال إلى نزاع شديد[1].

رابعـاً - اختلاف اللغة بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني وتعدد المفاهيم لنفس الألفاظ مثل (طبيعة، شخص، جوهر...) بين مدينتي الاسكندرية وأنتيوخيا وغيرها من المدن[2].

خامساً - من الأمور المهمة التي لعبت دوراً أساسيا في إذكاء الخلافات الدينية هي طبيعة العصر الذي ظهرت فيه المسيحية وهو عصر ساد فيه التشاؤم، وخاب أمل الكثير من الناس في الإصلاح الدنيوي، لذلك أولوا اهتماماً كبيراً بحياتهم الأخرى، ولكي يضمنوا سلامتهم في تلك الحياة لم يتهاونوا في الاشتراك في أي جدال يمس عقيدتهم ويتعارض معها [3].

وهكذا بتلك الأسباب وغيرها أطالت المجادلات وملأت المناقشات اللاهوتية قسماً كبيراً من حياة الكنيسة فترتب على ذلك إن ظهرت في الإمبراطورية جماعات مسيحية مختلفة، بل إن الجماعة الواحدة انقسمت إلى فئات عدة الأمر الذي تطلب تعرض الأباطرة للحيلولة دون الانشقاق ومما قد تجره الخلافات من فوضى ومشاكل تهدد الأمن والسلام في ولايات الإمبراطورية[4].

1- Vasiliev, Op.Cit, p.57;

العريني، الدولة البيزنطية، ص33

2- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص83.

3- المصدر نفسه، ص58.

4- المصدر نفسه، ص83؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص78 - 79.

2 ـ الخلافات الدينية في القرن الرابع الميلادي.

أ ـ الصراع بين المذهب الآريوسي والمذهب الأورثوذوكسي النيقي (318 ـ 361م).

إن الخلاف المذهبي الأساسي الذي قسم المسيحيين ثم الإمبراطورية الرومانية إلى معسكرين متباغضين مدة قرنين من الزمن، هو الخلاف الذي ظهر في داخل الكنيسة المصرية في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير (306 – 337م) بشأن إلوهية السيد المسيح (عليه السلام)[1]، ففي سنة 318م نادى آريوس[2] (Arius)، الذي عرف مذهبه بـ (الآريوسية) بوحدانية الله وأنكر إلوهية السيد المسيح عليه السلام وفكرته تقوم على إن الابن (المسيح) مخلوق ولذلك فهو لا يساوي الأب (الإله) في الجوهر والقدسية والأزلية [3]، وهذا يعني أنه لا يعترف بقدسية المسيح الابن، أي أنه ليس إلها[4].

أثارت آراءه تلك إستياء رجال الكنيسة في الاسكندرية فأعلنوا رفضهم لها وثاروا عليها ونادوا بالمحافظة على مبدأ المساواة في الجوهر بين الأب والابن[5]. وهذا يعني إن فكرة الثالوث عندهم تقوم على إن الابن مساوياً للأب تماماً في كل شيء وإنه قديم مثله بحكم كونهما من عنصر واحد، وقد تزعم الفريق المعارض

1- عمران، مقالات، ص66؛ رستم، الروم، ج1، ص56.

2- آريوس: هو أحد قساوسة مصر، أصله من ليبيا، تعلم في أنتيوخيا وأصبح الأسقف الأكبر لكنيسة بوكاليس في الاسكندرية، كان بارعاً في الكلام والمناقشة، وقد تأثر تأثرا كبيراً بتعاليم لوسيانوس (Lucianus) صاحب مدرسة أنتيوخيا، وبالغ في ممارستها والتعبير عنها بصورة متطرفة في الاسكندرية (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص84؛العريني، السيد الباز، مصر البيزنطية، (القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1961م)، ص43؛ Vasiliev, Op.Cit, p.55).

3- Ostrogorsky, Op.Cit, p.48;

اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص17

4- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص57؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص22.

5- Painter, Op.Cit, p.55;

عبد العزيز، المصدر نفسه، ج1، ص22

رئيس أساقفة الاسكندرية البطريرك الكسندروس (Alexandrius) (313 - 326م) وتلميذه اثناسيوس[1] (Athanasius) (326 - 373م) [2].

وبسبب تمسك آريوس برأيه وتصلبه أضطر البطريرك الكسندروس إلى عقد مجمع سنة 320م ضم جميع قساوسة مصر وليبيا درس فيه تعاليم آريوس فاستنكر الجميع تلك التعاليم وأعلنوا فصل آريوس وأتباعه من الكنيسة [3]، إلا إن الأخير لم يهتم لهذا القرار ولم يرضخ له وغادر الاسكندرية إلى فلسطين ونجح في ضم العديد من المسيحيين إليه، كما أنتشر مذهبه في ليبيا وآسيا الصغرى وأعتنقها يوساب (Eusape) أسقف مدينة نيقوميديا، ويوسابيوس (Eusebius) أسقف قيصرية[4].

من الواضح إن المذهب الآريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يُقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل لذلك لاقى قبولا وأنتشاراً في القسم الشرقي من الإمبراطورية حيث الثقافة والفلسفة الهللنستية [5]، أما المذهب الاثناسيوسي، فكانت آراءه تتفق مع تفكير غالبية الناس البسطاء في الإمبراطورية وما لبثت أن سادت الجزء الغربي منها [6].

1- اثناسيوس: تلميذ البطريرك الكسندروس تولى منصب البطريرك بعد وفاة الأخير سنة 326م، كان اثناسيوس وثنياً عاشر المسيحيين فمال إلى آدابهم وديانتهم فعمده البطريرك الكسندروس وأدخله مدرسة الاسكندرية ثم جعله تلميذه الخاص لما وجد فيه من الفطنة والذكاء، وقد رافق اثناسيوس البطريرك الكسندروس إلى مؤتمر نيقية وتولى محاجاة الفلاسفة الذين أقامهم آريوس للدفاع عنه (عمران، مقالات، ص69).

2- Vasiliev, Op.Cit, p.55

العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص248 - 249؛ العريني، مصر البيزنطية، ص44.

3- يتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص84؛ عمران، مقالات، ص68.

4- عمران، المصدر نفسه، ص68؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص17.

5- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص57؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص22.

6- Painter, Op.Cit, p.16;

عاشور، المصدر نفسه، ج1، ص57

وفيما بتعلق بموقف الإمبراطور قسطنطين فإنه خاف بعد أن أشتد الخلاف وتفاقم النزاع بين الطرفين من أن يؤثر ذلك على وحدة الإمبراطورية وحاول أن يوفق بين المذهبين وأرسل لذلك الغرض مبعوثه إلى مصر حاملاً رسالته إلى رؤساء الطرفين المتخاصمين وتضمنت أقوالاً عامة عن المحبة والإخلاص إلاّ إن جهوده ذهبت أدراج الرياح [1].

أمام خطورة الموقف قرر الإمبراطور قسطنطين حسم الخلاف بعقد مجمع كنسي في مدينة نيقية[2] سنة 325م ترأسه بنفسه وحضره ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً أكثرهم من القسم الشرقي من الإمبراطورية [3]، واتفق المجتمعون على إدانة الأسقف آريوس، وعدوا مذهبه هرطقة [4]، فأمر الإمبراطور بنفيه إلى الليريا وإحراق كتاباته وتحريم تداولها واضطهاد أتباعه [5]، وأقر المجتمعون دستور إيمان للمسيحيين جاء فيه " إن المسيح ليس مخلوقاً من العدم، بل هو مولود من جوهر الأب، قبل كل الدهور (أي منذ الأزل) ومساوٍ للأب في الجوهر، وهو إله حق من إله حق خلق من أجل البشر وخلاصهم نزل من السماء وتجسد وتأنس (أي أصبح أنساناً) وتألم ومات ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وسيأتي ليُّدين الأحياء والأموات " [6].

وعلى الرغم من المعارضة والاضطهاد الذي تعرض له الآريوسيين إلاّ أنّهم تمسكوا بمذهبهم وأخذوا يعملون على التبشير به وكانت تؤيدهم قسطنطينة أخت

1- يوسابيوس، حياة قسطنطين، الكتاب الثاني، الفصل 63؛
Vasiliev, Op.Cit, p.55.

2- نيقية: مدينة في إقليم بيثينيا في آسيا الصغرى (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص2504).

3- يوسابيوس، حياة قسطنطين، الكتاب الثالث، الفصول6، 7، 8؛
Vasiliev, Op.Cit, p.55.

4- الهرطقة: تسمية أطلقت على الحركات الدينية التي تخرج عن إجماع رجال الدين داخل الكنيسة (عبد العزيز، دراسات، ج1، ص20).

5- جيبون، اضمحلال، ج1، ص627.

6- فرح، تاريخ بيزنطية، ج1، ص79 – 80.

الإمبراطور، وقد لاقت تعاليمهم قبولاً وأنتشاراً في جهات آسيا الصغرى وبلاد الشام وبين القبائل الجرمانية [1]، ولعل إدراك الإمبراطور قسطنطين لقوة مذهب خصمه لاسيّما في الجزء الشرقي الذي قرر نقل عاصمته إليه دفعته إلى أسترضاء سكانه بتغيير موقفه من الآريوسية، فأصبح من المؤيدين لها وأصدر سنة 328م قراراً ألزم فيه الكنيسة بالعفو عن آريوس وأتباعه وأمر أن يلقى في السجون معارضيهم المتمسكين بقرارات مؤتمر نيقية[2].

يفهم من ذلك إن الإمبراطور قسطنطين كان على أستعداد لتغيير ميله المذهبي وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية يؤكد ذلك أنه ظل يؤيد المذهب الاثناسيوسي عندما كانت عاصمته في الغرب وعندما كان يعتمد على الغرب في قوته، إلاّ إنه عندما شرع في نقل عاصمته إلى الجزء الشرقي من الإمبراطورية أحس بالحاجة إلى استرضاء سكانه ولذلك لم يجد بداً من تغيير ميوله المذهبية.

وهكذا في سنة 330م أعاد آريوس إلى أسقفية كنيسة الاسكندرية [3]، فعارض بطريركها اثناسيوس ذلك بشدة وأتخذ موقفاً شبيهاً بموقف سلفه، وأصر على رفض أمر الإمبراطور بإعادة آريوس واستفحل الخلاف بين أتباع الطرفين حتى سنة 335م حيث أمر الإمبراطور قسطنطين بعقد مجمع ديني في مدينة صور لمحاكمة اثناسيوس الذي كيلت له تهم[4] مختلفة لا تقتصر على موقفه من آريـوس والإمبراطور وقد تقرر

1- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص18؛ توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص61.

2- Vasiliev, Op.Cit, p.55;

جيبون، اضمحلال، ج1، ص627

3- فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص80.

4- كان بعض تلك التهم ذات طابع سياسي مثل إتباع القوة في معاملة أتباع ميليتوس أسقف مدينة اسيوط والمساند للمذهب الآريوسي، والتدخل في تعطيل إبحار القمح المصري الذي كان يرسل إلى القسطنطينية كل سنة، ثم تأييد ثورة قامت ضد الإمبراطور في مصر قادها شخص يسمى فيلوميتوس سنة 335م (العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص252).

في ذلك المجمع إلغاء قرارات مجمع نيقية، وعزل اثناسيوس من مركزه ونفيه إلى مدينة تريف في غالة أي إلى القسم الغربي من الإمبراطورية[1]، على إن آريوس ما لبث أن توفي سنة 336م وألتحق به بعد عام الإمبراطور قسطنطين وبوفاته عاد اثناسيوس إلى الاسكندرية [2].

وإذا كان الإمبراطور قسطنطين قد زرع بذور الفرقة والأنشقاق بتقسيم الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة قبيل وفاته فإن الخلاف المذهبي كان مسؤولاً عن تأكيد وزيادة تلك الفرقة إذ أخذ كل إمبراطور من الأباطرة الثلاثة يعمل على توطيد نفوذه عن طريق تأييد المذهب السائد في بلاده،فأتجه قسطنطينوس(337 – 361م)الذي حكم القسم الشرقي من الإمبراطورية على تشجيع الآريوسية،في حين ناصر الاثناسيوسية أخوه قسطنطين الثاني (337 – 340م) الذي حكم القسم الغربي، وبعد وفاته سنة 340م تولى هذه المهمة أخيه قسطانز (337 – 350م) وفي سنة 343م انعقد مجمع ديني في مدينة ساردیكا (Sardica) (صوفيا) على حدود شطري الإمبراطورية لإيجاد تسوية للمشكلة الدينية ترضي الطرفين المتنازعين،إلاّ إن هذا المجمع لم يتمكن من التوفيق بين وجهتي النظر المختلفتين، ولما كان إمبراطور الشرق قسطنطينوس في حرب مع الساسانيين أضطر إلى مهادنة أخيه وأتباعه من الاورثوذوكسيين النيقويين وأن يعيد أساقفتهم المعزولين إلى مناصبهم [3].

وكان من نتيجة هذه المهادنة والتذبذب الديني القائم أن انقسمت الآريوسية نفسها على قسمين فريق معتدل تقترب آراءه من أراء الاثناسيوسيين يقرَّ بوجود تشابه جوهري بين الأب (الرب) والابن (المسيح) فهما من مادة واحدة وإن لم تكن المادة

1 – رستم، الروم، ج1، ص61؛عمران، مقالات، ص71؛ العريني، مصر البيزنطية، ص49.

2 – العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص252.

3- Ostrogorsky, Op.Cit, p.p.48 - 49;

العريني، الدولة البيزنطية، ص74؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص82.

نفسها، وفريق متطرف يمثل الآريوسية الخالصة استنكر كل نوع من أنواع التشبيه المماثلة[1]، وكان الإمبراطور قسطنطينوس من أكثر المدافعين عن مذهب الفريق الأخير لاسيّما بعد وفاة أخيه قسطانز سنة 350م وإنفراده بحكم الإمبراطورية، فاخذ يمارس سياسة دينية آريوسية متطرفة، إذ أمر بإغلاق جميع المعابد الوثنية، ومنع الناس من التردد إليها، وحرم تقديم القرابين في سائر أنحاء الإمبراطورية، وهدد المخالفين بالموت ومصادرة الأملاك، وفي أثناء زيارته لروما سنة 357م أمر بهدم معبد إله النصر الذي أقيم داخل مجلس السناتو الروماني، فقضى بذلك على أخر مظهر يمثل العالم القديم، كما ضيق الخناق على الاورثوذوكسيين النيقويين، ولاسيّما اثناسيوس أسقف الاسكندرية، ونفى الكثيرين من الأساقفة المتمسكين بقرارات مجمع نيقية وأكثر من ذلك إنه أعلن سنة 359م المذهب الآريوسي المذهب الرسمي للدولة[2].

والحدث المهم الذي عده الآريوسيون أكبر انتصار حققوه في ذلك الوقت هو إعتناق الشعوب الجرمانية (ماعدا الفرنجة) [3] للمسيحية على المذهب الآريوسي، وظلت محافظة على ذلك المذهب على الرغم من تداعي الإمبراطورية الرومانية وانهيارها[4].

وهكذا كانت سياسة الإمبراطور قسطنطينوس كابوساً ثقيلاً على النيقيين والوثنيين، لذا رحب الطرفان بوفاته سنة361م فيذكر إن أحد القساوسة قال في تلك المناسبة " مات الوحش وعاد الهدوء "[5].

1- Ostrogorsky, Op.Cit, p.49;
اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص27 – 28؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص34.

2- Vasiliev, Op.Cit, p.55 Ostrogorsky, Op.Cit, p.49;
العريني، المصدر نفسه، ص34 – 35؛ اليوسف، المصدر نفسه، ص27 – 28.

3- اعتنقوها فيما بعد على المذهب الاورثوذوكسي النيقوي الذي كان سائداً في روما (فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص84).

4- Ostrogorsky, Op.Cit, p.45;
العريني، الدولة البيزنطية، ص35

5- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص28.

ب- الردة الوثنية 361- 363 م.

لم تكن وفاة الإمبراطور قسطنطينوس وبالاً على الآريوسيين فحسب بل على المسيحية عموماً، فما كاد خليفته الإمبراطور جوليان (361 - 363م) يتولى عرش الإمبراطورية حتى أعلن أرتداده عن المسيحية وأخذ يعمل على تخليص الوثنية من المحنة التي تعرضت لها نتيجة لطغيان المسيحية عليها، لذلك أصدر مرسوماً يقضي بإعادة فتح المعابد الوثنية التي كان الإمبراطور قسطنطين قد أمر بإغلاقها ومنح الوثنيين الحرية المطلقة في إقامة شعائرهم الدينية[1].

ومن أجل تقويض أسس المسيحية أمر في بداية حكمه بالتسامح الديني لكافة الطوائف المسيحية وسمح بإعادة من نفي من الأساقفة وشجعهم على إقامة المناظرات الدينية فيما بينهم سواء كانوا من النيقيين أو الآريوسيين، وكان هدفه من ذلك زيادة الفرقة والانقسامات بين الطوائف المسيحية والإمعان في إضعاف مناصريها [2]، إلا إن ذلك التسامح لم يستمر طويلاً إذ ما لبث أن أصدر في السابع عشر من حزيران سنة 362م قانوناً جديداً للتعليم منع فيه المدرسين المسيحيين من التدريس في المدارس، وجعل وظيفة التدريس مقتصرة على الوثنيين حتى يشب الجيل الجديد وهو متشبع بالديانة الوثنية، وكان ذلك القانون من أشد الضربات التي وجهها للمسيحية، لأنّ بعض المدرسين من المسيحيين تحولوا إلى الوثنية حتى يحافظوا على وظائفهم [3].

كما أخذ يستبعد المسيحيين تدريجياً من وظائف الجيش والإدارة وأحل محلهم الوثنيين[4]، وجرّد رجال دينهم من الأمتيازات والمعونات التي كانوا يتمتعون بها في

1- جيبون، اضمحلال، ج2، ص31، 34.

2- المصدر نفسه، ج2، ص34 - 35؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص83؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص60.

3- جيبون، المصدر نفسه، ج2، ص55؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص36.

4- Vasiliev, Op.Cit, p.90 - 92;

عمران، مقالات، ص75

عهد الإمبراطور قسطنطين وخلفائه[1]، ليس هذا فحسب بل ألزمهم بدفع تعويضات عن المعابد التي هدموها في عهد الإمبراطور قسطنطينوس[2]، وأمر برفع الرموز والصلبان المسيحية من بيارق الجيش وأسلحة الجنود ووضع مكانها إشارات وثنية[3].

ومما يتقدم يتضح إن الإمبراطور جوليان أنقذ الوثنيين من القوانين الظالمة والمضايقات التعسفية التي تحملوها تحت حكم الإمبراطور قسطنطين وأبنائه، وأعاد لهم حقوقهم الدينية والسياسية بعدما أوشكت على الانتهاء.

يبدو إن سياسة الإمبراطور جوليان السلبية لم تؤثر على معنويات المسيحيين لاسيّما أهل أنتيوخيا، وقد لاحظ ذلك بنفسه عند وصوله إليها سنة 362م في طريقه لمحاربة الملك الساساني سابور الثاني، حيث استقبله الإنتيوخيون بالفتور والاشمئزاز والسخرية لطول لحيته وقصر قامته[4]، وعند زيارته لمعبد دفنة[5] الذي يضم تمثال الإله أبولو - إله الشمس - في عيده السنوي تفاجأ بعدم مشاركة الإنتيوخيون في ذلك الاحتفال الوثني، فلم يجد في المعبد سوى كاهن ووزته التي جاء بها من بيته ليقدمها قرباناً للإله[6]، وما زاد من حدة الخلاف بين الإنتيوخيين والإمبراطور جوليان إقدام الأخير على إخراج بقايا جثمان القديس بابيلاس (Babilas) أحد أساقفة أنتيوخيا من قبره في دفنه وتهديم الكنيسة التي أقيمت فوقه، فغضب الإنتيوخيون لكرامتهم وأحرقوا المعبد الوثني الكبير للإله أبولو [7].

1- جيبون، اضمحلال، ج2، ص54؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص83.

2- جيبون، المصدر نفسه، ج2، ص57.

3- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص29؛ عمران، مقالات، ص75.

4- Vasiliev, Op.Cit, p.75;

رستم، الروم، ج1، ص83

5- معبد دفنة: يقع على بعد خمسة أميال من أنتيوخيا أي 10كم (جيبون، اضمحلال، ج2، ص59).

6- رستم، الروم، ج1، ص83؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص30.

7- جيبون، اضمحلال، ج2، ص62؛ رستم، الروم، ج1، ص 84.

وانتقاماً منهم أمر الإمبراطور جوليان بإغلاق كنيسة أنتيوخيا ونهب كنوزها وتعذيب الكثير من قساوستها [1].

ولكي يكذب نبوءة المسيح (عليه السلام) القائلة بأنه لن يبق في هيكل سليمان في أورشليم - القدس - حجر على حجر، فقد أرسل الإمبراطور جوليان أحد ثقاته ليشرف على إعادة بناء الهيكل، وبينما كان جمع كبير من العمال اليهود منشغلين بالعمل والبناء حدثت زلزلة أدت إلى قتلهم جميعاً وتعطيل البناء [2].

وفي سنة 363م غادر الإمبراطور جوليان أنتيوخيا متوجهاً لحرب الملك سابور الثاني وفي معركة جرت بين الطرفين أوشك فيها الإمبراطور من الاستيلاء على طيسفون أصيب بسهم أودى بحياته، وقيل إن فارساً مسيحياً من فرسانه رماه بهذا السهم للقضاء عليه والتخلص منه [3].

وهكذا خسرت الوثنية أخر بطل من أبطالها وتخلصت المسيحية من عدو عنيد وعادت من جديد لتكون الديانة الرسمية للدولة الرومانية.

ج- عودة المسيحية وانتصار المذهب الاورثوذوكسي النيقي.

إن الصحوة التي مرت بها الوثنية على عهد الإمبراطور جوليان لم تكن إلا صحوة موت إذ لم يلبث المسيحيون أن أستعادوا في عهد الإمبراطور جوفيان (363 - 364م) مكانتهم وأمتيازاتهم التي حرمهم منها الإمبراطور جوليان[4]، وعلى الرغم من إن الإمبراطور جوفيان كان إمبراطوراً معتدلاً إلاّ أنه كان اورثوذوكسياً متمسكاً بعقيدة نيقية (مذهب اثناسيوس)، والراجح إن مدة حكمه القصيرة التي لا تتجاوز الثمانية أشهر لم تسمح بتجدد النزاع بين الآريوسية والاثناسيوسية[5]، إلا إن

1- جيبون، المصدر نفسه، ج2، ص63؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص84.

2- رستم، الروم، ج1، ص84.

3- جيبون، اضمحلال، ج2، ص77؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص31.

4- جيبون، اضمحلال، ج2، ص96.

5- المصدر نفسه، ج2، ص97.

هذا النزاع استؤنف في عهد الإمبراطورين الأخوين فالينتينيان الأول[1] (Valentinian l) (364 – 375م) الذي تولى القسم الغربي والإمبراطور فالنز (Valens) (364 – 378م) الذي تولى حكم القسم الشرقي من الإمبراطورية، فالإمبراطور فالينتينيان الأول كان من أنصار المذهب الاورثوذوكسي النيقي، أما الإمبراطور فالنز فكان يدين بالآريوسية[2]، وقد رجحت كفة الأخير في ذلك النزاع إذ أصدر الإمبراطور فالنز سنة 365م أمراً نفى فيه جميع الأساقفة الاورثوذوكسيين الذين كان الإمبراطور قسطنطينوس قد أقصاهم عن مراكزهم ثم أعادهم الإمبراطور جوليان إليها، كما أمر بطرد الأساقفة الاورثوذوكسيين الآخرين من كنائسهم وتحويل إدارة تلك الكنائس إلى الأساقفة الآريوسيين[3]، على إن ذلك الرجحان كان مؤقتاً إذ لم يلبث الإمبراطور فالنز أن قتل سنة378م على يد القوط[4]، وانتقل حكم الجزء الشرقي إلى الإمبراطور جراتيان (Gratian) (375 – 383م) الذي كان يتولى حكم الجزء الغربي من الإمبراطورية بعد وفاة والده فالينتينيان الأول[5]، وقد انتهج ذلك الإمبراطور سياسة موحدة تجاه المسيحيين[6]، أي إنه منع المذهب الآريوسي.

1- فالينتينيان الاول: هو رئيس الحرس الإمبراطوري أختاره قادة الجند في نيقية ليكون إمبراطوراً لهم بعد وفاة الإمبراطور جوفيان سنة 364م، وما أن أطلَّ فالينتينيان على الجند ليخطب فيهم حتى قاطعه عدداً منهم بدق الطبول طالبين إمبراطوراً أخر يشاركه في الحكم وبعد اجتماعه مع قادة الجيش أشار عليه احدهم بقوله: "إذا كنت تحب أسرتك فلك أخاً وإن كنت تحب الدولة فأنتقِ الأليق" فأختار أخاه فالنز إمبراطوراً وشريكاً له في الحكم (فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص28؛ Zosimus, Op.Cit, Book.lV, ch.97)

2- Ostrogorsky, Op.Cit, p.47; Vasiliev, Op.Cit, p.78;
عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص39.

3- فرح، تاريخ بيزنطية، ج1، ص84؛ عمران، مقالات، ص77.

4- Zosimus, op.Cit, bk.lV, ch.105; Pennell, Op.Cit, p.204; Ostrogorsky, Op.Cit, p.48.

5- Pennell, Op.Cit, p.204; Cote, Jason Michael., Theodosius and the Goths:The Limts of Roman power, (University of Ncinnatl, 2004)p.5;
جيبون، اضمحلال، ج2، ص98؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص 27.

6- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص87؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص32.

في سنة 373م وبسبب اشتداد خطر القوط على الإمبراطورية أضطر الإمبراطور جراتيان إلى أن يعهد بحكم الجزء الشرقي إلى قائده ثيودوسيوس الأول (Theodosius I) [1] (379 – 395م) الذي ما أن تسلم الحكم حتى أخذ يحث الخطى على إقامة وحدة داخل الإمبراطورية التي فرقتها الخلافات الدينية[2]، ولاسيّما إن تلك الخلافات لم تعد قاصرة على رجال الدين بل وجدت طريقها إلى عامة الناس، فيذكر إن الجدل الديني قبل تسلمه للعرش الإمبراطوري كان يدور بشكل حاد في الكنائس والقصور والشوارع والأسواق، وقد وصف الأسقف غريغوريوس النازيانزي[3] (Gregory Nazianzus) (379 – 381م)، حالة تدخل العامة في علم الكلام أثناء زيارته القسطنطينية سنة 379م بقوله "... والجميع في الشوارع والأسواق والساحات وعند مفترق الطرق يتكلمون فيما لا يفقهون، فإذا سألت أحد من الباعة، ماذا ادفع لك؟: أجاب هو مولود أو غير مولود، وإذا أنت حاولت أن تعرف ثمن الخبز أجابوك إن الأب أعظم من الابن، وإن سالت هل الحمّام جاهز سمعت جواباً إن الابن جاء من العدم"[4]، تلك الخلافات أصابت الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بحالة من الهلع والخوف من الفوضى الناجمة عنها ولذلك ما أن تسلم زمام الأمور سنة 379م حتى تخلى عن لقبه (الحبر الأعظم) وأعلن العقيدة الاورثوذوكسية النيقوية مذهباً رسمياً لدولته[5]، ثم

1- Pennell, Op.Cit, p.204 Zosimus, op.Cit, bk.IV, ch.107;
جيبون، اضمحلال، ج2، ص98؛ رستم، الروم، ج1، ص91.

2- Zosimus, op.Cit, bk.IV, ch.108;
عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص41

3- غريغوريوس النازيانزي: سمي بذلك نسبة إلى مولده سنة330م في مدينة نازيانزه في كبدوكيا، درس في الاسكندرية وقيصرية وأثينا، اشتهر بعلمه وفلسفته وفصاحته وكتاباته اللاهوتية فلقب بـ (المعلم اللاهوتي) و (بلبل كبدوكيا الأزرق) عينه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أسقفاً للقسطنطينية سنة 380م (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص99؛ رستم، الروم، ج1، ص92؛ Cote, Op.Cit, p.45).

4- فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص85؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص 24.

5- Vasiliev, Op.Cit, p.80;
رستم، الروم، ج1، ص91 – 92

اشتد في إنزال العقوبات بالوثنيين والمتهرطقين من أتباع الآريوسية فأصدر سنة 380م براءة جاء فيها " انه لا يعتبر من المسيحيين الكاثوليك، إلا من آمن بالثالوث المقدس - الأب والابن والروح القدس - وفقاً لما جاء في كتابات الرسل والأناجيل ومن سوى هؤلاء يعتبرون هراطقة موسومين بالعار والجنون ولا يجوز أعتبار الأمكنة التي يجتمعون بها كنائس ويجب إنزال العقاب بهم "[1]، وفي قرار أخر حرم على الهراطقة عقد الاجتماعات سواء كانت عامة أو خاصة[2]، كما حرم جميع المسيحيين المرتدين إلى الوثنية من حق الوصية والوصاية[3]، ولتثبيت أسس العقيدة الاورثوذوكسية ومن اجل أن يسود السلام والوفاق في الكنيسة المسيحية دعا سنة 381م إلى عقد مجمع ديني في القسطنطينية، وهذا هو المجمع الكنسي الثاني على حد ما ذهب إليه أكثر المؤرخين[4].

لم يشارك في هذا المجمع إلا رجال الكنيسة الشرقية، أعلنوا فيه عدم شرعية الهرطقة الآريوسية وغيرها من الهرطقات، وتوصل المؤتمرون فيه إلى قرارات عدة أولها إقرار دستور الإيمان النيقوي وأضاف إليه بعض الإيضاحات لاسيّما فيما يتعلق بأمر تجسد ابن الله وإلوهية الروح القدس[5]، وقد جاءت تلك الإضافات في اثنتي عشر باباً لا تزال دستوراً للمسيحيين الاورثوذوكس وهي كما يلي:

1- العريني، الإمبراطورية البيزنطية، ص 40؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص85.

2- Vasiliev, Op.Cit, p.80.

3- رستم، الروم، ج1، ص93.

4- العريني، الإمبراطورية البيزنطية، ص41؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص28؛
Bury., History of the Later Roman, Vol.1, p.349; Ostrogorsky, Op.Cit, p.53; Vasiliev, Op.Cit, p80.

5- يتيم وديك، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص87؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص42 - 43؛
Vasiliev, Op.Cit, p.81..

1. أومن بإله واحد أب ضابط الكل، صانع السماء والأرض، كل ما يرى، وما لا يرى.
2. وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الأب، قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي كان به كان كل شيء.
3. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السموات، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس.
4. وصلب عنا في عهد بيلاطس البنطي[1]، وتألم وقبر.
5. وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب.
6. وصعد إلى السماوات، جلس على يمين الأب.
7. وأيضاً يأتي بمجد، ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه (وكان في نص نيقية: نزل من السماء وتجسد، وصار إنساناً، وتألم وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات).
8. وبالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء.
9. وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية.
10. وإعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.
11. وأترجى قيامة الموتى.
12. والحياة في الدهر العتيد - أمين[2].

1- بيلاطس البنطي: حاكم اليهودية الرومانية (26 - 36م) أمر بإعدام المسيح (عليه السلام) وكان يقصد من ذلك استمالة عطف رؤساء اليهود (يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ط3، تعريب: القمص مرقس داود، (القاهرة: مكتبة المحبة،1998م)، الكتاب الأول، الفصل 9؛ الكتاب الثاني، الفصل 7؛ اليسوعي، معجم الايمان، ص128).

2- يتيم وديك، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص87؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص42 - 43؛
Vasiliev, Op.Cit, p.81.

يتضح مما يتقدم أعلاه إن تعاليم المذهب الاوروثوذكسي تنص على إن الابن الإله مثل أبيه السماوي وهو واحد معه في الجوهر، وإن الأب والابن والروح القدس أشخاص ثلاثة متميزون بعضهم عن بعض تميزاً لا اختلاط فيه ولا امتزاج.

إلى جانب دستور الايمان ناقش المؤتمرون موضوع البطريركيات الثلاث الكبرى وقرر جعل بطريرك القسطنطينية في المرتبة الثانية بعد بطريرك روما[1].

أي إن كنيسة القسطنطينية وضعت قبل كنيسة الاسكندرية في المرتبة، وهذا يعني أنها أصبحت في المرتبة الثانية بعد روما وذلك لأن القسطنطينية أصبحت عاصمة للإمبراطورية وهي روما الثانية [2].

لم يكتف الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بمحاربة الهرطقات المسيحية بل التفت إلى الوثنية والوثنيين واتخذ إجراءات مشددة ضدهما فأصدر سنة 392م قراراً حرم فيه تقديم القرابين، وإحراق البخور، ووضع الأكاليل، وممارسة أعمال الكهانة بل إنه أمر بمنع زيارة المعابد وأغلق الكثير منها، وأعلن إنه كل من يخالف هذه الأوامر يعتبر مذنباً ومجرماً بحق الإمبراطور والديانة وتوجب عليه العقوبة، وقد سمي قراره هذا (بنشيد الموت) بالنسبة للوثنية [3].

ومما يتقدم أعلاه يتضح إن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول تمكن من أن يزيل من الوجود خطر كان يهدد وحدة شعبه في الشرق والغرب، ويضع للعقيدة المسيحية صورتها النهائية التي تتمثل في المذهب الاوروثوذوكسي النيقي الذي أصبح المذهب الرسمي للدولة ولم يعد للديانات والمذاهب الأخرى ما تستند إليه في وجودها وكيانها.

1- عمران، مقالات، ص81؛ العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص256؛ فرح، تاريخ بيزنطة،ج1، ص85.

2- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص37.

3- Vasiliev, Op.Cit, p.82;

العريني، الإمبراطورية البيزنطية، ص42؛ رستم، الروم،ج1، ص99 - 100.

3ـ جهود الإمبراطور ثيودوسيوس الأول في توحيد الإمبراطورية الرومانية

إلى جانب حسم الخلافات الدينية ركز الإمبراطور ثيودوسيوس الأول جهوده عند تسلمه الحكم على إعادة توحيد نصفي الإمبراطورية الغربي والشرقي تحت حكمه وحمايتها من هجمات الساسانيين وغارات القبائل الجرمانية [1]، وقد وجد في الفوضى التي كانت تدور في القسم الغربي فرصة مناسبة لتحقيق هدفه، تلك الفوضى بدأت سنة 383م عندما تمرد الجيش الروماني المرابط في بريطانيا على الإمبراطور جراتيان بسبب حسن معاملته وعطفه المستمر على أبناء القبائل الالانية[2] (Alans) الأسيوية، الذين ضمهم إلى صفوف الجيش الروماني، وأعلن مكسيموس (Maximus) (384 – 388م) وهو أحد النبلاء الأسبان إمبراطوراً، وقد وقف إلى جانبه في ذلك التمرد فرق الجيش المرابطة في المانيا، فأثار ذلك الإمبراطور جراتيان وسار على رأس جيشه لمحاربة المتمردين الذين كانوا قد وصلوا إلى مصب الرين يقودهم الإمبراطور الجديد مكسيموس، وتلاقى الجيشان في منطقة باريس[3]، وفيها دارت الدائرة على الإمبراطور جراتيان إذ خانه جيشه، ولم يتمكن من الصمود أمام الإمبراطور الجديد ففر في ثلاثمئة فارس من فرسانه، ولحق به فرسان الإمبراطور مكسيموس فتمكنوا من قتله في ليون سنة 383م [4].

ويبدو إن مكسيموس أراد أن يبعد عن نفسه صفة الاغتصاب للعرش الإمبراطوري فأستدعى إليه فالينتينيان الثاني (Valentinian ll) وإعترف بحقه

1- عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص41؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص28 – 29.

2- قبائل الالان: من القبائل الجرمانية الشرقية شقت طريقها مع قبائل السويفي والوندال تحت ضغط الهون إلى اسبانيا سنة 408م واستقروا في القسم الشمالي الشرقي منه إلا أنهم اضطروا سنة 416 إلى الإندماج مع الوندال تحت ضغط القوط الغربيين (موس، ميلاد، ص91).

3- Cote, Op.Cit, p.46;

رستم، الروم، ج1، ص98

4- Ibid, p.46.

للعرش(383 - 392م) وتولى هو مقاليد الحكم الفعلي بصفته الوصي على الإمبراطور القاصر[1].

أما عن موقف الإمبراطور ثيودوسيوس الأول فيذكر إنه ما إن سمع بمقتل الإمبراطور جراتيان وتولي مكسيموس الحكم بصفته الوصي على الإمبراطور الشرعي فالينتينيان الثاني حتى توجه إلى إيطاليا لينظر في الأمر وأعتقد الناس إنه توجه لمحاربة مكسيموس وليعيد الحق إلى نصابه إلا أنهم أصيبوا بخيبة أمل إذ عقد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول صلحاً مع المغتصب مكسيموس في السنة نفسها إعترف به إمبراطوراً ثالثاً مشترطاً عليه بقاء إيطاليا بيد الإمبراطور القاصر ووالدته [2].

وهذا يعني إنه في سنة 384م أصبحت الإمبراطورية مقسمة بين ثلاثة أباطرة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذي تولى حكم القسم الشرقي، والمغتصب مكسيموس الذي تولى حكم القسم الغربي ماعدا روما التي عهد بحكمها إلى الإمبراطور القاصر فالينتينيان الثاني، ولم توضح المصادر المتوافرة لدينا الأسباب والظروف التي دعت الإمبراطور ثيودوسيوس الأول إلى عقد ذلك الصلح، والراجح إنه أدرك إن إتباع سياسة اللين والموادعة مع المتنافسين على العرش أجدى على الإمبراطورية من سياسة العنف والقوة ولاسيّما إن أعدائها الساسانيين من جهة الشرق والقوط من جهة الغرب يتربصون بها ويتحينون الفرص للقضاء عليها.

ويبدو إن طموح مكسيموس كان أكبر من أن يشاركه احد في حكم الجزء الغربي ولذلك كان يتحين الفرص للتخلص من شريكه، والراجح إنه أستغل انشغال الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بمشكلة اقتسام أرمينيا مع

1- Cote, Op.Cit, p.48;

رستم، الروم، ج1، ص98

2- Ibid, p.48;

رستم، المصدر نفسه، ج1، ص99

الساسانيين فنقض الشرط الذي عقده معه وزحف سنة 387م بجيشه إلى إيطاليا وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن فرَّ عنها إمبراطورها فالينتينيان الثاني مستغيثاً إلى الشرق[1].

ومن الطبيعي أن تجد استغاثة الإمبراطور فالينتينيان صداها المؤثر لدى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذي خاف من أن يؤدي طموح مكسيموس إلى محاولة السيطرة على الإمبراطورية كلها ولذلك توجه في صيف سنة388م نحو إيطاليا لمحاربته وتمكن من التغلب عليه وقتله في المعركة التي جرت بينهما في اكويليا(Aquileia)[2]، بعد ذلك الانتصار أتخذ الإمبراطور ثيودوسيوس الأول من ميلان مقراً له، وأرسل فالينتينيان الثاني إلى غالية ليدير أمورها[3]، ويذكر إن الأخير توجه سنة 392م إلى فيينا ليصد عنها هجوماً بربرياً قوياً إلاّ أنه قتل[4]، فأختار قائد جيشه خطياً غالياً اسمه اوجانيوس (Eugenius) (392 – 394م) وأعلنه إمبراطوراً في ليون[5].

وفي ربيع سنة 393م توجه اوجانيوس إلى إيطاليا وأتخذها مقراً له إلا إن (غلسَة) (Galsae) زوجة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الثانية وهي شقيقة الإمبراطور فالينتينيان الثاني ألحت على الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بوجوب الاقتصاص من اوجانيوس لأنها اتهمته بمقتل أخيها، فاستجاب الإمبراطور لها وتوجه في سنة 394م

1- **Matthews, J., Western Aristocracies and the Imperial Court A.D.364 - 425, (Oxford, 1975), p.224;**

رستم، المصدر نفسه، ج1، ص99

2- **Cote, Op.Cit, p.49;**

رستم، الروم، ج1، ص99

3- **المصدر نفسه، ج1، ص99.**

4- **Cote, Op.Cit, p.62.**

5- **Pennell, Op.Cit, p.204;**

رستم، الروم، ج1، ص99

إلى إيطاليا لمحاربته، وبمقتل اوجانيوس أنفرد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بحكم الإمبراطورية حتى وفاته سنة 395م [1].

وعلى الرغم من إن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بذل جهوداً كبيرة حتى تمكن من توحيد نصفي الإمبراطورية تحت حكمه، فأنه كرر خطيئة أسلافه، إذ إنه قسم قبل وفاته سنة 395م حكم الإمبراطورية بين ولديه الضعيفين اركاديوس (Arcadius) (395 – 408م) الذي حكم القسم الشرقي وهونوريوس (Honorius) (395 – 423م) الذي حكم القسم الغربي[2].

وخلاصة ما تقدم نقول إنه إذا كان حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الأول إيذاناً ببداية حقبة جديدة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، إذ جعل منها إمبراطورية اورثوذوكسية فأنه بوفاته انفصل الشرق عن الغرب إلى الأبد.

1- Cote, Op.Cit, p.67;

رستم،المصدر نفسه، ج1، ص99

2- Pirenn, Op.Cit, p.27;

جيبون، اضمحلال، ج2، ص167

المبحث الثاني:
الأخطـار الخارجيـة

1 ـ الخطر الساساني خلال المدة (379 ـ 420م)

أ ـ اقتسام أرمينيا سنة 384 م

عاشت الدولة الساسانية بعد وفاة الملك سابور الثاني379م حالة من الفوضى والاضطراب الداخلي استمرت زهاء القرن من الزمن (379 – 488م) فأغلب الملوك الذين تولوا عرشها خلال تلك المدة كانوا ملوكاً ضعفاء دخلوا في صراع طويل مع العظماء والأشراف الذين استعادوا امتيازاتهم السابقة وصاروا يتوارثون المناصب المهمة في الدولة، وبلغ من أمر تنامي قوتهم وزيادة نفوذهم أنهم جردوا الملك من حقه في اختيار خليفته، وهي العادة التي كانت متبعة بين الملوك الساسانيين، وأصبح أمر اختيار الملك من أفراد الأسرة الساسانية منوط بهم فهم الذين يتولون أمر تعيينه وعزله كيفما تتفق مصالحهم[1]، فعزلوا الملك اردشير الثاني (379 – 383م) بعد أربع سنوات[2]من توليه الحكم بعد أخيه سابور الثاني (ذي الأكتاف) ونصبوا بدلاً عنه ابن أخيه سابور الثالث (383 – 388م) ابن سابور ذي الأكتاف[3].

1- Ghirshman, Iran from, P.298;

دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص36؛ باقر، مقدمة، ج2، ص499 – 500.

2 – ينفرد الفردوسي بالإشارة إلى إنه حكم عشر سنوات وإنه سلم التاج إلى ابن اخيه سابور ابن سابور وصار له وزيراً (الشاهنامة، ج2، ص72).

3 – الطبري، تاريخ، ج1، ص402؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص113؛ ويذكر (ابن البلخي) في سبب عزل اردشير الثاني "... إنه كان ظالماً وسيئ الخلق، سفاكاً، وإنه حاول تقليص نفوذ العظماء فقتل عدداً منهم ولذلك عزلوه بعد أربع سنوات " (فارس نامة، ص74).

من أهم الأحداث التي وقعت في عهد الملك سابور الثالث هو اقتسام أرمينيا مع الرومان وذلك في السنة الثانية من حكمه أي سنة 384م[1]، وتفصيل ذلك أن أحوال أرمينيا اضطربت في تلك السنة، إذ تولى العرش فيها أحد الأمراء الفرثيين يسمى ارشاك الثالث (Arshak lll) (377 – 390) فأستغل الملك سابور الثالث ذلك الضعف لصالحه وحاول استعادة سياسة أسلافه في ضمها إلى نفوذه، فعين لحكمها خسروف الرابع وهو من الأرمن الموالين له وزوجه من أخته وجهزه بجيوش ساسانية للمحافظة على عرشه، وبذلك أصبح في البلاد ملكان يحكمان في وقت واحد وهما ارشاك الثالث وخسروف الرابع، ويبدو أن الملك ارشاك الثالث أدرك إنه سيخوض حرباً خاسرة مع خسروف الرابع لذلك قرر التخلي عن هدفه في حكم أرمينيا كلها وانحاز مع جميع أمرائه إلى جانب الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول الذي لم يكن أقل رغبه من منافسه الملك الساساني سابور الثالث في ضم أرمينيا إلى إمبراطوريته [2].

وبعد أن تأكد للطرفان عجزهما عسكرياً عن حسم الخلافات بشأن أرمينيا لصالح أحدهما اتفقا سنة384م على تقسيمها إلى قسمين شرقي وهو القسم الأكبر ويبلغ أربعة أخماسها أصبح تحت سيطرة الساسانيين[3]، ويضم المناطق

1- مشكور، إيران، ص409؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص241؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص809؛ تاج بور، تاريخ الاقليتين المذهبية، ص160؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص109؛ العابد، معالم، ص50. ويحدد المؤرخ (أسد رستم) تاريخ ذلك التقسيم بسنة 386 (الروم، ج1، ص97)، أما المؤرخ مينورسكي فيحدده بسنة 387م (ارمينية صقع في غربي آسيا، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد واحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت)، مج 3، ص37) ويؤيده في ذلك المؤرخ الأرمني المحدث (حسين ڤؤاد حافظ) (تاريخ الشعب الأرمني، ص97).

2- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص152.

3- مشكور، إيران، ص409 – 410؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص829 – 830؛ زرين كوب، روزكاران، ص310؛ مينورسكي، أرمينة، ص37؛ طه، صلاح الدين امين، الحياة العامة في أرمينية دراسة في اوضاعها الادارية والاجتماعية والاقتصادية 30هـ / 651م – 247هـ/ 863م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1979م)، ص83.

الواقعة إلى الشرق من نهر الفرات الأعلى والتي سميت بأرمينيا الكبرى[1]، في حين خضع القسم الغربي وهو القسم الأصغر المكون من خمسها للسيطرة الرومانية[2]، ويضم المناطق الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات الأعلى وقد سميت تلك المناطق بأرمينيا الصغرى[3].

كان لهذه الاتفاقية نتائجها السيئة على أرمينيا فقد قضت على استقلالها وحياتها السياسية وأفقدتها مكانتها وهيبتها العسكرية، على أن هذا التقسيم كما هو واضح تقسيم غير عادل فيه غبنٌ للجانب الروماني والراجح أن الذي دفع الإمبراطور ثيودوسيوس الأول إلى أن يغض الطرف عن عدم المساواة في ذلك التقسيم والاكتفاء بما حصل عليه من أرمينيا، حاجته إلى السلام مع الإمبراطورية الساسانية ورغبته في كسب صداقتها ليتمكن من توطيد نفوذه في داخل دولته وليتفرغ لمواجهة القبائل الجرمانية الخطر الأكبر الذي كان يهدد إمبراطوريته، أما الجانب الساساني فأن تلك الاتفاقية أكسبته مكاسب لم يسبق له أن حصل عليها.

يبدو أن الملك سابور الثالث ركز جهوده بعد ذلك الانتصار نحو تقوية مركزه في الداخل، فحاول تقليص نفوذ العظماء والأشراف والحد من سلطتهم، ألا إنّه لم يستمر في سياسته تلك طويلاً إذ ما لبثوا أن ثاروا عليه وقتلوه سنة 388م[4]، ونصبوا

1- ومن مدنها (خربوط، شمشاط، موش، خلاط، بادليس، وان، ارجيش، باركيري، دوين (ديبل)، نخجوان، جلفا، البيلقان، موقان، ورثان، جنزة، زنكيان، بردعة، شموشة) (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص27).

2- مشكور، إيران، ص409 - 410؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص829 - 830؛ رازي همداني، تاريخ مفصل إيران، ص65؛ زرين كوب، روزكاران، ص310؛ مينورسكي، أرمينية، ص37؛ طه، الحياة العامة في أرمينية، ص83.

3- ومن مدنها (ملطية، سيواس، ارزنجان، ارضروم او قاليقلا، طربزندة، بابرت، كمخ، ابريق، عرب كير، طرندة) (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص27).

4- الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص256؛ العابد، معالم، ص50 - 51.

بهرام الرابع[1] (388 - 399م) الملقب بـ (بهرام كرمنشاه)[2]، وإليه ينسب قسم من المؤرخين اقتسام أرمينيا مع الإمبراطور ثيودوسيوس الأول[3]، غير أن ما ذكره المؤرخون الأوائل في صفاته تجعلنا نستبعد أن يكون ذلك الاقتسام قد تم في عهده، ومما قالوا في وصفه " إنه كان رجلاً منشغلاً بنفسه مهملاً لتدبير الملك " [4].

ومما ذكر في عهده فيما يتعلق بإخبار أرمينيا أن خسروف الرابع ملك أرمينيا الساسانية انحاز إلى جانب الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذي عهد إليه بحكم أرمينيا الرومانية وشجعه على إعادة توحيد بلاده بالثورة على الملك بهرام الرابع، فأرسل إليه الأخير جيشاً قضى على تمرده وأحضره إلى بلاده وسجنه[5]، وكان ذلك سنة 392م ونصب بدلًا عنه أخاه بهرام سابور - أي أخو خسروف الرابع - [6].

1- اختلف المؤرخون في نسبته، فمنهم من نسبه إلى سابور الثالث (حمزة الاصفهاني، تاريخ سني، ص19؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص73؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص113؛ الثعالبي، غرر السير، ص595) والقسم الأخر جعله ابناً لاسابور ذو الاكتاف (الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص73؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص110) واكتفى قسم ثالث بالقول انه ابن سابور ولا نعلم إن كانوا يقصدون به سابور ذو الاكتاف أم ابنه سابور الثالث (ابن قتيبة، المعارف، ص659؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص53؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص245؛ البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد (ت440هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية، (لايبزك: 1923م)، ص 121) ويرجح نولدكه أن يكون بهرام الرابع ابناً لسابور الثالث (تاريخ إيرانيان، ص102هامش1)).

2- لقب بذلك لأنه كان حاكماً على ولاية كرمان في عهد أبيه سابور الثالث (ابن البلخي، فارس نامة، ص75؛ مستوفي قزويني، المصدر نفسه، ص110؛ نولدكه، المصدر نفسه، ص102)

3- Ghirshman, Iran from, P.298;

كرستنسن، إيران، ص241؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص36.

4- حمزة الاصفهاني، تاريخ سني، ص42؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص75؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص110.

5- بيرنيا، تاريخ إيران، ص241 - 242؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص95؛ الموسوي، العلاقات السياسية الساسانية - البيزنطية، ص136.

6- كرستنسن، إيران، ص241؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص153.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المؤرخ (استارجيان) [1] ذكر من دون أن يشير إلى تاريخ ذلك إن الملك الساساني بهرام الرابع أطلق سراح خسروف الرابع بعد وفاة أخيه بهرام سابور، وأعاده إلى حكم أرمينيا، وقد أيد المؤرخ (كرستنسن) [2] عودة خسروف الرابع للحكم من جديد وحدد ذلك بين سنتي (414 – 416م)، وهذا يعني أن إطلاق سراح خسروف الرابع وعودته إلى حكم أرمينيا تم في عهد الملك الساساني يزدجرد الأول (Jezdegerd l) (399 – 420م) وليس في عهد بهرام الرابع الذي يقال إنه قتل في إثناء الاضطرابات التي حدثت في صفوف جيشه سنة399م [3].

ب- فترة الوفاق والسلام (399- 420 م).

مما لا شك فيه أن اعتدال الإمبراطور ثيودوسيوس الأول في مطالبه في أرمينيا أثمر عن تلطيف الأجواء بين الإمبراطوريتين المتنافستين، فالعلاقات فيما بينهما تحولت لاسيّما خلال السنوات 399 – 420م وهي مدة حكم الملك الساساني يزدجرد الأول بن سابور الثالث إلى علاقة مودة وصداقة، وقيل في سبب ذلك إن الملك الساساني يزدجرد الأول أصيب في بداية توليه الحكم أي سنة 399م بمرض اعجز الأطباء في بلاده فأرسل إلى الإمبراطور البيزنطي اركاديوس (395 – 408م) إمبراطور القسم الشرقي يطلب منه طبيباً ماهراً، فأرسل له الأخير ماروثا أسقف مدينة مرتيروبوليس[4] (Martyrpolis) (ميافارقين)، وكان عالماً وطبيباً ماهراً وأرسل معه كتاباً إلى الملك يزدجرد يوصيه فيه خيراً برعاياه المسيحيين الموجودين في بلاده، وقد

1- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص154.

2- إيران، ص241.

3- نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص103؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص65؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص242.

4- مرتيروبوليس (ميافارقين): يسميها الرومان (مدور صالا) ومعناها مدينة الشهداء، يرجع بناؤها إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ج8، 349 – 350) وهي أشهر مدينة في ديار بكر (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1342).

نجح ماروثا في معالجة الملك يزدجرد فأكرمه الأخير وأحسن إليه وللمسيحيين الموجودين في بلاده[1] إذ أمر بإعادة بنـاء الكنائس المخربة وإطلاق سراح المسجونين منهم بسبب عقيدتهم الدينية وسمح لهم بالتجول في كل مكان بالدولة [2].

وإذا كانت روح المسالمة التي أظهرها الملك يزدجرد الأول في معاملته للمسيحيين سبباً في إثارة نقمة العظماء ورجال الدين الزرادشتيين حتى لقبوه بـ (بزه كار) أي الأثيم أو الخشن[3]، فإنها من جانب أخر كانت سبباً في تقريب وجهات النظر بين العدوتين اللدودتين فتذكر المصادر إن إمبراطور القسم الشرقي اركاديوس خاف على ولده الصغير ثيودوسيوس الثاني (Theodosius ll) (408 - 450م) من دسائس البلاط فأوصى قبيل وفاته بأن تكون الوصاية عليه للملك الساساني يزدجرد الأول [4]، الذي أخلص في صداقته للإمبراطور اركاديوس، فأرسل إلى القسطنطينية بعد وفاته احد المقربين إليه لحماية الإمبراطور الصغير ثيودوسيوس الثاني وأعلن لمجلس الشيوخ الروماني إن عدو الإمبراطور الصغير هو عدو الملك [5].

ولـم يكتـف يزدجـرد بذلـك بـل إنـه لبـى طلـب القديـس ماروثـا فـي حمايـة مسـيحي بـلاد فارس فاصـدر سـنة 409م مرسـوم الحرية الـذي يقضي بحريـة العبادة

1- مؤلف مجهول (من القرن الثاني عشر الميلادي)، تاريخ السعردي، نشره: ادي شير، (باريس: 1907م)، ج1، ص206؛ ميلر، تاريخ كليساي، ص282؛ تسران، اوجين، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمة: سليمان الصائغ، (الموصل: 1939م)، ص21؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق2، ص385.

2- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص98؛ ساكا، تاريخ دير مار متي، ص10؛ كرستنسن، إيران، ص257؛ واكيم، إيران والعرب، ص60.

3- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 268؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص155؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص73 - 74.

4- بروكوبيوس، جنكهاي إيران وروم، ترجمه للفارسية: احسان يارشاطر، (طهران: 1959م)، فقرة 1؛ جيبون، اضمحلال، ج2، ص243؛ رستم، الروم، ج1، ص117؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص242 - 243؛ ادنيفر.م، دائرة المعارف زرين يا اطلاعات عمومي، أي ازنو يسذكان إيران وجهان، بامقدمة: محمد عباس، (د.م: د.ت)، ص1053.

5- رستم، الروم، ج1، ص117؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص65.

للمسيحيين في مملكته[1]، وأكثر من ذلك إنه سمح في سنة 410م بأن ينعقد مجمع للأساقفة[2] في سلوقية أقرّ فيه أحكام وقواعد مجمع نيقية المنعقد سنة 325م [3]، ومعنى هذا أن مذهب كنيسة بلاد فارس صار يتفق مع المذهب والقواعد المعمول بها في الغرب.

ويبدو أن ظاهرة التسامح في مسائل الدين كانت ظاهرة طبيعية في خلق الملك يزدجرد الأول، فيذكر إنه كان متسامحاً مع اليهود الذين لم يكن لهم شأن سياسي في عهده، بل انه تزوج من يهودية أنجب منها ولده نرسي[4].

وإذا كان الملك يزدجرد الأول قد عدل عن سياسة التسامح مع المسيحيين إلى الاضطهاد في أواخر حكمه فذلك لأنهم أساءوا استعمال الحرية التي منحت إياهم فارتكبوا أعمالاً تحدوا بها الشعور الديني الزرادشتي لدرجة أن احد القساوسة سنة 420م تجرأ على تهديم وتخريب معبد زرادشتي في خوزستان قريب من الكنيسة الأمر الذي جعل الملك يزدجرد يسيء الظن بهم ويضطهدهم [5]، إلّا إن هذا الاضطهاد وكما يذكر لم يكن عاماً بل إنه اكتفى بتخويف الأشراف وقتل الذين تجاسروا على إهانة معابد النار الزرادشتية [6]، وهذا يعني أن عقاب الملك يزدجرد الأول أقتصر على المسيئين من المسيحيين.

1- رستم، المصدر نفسه، ج1، ص117؛ ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص282.

2- ويقصد بهم الأساقفة الموجودين في الدولة الساسانية، ويذكر أن عددهم كان أربعون أسقفاً وكان المجمع برئاسة الجاثليق اسحق (399 - 410م) وحضور ماروثا مندوب الكنيسة الانتيوخية، وكان الهدف من انعقاده تنظيم أمور المسيحيين في الدولة الساسانية وتحقيق وحدة الكنيسة المسيحية (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص107؛ كرستنسن، إيران، ص257).

3- ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص283؛ نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص107 هامش رقم (3).

4- كرستنسن، إيران، ص258.

5- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص107؛ رازي همداني، تاريخ مفصل، ص65؛ وللتفصيل انظر: كرستنسن، المصدر نفسه، ص258 - 259؛ خنجي، تاريخ إيران، ص561.

6- ادي شير، المصدر نفسه، ج2، ص110.

غير أن القدر لم يسمح ليزدجرد بالاستمرار بهذه السياسة الانتقامية الجديدة إذ تذكر المصادر إنه توفي سنة 420م[1]، وبوفاته انتهت علاقة المودة والصداقة مع روما.

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص404 – 409؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص114 – 118؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص74 – 77؛ كرستنسن، إيران، ص260 – 261).

المبحث الثالث:
تجدد الخلافات الدينية في القرن الخامس الميلادي

1 ـ الصراع بين المذهب النسطوري والمذهب الاورثوذوكسي النيقي

استمر داء الخلافات المذهبية ينخر في جسم الإمبراطورية الرومانية ليتخذ في القرن الخامس الميلادي شكلاً جديداً طغى فيه الحوار حول طبيعة السيد المسيح (عليه السلام) هل هي إلهية أم بشرية، وتمخض عن هذا الحوار مذهبان هما المذهب النسطوري الذي تزعمه بطريرك كنيسة القسطنطينية السوري الأصل نسطوريوس[1](Nestorius) (428 - 451م) وموجز آرائه أنّ للسيد المسيح طبيعتين إلهية وبشرية، ولكن هاتين الطبيعتان ليستا متحدتين اتحاداً طبيعياً وجوهرياً، بل إن الطبيعة البشرية هي الغالبة على شخصيته، وإن العذراء ليست أم الإله وإنما هي أم المسيح البشر لأنها لم تلد إلهاً بل إنساناً [2].

ومعنى ذلك إن عيسى المسيح لم يكن إلها في حد ذاته بل هو إنسان ألهمه الله بركاته وعصمه من ارتكاب المعاصي، فالاتحاد بين طبيعته الإلهية والبشرية لم يكن اتحاداً جوهرياً بل هو مجرد تقارب بين (الكلمة ابن الله والمسيح بن مريم)

1- نسطوريوس: ولد في مدينة مرعش شمال سوريا وترهَّب في احد الأديار القريبة من أنتيوخيا ولذلك كان متعصباً لمذهب أنتيوخيا، في سنة 428م أصبح أسقفاً لمدينة القسطنطينية، اشتهر بالفصاحة والجرأة، فأخذ يحارب أتباع آريوس وأتباع جميع المذاهب الأخرى الموجودة في الإمبراطورية (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص91؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص50).

2- العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص258؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص38؛
Baynes, N.H.&Mos.St.L., Byzantium An Introduction to east Roman Civilization, (Oxford, 1962), p.p.95 - 96.

فالكلمة ابن الله هو شخص والمسيح بن مريم شخص ثان ولذلك فأن مريم العذراء لم تكن والدة الله بل هي والدة المسيح أي أن نسطوريوس أنكر الطبيعة الإلهية في السيد المسيح.

ومما يجدر ذكره إن كنيسة القسطنطينية ومنذ سنة381م صارت بمثابة الكنيسة الرسمية الأولى للإمبراطورية الشرقية[1] أي إن بطريركها أصبح بمثابة المتحدث الرسمي عن وجهة نظر الإمبراطور من الناحية الدينية، ولذلك حظيت دعوة نسطوريوس بتأييد إمبراطور القسم الشرقي ثيودوسيوس الثاني (408 - 450م) بل إنها سميت فيما بعد بالدعوة الملكانية لأنها تعبر عن رأي الإمبراطور أيضاً [2]، أما عامة سكان القسطنطينية فقد أعلنوا تذمرهم من تلك الدعوة وتظاهروا ضد نسطوريوس في الشوارع والكنائس لأن الكنيسة الاورثوذوكسية النيقوية علمتهم إن المسيح إله كامل وإنسان كامل في وقت واحد، إلاّ أنّ نسطوريوس رد عليهم بشدة إذ عقد سنة 429م مجمعاً دينياً محلياً في القسطنطينية حرم فيه من الكنيسة كل من أعتقد بغير تعاليمه [3].

ومن الطبيعي أن تنحاز كنيسة أنتيوخيا لمذهبه لأنه احد أبناء مدرستها اللاهوتية[4].

قوبل مذهب نسطوريوس بمعارضة شديدة في كنيسة الاسكندرية إذ أعلن بطريركها كيرلس(Cyrils) (376 - 444م) شجبه وتفنيده له وأصر على رأيه في إن

1- انظر ص 259 من هذه الأطروحة.

2- العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص258؛ يقال أن نسطوريوس كلم الإمبراطور طالباً منه أن يطهر الأرض من المتهرطقين (الذين يخالفون مذهبه) وهو كفيل بإنزال الهزيمة بأعدائه من الساسانيين (العريني، الدولة البيزنطية، ص50).

3- فرح، تاريخ بيزنطة، ص86.

4- جاء في تعاليم تلك المدرسة أن اللاهوت في المسيح قام مقام العقل في الإنسان وبالتالي فأن المسيح كان الكلمة في جسم إنسان (رستم، الروم، ج1، ص123).

المسيح إنسان امتزجت فيه الطبيعتان الإلهية والبشرية [1]، ثم أرسل كتاباً إلى زميله نسطوريوس موضحاً له إن تسمية العذراء بـ (والدة الإله) التـي أنكرها هو - أي نسطوريوس - لا يعني إن مبدأ اللاهوت هو منها بل إن المولود منها هو اله كامل وإنسان كامل، إلاّ أنّ غرور نسطوريوس وإعجابه بنفسه جعله يحتقر كتاب البطريرك كيرلس ويصر على التمسك بمذهبه [2]، إزاء ذلك كتب كيرلس إلى بابا[3] روما كتاباً يخبره فيه عن تعاليم نسطوريوس ويسأله أن يبت فيها حكمه، فعقد البابا مجمعاً في روما سنة 430م شجب فيه أفكار نسطوريوس وهدَّد بطرده من منصبه الأسقفي إذا أصرَّ على التمسك بها، ثم كتب كتاباً إلى كيرلس يطلب منه تشكيل مجمع ديني والحكم على نسطوريوس بمثل الحكم الذي أصدره هو[4]، واستجاب كيرلس لطلب بابا روما فشكل مجمعاً مصرياً في السنة نفسها وأصدر أحكاما مشابهة لأحكام كنيسة روما، ثم أرسل أربع أساقفة من مصر إلى القسطنطينية يحملون أحكاماً وقرارات هاذين المجمعين إلى نسطوريوس[5]، وفي الوقت نفسه جاهر بعض رهبان القسطنطينية بمعارضة بطريركهم فطردهم الأخير واضطهدهم [6].

وبعد أن اتسعت هوة الخلاف بين الجماعات المتنافرة، أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني أمراً بتشكيل مجمع عام في مدينة افيسوس (Ephesus) سنة 431م

1- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص26؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص88؛
Ostrogorsky, Op.Cit, p.58.

2- رستم، الروم، ج1، ص124.

3- البابا: هو رأس الكنيسة الكاثوليكية، والحارس الأول لقوانينها ونظمها العقائدية، فهو خليفة القديس بطرس في كرسيه الأسقفي بروما وهذا الأخير زعيم الحواريين ومقدم الرسل الذي أتخذه السيد المسيح (عليه السلام) أساس بنى عليه كنيسته (عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوربا العصور الوسطى "النظم والحضارة"، ط2، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1972م)، ص1.

4- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص90؛ عمران، مقالات، ص92.

5- عمران، المصدر نفسه، ص92.

6- رستم، الروم، ج1، ص124.

عرف بالمجمع الكنسي الثالث حضره مائتا أسقف بينهم كيرلس بطريرك الاسكندرية ونسطوريوس بطريرك القسطنطينية تقرر فيه إدانة نسطوريوس ونفيه بعد عزله من منصبه [1]، إلى البتراء في شرق الأردن [2]، ويذكر إنه ظل فيها أربع سنوات ثم إن أسقفها يوحنا طلب من الإمبراطور نقل نسطوريوس من هذا المكان إلى مكان أخر حيث لا يجد نفوذه الشخصي تأثيراً في النفوس، فأجيب طلبه[3] ونفي نسطوريوس إلى صحراء ليبيا [4].

وهكذا أحرز كيرلس نصراً حاسماً وذاع صيته على إنه عالم ديني ومن ساسة الكنيسة إذ انتصر على بطريرك القسطنطينية وعلى حكومة الإمبراطور التي تؤيده، وأخذ يتطلع إلى زعامة الكنيسة الشرقية ليس ذلك فحسب بل يذكر إنه فرض على موظفي الإمبراطور في مصر ما له من سلطة ونفوذ في الأمور الدينية[5].

أما أتباع نسطوريوس فتجمع المصادر على إنهم لم يذعنوا إلى قرارات مجمع افيسوس وظلوا متمسكين بتعاليمه فطردتهم الدولة الرومانية، وقد وجد هؤلاء في الدولة الساسانية - التي شجعت مذهبهم لأنه معارض لمذهب الدولة الرومانية - الملاذ الآمن فلجئوا إليها وأنتشر مذهبهم في العراق وبلاد فارس وكافة الأراضي الخاضعة للدولة الساسانية وأصبح مذهبهم هو المذهب الرسمي للكنيسة الفارسية الكلدانية [6].

1- موس، ميلاد، ص71؛ اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص26؛
Ware, T., The Orthodox Church, (Middlesex, 1964), p.p.32 - 33; Vasiliev, Op.Cit, p.98.

2- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص90.

3- عمران، مقالات، ص90.

4- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص90، وفي بعض المصادر إنه نفي إلى مصر وقتل فيها على يد احد الرهبان سنة 451م (رستم، الروم، ص125؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص51؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص87).

5- العريني، المصدر نفسه، ص51؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص49.

6- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص90؛ عمران، مقالات، ص90.

2 ـ الصراع بين مذهب الطبيعة الواحدة ومذهب الطبيعتين.

بعد وفاة كيرلس سنة444م تطرفت كنيسة الاسكندرية وقاد حركة التطرف خليفته ديوسكوروس (Dioscorus) (444 – 451م) وأيده في ذلك يوتيخس[1] (Eutyches) أحد آباء الكنيسة في القسطنطينية، حيث بعثا فكرة النسطورية من جديد وتوصلا إلى إن الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح قد امتزجتا وكونتا طبيعة واحدة مقدسة، بمعنى إن الطبيعة البشرية ذابت في الطبيعة الإلهية وبذلك ظهر مذهب جديد عرف بالمذهب المونوفيزتي(Monophysitis) وقد أطلق على أصحابه أتباع الطبيعة الواحدة (المونوفيزيتيون) [2].

لقي هذا المذهب معارضة شديدة من بطريرك القسطنطينية فلابيانوس وبابا روما ليو الأول (Loe l) (440 – 461م) وبدأت المشاحنات بين الكنائس ونشبت الخلافات والاضطرابات، وللخروج من هذا المأزق طلب ديوسكوروس من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني عقد مجمع ديني[3]، فاستجاب الإمبراطور وعقد المجمع الديني في مدينة افيسوس سنة449م برئاسة ديوسكوروس بطريرك الاسكندرية وبحضور مئة وثلاثون أسقفاً[4] وبعد أن تليت رسالة الإمبراطور طلب وفد روما أن

1- يوتيخس: كان رئيساً لأحد الأديرة في القسطنطينية، كان تقياً ورعاً إلا إنه كان جاهلاً عنيداً ضيق الفكر والصدر، اشتهر بقوة نفوذه وسلطانه في البلاط الإمبراطوري بحيث أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كان ينقاد اليه ويستمع إلى تعاليمه (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص91؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص51)

2- Ware, Op.Cit, p.34; Ostrogorsky, Op.Cit, p.59;
فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص87

3- Vasiliev, Op.Cit, p.99;
رستم، الروم، ج1، ص126

4- Ostrogorsky, Op.Cit, p.59;
العريني، الدولة البيزنطية، ص52؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص87؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص50.

تتلى رسالة البابا[1] إلى البطريرك فلابيانوس فرفض بطريرك الاسكندرية ديوسكوروس الذي تحزب لايوتيخس، وأشتد الجدل ففر بعض الأساقفة ومنهم نواب البابا، واستولى الرعب على الباقين فأمضوا على قراراته دون مناقشة لذا سمي هذا المجمع فيما بعد بـ(المجمع اللصوصي) [2].

أما قرارات ذلك المجمع فنصت على الاعتراف بمذهب الطبيعة الواحدة واعتبار كل معارض لهذا المذهب هرطقياً وخارج عن الدين[3]وعلى الرغم من إن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وافق على ذلك القرار إلا إن كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما لم توافقا عليه مما أدى إلى اشتعال الفوضى والاضطرابات وزاد من تأجيجها إن بابا روما دعا الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى عقد مجمع أخر إلاّ أنّ دعوته لم تلق آذانا صاغية[4] فلما توفي الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 450م خلفه في الحكم ماركيانوس[5] (Marcianus) (450 - 457م) وكان عدواً لايوتيخس ومذهبه فأعلن إلغاء قرارات مجمع افيسوس الأخير ودعا سنة 451م إلى عقد مجمع ديني في مدينة خلقدونية القريبة من القسطنطينية وقد اشترك في مناقشة قرارات ذلك المؤتمر قرابة 630 شخصاً من الأساقفة والقساوسة وكبار الدولة [6]، وقد تقرر في ذلك المجمع

1- يذكر أن البابا ليو الأول وجه رسالة إلى بطريرك القسطنطينية فلابيانوس في حزيران سنة 449م عرفت برسالة العقيدة أشار فيها إلى أن المسيح ما هو إلا شخص واحد، وهو كلمة الله اتحدت فيه الطبيعتان الإلهية والبشرية، على الرغم من أن كلاً منها كاملة غير مختلطة بالأخرى، وتؤدي وظائفها الخاصة في نطاق وحدة الشخص (العريني، الدولة البيزنطية، ص52 هامش (1)).

2- رستم، الروم، ج1، ص126؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص87؛ العريني، مصر البيزنطية، ص71.

3- يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص91؛ موس، ميلاد، ص71؛

Vasiliev, Op.Cit, p.99.

4- العريني، الدولة البيزنطية، ص52؛ يتيم وديك، المصدر نفسه، ص92.

5- ماركيانوس: هو أحد قادة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني الأكفاء، أصله من تراقيا، تزوج من بلكيريا (Pulcheria) شقيقة الإمبراطور (Ostrogorsky, OP.Cit, p.59؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص50 - 51).

6- Ostrogorsky, Op.Cit, p.59;

رستم، الروم، ج1، ص127؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص88.

المسمى المجمع الكنسي الرابع إدانة مذهب الطبيعة الواحدة (المذهب المونوفيزيتي) والمذهب النسطوري أيضاً وأقرت مثبتة أسس العقيدة الاورثوذوكسية التي تعرف بمذهب الطبيعتين أو المذهب الخلقدوني وتؤكد تلك العقيدة على إن للمسيح طبيعتان غير مندمجتين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، بمعنى إن للمسيح طبيعتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية لا اختلاط فيهما ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال وهاتان الطبيعتان كلتاهما تؤلفان شخصاً واحداً، بل هو ابن وحيد وواحد، فهو نفسه الله، الكلمة الرب، يسوع المسيح[1] كما تقرر في ذلك المجمع مساواة كنيسة القسطنطينية مع كنيسة روما أي أن تكون لبطريرك القسطنطينية المنزلة نفسها لبابا روما مع احتفاظ كنيسة روما بشرف القدم، وقد اعترض نواب البابا الذين اشتركوا في ذلك المجمع على هذا القرار واظهروا عدم الرضا[2].

لم تقتصر قرارات مجمع خلقدونية على المساواة بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما بل إنه رتب الأسقفيات الرئيسية (البطريركيات) فكانت على النحو التالي أسقفية روما البابوية في المرتبة الأولى (من حيث الأقدمية فقط) وأسقفية القسطنطينية في المرتبة الثانية بالمقارنة مع قدم كنيسة روما وفي المرتبة الأولى من حيث المكانة والسلطة الإدارية، وفي المرتبة الثالثة كانت أسقفية كنيسة الاسكندرية، ثم تلتها في المرتبة الرابعة أسقفية كنيسة أنتيوخيا، وأسقفية أورشليم كانت في المرتبة الخامسة[3].

وترتب على تلك القرارات نتائج خطيرة إذ نشب الخلاف فيما بعد على الزعامة والصدارة بين كنيسة القسطنطينية الشرقية وكنيسة روما الغربية أولاً، وبين كنيسة القسطنطينية وكنائس الاسكندرية وأنتيوخيا وأورشليم من جهة ثانية فقد عارضت

1- Ibid, p.60; Vasiliev, Op.Cit, p.105.

2- العريني، الدولة البيزنطية، ص53؛ رستم، الروم، ج1، ص129.

3- Ostrogorsky, Op.Cit, p.61؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص89

الكنائس الشرقية في مصر وسوريا وفلسطين قرارات مجمع خلقدونية مما جعل الصراع العقائدي بين مذهب الطبيعة الواحدة (السائد في المقاطعات الشرقية) ومذهب الطبيعتين (السائد في القسطنطينية) النقطة التي تركزت حولها الخلافات الكنسية والسياسية في الدولة الرومانية حتى مطلع القرن الثامن الميلادي [1].

ومما زاد الأمر خطورة إن الاختلاف العقائدي تحول إلى عداء قومي إذ اتخذت المقاطعات الشرقية (مصر وسوريا وفلسطين وأرمينيا) من اعتناقها لمذهب الطبيعة الواحدة وسيلة للتعبير عن رغبتها في التحرر من السيطرة الرومانية وفي الانفصال عن جسد إمبراطوريتها، فقد رفضت تلك المقاطعات قرارات مجمع خلقدونية مما حدا بكنيسة الاسكندرية إلى إلغاء اللغة اليونانية من المراسيم الدينية واستبدالها باللغة القبطية المصرية [2].

1- العريني، الدولة البيزنطية، ص54؛ عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص51؛

Vasiliev, Op.Cit, p.105.

2- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص40؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص31؛

Ware, Op.Cit, p.36.

المبحث الرابع:
الخطر الساساني خلال السنوات(421 ـ 476م)

1 ـ تجدد الحروب الرومانية ـ الساسانية في عهد الملك بهرام الخامس (421 ـ 438م).

ترك الملك يزدجرد الأول بعد وفاته ثلاثة أبناء أكبرهم يسمى سابور كان في عهد أبيه حاكماً على أرمينيا الساسانية، وثانيهما بهرام الخامس وكان أبوه قد أرسله وهو صغير إلى إمارة الحيرة العربية الموالية للساسانيين فتعهد ملكها المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (418 – 462م) بتربيته وتأديبه، أما نرسي وهو الابن الثالث للملك يزدجرد الأول فكانت أمه يهودية ويبدو إنه كان قاصراً عند وفاة والده، وكان الأشراف ورجال الدين قد اتفقوا على إبعاد أبنائه عن ورثة العرش فقتلوا الابن الأكبر (سابور) إثر وصوله من أرمينيا إلى طيسفون ليتسلم الحكم ونصبوا بدلاً عنه أميراً من فرع بعيد من الأسرة الساسانية اسمه كسرى ملكاً عليهم، على إن هذا الموقف لم يجد قبولاً عند الأمير بهرام الخامس الذي كفل له الملك العربي المنذر بن النعمان قوة عسكرية لاسترداد عرش أبيه توجهت نحو العاصمة طيسفون التي لم تتمكن من التصدي لهذه القوة، وأضطر عظماء الدولة إلى تنحية كسرى وتنصيب بهرام الخامس (420 – 438م) الملقب بـ (بهرام جور) [1] ملكاً على الدولة الساسانية[2].

1 – جور: أو كور نوع من الحمار الوحشي، وقيل إنه لقب بهذا اللقب لولعه بصيد هذا النوع من الحيوانات (الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت 387هـ)، مفاتيح العلوم، (د.م، د. ت)، ص103؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص112).

2 – الطبري، تاريخ، ج1، ص404 – 409؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص114 – 118؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص74 – 77؛ كرستنسن، إيران، ص260 – 261).

وفي عهده تجددت الحرب ثانية مع الإمبراطورية الرومانية، وكان سببها الأذى الذي الحقه هذا الملك برعاياه من المسيحيين وبتحريض من كبير وزرائه (مهر نرسي)[1] الذي عرف بتعصبه الشديد لدينه الزرادشتي وكرهه للمسيحيين [2]، فيذكر الكاتب (ادي شير) " إنه لم يترك كنيسة إلا هدمها ولا ديراً إلا دكه "[3]، ولم يكن أمام المسيحيين ولاسيّما في المناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية سوى الفرار إلى أخوانهم في الدين، وطالبوا الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني حمايتهم باسم الدين، فاستجاب الإمبراطور لطلبهم ورفض تسليمهم إلى الملك بهرام الخامس عندما طلب الأخير ذلك[4] وبالتأكيد فأن ذلك الرفض يعني أن الحرب واقعة لا محال، وبالفعل بدأ الملك بهرام الخامس إشعال فتيلها عندما قام بحبس ومصادرة أموال عمال التعدين الرومان الذين أرسلوا لاستخراج الذهب في بلاد فارس، فكان ذلك إنذاراً بتجدد الحرب بين الطرفين سنة421م، وقد تولى قيادة الجيش الساساني الوزير مهر نرسي[5]، أما الجيش الروماني فكان بقيادة القائد اردبور، أما ميدان الحرب فكانت مدينتا نيسيبيس وأرمينيا مسرحاً لها [6]، وفي المعركة التي جرت بينهما في

1- مهر نرسي: هو مهر نرسي بن برازه بن فرُّخزاذ بن خُورَهَباذ بن سيفاذ بن سيسنابروره بن كي اشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب، من قرية ابراوان من كور اردشير خرة، وصف بأنه حكيم دهره، كاملاً في أدبه، فاضلاً في جميع مذاهبه، متقدماً لأهل زمانه، أتخذه الملك يزدجرد الأول (399 – 420م) وزيراً له وظل كذلك في عهد ابنه بهرام الخامس (الطبري، تاريخ، ج1، ص403، 412)

2- تاج بور، تاريخ الاقليتين المذهبية، ص162؛ كرستنسن، إيران، ص266 – 267.

3- تاريخ كلدو، ج2، ص111.

4- كرستنسن، إيران، ص267؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص61؛ زرين كوب، روزكاران، ص215؛ تسران، خلاصة تاريخية للكنسية الكلدانية، ص25.

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص412.

6- بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (الكويت: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، 1985م)، ص 89؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص246.

مدينـة ثيودوسيوبوليس[1](Thedosiopolis) (أرضروم) منيت القوات الساسانية بالهزيمة، وقد فكر مهر نرسي القيام بحملة مضادة يجتاز فيها أرض الجزيرة الفراتية، إلاّ أنّه وبسبب قلة الجيش الذي تحت قيادته أضطر إلى التوقف عند مدينة نيسيبيس التي تعد من ممتلكات دولته، فقام الرومان بمحاصرة تلك المدينة وأقاموا الأبراج الخشبية على أسوارها [2]، وكان من جراء تخريب مدينة أرضروم وتهديد نيسيبيس أن طلب الملك بهرام الخامس من ملك المناذرة المنذر بن النعمان مهاجمة بلاد الشام، ليخفف من ضغط الرومان عليه، غير أن التوفيق لم يحالف المنذر في ذلك الهجوم، فمني بخسارة كبيرة وهو يحاول عبور نهر الفرات، وكان ذلك سنة 421م[3]، بيد أن القوات الرومانية لم تعرف كيف تجني ثمرة انتصارها ولاسيّما بعد أن انتشرت إشاعة تقول باقتراب القوات الساسانية المدعمة بالأفيال المقاتلة، مما أشاع الفزع في نفوسهم فاحرقوا الأبراج الخشبية المعمولة للحصار[4] وطالبوا عقد الصلح مع الملك بهرام الخامس سنة 422م[5] نصت بنوده على:

1. حرية الديانة المسيحية في الإمبراطورية الساسانية وحرية الديانة الزرادشتية في سائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

1- ثيودوسيوبوليس (أرضروم): يسميها العرب ارزن الروم من مدن أرمينيا وهي غير مدينة ارزن التي تقع بالقرب من خلاط (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص19؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص385) قل عنها (لسترنج) أن الأرمن يسمونها كارين (Karin)، ووصفها بانها اكبر مدينة في بلاد قاليقلا (بلدان الخلافة، ص149).

2- بيغوليفسكيا، العرب، ص90؛ مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص850 – 851.

3- بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص90؛ روتشتاين، غوستاف، تاريخ السلالة اللخمية، ترجمة: منذر البكر، مجلة (كلية الآداب)،ع 16، (البصرة: جامعة البصرة، 1980م)، ص245.

4- بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص90؛ الموسوي، العلاقات الساسانية – البيزنطية، ص142.

5- مهرابادي، تاريخ كامل إيران، ص851؛ كرستنسن، إيران، ص267؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص246؛ Bausani, Op.Cit, p.61.

2. تتعهد الإمبراطورية الرومانية بدفع مبلغ من المال سنوياً للإمبراطورية الساسانية لقاء حمايتها لمعابر القفقاس من خطر الهون.
3. تحدد مدة المعاهدة بمئة سنة[6].

يفهم من الشرط الأول أن المعاهدة قد خففت من حدة إيذاء ومضايقة المسيحيين من رعايا الدولـة الساسانية لكنها لم تضع حداً نهائياً له، يؤكد ذلك المؤرخ (ادي شير) إذ ذكر من دون أن يبين كيفية ذلك أن اضطهاد بهرام الخامس استمر خمس سنوات[7].

ويبدو أن الذي أسهم بشكل فاعل في التخفيف من اضطهاد الملك بهرام الخامس انفصال كنيسة مسيحي إيران عن الكنيسة الغربية سنة 424م[8]، إذ أنهى هذا الانفصال صلة القرابة بين الطرفين ووضع حداً لاتهام مسيحي إيران بالتآمر أو الميل إلى جانب الرومان.

وما ينبغي تأكيده أن ذلك البند لاسيما الخاص بحرية الديانة المسيحية لم ينفذ بسبب معارضة رجال الدين الزرادشتيين[9].

أما الشرط الثاني الذي تضمنته معاهدة السلام فمع إنه يشير إلى وجود اتفاقية دفاع مشتركة لحدود الإمبراطوريتين ضد العدو المشترك (الهون) إلا أن الساسانيين كانوا يعتبرونه نوع من الغرامة (ضريبة)، ويبدو إنه كان عند الرومان وسيلة من وسائل شراء السلام مع العدو عندما يشعرون بالضعف والعجز عن المقاومة ولذلك كانوا يتهربون ويمتنعون عن الدفع كلما سنحت لهم الفرصة بذلك [10].

6- نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص138 هامش رقم (1)؛ يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص244؛ كرستنسن، إيران، ص267؛

Ghirshman, Iran from, P.299

7- تاريخ كلدو، ج2، ص112.

8- Bausani, Op.Cit, p.61؛ ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص295

وعن أسباب ذلك الانفصال انظر: ادي شير، المصدر نفسه، ج2، ص118 - 121.

9- بيرنيا، تاريخ إيران، ص246 - 247.

10- نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص138 هامش رقم (1)؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص459.

2 ـ معاهدة السلم الستيني سنة 442م

بعد وفاة الملك الساساني بهرام الخامس سنة 438م أمتنع الرومان عن دفع الغرامة الحربية إلى ابنه يزدجرد الثاني (Jezdegerd II) (438 – 457م) الذي تولى الحكم من بعده، فكان ذلك إلى جانب بنائهم للقلاع والحصون بالقرب من نيسيبيس التي تعد ضمن مناطق النفوذ الساساني سبباً في نقض الملك يزدجرد الثاني المعاهدة وإعلان الحرب على الرومان سنة 442م [1]، وعهد بمهمة قيادة جيشه إلى وزيره مهر نرسي[2]، في ذلك الوقت كانت الإمبراطورية الرومانية تعاني من أكبر خطر هدد وجودها في جبهتها الشمالية الغربية[3]، ولما لم يكن بمقدور الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني مواجهة خطرين في آن واحد أرسل إلى معسكر الملك الساساني يزدجرد الثاني سنة 442م طالباً عقد السلام قائد جيوشه في الشرق (ايتيوس) فأملى عليه الجانب الساساني شروطه التي نصت على:

1. تعهد الجانب الروماني بالإسهام بدفع تكاليف حماية حدود الإمبراطوريتين.
2. أن لا تقوم أي من الدولتين ببناء القلاع والاستحكامات في المناطق المجاورة لحدودهما.
3. تحدد مدة المعاهدة بستين سنة [4].

---

1 – زرين كوب، روزكاران، ص216.

2 – الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص262.

3 – تمثل ذلك الخطر بمهاجمة جموع الهون الأسيوية سنة 441م للأراضي التابعة للقسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية الواقعة على ضفاف نهر الدانوب.

4 – نولدكه، تاريخ إيرانيان، ص147 هامش رقم (1)؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص 461؛ بيرنيا، تاريخ إيران، ص248، 254؛ أبو مغلي، إيران، ص153 – 154.

ويبدو إن انشغال الإمبراطورية الرومانية بمشاكلها الداخلية عقب وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 450م وبمواجهة خطر القوط الغربيين قد جعلها تغض الطرف عن أرمينيا التي كانت تأمل أن تؤازرها الدولة الرومانية التي ترتبط معها برابطة الدين على نيل استقلالها، فاستغل الملك يزدجرد الثاني ذلك وحاول ضمها بالكامل إلى دولته وسعى جاهداً لفصلها عن بيزنطة بمضايقة أهلها وإجبارهم على نبذ المسيحية واعتناق الزرادشتية، ولما وجد أن جهوده لم تلق استجابة وجه جيوشه إليها سنة451م وتمكن في معركة جرت في السنة نفسها عرفت باسم اوارايـر[1] (Auarair) من إلحاق الهزيمة بالجيش الأرمني وكان من نتائجها أن أصبح المذهب الزرادشتي المذهب الرسمي للدولة حتى سنة484م [2].

وخيم على العلاقات السياسية بين الدولتين الساسانية والرومانية جو من الصفاء والسكون خلال المدة التي أعقبت وفاة الملك يزدجرد الثاني سنة 457م حتى عهد الملك قباذ الأول (Kobad 1) (488 - 531م) فلم تعد كلا الدولتين تشكل خطراً على الأخرى، إذ اتجه هم كل منهما إلى تثبيت كيانها داخليا وخارجياً فالإمبراطورية الرومانية تقاسمتها الخلافات الدينية في الداخل وهجمات القبائل الجرمانية في الخارج[3].

1- سميت بذلك نسبة إلى وادي اوارير الواقع بإقليم اراتز على نهر دغموت (آق شال في الوقت الحاضر) بمنطقة ماكوني الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من دولة إيران في الوقت الحاضر (حافظ، تاريخ الشعب الأرمني، ص70).

2- رازي همداني، تاريخ كامل، ص69؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص39؛ العلان، أرواد، السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005م)، ص87؛ وللتفصيل انظر: استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص155 - 160.

3- رستم، الروم، ج1، ص140.

ولم يكن الوضع الداخلي للدولة الساسانية بأحسن حال من نظيرتها في الدولة الرومانية، فعقب وفاة الملك يزدجرد الثاني حدث صراع على العرش بين ولديه هرمز الثالث (هرمزد الثالث) (Harmizd 111) (457 – 459م) الذي تولى الحكم بعد وفاة والده، وأخيه فيروز(Firuz) حسمت نتيجته لصالح الأخير[1] الذي ما كاد يتولى عرش البلاد سنة 459م حتى تفاقمت عليه المشاكل فإلى جانب القحط الشديد الذي أستمر سبع سنوات[2] كان عليه مواجهة الهياطلة[3] (Haphthalit) الذيـن انقلبوا عليه[4] وهاجموا حدوده الشرقية، وطبيعي أن تكون للأزمة الاقتصادية أثرها في وهن قواه العسكرية ولذلك خسر معارك عدة معهم حتى انه اسر في أحداهما سنـة 469م وأضطر لشراء حريته التنازل لهم عن بعض مدن الشرق ولاسيّما مدينة الطالقان[5] وترك ابنه قباذ رهينة في بلاطهم حتى يوفيهم الفدية التي اتفقوا عليها [6].

1- تشير المصادر إلى انه في الوقت الذي كان فيه الإخوان يتقاتلان قرابة سنتين في مدينة الري كانت أمهما (دنيك) تحكم بصورة مستقلة في العاصمة طيسفون، للتفصيل انظر: (الدينوري، الاخبار الطوال، ص61؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص183 – 184؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص120).

2- الدينوري، المصدر نفسه، ص61؛ الطبري، المصدر نفسه، ج1، ص413.

3- الهياطلة: أو الهون البيض فرع من قبائل الهون يسميهم الرومان هيفتاليت وعند الفرس هفتال، أما العرب فيسمونهم الهياطلة، امتازوا ببياض بشرتهم ومعيشتهم المتمدنة (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 3؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص157)، عبروا نهر جيحون واستولوا على إقليم باكتريا (بلخ) سنة 425م وأخذوا يغيرون على الحدود الشرقية لبلاد فارس فتصدى لهم الملك بهرام الخامس وتمكن من إيقاع الهزيمة بهم وقتل خاقانهم بالقرب من مرو (بيرنيا، تاريخ إيران، ص245؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص457 – 458).

4- ذهب فيروز بعد وفاة والده وتولي أخيه هرمز عرش البلاد إلى الهياطلة طالباً من خاقانهم (ملكهم) مساعدته في حربه ضد أخيه، فلبى الأخير طلبه وأرسل معه جيشاً تمكن به أن يهزم أخاه وأن يظفر بالعرش (الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص120).

5- الطالقان: تساوي مدينة مرو الروذ في الكبر، تقع في جبل متصل بجبال الجوزجان ولها رساتيق كثيرة وعامرة (الاصطخري، مسالك الممالك، ص270؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص442).

6- يارشاطر واخرون، تاريخ إيران، مج3، ق1، ص246 – 247؛ درايي، شاهنشاهي ساساني، ص40؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص464.

ويتبين من إشارة البعض من المصادر من إن الملك فيروز طلب المساعدة المالية من الإمبراطورية الرومانية[1]، غير أن الأخيرة تخلت عن التزامها بدفع الضريبة السنوية التي كانت قد تعهدت بدفعها بموجب المعاهدة التي عقدتها سنة 442م مع الملك الساساني يزدجرد الثاني، وإن انشغاله بمواجهة الهياطلة صرفه عن اتخاذ أي أجراء عسكري ضدها.

1- دياكونوف، تاريخ إيران، ص309؛ زرين كوب، المصدر نفسه، ص464؛ كرستنسن، إيران، ص 278.

المبحث الخامس:
هجمـات الشعـوب الجرمانيـة

1 ـ أصل الجرمان وتسميتهم ومواطن سكناهم الأولى

عانت الإمبراطورية الرومانية الأمرين من هجمات الشعوب البربرية التي كانت تقيم فيما بين جبهتي الراين والدانوب، ومما ينبغي تأكيده إن لفظة البربرية (Barbarus) التي أطلقت على تلك الشعوب لا يقصد بها الوحشية أو الهمجية، بل هي مرحلة من مراحل التنظيم الاجتماعي القبلي الذي لم يرق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني وإقامة الدول ذات الحدود الثابتة، وبعبارة أخرى إن المقصود به حضارة القبيلة تمييزاً لها عن حضارة المدينة[1]، ولفظة بربري (barbarian) اقتبسها الرومان من الإغريق وتعني عندهم الشعوب المتوحشة غير المثقفة التي هددت الحضارة اليونانية والدولة الرومانية [2].

ويؤكـد المـؤرخ (Cantor) اقتبـاس الرومـان كلمة بربـري من اليونانييـن إلاّ أنّه يـرى أنهـا لا تعني(فـظ) أو (متوحـش) وإنمـا كل الأجانب عنهـم وإن كانـوا في مثل حضارتهم وثقافتهم [3].

ويبدو إن لفظة بربري تقترب من لفظة (الأعاجم) التي تعني الإبهام وعدم الوضوح التي أطلقها العرب على كل الشعوب التي لا تفقه لغتها.

انقسمت الشعوب البربرية إلى قسمين متمايزين هما الشعوب المغولية أو الشعوب الارالية - الالتائية، أحاطت بالإمبراطورية الرومانية من جهتها الشمالية

1- دوسن، تكوين أوربا، ص83

2- يذكر المؤرخ (حاطوم) أن لفظة بربري كلمة قديمة جداً وأول ظهور لها كان في الالياذة وتعني الاحتقار والازدراء (نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، (لبنان: دار الفكر الحديث، 1967م)، ج1، ص15).

3- Norman.E., Medieval History, The Life and Death of a Civilization, (U.S.A, 1969), p.105.

الشرقية [1] والموطن الأصلي لتلك الشعوب مناطق الاستبس في أواسط آسيا الممتدة من جبال اورال[2] حتى جبال التاي[3]، وضمت العديد من الجماعات مثل الاسكيثيين (Scythians) والسارماتيين (Sarmatians) والهون (Huns) والبلغار (Bulgars) والافار(Avars) والمجريين(Magyars) والمغول (Mongols) والأتراك (Tartars)، وكانت تلك الأقوام في بداية أمرها تسكن بعيداً عن حدود الإمبراطورية الرومانية، وهم بدو رحل لا يعرفون الزراعة، عاشوا معتمدين على رعي الخيول والماشية ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء الماء والكلأ [4].

والقسم الثاني من الشعوب البربرية هي الشعوب الجرمانية وهم من الجنس الآري - أي من القبائل الهندية الأوربية - كانوا يعرفون باسم تيوتون (Teutenes) أو دويتش (Dutsch) وكانوا أقرب عناصر البرابرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية[5]، موطنها الأصلي هو المنطقة المحيطة ببحر البلطيق[6] وهي شبه جزيرة اسكندناوة التي كانت تعرف باسم سكانزيا (Scanzia) أو سكين (Skane)[7] وتاريخ سيطرتهم على

1- Stephenson, Op.Cit, p.57.

2- جبال اورال: سلسة جبال في جمهورية روسيا غربي سيبيريا ينبع منها نهر الاورال ويشكل معها حداً بين شطري البلاد الأوربي والأسيوي (معلوف، المنجد، ص82).

3- جبال التاي: سلسلة جبال في آسيا الوسطى بين سيبيريا ومنغوليا والصين (معلوف، المصدر نفسه، ص62).

4- Stephenson, Op.Cit, p.57.

5- هادريل، أوربا، ص14؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص75؛
Deanesly, Margaret, M., A History of Early Medieval Europe from 476 to 911, (London, 1956), p.25; Kingsley, Charles., The Roman and the Teuton, hattp:// WWW. black mask. com, p.24.

6- بحر البلطيق: بحر داخلي في أوربا الشمالية متفرع من المحيط الأطلسي، تحيط به فلندا وروسيا واستوانيا ولتونيا وليتوانيا المشهورة ببلاد البلطيق، وبولونيا والمانيا والدانمارك والسويد (معلوف، المنجد، ص134).

7- غنيم، أسمت، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية 324 - 1453م، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987م)، ص6؛ طرخان، دولة القوط، ص20؛ Painter, Op.Cit, p.20.

هذه المنطقة غير معروف [1]، إلا إنه يقال إنهم ظلوا يقيمون على شواطئ البلطيق نحو ألف سنة [2].

وهؤلاء كانوا المادة البشرية التي تكونت منها أوربا الحديثة أي إنهم القبائل التي ينبع منها العنصر القومي في أوربا [3].

وفيما بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد انقسمت القبائل الجرمانية إلى شماليين وشرقيين وغربيين ولقد أكد ذلك التقسيم الوضع الجغرافي لفروع هذه الجماعات، فأما الشماليون فهم الذين فضلوا البقاء في شبه جزيرة اسكندناوة وما حولها، إذ تفرعت عنهم الأمم السويدية والنرويجية والدنماركية [4] واتخذ الجرمان الشرقيون مساكنهم بين الألب والفستولا[5] وسواحل البحر الأسود[6]، وظلوا في حالة من الانتقال المستمر سعياً وراء المراعي الجديدة ولذلك كانت طرائق عيشهم بدائية[7] وهؤلاء هم الذين حطموا الإمبراطورية الغربية في جولاتهم وحركة التأسيس لممالكهم[8] ومن أشهر قبائلهم الوندال (Vandals) والبرجنديين (Burgund) والقوط (Goths) والجيبيداي (Gepidae) واللومبارديين (Lungobards) والهيرولي (Herull)[9].

1- Ripley, W.Z., The Races of Europe, (London, 1899), p.213; Deanesly, Op.Cit, p.25.

2- طرخان، دولة القوط، ص20.

3- دوسن، تكوين أوربا، ص81.

4- Lot, F., Les invasions Germaniques, Lapenetration mutuelle du mande Barbare at dumonde Romain, (Paris, 1935), p.30; Fisher, H.A.L., A History of Europe, (London, 1946), p.107.

5- الفستولا: أو فيسلا، أهم أنهار جمهورية بولونيا في أوربا الوسطى، طوله 1.090كم، يصب في دلتا واسعة في بحر البلطيق (معلوف، المنجد، ص425).

6- Lot, Les invasionst, p.p.30 - 31؛ موس، ميلاد، ص78

7- Fisher, History of Europe, p.107؛ موس، المصدر نفسه، ص78

8- طرخان، دولة القوط، ص6.

9- Lot, Les invasions, p.p.31 - 32

وللتفصيل عن مساكن هؤلاء انظر: طرخان، دولة القوط، ص8.

أما الجرمان الغربيين فقد انتشرت مساكنهم بين الألب والراين[1]، وهم أول جماعات الجرمان التي اصطدمت بهم الإمبراطورية الرومانية في عهد القائدين ماريوس (106 – 100ق.م)[2] ويوليوس قيصر (49 – 44ق.م) [3]، ومن أشهر قبائلهم الكمبري (Cambri)، التيوتون، الماركوماني (Marcomanni)، الكوادي (Quadi)، السويفي (Suevi)، التورنجييون (Thuringians)، الاليماني أو الألمان (Alemanni)، والشاتواريين (Chattuariens) [4].

وفيما يتعلق بأصل كلمة الجرمان، فأن المؤرخ (حاطوم) يذكر إن كلمة (جرماني) التي نستعملها اليوم لا نعني بها منطقة جرمانيا " بل كان يطلقها الغاليون على البرابرة الذين يقيمون ما وراء نهر الراين، ويعنون بها (جيران) وهي تسمية لا يعرفها الجرمان أنفسهم"[5].

إن أول من أطلق تسمية جرمان على تلك القبائل هم الرومان وذلك نسبة إلى منطقة جرمانيا التي كانوا يسكنونها واستعملوها كصفة عبروا من خلالها عن الرعب والفزع لأن أول عنصر من هؤلاء الشعوب عبروا الراين وهاجموا الكلت الغاليين جاء من جرمانيا[6] وهذا العنصر كان يسمى التونجري (Tungri) أشتهر بقدراته الحربية[7].

1 – Fisher, History of Europe, p.107؛ الحويري، رؤية، ص83

2 – اسمه غايوس ماريوس (Gaius Marius) بدأ حياته كجندي، ثم دخل حقل السياسة وانتخب سنة 118ق.م تربيوناً (نقيباً للعامة)، وفي سنة 115ق.م انتخب بريتوراً (قاضيا) وحكم اسبانيا بنجاح وقوة، ثم تزوج من جوليا (عمة يوليوس قيصر) وقد اكسبه ذلك الزواج نفوذاً وأهمية إذ ساعده على ارتقاء المناصب بسرعة، اختير لمركز القنصلية ستة مرات متتالية بين سنة 106 – 100ق.م مما جعله أشبه بالملك العسكري (الأحمد، تاريخ رومان، ص90 – 93؛ أيوب، التاريخ الروماني، ص213 – 218؛ للتفصيل عنه انظر: سلامة، التاريخ الروماني، ص284 – 308).

3 – انظر: ص 297 – 298 من هذه الأطروحة.

4- Lot, Les invasions, p.p.31 - 32..

5 – تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص17.

6- Ripley, Op.Cit, p.213.

7- Tacitus., ATreatise on the Situation, Manners and in habitants of Germany, (The races of Europe), (London, 1904), p.289.

أما حدود منطقة – جرمانيا – فيذكر (تاكيتوس) إنه يحيط بها المحيط من الشمال ويفصله عن بلاد الغال نهر الراين والدانوب وتفصله عن سرماتيا (Sarmatia) وداكيا (Dacia) سلسلة جبال الكاربات[1][2].

وقال في وصفها إنها بلاد ذات مسالك وعرة ومناخ قاسٍ، وأرض مليئة بالغابات والأحراش معرضة للرياح الشديدة تغطيها المستنقعات[3]، وبالتأكيد إن تلك الطبيعة أثرت على حياة الجرمان فجعلت منهم محاربين أقوياء، لكنهم مع ذلك عرفوا الزراعة، فيذكر إن الزراعة كانت أساس حياتهم الاقتصادية، فهم لم يعتمدوا على مجرد الصيد أو الرعي وإنما عرفوا شيئا عن الحياة الاقتصادية المستقرة وأغلب تحركاتهم كان هدفها الحصول على أرض زراعية أكثر خصوبة [4].

ومما لاشك فيه إن الاستقرار أول مرحلة من مراحل نشوء المدينة إلا إنه مما ينبغي تأكيده إن الجرمان لم يعرفوا حياة المدن في عصورهم الأولى وإنما عاشوا متفرقين حول نبع أو في غابة أو في أكواخ مشيدة من الكتل الخشبية والطمى[5].

1- جبال الكاربات: سلسلة جبال في أوربا الوسطى تمتد بشكل قوس في سلوفاكيا وبولونيا ورومانيا وأوكرانيا، تنبع منها انهار منها نهر دنيستر، مورش، اولت، بروت و الفيستولا (معلوف، المنجد، ص448).

2- ATreatise, p.p.247 - 248.

3- Ibid, p.249; Stephenson, Op.Cit, p.57.

4- Boissonnade, P., Life and Work in Medieval Europe, Translated by:F.Power, (London, 1937), p.8.

5- للمزيد من التفاصيل عن أحوال الشعوب الجرمانية وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية ونظامهم السياسي والعسكري انظر: طرخان، دولة القوط،ص9 – 21؛ الحويري،رؤية،ص86 – 94.

2 ـ علاقتهم المبكرة بالإمبراطورية الرومانية.

أ ـ في العهد الجمهوري.

ترجع علاقة القبائل الجرمانية بالإمبراطورية الرومانية إلى القرن الثاني قبل الميلاد[1]، وتأتي زيادة عدد السكان المقترن بندرة المؤن والصيد في مقدمة العوامل التي دفعت تلك القبائل إلى ترك مواطنها الأصلية فيما وراء نهري الراين والدانوب واقتحام أبواب الإمبراطورية الرومانية بحثاً عن أراضٍ زراعية جديدة وأوطان جديدة تفي بحاجاتهم[2]، إلى جانب ميلهم الفطري للحرب وحب المغامرات وعدم الاستقرار فضلاً عن رغبتهم في التخلص من الضغوط الشديدة التي تعرضوا لها من قبل الجماعات الرعوية الضاربة في وسط آسيا[3]، كما إن الحروب المستمرة بين القبائل الجرمانية نفسها أجبرت الخاسر منها على النزوح جنوباً والتجول خلف الحدود الرومانية أملاً في إيجاد مأوى أمين[4]، ولا شك أن عامل المناخ كان ولا يزال له أثره من بين دوافع الاستعمار الحديث كذلك كانت المدينة الرومانية وما بلغته من رقي من بين العوامل التي اجتذبتهم [5].

وخلاصة القول إن القبائل الجرمانية لم يكن لها هدف عام أو سياسة مرسومة تسعى إلى تحقيقها كذلك لم تقصد عند ظهورها على مسرح الأحداث القضاء على

1- Lot, Les invasions, p.13; Ripley, Op.Cit, p.213; Bang, Martin., Expanion of the Teutons To A.D.378), in Cambridge Medival History, (Cambridge, 1975), Vol.1, p.p.183 - 185.

2- Painter, Op.Cit, p.24; Cantor, Op.Cit, p.p.107 - 108; Deanesly, Op.Cit, p.21;
موس، ميلاد، ص77.

3- Deanesly, Op.Cit, p.p.21 - 22؛
حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص17؛ هارتمان، ل.م وباراكلاف، ج، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، (القاهرة: 1970م)، ص16.

4- Painter, Op.Cit, p.24; Cantor, Op.Cit, p.p.107 - 108.

5- Deanesly, Op.Cit, p.22;
طرخان، دولة القوط، ص21

الإمبراطورية وتجزئتها فيما بينها إلا إنها عندما اقتربت من حدودها بهرت عيونها ما تمتعت به الإمبراطورية الرومانية من ازدهار وتقدم ورخاء فأرادت بغزواتها وتجوالها السلمي مشاركة الإمبراطورية ثرواتها وخيراتها من جهة وإيجاد مكان أمن تعيش بين ظهرانيها من ناحية أخرى.

وأول القبائل الجرمانية التي اصطدمت بها الإمبراطورية الرومانية هي قبيلتي الكمبري (Cimbri) والتيوتون(Teutons) وذلك في نهاية عهد الجمهورية، فقد تركت هاتين القبيلتين موطنها الأصلي في أقصى شمال شبه جزيرة جوتلاند[1] تحت ضغط قبيلتين (كلتيتين) هما قبيلة البويي (Boii) وقبيلة السكوردسكي (Scordisci) وشقت تلك القبيلتين أي قبيلة – الكمبري والتيوتون – طريقهما باتجاه الغرب نحو بلاد الغال فغزت سنة114ق.م أراضي التورسكي حلفاء الرومان الساكنين شمالي جبال الألب[2] ولم يكتب للجيوش الرومانية التي أرسلتها روما لإنقاذ حلفائها النجاح فتشجعت تلك القبائل واتجهت نحو نهر الراين بعد أن انضمت إليها قبائل التونجري (Tungrini) والامبرونيس (Ambrones) – وهما فروع من التيوتون – وتمكنت تلك القبائل جميعاً سنة 111ق.م من عبور نهر الراين إلى إقليم الغال وهناك اشتبكت مع القوات الرومانية في حروب عدة استمرت حتى سنة 105م توالت فيها هزائم القوات الرومانية[3] وكان من نتيجتها أن فقد الرومان سيطرتهم على بلاد الغال وأصبح الطريق بين إيطاليا واسبانيا تحت سيطرة تلك القبائل[4] التي بلغت مبلغاً من القوة والجرأة بحيث إنها

1- Bang, Op.Cit, p.p.187 - 189;

الأحمد، تاريخ الرومان، ص90

2- ضمن الدنيمارك في الوقت الحاضر.

3- الأحمد، تاريخ الرومان، ص90؛ عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص303؛ وللتفصيل انظر: ددلي، حضارة روما، ص117 – 118.

4- الأحمد، المصدر نفسه، ص90.

كانت تعلن " إن في استطاعتنا تدمير القوات الرومانية وسيكون من السهل علينا الاستيلاء على إيطاليا وتخريب روما نفسها " [1].

وعلى الرغم من إن تلك القبائل كان بإمكانها التوجه نحو روما والسيطرة على مقاليد الأمور فيها إلا أنها فظلت التوجه نحو اسبانيا، ويذكر إنها أقامت فيها ثلاث سنوات ثم عادت راجعة إلى بلاد الغال سنة 102ق.م[2] ويبدو أن ذلك الوقت كان كافياً لأن تعيد القوات الرومانية تنظيم قواتها وتثار لهزائمها على يد تلك القبائل التي أخذت تزحف على شمال إيطاليا فتصدت لها القوات الرومانية بقيادة القائد ماريوس (106 - 100ق.م) وتمكن من دحر قبائل التيوتون سنة 102ق.م في معركة اكواسكتياي[3] (Aquae Sextiae) في أثناء زحفهم على شمال إيطاليا[4]، كما هزم الكمبري وهم من شعوب الكلت الذين اتفقوا مع التيوتون على مهاجمة روما من ناحيتين مختلفتين في معركة فرسلاي (Vercellae) قرب نهر البو شمال إيطاليا سنة 101ق. م وكان من نتيجة ذلك الانتصار إنقاذ روما من خطر البرابرة [5].

1- سلامة، التاريخ الروماني، ص266.

2- Lot, Les invasions, p.23;

فشر، تاريخ أوربا، ص166

3- سميت بذلك نسبة إلى وقوعها بالقرب من اكواسكتياي وهو ممر يوصل جنوب فرنسا بإيطاليا (سلامة، التاريخ الروماني، ص300)، وتسمي بعض المصادر تلك المعركة بـ (موقعة اكس) نسبة إلى مدينة اكس قاعدة إقليم بروفاس (Provence) في جنوب فرنسا (الأحمد، تاريخ الرومان، ص93؛ طرخان، دولة القوط، ص24؛

Bang, op.Cit, p.193; Robinson, Op.Cit, part.11, p.232).

4- للتفصيل عن تلك المعركة انظر: سلامة، المصدر نفسه، ص299 - 304.

5- Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.181;

فشر، تاريخ أوربا، ص166؛

وللتفصيل عن تلك المعركة انظر: سلامة، المصدر نفسه، ص304 - 308.

غير إن ذلك الخطر لم يزل نهائياً فبعد هدوء أستمر أكثر من أربعين سنة عبرت نهر الراين قبائل السويفي[1] (Suevi) بقيادة زعيمها اريوفيستوس (Ariovistus) واستولت على بعض أراضي إقليم الغال إلا إنها اندحرت وعادت أدراجها إلى ما وراء نهر الراين سنة 58ق.م على يد القائد يوليوس قيصر في معركة جرت بينهما بالقرب من ستراسبورغ[2] (Strasburg) [3].

ولم تكن قبائل السويفي القبائل الوحيدة التي هزمها يوليوس قيصر ففي بداية سنة 55ق.م عبرت قبيلتا الاوسيبيتي (Usipit) والتنكتيري[4] (Tencteri) الراين وهاجمت إقليم الغال إلا إن قيصر هزمها في صيف السنة نفسها ودحرهما[5] وكان من نتيجة ذلك الانتصار وانتصارات أخرى على قبائل أخرى أن أصبح نهر الراين الحد الفاصل بين الإمبراطورية الرومانية والجرمان [6].

ب- في العهد الإمبراطوري حتى سنة 192م

مما يدعو إلى التساؤل إن الجرمان لم يستغلوا فرصة الحروب الأهلية التي اجتاحت روما عقب مقتل القائد يوليوس قيصر سنة 44ق.م في تحقيق مطامعهم

1- السويفي: مساكنهم في الألف الأول قبل الميلاد كانت في المنطقة الممتدة بين نهري الألب والراين، منطقة براندنبورغ الحالية (طرخان، دولة القوط، ص6، 24)، وهي مقاطعة في شمال شرق المانيا في السهول بين الألب والاودر عاصمتها بوتسدام، ومن مدنها برلين وبراندنبورغ (معلوف، المنجد، ص 118).

2- ستراسبورغ: مدينة في شرقي فرنسا، على ملتقى ايل والرين، عاصمة الالزاس (معلوف، المنجد، ص296).

3- Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.212 - 213; Bang, Op.Cit, p.194;

4- طراد، تاريخ الرومان، ص214 – 215؛ وللتفصيل انظر: سلامة، التاريخ الروماني، ص369 – 370.
مساكن تلك القبيلتين في وادي نهر الراين الأدنى وضفته اليسرى في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم كولونيا (طرخان، دولة القوط، ص25)، الواقعة في غرب المانيا (معلوف، المنجد، ص478)

5- الأحمد، تاريخ الرومان، ص107؛ طرخان، المصدر نفسه، ص25.

6- للتفصيل عن حروب يوليوس قيصر مع القبائل الجرمانية انظر: سلامة، التاريخ الروماني، ص372 – 376؛ الأحمد، المصدر نفسه، ص107 – 108.

في مهاجمة إيطاليا والاستيلاء على روما على الرغم من قوتهم وقدرتهم على ذلك والراجح أن سبب ذلك يعود إلى إنهم كانوا منقسمين إلى قبائل متناحرة اعتادت على محاربة بعضها البعض ولم تجد من بينها من يوحدها ويوجهها، على العكس من القادة والأباطرة الرومان فقد دأبوا منذ ظهور خطر ذلك العنصر على الحد من نشاطه وإبعاده عن حدود الإمبراطورية وقد وضح ذلك الدور بشكل جلي في عهد الإمبراطور أغسطس (27ق.م – 14م) الذي لم يرض بنهر الراين حداً للإمبراطورية بل كان مصمماً على رد الجرمان إلى ما وراء نهر الألب وقد عهد بتلك المهمة إلى قائديه الأخوين دروسوس (Drusus) وتيبريوس(Tiberius) فتمكنا سنة 12ق.م من الانتصار على الجرمان في مواقع عدة كان من نتيجتها أن أصبحت منطقة المانيا ما بين الألب والراين ولاية رومانية[1] غير إن قبضة الرومان على هذه الولاية تزعزعت مع مطلع القرن الأول الميلادي بسبب كثرة تحركات الجرمان وغزواتهم ضد الرومان وكان أخطرها التمرد الذي تزعمها ارمينيوس (Arminius) زعيم قبيلة الشيروسكي (Cherusci) على المنطقة ذاتها وتمكن من إبادة ثلاث فرق رومانية أرسلت لصدها بقيادة القائد الروماني فاروس(Varus) سنة 9م وفي أعقاب تلك الكارثة تخلى الرومان عن فكرة تثبيت حدود الإمبراطورية عند نهر الألب، وجعلوها عند نهر الراين [2].

وهذا يعني إن حدود الإمبراطورية الرومانية عند نهاية حكم أغسطس أصبحت محصورة بين نهر الراين شمالاً والدانوب شرقاً بدلاً من الألب شمالاً والدانوب شرقاً أي إنها تخلت عن فتوحاتها في المنطقة المحصورة بين الألب

1- (1)Robinson, Op.Cit, part.11, p.270;

الأحمد، تاريخ الرومان، ص132

2- Ibid, part.11, p.p.270 - 272; Salmon, E.T., A History of the Roman World 30 B.C to 138A.D, (Great Britain, 1974), p.p.108 - 112; Boak and sinnigen, Op. Cit, p.p.273 - 275.

والراين، وظلت حدود الإمبراطورية الرومانية قائمة عند الراين والدانوب أكثر من أربعة قرون[1].

وبعد وفاة أغسطس اعتلى تيبريوس (14 - 37م) عرش الإمبراطورية ويبدو إن كارثة فاروس جعلته يسير على نهج سلفه فيما يتعلق بحدود الإمبراطورية وعدم التورط في أية حرب مع القبائل الجرمانية [2].

غير إن الموقف تغير في عهد الإمبراطور دوميتيان (Domitian) (81 - 96م) فالقلاقل التي أحدثتها القبائل الجرمانية على جبهتي الراين والدانوب تطلبت منه القيام بجهود مكثفة ضدها فقام سنة 83م بتأديب قبائل الشاتي (Chatti) التي كانت تهدد جبهة الراين[3]، ثم توجه صوب جبهة الدانوب لمواجهة الداكيين (Dacian) الذين استولوا على منطقة مؤيسيا (Moesia) [4] سنة 85م بعد قتلهم حاكمها الروماني، الأمر الذي تطلب من الإمبراطور دوميتيان قيادة الجيش بنفسه والاشتباك معهم في حروب عدة انتهت بطردهم من مؤيسيا وردهم إلى ما وراء نهر الدانوب، ويبدو إن ذلك الانتصار شجع الإمبراطور دوميتيان على القضاء على الداكيين نهائياً، ففي سنة 87م عبر قائده فوسكوس(Fuscus) نهر الدانوب مستهدفاً غزو داكيا والقضاء على الداكيين في عقر دارهم إلا إنه فشل في مهمته تلك إذ سقط مع جيشه في أيديهم[5]، إزاء ذلك أعد دوميتيان عدته للانتقام من الداكيين إلا إن مهاجمة قبائل الماركومانـــي (Marcomanni) والكوادي (Quady) الجرمانية لمنطقة بانونيا (Pannonia)[6] سنة 88م

1- Deanesly, Op.Cit, p.17; Lot, Les invasions, p.27

2- Salmon, Op.Cit, p.p.128 - 129; Robinson, Op.Cit, part.11, p.323.

3- Robinson, Op.Cit, part.11, p.323.

4- في بلغاريا في الوقت الحاضر.

5- Robinson, Op.Cit, part.11, p.325.

6- بانونيا: ولاية رومانية بين الدانوب والألب، تشمل بعض المجر وأجزاء من النمسا (فشر، تاريخ أوربا، ص176 هامش (197)؛ طرخان، دولة القوط، ص 26).

من جهة والتمرد الذي قامت به قواته في جبهة الراين حيث أعلنت قائدها انطونيوس ساتورنينوس (Antonius Saturninus) إمبراطوراً عليها في السنة نفسها من جهة ثانية جعلت الإمبراطور يعدل عن خطته في مهاجمة الداكيين واكتفى بعقد الصلح معهم سنة89م[1].

ويبدو إن سياسة المصالحة التي أتبعها الإمبراطور دوميتيان مع الداكيين زادت من أطماعهم في بلاد الرومان الغنية، فرأى الإمبراطور تراجان (98 – 117م) مدى خطورة الاخطاء التي ارتكبها أسلافه، ومدى النتائج التي تمخضت عن اتخاذ موقف الدفاع، لذا القى اتفاقية الصلح التي عقدت مع الداكيين عرض الحائط وقرر التوسع فيما وراء حدود الدانوب، وتمكن خلال السنوات 101 – 102م من مهاجمة داكيا والاستيلاء على عاصمة الداكيين ترانسليفانيا (Transylvania) مجبراً ملكهم ديكيبالوس (Decebalus) على الخضوع لسلام مهين اعترف بموجبه بسيادة روما على داكيا، وبعد أن أقام حامية رومانية في ترانسليفانيا عاد الإمبراطور تراجان إلى روما سنة 103م ليحتفل بانتصاراته تلك ولقب نفسه داكيوس (Dacius) أي داحر داكيا [2].

ويبدو إن انتصار الإمبراطور تراجان لم يكن حاسماً ففي سنة 105م نقض ديكيبالوس عهده وجمع قواته في غفلة من الرومان وتمكن من مباغتة الحامية الرومانية التي تركها الإمبراطور تراجان في ترانسليفانيا وإبادتها، ثم هاجم الجيوش الرومانية في مؤيسيا وما إن وصل الخبر إلى الإمبراطور تراجان حتى شق طريقه إلى ترانسليفانيا مرة ثانية سنة 106م وأطبق عليها من الشرق والغرب وتمكن من ضمها نهائياً إلى إمبراطوريته، أما ملكها ديكيبالوس فقد دفعته الكارثة التي نزلت بشعبه إلى الانتحار

1- **Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.p.304 - 305;**

الأحمد، تاريخ الرومان، ص177

2- **Salmon, Op.Cit, p.p.274 - 277; Robinson, Op.Cit, part.11, p.p.361 - 363.**

في السنة نفسها [1]، وحتى لا تقوم للداكيين قائمة قام الإمبراطور تراجان بنقل الآلاف منهم إلى الجانب الجنوبي من الدانوب وأحل محلهم مستقرين جاء بمعظمهم من الأجزاء الشرقية للإمبراطورية، وبذلك أصبحت داكيا ولاية تابعة للإمبراطورية واصطبغت بالحضارة الرومانية [2] أي إنها أصبحت واحدة من مراكز الحضارة الرومانية في قلب العالم البربري.

وعلى الرغم مما بذله الأباطرة الرومان من جهود لإيقاف المد الجرماني الزاحف على حدود الإمبراطورية إلا أن هجماتهم زادت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي وبشكل لم تشهده روما من قبل، وظهر ذلك واضح في عهد الإمبراطور ماركوس اوريليوس (Marcus Aurelius) (161 – 180م) فخلال السنة 166م عبرت قبائل الماركوماني والكوادي والشاتي الدانوب واجتازت جبال الألب إلى إيطاليا وتمكنت من الاستيلاء على نوريكيوم (Noricum) وبانونيا حتى وصلوا إلى اكويليا (Aquileia) على بحر الادرياتيك[3]، ومما ساعد تلك القبائل على اقتحام حدود الإمبراطورية هو الوضع السيئ الذي كانت تعيشه الإمبراطورية والمتمثل بانشغالها بمحاربة الفرثيين خلال السنوات 161 – 165م وما ترتب عليها من مصائب عصفت بالإمبراطورية إذ تسبب مرض الطاعون الذي حمله الجنود من تلك الحملة إلى جانب فيضان نهر التيبر إلى هلاك الكثير من سكان روما والولايات وتخريب الأبنية والبيوت وتدمير الأراضي الزراعية ومن ثم أصاب العجز ميزانية الدولة الأمر الذي دفع الإمبراطور اوريليوس إلى بيع كنوزه الخاصة في المزاد العلني وتسجيلها إيراداً للدولة، كما استأجر المرتزقة من الجرمان[4].

1- Lot, Les invasions, p.p.29 - 30 Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.p.310 - 312

2- Salmon, Op.Cit, p.p.277 - 278; Robinson, Op.Cit, part.11, p.p.363 - 364.

3- Robinson, Op.Cit, part.11, p.384; Lot, Les invasions, p.29.

4- Waston, Paul., Marcus Aurelius Antoninus, (NewYork, 1884), p.11; Hayward, F.H., Marcus Aurelius, (London, 1935), p.130.

وعلى الرغم من تلك الظروف السيئة فأن الإمبراطور اوريليوس قاد الجيش بنفسه وتمكن خلال حروب عدة استمرت خمس سنوات 168 – 173م من إنهاء الحصار على اكويليا وإجبار الجرمان على ترك الأراضي التي استولوا عليها وردهم إلى ما وراء نهر الدانوب [1].

غير إن النصر الذي حققه اوريليوس لم يكن حاسماً فقد ثارت قبائل الماركوماني والكوادي من جديد الأمر الذي أضطره سنة 178م إلى اجتياز الدانوب وإلحاق الهزيمة بتلك القبائل، ويبدو إن تلك الهزيمة كانت شديدة الوقع على تلك القبائل بحيث إنها أخمدت حركاتهم ضد روما مدة قرنين من الزمن [2].

أما ابنه كومودوس (Commodus) (180 – 192م) الذي تولى عرش الإمبراطورية من بعده فأن شخصيته الضعيفة وانصرافه إلى الملذات جعلته يركن إلى الصلح وسياسة الدفاع التي أستنها الإمبراطور أغسطس من قبل [3].

3 ـ الغزوات الجرمانية من القرن الثالث الميلادي حتى سقوط روما سنة 476م.

بدت مظاهر الضعف واضحة على الإمبراطورية الرومانية منذ أوائل القرن الثالث الميلادي فأحوالها الاقتصادية والاجتماعية كانت تئن من الفوضى والاضطراب، وأغلب الأباطرة الذين تولوا عرشها كانوا ضعفاء تركوا السلطة الحقيقية في أيدي قوادهم، وهؤلاء كانوا في معظمهم ينتمون في أصولهم إلى عناصر جرمانية لها أطماع خاصة تعمل على تحقيقها داخل الإمبراطورية[4]، ولا يغيب عن البال الخطر

1- Robinson, Op.Cit, part.11, p.p.385 - 386; Boak and Sinnigen, Op.Cit, p. 319.

2- Bang, Op.Cit, p.200; Waston, Op.Cit, p.11;

ددلي، حضارة روما، ص289

3- Robinson, Op.Cit, part.11, p.p.388 - 389;

طرخان، دولة القوط، ص30

4- هادريل، أوربا، ص7.

الساساني الذي هدد وجود الإمبراطورية في جهتها الشرقية الأمر الذي تطلب منها في كثير من الأحيان نقل قواتها الموجودة في جبهتي الراين والدانوب وتوجيهها نحو الشرق[1].

ذلك الضعف والانحلال البطيء أدى بطبيعة الحال إلى تيقظ القبائل الجرمانية وزيادة أطماعها في أراضي الإمبراطورية، فغيرت سياستها السلمية وأخذت تنتشر على طول خطوط ومواقع حدود الإمبراطورية، ولم يكن ذلك بسبب ظهور جماعات جديدة من القبائل الجرمانية بل يرجع إلى النتائج المباشرة للسياسة القديمة التي سار عليها الأباطرة منذ وقت مبكر، وهي سياسة تجنيد الجرمان والمتبربرين في الجيش الروماني التي زادت بدرجة ملحوظة في القرن الثاني[2]، ووصلت مداها في القرن الثالث الميلادي وبذلك أصبحت الحدود أشبه ما تكون بقوة مغناطيسية أو بيئة جاذبة اجتذبت إليها الجماعات الجرمانية المحاربة الباحثة عن الثروات المادية من خلال الخدمة في الجيش الروماني [3].

من ناحية أخرى أدى سحب القوات المرابطة على حدود الراين والدانوب للمشاركة في أحداث الحروب الأهلية أو لدفع خطر الساسانيين في الشرق إيجاد ثغرات في حدود الإمبراطورية تمكنت الجماعات الجرمانية من خلالها النفاذ إلى داخل أراضيها وبعد أن كان انتشار تلك الجماعات لا يتجاوز في القرن الثالث الميلادي نهر الراين وحدود البلطيق أصبحت في القرن الرابع الميلادي تمتد على طول الحدود الرومانية الشمالية من مصب نهر الراين غرباً حتى البحر

1- الحويري، رؤية، ص159.

2- أصبح هذا السلوك الذي بدأ مع الإمبراطور ماركوس اوريليوس منهجاً متبعاً في السنوات التي تلت موت الإمبراطور الاسكندر سفيروس إذ حصل الآلاف من الحلفاء الجرمان على أراضي مقابل الخدمة العسكرية ودفع إيجارا عينياً (دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص688).

3- الحويري، رؤية، ص105.

الأسود شرقاً[1]، يضاف إلى هذا وذاك إن الحكومة الرومانية عمدت ومنذ القرن الثالث الميلادي إلى إسكان الأسرى من الجرمان في مختلف الأقاليم وزادت على ذلك في القرن الرابع الميلادي إذ أسكنت أعداداً هائلةً من هؤلاء في الجهات التي خربتها الحروب لاسيّما جهات البلقان الشمالية وإقليم الغال، وجعلت منهم مستعمرين مزارعين ومقاتلين، بحيث وجد الغزاة الجرمان مناطق الأطراف الرومانية مأهولة بشعوب من جنسهم، ألفوا الحضارة الرومانية واصطبغوا إلى درجة ما بصبغة رومانية ظاهرة[2].

ومن أوائل القبائل الجرمانية التي كان لها دوراً حافلاً في علاقته مع الإمبراطورية الرومانية ولعبت دوراً كبيراً في تمزيق أراضيها ومن ثم تقويض نظام الحكم في إيطاليا وفي سائر المناطق الغربية: -

أ- الهون

من أقدم القبائل المغولية التي سكنت آسيا الوسطى وعرفوا منها باسم هيونج - نو(Hiung - nu)[3] ويذكر إنهم في القرن الثالث قبل الميلاد كانوا يحتلون منطقة منغوليا وقسماً كبيراً من الصين الشمالية[4] (إقليم كان - سو(Kan - Sou)[5]، وإنهم بدءوا بالتوسع والانتشار في القرن الثاني قبل الميلاد وتمكنوا من فرض نفوذهم

1- الحويري، رؤية، ص105.

2- دوسن، تكوين أوربا، ص 103.

3- ولز، معالم، ج2، ص623؛ ايمار، اندريه و اوبوايّه، جانين، تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، ترجمة: يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، إشراف: موريس كروزيه، (بيروت: منشورات عويدات، 1964م)، ص55.

4- ولز، المصدر نفسه، ج2، ص523.

5- كان - سو: إقليم في شمال غرب الصين على حدود منغوليا عاصمته لان تشو، وهي منطقة جبلية وهضاب صحراوية يجتازها سور الصين الكبير وطرق قوافل الحرير القديمة التي تربط أواسط الصين بواحات تركستان (معلوف، المنجد، ص456).

على الشعوب الآسيوية من تخوم كوريا إلى الحدود الغربية لتركستان الصينية، وقادتهم حملاتهم إلى سور الصين العظيم إلا إن إمبراطور الصين يو - تي (Wu - Ti)[1] صد هجماتهم واضطرهم إلى الفرار سنة 128ق.م، وما إن حل القرن الأول الميلادي حتى استقرت أقوام منهم بين بحر قزوين وجبال اورال [2].

وصف الهون بأنهم قوم شديدو البأس، يقضي رجالهم حياتهم على ظهور الخيل في أرض السهوب الآسيوية، رحلٌ لا يعرفون للاستقرار معنى[3]، وهم مكتنزو الأجسام كبار الرؤوس، قمحيو اللون، عيونهم مشقوقة، وأفواههم كبيرة وشعرهم أسود خشن، يخفون تحت شكلهم الآدمي فظاعة الحيوان المتوحش [4].

ونظراً لما اشتهروا به من السرعة الفائقة نسبت إليهم قدرات سحرية وبولغ في أعداد أفرادهم مبالغة تزيد عن الحد[5]، ونظر إليهم الرومان والجرمان نظرة رعب وفزع ووصفوهم بأنهم شياطين خفية لا يقاتلون من على ظهور خيولهم فقط بل إنهم يقضون حياتهم على ظهورها أيضاً، مما أدى إلى انحراف أقدامهم إلى الخارج وتقوس سيقانهم ونحفها، ووصل الأمر بهم إنهم لا يترجلون عن خيولهم لتناول الطعام بل يحتفظون بطعامهم المكون من اللحم تحت سروج خيولهم حتى لا يضيعون وقتاً خلال تقدمهم[6] وإليهم يعزى اكتشاف حدوة

1- لم نتمكن من تحديد سنوات حكمه، إلا إن المؤرخ (ولز) يذكر انه من أسرة هان الأولى التي تولت حكم البلاد خلال السنوات (140 - 76ق.م) (معالم، ج2، ص526).

2- حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23.

3- ولز، معالم، ج2، ص526؛ موس، ميلاد، ص93 - 94.

4- Stephenson, Op.Cit, p.59;

موس، المصدر نفسه، ص94

5- إن الجزء الأكبر من مقاتلي الهون كان يتكون من أفراد القبائل المهزومة ومنهم الجيبيداي والالان والقوط والصقالبة وغيرهم (موس، ميلاد، ص95).

6- Contor, Op.Cit, p.9;

حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23

الخيل وسروجها[1]، ومما يذكر عنهم أيضاً إنهم قوم هدامون يفخرون بأنهم يجعلون البلاد خراباً بعد مرورهم بها[2].

بدأ ظهور الهون على مسرح الأحداث السياسية في منتصف القرن الرابع الميلادي عندما دفعتها من الوراء تحركات غامضة قامت بها قبائل الاورال - التائية في وسط آسيا، ربما بسبب زيادة أعدادها زيادة كبيرة أو نتيجة لقيام حروب مع بعضها البعض أو بسبب تغيرات مناخية أثرت على حياة الهون الرعوية فاضطرتهم إلى التحرك غرباً إلى سهول روسيا الجنوبية (شمال البحر الأسود)[3]، وبعد سنة 355م وصلوا نهر الفولغا[4]، وفي سنة 370م أو 372م هاجموا بقيادة ملكهم (الخان بالامبير) (Balamber) جنوب روسيا وحطموا في طريقهم قبيلة الالان الأسيوية[5]، وأرغمت أفرادها على الانضمام إليها[6] وواصلوا تقدمهم سنة 375م باتجاه مملكة القوط الشرقيين[7]، ولما عجز ملكهم ارمانريك (Ermannric) (350 - 375م) عن صدهم انتحر سنة 375م

1- تتضح أهمية ذلك إذا ما علمنا إن الحدوة سهلت على الخيل السير مسافات طويلة دون تعب والسروج مكنت المقاتلين من خوض المعارك وهم على ظهور خيولهم هذا في الوقت الذي لم يكن لدى الجرمان آنذاك سوى دراية قليلة بالفروسية جعلتهم لا يستطيعون الصمود أمام قوات الهون (الحويري، رؤية، ص111)؛ ويذكر (ولز) إن تاريخ معرفة الشعوب الهونية لركوب الخيل يعود إلى 1200 - 1000ق.م (معالم، ج2، ص529).

2- حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23.

3- Hoyt, Robert&Chodorow, Stanley., Europe in the Middle Ages, (U.S.A, 1975), p.61.

4- موس، ميلاد، ص76.

5- مساكنهم في ذلك الوقت كانت تمتد من جبال القوقاز وفي قلب آسيا حتى بحيرة ارال؛ وبقاياهم يسميهم العرب اللان وسط جبال القوقاز ويعرفون باسم الاوستيس (Ossetes) وهو عنصر أشقر ذو قامة طويلة (طرخان، دولة القوط، ص47 هامش (1))

6- ولز، معالم، ج2، ص532؛ اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص28؛ موس، ميلاد، ص95؛
Lenski, N., failure of Empire:Valens and the Roman senate in the Fourth Century A.D, (Los Angeles, London, 2002), p.p.320 - 321.

7- تقع بين نهر الدنيستر شرقاً ونهر الدون غرباً (أي منطقة اوكرانيا في الوقت الحاضر) (ولز، المصدر نفسه، ج2، ص527).

فأصبح قومه تابعين إلى الهون إلا بقية قليلة منهم شقوا طريقهم غرباً إلى الدانوب وانضموا إلى القوط الغربيين[1].

ومما ينبغي تأكيده إن الهون كانوا قبل سنة 375م قبائل عدة ينقصها التنظيم والوحدة فقد كانوا على نحو ما يقول (حاطوم) " يؤلفون عصابات ويأتمرون بأمر زعمائهم "[2]، والراجح إنهم وبعد أن أرغموا أفراد القبائل التي هزموها على الانضمام إليهم عملوا على تنظيم أنفسهم، فيقول الكاتب نفسه دون أن يشير إلى تاريخ ذلك " إنّ أحد زعمائهم ويسمى روجيلا (Rugile) تمكن من تحقيق وحدة الهون - ولا يعلم كيف كان ذلك - ، ويوجد دولة ابتدائية في بانونيا "[3]، وهذا يعني إن زحفهم توقف في عهد روجيلا وبدءوا يكونون لهم دولة مركزها منطقة بانونيا، ومنها بدءوا هجماتهم تارة ضد القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، وتارة أخرى ضد القبائل الجرمانية التي اضطرت إلى عبور حدود الإمبراطورية الرومانية بحثاً عن الطعام [4].

لم يكن لروجيلا عند وفاته سنة 433م وريثاً منه، لذلك ورثه ابنا أخيه المسمى موندزوك (Mundzuk) وهما بليدا (Plieda) واتيلا (Attila)[5]، وقد فاقت شهرة اتيلا (433 - 453م) شهرة عمه وشقيقه، ففي عهده بلغ الهون أوج قوتهم إذ تمكن من أن يفرض نفوذه وسطوته على كل من القوط الشرقيين والصقالبة المقيمين في جنوب روسيا وسائر القبائل الجرمانية النازلة على ضفاف الدانوب وأتخذ من هنغاريا (المجر) مركزاً لقيادته وأخذ من هذا الموقع المتوسط من أن يهدد شطري الإمبراطورية الشرقي والغربي، وبلغ به الأمر سنة 440م إلى مطالبة

1- اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص28؛ دوسن، تكوين اوربا، ص107؛ موس، ميلاد، ص 98 - 99.
2- تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23.
3- المصدر نفسه، ج1، ص23.
4- حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص29.
5- حاطوم، المصدر نفسه، ج1، ص23؛ غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص9.

الإمبراطورية الشرقية بإعادة اللاجئين إليها، وأرغمها صاغرة على دفع ضريبة سنوية له[1].

غير إن صفوة العلاقات ما لبث أن تكدر وساءت بينهما فهاجم اتيلا سنة 444م الأراضي التابعة للقسم الشرقي من الإمبراطورية على ضفاف نهر الدانوب وتوغل في داخل بلاد البلقان حتى وصلت قواته إلى القسطنطينية وفرضت على الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 447م صلحاً أجبرته فيه على منحها إلى جانب الضريبة السنوية أقطاعاً واسعة من الأراضي الواقعة على الجانب الأيمن لنهر الدانوب بحيث يكون الحد الفاصل بين الطرفين مدينة نيسوس (Naissus) الواقعة على مسافة بعيدة جنوب الدانوب [2].

وعلى الرغم من إن الموقف تحرج بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 450م وأصبحت الحرب وشيكة بين الطرفين إذ امتنع الإمبراطور ماركيانوس (450 - 457م) الذي تولى الحكم بعد ثيودوسيوس الثاني الاستمرار في دفع الضريبة، إلا إن توجه اتيلا إلى القسم الغربي[3] أنقذ القسم الشرقي من الإمبراطورية وجعله ينعم بالسلام [4].

1- Jones, The Decline, p.80; Koenigsberger, H.C, and Briggs, Asa., A History of Europe " Medieval Europe 400 - 1500", (Longman, New York, 1989), p.28;
موس، ميلاد، ص95 - 96.

2- موس، المصدر نفسه، ص96؛ غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص10.

3- كان سبب ذلك التوجه بحسب ما ذكرته المصادر إن اتيلا رغب في الزواج من هونريا (Honoria) شقيقة الإمبراطور فالينتينيان الثالث بعد أن أرسلت إليه تطلب وده وكانت تريد بذلك أن تثار لنفسها لأنها منعت من الزواج لأسباب سياسية، وقد اشترط اتيلا لإتمام هذا الزواج أن يعطيها شقيقها الإمبراطور فالينتينيان الثالث نصف القسم الغربي من الإمبراطورية نصيباً لها في تركة والدها، وما إن رفض الإمبراطور ذلك الطلب حتى صمم اتيلا على أمتلاك القسم الغربي بالقوة (غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص11؛ Bury, History of the Later Roman, Vol.1, p.290).

4- Ibid, Vol.1, p.297; Fisher, History of Europe, p.118;
موس، ميلاد، ص96؛ توفيق، عمر كمال، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (مصر: دار المعارف، 1967م)، ص37.

ففي سنة 451م أتجه اتيلا نحو بلاد الغال ونهب معظم مدنها حتى أقترب من مدينة اورليان (Orlean) جنوباً [1] عندئذ تحالفت ضده الجيوش الرومانية الغربية يقودها ايتيوس (Aetius) مع قبائل القوط الغربيين بقيادة ثيودريك الأول (Theodric l) (429 – 451م) وانزلوا به الهزيمة بالقرب من مدينة شالون (Chalon)[2] سنة 451م وأجبرته على الارتداد شمالاً وقد عرفت هذه الواقعة باسم واقعة الحقول الكاتولونية[3] (Catalounian) [4].

ويبدو إن تلك الهزيمة لم تضعف من عزيمة اتيلا ففي السنة التالية أي سنة 452م توجه نحو إيطاليا فهاجم مدنها الشمالية وأستعد للزحف على روما، إلاّ إن اقتراب جيش القائد الروماني ايتوس لإنقاذ المدينة وتفشي المرض بين صفوف جيشه جعله يوافق على عقد السلام الذي عرضه عليه البابا ليو الأول (440 – 461م) أسقف روما الذي وعده بالزواج من الأميرة هونوريا [5]، وبعد هذه الأحداث بمدة قليلة توفي اتيلا سنة 453م وبموته انهارت إمبراطوريته واندمج سكانها مع السكان المحيطين بهم [6]، وبذلك انتهى خطرهم على الإمبراطورية بشقيها على حد سواء.

1- اورليان: من مدن فرنسا على نهر اللوار. (معلوف، المنجد، ص 83).

2- شالون: مدينة في شمال فرنسا على نهر السين الأعلى (المصدر نفسه، ص327).

3- سميت بذلك لأن تلك الحقول تحيط بمدينة شالون وتمد إلى مسافة 150 ميل في طولها أي ما يعادل 300كم و100 ميل في عرضها أي ما يعادل 200كم وتغطي كل أنحاء الإقليم المسمى شمبانيا (Champane) في شمال شرق فرنسا (جيبون، اضمحلال، ج2، ص 274).

4- Koenigsberger, and Briggs, Op.Cit, p.28; Botsford, Op.Cit, p.307; Stephenson, Op.Cit, p.66; Lot, The End of the Ancient World, p.p.209 - 215;

عمر، تاريخ الدولة البيزنطية، ص58؛ وتحدد قسم من المصادر موقع هذه المعركة في مدينة ترويس (Troyes) في سهل موریاك (Mauriac) (موس، ميلاد، ص96؛ ولز، معالم،ج2،ص537؛

Bury, History of the Later Roman, Vol.1, p.293; Fisher, History of Europe, p.119).

5- للتفصيل انظر: جيبون، اضمحلال، ج2، ص281 – 289.

6- Koenigsberger, and Briggs, Op.Cit, p.28;

ولز، معالم، ج2، ص538

ب- القوط Goths

كانت هجمات القوط بقسميها الشرقي والغربي من أكثر هجمات القبائل الجرمانية خطراً على الإمبراطورية، وتشير المصادر إلى أنهم عبروا كأقرانهم بحر البلطيق من جنوب شبه جزيرة اسكندناوة في القرن الرابع قبل الميلاد واستقروا عند مصبات نهري الاودر[1] والفستولا [2]، ونحو النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي تحركوا صوب الجنوب الشرقي حركة دفعتهم إلى أعلى الفستولا حتى استقروا في حوض نهر الدنيستر الأدنى[3] والساحل الشمالي للبحر الأسود[4]، وفي مطلع القرن الثالث الميلادي انقسموا إلى فرعين كبيرين هما القوط الشرقيون (Osrogoths) والقوط الغربيون (Visigoths) والحد الفاصل بين هذين الفرعين هو نهر الدنيستر[5] فالقبائل التي استقرت في شرق ذلك النهر سموا بالقوط الشرقيين بينما أطلق على أولئك الساكنين في جهاته الغربية اسم القوط الغربيين[6]، على إن هذه التسمية لا تعني سوى دلالتها على الوضع الجغرافي لهذين الفرعين فالثابت تاريخياً إنهما ظلا يعملان معاً على الرغم من اعتراف القوط الغربيين بالسيادة العليا لملوك القوط الشرقيين

1- نهر الاودر: نهر في مورافيا وبولونيا طوله 850كم ينبع من مورافيا ويصب في البلطيق، تربطه قنوات ملاحة ناشطة بالفستولا والألب (معلوف، المنجد، ص81).

2- موس، ميلاد، ص 84؛ طرخان، دولة القوط، ص32.

3- نهر الدنيستر: ينبع من جبال كاربات قرب حدود بولونيا ويجري في اوكرانيا ومولدافيا، يصب في البحر الأسود (معلوف، المنجد، ص247).

4- Deanesly, Op.Cit, p.26;

موس، ميلاد، ص84، أي إن منازل تلك الجموع كان في ذلك الوقت فيما سمي بالوقت الحاضر بولندا وأوكرانيا وسواحل البحر الأسود الشمالية الغربية أو بمعنى أخر بين نهري الدانوب والدون (اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص41).

5- Vasiliev, Op.Cit, p.84; Bang, Op.Cit, p.203;

موس، ميلاد، ص84

6- اليوسف، الامبراطوية البيزنطية، ص41؛ موس، المصدر نفسه، ص84؛

Bang, Op.Cit, p.203.

إلا إنهم كانوا من الناحية العملية مستقلين ولهم حكامهم، فكانوا ينقسمون إلى قبائل على رأس كل قبيلة حاكم أو قاضي وليست لهم رئاسة موحدة [1].

أما عن علاقتهم بالإمبراطورية الرومانية فتعود إلى القرن الثالث الميلادي على عهد الإمبراطور كاراكلا (212 – 219م) فهاجموا إقليم داكيا على نهر الدانوب وظلوا نحو خمسين سنة يعيثون فساداً في بلاد البلقان حتى هزمهم الإمبراطور كلوديوس الثاني (268 – 270م) في مدينة نيسوس سنة 269م [2].

ويبدو إن ذلك لم يحد من هجماتهم على حدود الإمبراطورية حتى عقد معهم الإمبراطور اورليان (270 – 275م) معاهدة منحوا بمقتضاها إقليم داكيا [3]، ومنذ ذلك الوقت صار جنوب الدانوب الحد الشمالي للإمبراطورية كما كان الوضع في أيام الإمبراطورية الأولى [4] عندئذ أعرضوا عن أعمال السلب والنهب إلى الزحف البطيء والتسلل السلمي إلى أراضي الإمبراطورية التي فتحت أبوابها لاستقبال هؤلاء المعاهدين أو الأحلاف فحاولت الإفادة منهم، فأسكنتهم في الجهات التي خربتها الحروب لاسيّما جهات البلقان الشمالية وغالة، وجعلت منهم مستعمرين مزارعين وجنوداً محاربين في بعض فرقها العسكرية [5]، كما عينت عدداً منهم في مناصب مهمة في الدولة، بل إن بعض ضباط الجيش

1- طرخان، دولة القوط، ص39 – 41.

2- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص80. ويذكر إن القوط خسروا في تلك المعركة قرابة خمسون ألف قوطي، فضلاً عن ألف عديدة أخرى وقعت في ذل الاسترقاق، أما ما تبقى منهم فقد أرتد إلى شمال الدانوب وقد ذاع صيت الإمبراطور كلوديوس الثاني حتى لقب بـ (القوطي) (Ghthicus) أي قاهر القوط (Bang, Op.Cit, p.205).

3- Robinson, Op.Cit, part.11, p.p.397 - 398; Botsford, Op.Cit, p.297.

4- Robinson, Cyril., A History of Europe:Ancient& Medieval, (U.S.A, 1920), p.398; Taylor., The Medieval Mind, (London, 1936), Vol.l, p.112.

5- دوسن، تكوين أوربا، ص102؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى ج1، ص81.

الروماني تزوجوا من بنات القوط[1] وهذا يعني إن مدة السلام بين الجانبين امتازت بالتمازج والتفاعل الاجتماعي والحضاري، إذ تذكر المصادر إن القوطيين تأثروا بالمسيحية فاعتنقوها على المذهب الآريوسي على يد مبشر منهم اسمه ولفيلاس أو اولفيلاس (Ulfilas) (311 – 381م) قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة القوطية [2].

على إن التسلل السلمي لتلك القبائل غير طابعه سنة 376م إلى الاستقرار والإقامة الرسمية داخل أراضي الإمبراطورية، ففي تلك السنة وبعد أن اشتد ضغط الهون على إقليم داكيا أرسل القوط الغربيون يستغيثون إلى الإمبراطور فالنز إمبراطور القسم الشرقي ليسمح لها بعبور الدانوب والاحتماء في داخل أراضيه[3]، فاستجاب الإمبراطور لاستغاثتهم لاعتبارات عدة منها: الإفادة منهم في الدفاع عن الإمبراطورية ضد خطر الهون، وربما دعماً لسياسته الآريوسية في المجالات الدينية، وتعمير وزراعة الأراضي الخربة في بلاد البلقان [4]، فسمح لهم سنة 376م بالنزول في جنوب نهر الدانوب في مدينة مؤيسيا السفلى [5].

ولم يكد يستقر المقام بهؤلاء المعاهدين حتى بدءوا يتذمرون من سوء معاملة الموظفين الرومان، ولما ضاقوا ذرعاً بذلك ثاروا على الإمبراطور فالنز واصطدموا

1- طرخان، دولة القوط، ص38.

2- Botsford, Op.Cit, p.207; Fisher, History of Europe, p.108;
موس، ميلاد، ص84، 131؛ اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص27؛ غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص7، ويذكر (دوسن) إن الآريوسية صارت عن طريق القوط الغربيين المذهب القومي لجميع الشعوب الجرمانية الشرقية (تكوين أوربا، ص105).

3- Marcellinus, Ammianus., Roman History, (London, 1862), Translated by: C.D.Yonge, Book.XXX1, Ch.1V, 1.

4- Jones, The Later Roman, Vol.1, p.152;
اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص42

5- Pirenne, Op.Cit, p.p.26 - 27; Botsford, Op.Cit, p.298.

بجيشه الذي كان يقـوده بنفسه في معركة ادريانوبل (Adrianople) (ادرنة) [1] في 9 أب سنة 378م أسفرت عـن انتصار القوطييـن ومقتل الإمبراطور فالنز [2].

وترتب على ذلك الانتصار نتائج خطيرة على الإمبراطورية الرومانية، إذ إنه شجع قبائل جرمانية أخرى على شق طريقها بالقوة في جهاتها، كما انه فتت معنوياتها وأضعف قدرتها العسكرية، فلم يعد بمقدورها إعداد جيش قوي قادر على ردهم بقوة السلاح[3]، لذا عمل الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (379 – 395م) على اتقاء شرهم سلمياً فعقد معهم معاهدة سنة 382م سمح بمقتضاها للقوط الشرقيين بالإقامة في بانونيا والقوط الغربيين بالإقامة في شمال تراقيا[4]، ومقابل تعهدهم بالخدمة العسكرية إلى جانب جيش الإمبراطور منحهم أشبه ما يسمى في الوقت الحاضر بـ(استقلال ذاتي)[5]، إذ سمح لهم بأن يحكموا أنفسهم وفق قوانينهم الخاصة، وأن يكون لهم جيش قائم بذاته منفصل عن الجيش الروماني، له قيادته الوطنية تحت اسم معاهدين (Foederati) أو حلفاء (Socii)، فضلاً عن ذلك أغدق عليهم الرواتب العالية

---

1 – ادرنة: في بلغاريا في الوقت الحاضر.

2- Pennell, Op.Cit, p.204; Ostrogorsky, Op.Cit, p.52; Wolfram, H., History of the Goths, (London, 1988), p.59; Baynes, Norman.H., the Dynasty Valentinian and Theodosius, in Cambridge Medieval History, (Cambridge, 1975), Vol.1, p.231;

3 – وللتفصيل انظر: اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص30 – 33؛ موس، ميلاد، ص85؛

Jones, The Later Roman, Vol.l, p.p.153 - 154.

Ostrogorsky, Op.Cit, p.52

ويعلق الدكتور (إبراهيم طرخان) على تلك النتائج بقوله " لو كان القوط يجيدون فن استغلال الفتوح والنصر لاستطاعوا بهذه الواقعة أن يطووا صفحة الإمبراطورية الشرقية قبل أختها الغربية غير إنهم فشلوا في الإفادة من هذا النصر الساحق " (دولة القوط، ص58).

4 – أي في منطقة بلغاريا.

5 – هادريل، أوربا، ص 15؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص85؛

Ostrogorsky, Op.Cit, p.52; Wolfrom, Op.Cit, p.p.133 - 134; Heather, P.j., Goths and Romans 332 - 489, (Oxford, 1991), p.p.183 - 184.

وعين بعض أبنائهم في المناصب المهمة في الدولة [1]، غير إن النفوذ السياسي والعسكري للقوطيين زاد قوة داخل الإمبراطورية وأصبح خطراً يهدد قسميها الشرقي والغربي على أثر وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول سنة395م [2]، الذي قسم الإمبراطورية بين ولديه الضعيفين اركاديوس (395 – 408م) إمبراطور القسم الشرقي وهو في الثامنة عشر من عمره وهونوريوس (395 – 423م) إمبراطور القسم الغربي وهو في الحادية عشر من عمره [3]، فتسلط على الأول وزيره القوطي روفينوس (Rufinis)، وتسلط على الثاني قائد الجيوش الرومانية الغربية الوندالي الأصل ستليكو (Stilicho) وكليهما كانا يطمحان في تولي قسمي الإمبراطورية بصورة فعلية[4]، ولم يكن الاريك (Alaric) (395 – 410م) الذي أختاره القوط في ذلك الوقت ملكاً عليهم أقل طموحاً منهما [5]، ولذلك أعلن تبرمه من الاتفاقية التي عقدها قومه مع الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ومتخذاً من الإجراءات التي أتخذها مستشارو إمبراطور القسم الشرقي اركاديوس في إنقاص رواتب الجند، وقطع المنح والصلات التي كانت تمنح لهم من الإمبراطورية الشرقية ذريعة لذلك[6].

1- Lot, Les invasions, p.81;

طرخان، دولة القوط، ص61

2- اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص43؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص85؛

Cote, Op.Cit, p.p.71 - 72.

3- Pirenn, OP.Cit, p.27;

جيبون، اضمحلال، ج2، ص167

4- اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص37 – 38؛ العدوي، إبراهيم، المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، (القاهرة:1961م)، ص62 – 63؛

Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p107; Botsford, Op.Cit, p.p.298 - 299.

5- موس، ميلاد، ص85.

6- اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص38؛

Deanesly, Op.Cit, p.27.

فهاجم سنة 395م مقدونيا وتراقيا واقترب من أسوار القسطنطينية[1]، ولم يتمكن من إنقاذها من خطرهم غير ستليكو قائد جيوش الإمبراطورية الغربية الذي استدعي لمساعدة شقيق سيده فحاصر القوط سنة 396م في موقع جبلي في اركاديا[2] (Arcadia) وأجبرهم على التراجع إلى شمال الليريا [3]، إلا إن اركاديوس إمبراطور القسم الشرقي لم يأمن خطرهم حتى منحهم إقليم الليريا سنة 397م [4]، وظل الاريك بعد ذلك المنح أربع سنوات هادئاً مستغلاً ذلك الهدوء في إعداد وتقوية جيشه، وبعد أن رأى إن ذلك الإقليم لم يعد يصلح كمستقر دائم للقوط لما أصابه من تخريب وتدمير وجه أنظاره صوب القسم الغربي من الإمبراطورية مستغلاً انشغال القائد ستليكو في حروبه في بلاد الغال، فهاجم إيطاليا سنة 401م وظل يعيث خراباً ونهباً في مدنها الشمالية حتى سنة 402م حيث تمكن ستليكو من رده على أعقابه بعد أن أنهى حروبه في بلاد الغال [5].

1- كانت حكومة الإمبراطورية الشرقية في ذلك الوقت في حالة من التبلد والجمود فلم تتمكن من دفع ذلك الخطر (رستم، الروم، ج1، ص109؛

Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.110; Cote, Op.Cit, p.78).

2- اركاديا: من مدن اليونان وسط شبه جزيرة البيلوبونيز (معلوف، المنجد، ص38).

3- كان هذا الإقليم تابعاً للقسم الغربي من الإمبراطورية إلا إن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول حينما قسم الإمبراطورية بين ولديه قبيل وفاته أضافه إلى القسم الشرقي، فأراد القائد ستليكو بدافع المطامع الشخصية إعادته إلى الوضع السابق، إلاّ أن حقد الإمبراطور اركاديوس ورغبته في تحويل مطامع الاريك نحو الغرب جعله يفضل وقوع تلك الولاية بيد الاريك على أن تعود إلى يد منافسه الغربي.

Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.111; Cote, Op.Cit, p.78

وللتفصيل انظر: طرخان، دولة القوط، ص 65 - 68.

4- Koenigsberger, and Briggs, Op.Cit, p.25;

اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص38

5- ويحدد (عاشور) تاريخ المنح بسنة 398م (اوربا العصور الوسطى، ج1، ص86) ويؤيده في ذلك غنيم (تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص8).

Botsford, Op.Cit, p.299; Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.111.

وعلى الرغم من إن إيطاليا نجت من غزوة الاريك إلا إنها ما لبثت أن تعرضت سنة 405م إلى غزوة جديدة من جانب القوط الشرقيين وأحلافهم من الوندال[1] (Vandals) والسويفي والبرجنديين[2] (Burgundi) والالان بقيادة راداجايسوس القوطي (Radagaisus) الوثني وقد أحدث هذا الغزو بإيطاليا من التخريب والتدمير والنهب والقتل أكثر ما أحدثه الاريك إلا إن ستليكو تمكن سنة 406م من إنزال الهزيمة بهذه الجموع وقتل قائدهم راداجايسوس وبذلك نجت إيطاليا مرة أخرى من غزوة القبائل الجرمانية[3] على إن ستليكو أضطر في سبيل ذلك أن يترك جبهة الراين خالية من جنودها، مما أتاح الفرصة لجماعات من الوندال والالان والسويفي عبور الحدود الرومانية إلى بلاد الغال وذلك في آخر يوم من سنة 406م وبعد ثلاث سنوات من النهب والتدمير في تلك البلاد انتقلوا عنها إلى اسبانيا [4] أما ستليكو فقد كان مصيره إنه وقع فريسة لغدر الإمبراطور هونريوس سنة 408م لاتهامه بالتواطؤ مع القوط الغربيين لأصله الجرماني[5]، فوجد الاريك في مقتله فرصة طيبة للزحف نحو روما واحتلالها في 24 أب سنة 410م [6]. لقد أحدث سقوط روما هزة عنيفة في أركان العالم الروماني إذ فقدت روما سمعتها ومكانتها، وأضحت الإمبراطورية برمتها تحت سيطرة القوط

1- الوندال: سنتطرق إلى الحديث عنهم بالتفصيل لاحقاً.

2- البرجنديين: سنتطرق إلى الحديث عنهم بالتفصيل لاحقاً.

3- طرخان، دولة القوط، ص71؛ موس، ميلاد، ص99؛

Pirenne, Op.Cit, p.28; Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.p.166 - 169; Fisher, History of Europe, p.113.

4- دوسن، تكوين أوربا، ص108؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص86 – 87؛ وللتفصيل انظر:

Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.p.185 - 192.

5- Lot, The End of the Ancient World, p.p.202 - 204

للتفصيل انظر: طرخان، دولة القوط، ص72 – 73.

6- موس، ميلاد، ص86؛ ايمار واخر، تاريخ الحضارات العام، ص553؛

Botsford, Op.Cit, p.300; Koenigsberger, and Briggs, Op.Cit, p.26.

ومشيئتهم ولم يكن هناك أدنى مقاومة يخشون منها[1]، ولم يجد الإمبراطور هونوريوس من وسيلة يتقي بها شرهم ويبعدهم عن روما سوى عقد معاهدة مع اوتولف (Autulf) أواثولف (Athaulf) (410 – 415م) شقيق الاريك وخليفته سنة 412م وافق بمقتضاها على الاعتراف بهم كحلفاء معاهدين ومنحهم منطقة ناربونة[2](Narbonne) ومنطقة تركونة[3](Tarraconna) وقد أصبحت تلك الأجزاء النواة التي قامت عليها دولتهم[4]، فلم تكد سنة413م تقترب من نهايتها حتى أصبح اوتولف سيداً على معظم مدن جنوب الغال متخذاً من ناربونة عاصمة له [5]، بعد ذلك توجه نحو اسبانيا فأنتزعها سنة414م من الوندال ومن القبائل الجرمانية الأخرى التي تقاسمتها سنة408م[6]، غير إنه لم يعش بعد ذلك طويلاً إذ اغتيل سنة 415م [7]، وأختار القوط الغربيون سيجريك (Sigeric) خلفاً له وهذا أيضاً لم يلبث طويلاً في الحكم إذ سرعان ما قتل بعد أسبوع واحد من توليه العرش على يد زعيم اسمه واليا (Wallia) (415 – 419م) [8] الذي تمكن من أن يحصل لشعبه بالطرق الدبلوماسية ما فشل سابقوه من ملوك في الحصول

1- Lot, Les invasions, p.76.

2- ناربونة: أو نربونة، جنوب فرنسا، يسميها العرب اربونة فتحوها وحصنوها في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (معلوف، المنجد، ص568).

3- تركونة: شمال اسبانيا.

4- Pirnne, Op.Cit, p.29;

ومع إنهم منحوا بمقتضى معاهدات مماثلة داكيا والليريا إلا إنهم لم يحتفظوا بها كتلك التي حصلوا عليها بموجب المعاهدة أعلاه فقد ظلت بايدهم حتى زوال دولتهم على يد العرب المسلمين سنة 711م (طرخان، دولة القوط، ص83؛ رفعت، محمد وحسونة، محمد احمد، معالم العصور الوسطى، (د.م: 1924م) ص16).

5- (3)Deanesly, Op.Cit, p.28;

طرخان، المصدر نفسه، ص84

6- ويقال انه أول ملك قوطي دخلها. موس، ميلاد، ص88؛

Boak, and Sinnigen, Op.Cit, p.p.378 - 379.

7- Deanesly, Op.Cit, p.28.

8- طرخان، دولة القوط، ص88؛ الحويري، رؤية، ص129.

عليه في الحرب إذ عقد اتفاقية سلام مع الرومان سنة 418م حصل بمقتضاها على إقليم اكويتانيا [1] (Aquitania) وقد عرفت تلك المنطقة بالمملكة التولوزية بعد أن أتخذ من تولوز عاصمة لمملكته التي تمتعت بالاستقلال الذاتي في ظل الإمبراطورية[2]، كما وافقت الإمبراطورية على مدهم بالقمح مقابل قبولهم بأن يكونوا معاهدين للإمبراطورية وأن يأخذوا على عاتقهم تطهير اسبانيا من جموع الوندال والالان والسويفي [3].

بعد وفاة واليا سنة 419م خلفه ثيودريك الأول (Theoderic l) (419 – 451م) وفي عهده ظهر خطر الهون بزعامة اتيلا وعندما وصل الأخير منطقة اورليان كان يأمل أن يقف القوط الغربيون في صفه ضد القوات الرومانية إلاّ إن زعيمهم ثيودريك الأول فظل الانضمام إلى القوات الرومانية فرجحت كفة الرومان في المعركة التي دارت رحاها بالقرب من شالون سنة 451م وأبلى القوط الغربيون فيها بلاءاً حسناً حتى إن ملكهم ثيودريك الأول قتل فيها [4].

وبلغت مملكة القوط الغربيين ذروتها من النفوذ والقوة على عهد ايورك (Euric) (466 – 484م) حيث صارت حدود مملكته في عهده تمتد لاسيّما بعد سقوط روما سنة 476م من مضيق جبل طارق جنوباً إلى نهر اللوار بفرنسا شمالاً ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى جبال الألب شرقاً ومركز هذه المملكة مدينة تولوز [5]، وظلت كذلك حتى الفتح العربي الإسلامي سنة 711م [6].

1- اقليم اكويتانيا: ويشمل كل فرنسا الحالية جنوب نهر اللوار، ومن أشهر مدنها بواتييه وبورد وتولوز (طرخان، المصدر نفسه، ص89 – 90).

2- Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.204; Deanesly, Op.Cit, p.p.28 - 29.

3- Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.454; Deanesly, Op.Cit, p.29.

4- انظر ص310 من هذه الأطروحة.

5- Thompson, Op, Cit, Vol.l, p.94;

طرخان، دولة القوط، ص96 – 97

6- هارتمان وباراكلاف، الدولة والإمبراطورية، ص17؛ رفعت وحسونة، معالم العصور الوسطى، ص16.

ج- الوندال (Vandals).

من القبائل الجرمانية الشرقية التي كانت تسكن جهات بحر أزوف [1]، اندفعت نحو أوربا الوسطى تحت ضغط الهون، وشقت طريقها مع قبائل الالان والسويفي عبر الغال إلى اسبانيا سنة 408م حيث طبع اسمهم على كل شبه جزيرة ايبريا [2] وعندما وجدت الإمبراطورية الرومانية نفسها عاجزة عن إيقاف تقدمهم عقدت معهم سنة 410م معاهدة تسوية صار زعمائهم بموجبها حلفاء فأستقر السويفي في الجزء الشمالي الغربي من اسبانيا أي منطقة جليقية أو غاليسيا (Gallaecia)، وأستقر الالان في شمال شرق اسبانيا أي في لوزيتانيا (Lusitania) والبرتغال، في حين استقر الوندال في الجنوب الشرقي من اسبانيا أي في بايتيكا (Baetica) (الأندلس) [3]، وعلى الرغم من إن الإمبراطورية الرومانية وافقت على عقد تلك التسوية إلا إنها لم تتقبل فكرة التخلي عن اسبانيا نهائياً، ولذلك عمدت إلى سياستها القديمة في التعامل مع أعدائها وهي سياسة(فرق تسد) التي أرادت من خلالها إضعاف كلا القوتين الوندال والقوط الغربيين ولذلك عهدت سنة 418م إلى واليا ملك القوط الغربيين إضعاف الوندال وبقية القبائل الجرمانية في اسبانيا، وأدى واليا مهمته بنجاح حيث ضعف شأن الالان الذين أضطر بقاياهم إلى الاندماج مع الوندال [4].

1- بحر ازوف: خليج يتفرع من البحر الأسود ويمتد جنوبي روسيا بين اوكرانيا وشبه جزيرة القرم وسهل كوبان (معلوف، المنجد، ص42).

2- Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.380;

موس، ميلاد، ص91

3- Manitius, M., "The Teutonic Migrations 378 - 421", In Cambridge Medieval History, (Cambrige, 1975), Vol.l, p.275; Schmidt, Luewig, The Visigoths in Caul 412 - 507, In Cambridge Medieval History, (Cambrige, 1975), Vol.l, p.304;

موس، المصدر نفسه، ص91

4- Barker, Ernest., Italy and the West 410 - 476, In Cambridge Medieval History, (Cambrige, 1975), Vol.l, p.404.

أما الوندال فقد ظلوا يقاومون القوط الغربيين في أسبانيا طوال أربع عشر سنة أضطروا بعدها إلى عبور البحر إلى شمال أفريقيا سنة 429م تحت زعامة ملكهم جزريك(Gaiseric) [1] (428 – 477م) ومما ساعد جزريك في مهمته تلك عدم قدرة الجيوش الرومانية على صده إذ صادف أن تولى عرش القسم الغربي الإمبراطور القاصر فالينتينيان الثالث (Valentinian lll)، كما إن ولاية شمال أفريقيا نفسها كانت تعيش حالة من الحروب الأهلية بين سكانها من البربر[2] وهكذا تهاوت على يديه مدن تلك الولاية الواحدة بعد الأخرى ماعدا قرطاجنة[3] (Carthage) التي حالت أسوارها المنيعة دون الاستيلاء عليها حتى سنة 439م وقد احدث سقوط تلك المدينة التي تعد أهم مدينة في الغرب بعد روما [4] دوياً هائلًا في الإمبراطورية إذ فقدت الإمبراطورية بضياعها مصدراً رئيسياً كان يمولها بالغلال والحبوب[5] ليس هذا فحسب بل إن جميع موانئها وتجارتها في غرب البحر المتوسط أصبحت تحت رحمة أساطيل الوندال البحرية القوية[6] التي مكنتهم بعد مدة قليلة من الاستيلاء على جزيرتي صقلية وسردينيا اللتين كانت تعدان آنذاك المصدر الرئيس لمؤونة الرومان[7] الأمر الذي اجبر الإمبراطور فالينتينيان الثالث على عقد معاهدة سلام مع ملكهم جزريك سنة 442م

1- Botsford, Op.Cit, p.303; Hadrill, Wallace, J.M., The Barbarian West, (London, 1952), p.p.38 - 39; Fisher, History of Europe, p.117.

2- هادريل، أوربا، ص15؛ هارتمان وباراكلاف، الدولة والإمبراطورية، ص17.
Oman, Gharles., The Dark Ages 476 - 918, Sixth Edition, (London, 1949), p.7.

3- هادريل، أوربا، ص15؛ هارتمان وباراكلاف، المصدر نفسه، ص17.
قرطاجنة: هي مستعمرة فينيقية في اسبانيا اشتق اسمها من قرطاجة الواقعة شمال شرق تونس (باقر، مقدمة، ج2، ص254 هامش (1)).

4- لأنه من يستولي عليها تكون في يديه مفاتيح إيطاليا (موس، ميلاد، ص 92).

5- Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.253; Botsford, Op.Cit, p.p.303 - 304.

6- Lot, The End of the Ancient, p.210;
موس، ميلاد، ص92

7- موس، المصدر نفسه، ص93.

اعترف بموجبها به ملكاً مستقلاً على أفريقيا وهكذا فقدت الإمبراطورية الرومانية ولاية من أهم ولاياتها، ويعد ضياعها أحد العوامل التي أسرعت بالإمبراطورية الغربية إلى التفكك والانهيار[1].

على إن مدة السلام بين الوندال والإمبراطورية الغربية لم يكتب لها البقاء طويلاً فقد استغل جزريك الفوضى والاضطرابات التي عمت الإمبراطورية عقب اغتيال فالينتينيان الثالث سنة 455م فهاجم بأساطيله على إيطاليا في السنة نفسها وتمكن من الاستيلاء على روما نفسها ولم ينسحب منها إلا بعد أن دفع له البابا ليو الأول مبالغ كبيرة من الأموال[2].

د ـ البرجنديون (Burgundi)

من القبائل الجرمانية الشرقية التي حققت مكاسب على حساب الإمبراطورية الرومانية، كان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث الأوربية في منتصف القرن الثالث الميلادي عندما تركوا حوض الراين سنة 277م[3]، وفي القرن الرابع الميلادي استخدمتهم الإمبراطورية الرومانية مع من استخدمتهم من طوائف الجرمان كجنود مرتزقة ومزارعين في الأراضي[4].

وصف البرجنديون بأنهم أكثر القبائل الجرمانية مسالمة إلا إنهم اضطروا تحت ضغط هجمات الهون إلى استخدام العنف في شق طريقهم إلى غالية[5]، وبعد

1- Cary, and Wilson, Op.Cit, p.p.336 - 337; Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.249.

2- Thompson, Op.Cit, Vol.l, p.61; Deanesly, Op.Cit, p.76;
اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص46.

3- Thompson, Op.Cit, Vol.l, p.98;
هادريل، أوربا، ص16

4- هادريل، المصدر نفسه، ص16؛ عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص92.

5- Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.249;
موس، ميلاد، ص88

مشاركتهم للقائد الروماني ايتيوس وانتصارهم على الهون في موقعة شالون سنة 451م اخذوا يتوسعون سلمياً حتى انتشروا سنة 468م في جميع الجهات الواقعة بين جبال الألب والرون[1] إلى أن وصلوا إلى البحر المتوسط وبقوا هناك مستقلين إلى أن أخضعهم الفرنجة سنة 534م [2].

4- سقوط روما 476م

لا يختلف اثنان في إن سنة 395م تعد بداية مرحلة جديدة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية استمرت سنوات طويلة، كانت في روحها وطابعها نذيراً بتداعي الدولة وانهيارها لاسيّما الجزء الغربي منها، ففي تلك السنة قسم الإمبراطور ثيودوسيوس الأول قبيل وفاته الإمبراطورية بين ولديه إلى قسمين منفصلين، قسم شرقي عهد بحكمه إلى ولده الأكبر اركاديوس والقسم الغربي حكمه الابن الأصغر هونوريوس، ومما ينبغي الإشارة إليه إن ذلك التقسيم لا يعني إدخال تطور جديد في الحكم، فقد سبق وإن قسمت الإمبراطورية إلى أربعة أقسام في عهد الإمبراطور دقلديانوس وكان الهدف من ذلك التقسيم الحفاظ على وحدتها وتسهيل حكم أقاليمها المترامية الأطراف مع احتفاظ الإمبراطور بالسلطات العليا في يده[3]، ولكن تقسيم الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ترجع أهميته إلى إن الإمبراطورية حافظت على فكرة الوحدة على الرغم من انقسامها إلى قسمين شرقي وغربي[4]، فمثلا إذا أصدر إمبراطور القسم الشرقي تشريعاً، فأن ذلك التشريع يعمل فيه في منطقة حكم

1- جنوب شرق فرنسا.

2- عمر، تاريخ الدولة البيزنطية، ص58.

3- انظر ص166 من هذه الأطروحة.

4- Vasiliev, Op.Cit, p.92;

العريني، الدولة البيزنطية، ص 43

أخيه إذا ما أعلمه به وطلب إليه نشره والعمل بموجبه وإذا مات احد الإمبراطورين كان من حق الأخر أن يعين خلفاً له لكن هذا كان من الناحية النظرية أما من الناحية العملية فقد كانت الصلات بين جزئي الإمبراطورية ضعيفة وذلك لأن ظروف كل جزء تختلف عن ظروف الجزء الأخر والحوادث فيه تسير باتجاه يمليه واقعه وموقعه الجغرافي[1]، كما انه لم يكن بين الحكومتين الشرقية والغربية من عوامل الود ما يجمع بينهما، فقد تعاقب على وصاية اركاديوس الذي كان يحكم القسم الشرقي أشخاص عديدون من موظفيه المدنيين في حين إن ستيلكو الوندالي حكم باسم هونوريوس في الغرب ما يزيد عن عشر سنوات [2]، إلى درجة إن الإمبراطور أصبح دمية في يده يحركها كيفما يشاء إلا إنه وعلى الرغم من استبداده بالسلطة تمكن بفضل ما كان يمتلكه من مقدرة حربية الحفاظ على سلامة الإمبراطورية الغربية من خطر القوط الغربيين[3]، إلا إن موقفه ذلك زاد من حقد حاشية البلاط عليه خوفاً من أن يفرض سيطرته على الإمبراطور هونوريوس سيطرة تامة، ويبدو إن الغيرة القاتلة لعبت دورها في إيغار صدر الإمبراطور ضده فجعلوا الشكوك تساوره في صحة إخلاصه، مما أدى إلى استياء الإمبراطور من قائده فأمر بإعدامه بتهمة الخيانة سنة 408م [4].

بعد مقتل ستليكو انهالت الضربات على القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية إذ تولى قيادة القوات الرومانية من بعده قسطنطيوس وهو محارب من أصل روماني نبيل، لم يلبث أن علت مكانته وتعاظم نفوذه إذ صار بحكم انتمائه إلى المجتمع الروماني زعيماً للجبهة المناهضة للنفوذ الجرماني في البلاط الروماني، وصار من

1- عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص 44.

2- Vasiliev, Op.Cit, p.92; Ostrogorewski, Op.Cit, p.50

العريني، الدولة البيزنطية، ص 43.

3- Boak and Sinnigen, Op.Cit, p.378.

4- Lot, The End of the Ancient World, p.204;

وللتفصيل عن سبب مقتله انظر: طرخان، دولة القوط، ص70 – 73.

المقربين للإمبراطور وساعده الأيمن، إلا إنه كانت له أحلامه الخاصة بدأ بتحقيقها بأن أرغم الإمبراطور سنة 417م أن يزوجه من أخته الأميرة جالا بلاسيديا أرملة اتولف زعيم القوط الغربيين، وبموجب ذلك الزواج صار قسطنطيوس شريكاً للإمبراطور في الحكم برتبة اوغسطس سنة 421م إلا إنه لم ينعم بذلك المنصب طويلاً إذ سرعان ما توفي في العام نفسه تاركاً ولداً له من بلاسيديا[1]، ثم حدث أن مات الإمبراطور هونوريوس سنة 423م من دون أن يعقب أولاداً[2]، فعهد إمبراطور القسم الشرقي ثيودوسيوس الثاني إلى الطفل فالينتينيان الثالث ابن بلاسيديا الذي تولى عرش القسم الغربي تحت وصاية أمه التي منحت لقب اوغسطا (Augusta) [3].

والواقع إن عوامل الاضمحلال أخذت تنخر وبقوة بنية الإمبراطورية الغربية على عهد فالينتينيان الثالث لاسيّما بعد أن كافأ قائده ايتيوس بقتله سنة 454م [4]، بعد أن تمكن من إنقاذ الإمبراطورية من خطر الهون سنة 451م وكان هو الرجل الوحيد القادر على صد هجمات الوندال التي تعرضت لها روما بعد ذلك، ذلك إن الوندال أصبحوا بعد استيلائهم على ولاية أفريقيا قوة بحرية كبرى هددت جميع بلاد النصف الغربي من حوض البحر المتوسط ولم يلبث أن ظهر أسطولهم عند مصب نهر التيبر سنة 450م وقد حاول البابا ليو الأول إنقاذ روما منهم كما سبق وأن أنقذها من أيدي الهون إلا إنه

1- Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.209;

موس، ميلاد، ص108

2- بعد وفاة هونوريوس سنة 423م حدثت مشكلة حول من يخلف عرش الإمبراطورية الغربي وقد حلت بتولية أحد كبار موظفي البلاط ويسمى حنا (John) (423 - 425م) إمبراطوراً وهو من الشخصيات الضعيفة ويبدو أن ضعفه كان سبباً في عدم اعتراف إمبراطور القسم الشرقي ثيودوسيوس الثاني به إمبراطوراً وأتهمه بأغتصاب العرش (الحويري، رؤية، ص163؛

Bury, History of the Later Roman, Vol.l, p.p.221 - 222.

3- Lot, The End of the Ancient World, p.p.206 - 207.

4- للتفصيل عن مقتله انظر: جيبون، اضمحلال، ج2، ص293 - 294.

فشل في هذه المرة [1]، وهكذا اقتحم الوندال روما وقضوا فيها أربع عشر يوماً سلبوا خلالها كنوز المدينة ونهبوا ما في القصر الإمبراطوري والمعابد والكنائس والبيوت من النفائس فضلاً عن الأهالي الذين أخذوهم عبيداً عند خروجهم وكان من بينهم ايودكسيا (Eudoxia) أرملة الإمبراطور فالينتينيان الثالث وطفلتيها [2].

ولاشك إن ذلك الهجوم الذي قام به الوندال يعني إن مجد روما السياسي والحربي قد أدبر وتولى بعد أن تقاسمته الأزمات السياسية وأفقدته الغزوات الجرمانية معظم أراضيه، وأصبحت القوة الفعلية بأيدي فئة من قادة الفرق الجرمانية الذين ازدادوا تطرفاً وقسوة لعدم وجود قوة تقف في طريقهم وتحد من بطشهم، أما الأباطرة فقد أصبحوا تحت سلطة هؤلاء يولونهم ويعزلونهم وفق إرادتهم، حتى انتهى الأمر بان ثار أحد القادة الجرمان ويدعى اودواكر (Odoacer) في 23 أب سنة 476م وتولى حكم إيطاليا بعد عزل أخر أباطرتها [3] الإمبراطور رومولوس اوغسطولوس (475 - 476م) [4].

1- Thompson, Op.Cit, Vol.l, p.61.

2- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص93؛ الحويري، رؤية، ص138.

3- تولى حكم القسم الغربي خلال المدة التي أعقبت وفاة الإمبراطور فالينتينيان الثالث 455م حتى تولى الإمبراطور رومولوس اوغسطولوس الحكم سنة 475م ثمانية أباطرة ضعفاء لا نعرف عنهم شيء سوى اسمائهم وهم: بترونيوس مكسيموس (455م)،افيتوس (455 - 456م)، ماجوريان (457 - 461م)، ليبيوس سيفيروس (461 - 465م)، انتيموس (467 - 472م)، اولبريوس (472م)، جليسريوس (473 - 474م) يوليوس نيبوس (474 - 475م) (جيبون، اضمحلال، ج1، ص669 - 670).

4- عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج1، ص93؛ الحويري، رؤية، ص138؛

Fisher, History of Europe, p.119.

الخاتمة

بعون من الله تعالى وفضله أكملت دراستي لموضوع البحث الموسوم بـ(التنافس الروماني – الساساني 226 – 476م) متوصلاً إلى عدة نتائج:

- الرومان من جملة القبائل الإيطالية المعروفة باسم اللاتين وهم خليط من الفيلانوفيين، وهؤلاء بدورهم من الأقوام الهندية الأوربية هاجروا إلى إيطاليا من منطقة الدانوب بحدود سنة 2000ق.م واتخذوا من فيلانوفيا الواقعة على بعد 10 كم من بولونيا في الوقت الحاضر مركزاً لهم وفيها انقسموا إلى ثلاث مجموعات لكل منها لهجتها الخاصة من اللغة الفيلانوفية وهم الاومبريون والسامنيون واللاتين والأخيرين سموا بذلك نسبة إلى سكناهم في إقليم لاتيوم وسط إيطاليا سنة 1150ق.م.
- مع إن موقع روما في وسط شبه الجزيرة الإيطالية أكسبها ميزة خاصة بها ميزتها عن مدن الشمال والجنوب على حد سواء إذ جعل منها عاصمة لإيطاليا وإمبراطوريتها فأنها لم تتمكن من توحيد شبه الجزيرة الإيطالية إلا بعد أن خاضت معارك وحروب طويلة استمرت من 509 حتى سنة 265ق.م.
- بعد أن تمكنت روما من توحيد شبه الجزيرة الإيطالية تحت سيطرتها أصبحت واحدة من أقوى خمس دول كبرى تحيط بالبحر المتوسط ولذلك أخذت تنافس تلك القوى من أجل السيطرة عليه لتصبح سيدة البحر والتاجر الأول فيه وقد تم لها ذلك بعد صراع طويل استمر قرابة مائة وعشرين سنة (264 – 146ق.م).

- لم يبق للرومان بعد أن سيطروا على الجانب الغربي من البحر المتوسط سوى السيطرة على جانبه الشرقي، ولذلك توجهوا في سياستهم التوسعية نحو الشرق مدفوعين بعوامل عدة لعل أهمها الانتصارات التي حققوها في الحروب المقدونية (215 – 168ق.م) وعلى الدولة السلوقية التي ملأت نفوسهم غروراً وجعلتهم يشعرون بأنهم شعب يعني ما يقول ويأخذ ما يريد.
- على الرغم من أن تعبيري فارس وإيران يستعملان للدلالة على منطقة جغرافية واحدة، إلا أنهما تعبيران غير مترادفين، وتسمية إيران هي الأقدم وهي تسمية مأخوذة من (أيرج بن أفريدون) الذي ينتسب الفرس إلى ولده، فسموا بلادهم (إيران شهر) بعد أن استبدلوا حرف الجيم بحرف النون، وهذه التسمية استعملت كمفهوم سياسي رسمي للدولة الساسانية إلا أن تعميم اسم فارس وهو أحد أقاليم البلاد الجنوبية على البلاد كلها كان من باب تعميم الجزء على الكل.
- إن اسم ساسان الذي تنتسب إليه الأسرة التي حكمت بلاد إيران مدة أربعة قرون مشتق من لقب فارسي قديم بمعنى (القواد).
- ربط الساسانيون سلسلة نسبهم بالاخمينيين من أجل إثبات أحقيتهم بالحكم ولإضفاء القدسية والاحترام على شخصية مؤسسها اردشير بن بابك بعده الحامي للديانة الزرادشتية الذي كان بشتاسب متبنيها الأول.
- إن التنافس بين الإمبراطوريتين الرومانية والساسانية الذي استمر قرابة قرنين ونصف (226 – 476م) هو تنافس متوارث تعود جذوره إلى حوالي سنة 129ق.م وهي السنة التي أستولى فيها الرومان على مملكة برجاموم وأصبحوا أقوى دولة في الشرق ولم يعد ينقصهم لإتمام سيطرتهم عليه سوى القضاء على الدولة الفرثية ولذلك دخلوا في صراع طويل معها استمر قرنين ونصف (92ق.م – 217م) وما كادت تقطف ثمار ذلك الصراع حتى وجدت نفسها في صراع أخر مع الدولة

الساسانية خليفة الدولة الفرثية على عرش بلاد فارس، ولم يتوقف ذلك الصراع بين الإمبراطوريتين حتى بعد سقوط القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية.

- أما أسباب ذلك التنافس بين الإمبراطوريتين فهي:

أ. أسباب سياسية: تتمثل في سعي كلا الإمبراطوريتين في الحصول على مكاسب سياسية كل منهما على حساب الأخرى، ولم تكن تلك المكاسب في مناطق عادية بل كانت في مناطق ذات أهمية إستراتيجية واقتصادية.

ب. أسباب اقتصادية: تتمثل في رغبة كلا الإمبراطوريتين في بسط سيطرتها المباشرة على منافذ التجارة الدولية التي تربط الشرق بالغرب.

ج. أسباب دينية: بدأت تلك الأسباب تتضح سنة 313م وهي السنة التي أعلن فيها الإمبراطور قسطنطين (306 – 337م) المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، فقد كان ذلك الإعلان سبباً في توثيق الصلة بين أرمينيا التي أعلنت تنصرها رسمياً سنة 301م وبين الإمبراطورية الرومانية، ولم يكن ذلك ليرضي الدولة الساسانية التي كانت تسعى لضم أرمينيا إليها دينياً وقومياً هذا من جهة، من جهة أخرى كان ذلك الإعلان سبباً في أن ينظر الساسانيون إلى رعاياهم من معتنقي المسيحية على أنهم حلفاء لعدوهم وأنهم متآمرون يعملون على تقويض أركان الدولة من الداخل لذلك أخذوا يضايقونهم ويضطهدونهم، ولأن الدولة الرومانية كانت تعد نفسها حامية لهم فقد عدت تلك المضايقات سبباً في قيام عدة حروب بينهم.

- أفادت المناطق العربية الواقعة على التخوم الفاصلة بين الإمبراطوريتين ولاسيّما مدينة تدمر من ظروف التنافس القائم بينهما فعملت على تعزيز استقلالها الذاتي وتوسيع نشاطها السياسي إلى درجة أنها تصدت منفردة أولاً للدولة الساسانية وكادت أن تستولي على عاصمتها طيسفون ثلاث مرات

متتاليـة خـلال السـنوات (262، 265،264م) ثـم الدولة الرومانية خلال السـنوات (268 – 274م).

- أوضح لنا البحث رجحان كفة الساسانيين في أغلب الحروب التي خاضوها مع الرومان خلال مدة الدراسة فقد روعت روما الهزيمة التي أوقعها الملك الساساني اردشير (226 – 241م) بالإمبراطور الروماني سيفيروس الكسندر (222 – 235م)،على أن معركة الرها كانت أشد إذلالاً لكرامة روما ففي هذه المعركة لم يَهزم الملك سابور الأول الإمبراطور الروماني فالريان فحسب بل أسره أيضاً الأمر الذي أضر بسمعة روما وزاد الطين بله فشل الإمبراطور جوليان (361 – 363م) الاستيلاء على العاصمة الساسانية طيسفون وتوقيع خليفته جوفيان (363 – 364م) لمعاهدة صلح مهينة سنة 363م.
- على الرغم من العداء القائم بين الإمبراطوريتين فقد كان بينهما نوع من التعاون في حماية معابر القفقاز من خطر قبائل الهون إذ نصت على الالتزام بذلك الشرط معاهدة سنة 422م والمعاهدات اللاحقة لها.
- لم تكن الإمبراطوريتين في حالة من العداء المستمر فقد كان هناك نوع من المودة والصداقة بين الطرفين، فقد استعان كل منهما بمساعدة الأخر مثال على ذلك المساعدة الطبية التي طلبها الملك يزدجرد الأول (399 – 421م) من إمبراطور القسم الشرقي اركاديوس (395 – 408م)، بالمقابل استعان الأخير بالملك يزدجرد الأول في حماية ولده الصغير ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) من دسائس البلاط الروماني.
- إن مسألة الخلافات الدينية التي ظهرت في القرن الرابع واستمرت في القرن الخامس الميلادي زعزعت الوحدة المسيحية للإمبراطورية وكانت داءاً مزمناً عمل على نخر وتمزيق جسمها من الداخل ومن ثم إضعاف قدرتها على مواجهة

التحديات الخارجية المتمثلة بالدولة الساسانية في الجبهة الشرقية والقبائل الجرمانية في الجبهتين الشمالية والغربية.

- عانت الإمبراطورية الرومانية الأمرين من هجمات القبائل الجرمانية التي اشتدت قسوة وضراوة في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي، فعلى الرغم من الانحلال الذي دب في جسم الإمبراطورية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين في كافة نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلا إنّه كان من الممكن أن تعيش تلك الإمبراطورية في الغرب عمراً أطول وأن تموت موتاً أبطأ لولا هجمات تلك القبائل التي أسرعت في تقويض نظام الحكم الروماني لا في إيطاليا فحسب بل في سائر المناطق الغربية.

الملاحق

ملحق رقم (1)
النص الكامل لمرسوم التسامح
الذي أصدره الإمبراطور كالريوس (305- 311م) سنة 311م

" إن من بين المهام التي تشغل بالنا ونحن نعمل للحفاظ على سلام وقوة الإمبراطورية اهتمامنا بتقويم سائر الأمور وإعادة بنائها وفقاً للقوانين القديمة والنظم الرومانية المتعارف عليها، لقد كنا على وجه الخصوص شديدي الرغبة في إرجاع المسيحيين إلى مناحي العقل والصواب بعد أن أنكروا دين الآباء وأعيادهم، وراحوا يحتقرون التقاليد بعد أن اخترعوا لأنفسهم قوانين متطرفة ومعتقدات وهمية وكونوا لهم رابطة في مختلف ولايات الإمبراطورية، ولما كانت تلك المراسيم التي قد أصدرناها سلفاً من أجل مراعاة عبادة الآلهة قد تسببت في تعريض الكثيرين من المسيحيين إلى الخطر والمعاناة، ولما كانت أعداد وفيرة منهم ما زالت تمضي في طريقها، فإننا نرغب في أن نمد لهؤلاء التعساء رحمة من لدينا: فنحن نأذن لهم بالمجاهرة بمعتقداتهم الخاصة وبأن يمارسوا طقوسهم الدينية في جمعياتهم دون خوف من أن يتعرضوا للأذى، طالما أنهم يظهرون الاهتمام الواجب للقانون والحكومة وإنا سنتبع هذا بقرار آخر يوضح سياستنا هذه للقضاة ورجال العدالة وإنا لنأمل أن قرارنا هذا بالعفو والتسامح للمسيحيين سوف يدعوهم إلى الابتهال للمعبود الذي يقدسونه لكي يمن على شخصنا بالسلامة وعليهم وعلى الجمهورية جميعاً بالرخاء والسعادة "[1].

1- عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص53.

ملحق رقم (2)
النص الكامل لمرسوم ميلان الذي أصدره كل من الإمبراطورين قسطنطين وليكينيوس سنة 313م

" لقد كان رأينا منذ وقت بعيد ألا تنكر الحرية الدينية على أحد، بل كنا نهدف إلى أن نضمن لكل فرد الحق في ممارسة عقيدته التي يختارها، ولقد سبق وأصدرنا أوامرنا على نحو يكفل للمسيحيين وغير المسيحيين التمتع بمعتقداتهم الدينية وبعباداتهم، على أن الشروط الكثيرة التي رهنت بها الحرية الدينية عند إصدار هذا القرار لم تمكن البعض من التمتع بالحرية الدينية كما ينبغي.

وعليه فإنه من حسن الطالع عندما وصلنا نحن قسطنطين أغسطس ونحن ليكينيوس أغسطس إلى مدينة ميلان، ورحنا نتدارس سائر الأمور المتصلة بصالح الرعية ونفعها، فأنه من بين الإجراءات الأخرى التي قصد بها الصالح العام، أو بالأحرى من المسائل الحيوية التي استوجبت الأولوية في العناية قرارنا بإرساء قواعد تؤكد وتضمن الاحترام والتبجيل للرب: بمعنى أن يعطي المسيحيون وغيرهم الحرية في العبادة التي تروقهم، لعلنا بهذا والرعية التي نحكم عليها نحظى بفضل ومحبة القوى الربانية والسلطات السماوية الأخرى، وهذا هو القرار الذي توصلنا إليه بعد تمحيص ودراسة، وغايتنا أن يهبنا الرب عنايته وعطفه الشاملين مثلما أعطانا من قبل.

لقد وجدنا من الضروري أن نرسل مرسوماً يوضح هذا القرار إليكم[1]، حتى نؤكد لكم فيه أمرنا بإلغاء ما ورد من شروط في المرسوم السابق[2]، بخصوص المسيحيين، هذا وعليكم مراعاة إلغاء كل التحفظات السابقة التي لم يكن لها من مبرر والتي لا تتفق وروحنا الممتلئة بالرحمة، وألان فأنه يتحتم أن يتمكن كل واحد له الرغبة في أتباع تعاليم المسيحية وطقوسها من ممارسة هذا الحق كاملاً دون تدخل يعوقه من تحقيق مراده هذا، كل هذه الأمور نحن نبسطها أمامكم لتتبصروا تماماً، ولكي يتأكد لكم بصفة حاسمة أننا قد منحنا المسيحيين سابقي الذكر ترخيصاً مطلقاً في أن يمارسوا عاداتهم في حرية تامة، ولا يخفي على فخامتكم إننا بمنحنا هذا الحق على إطلاقه فأننا نسمح لمن يشاء من الرعية أن يمارس نوع العبادة التي يرتضيها لنفسه، وهذا حق خليق بسمات عهدنا الميمون الذي يسود فيه الاطمئنان، ولا يعني هذا أنا نقلل من شأن أية طقوس أخرى وعبادات أخرى وبالنسبة للمسيحيين فأننا نضيف القرار الآتي:

كنا قد حددنا في الرسالة السابقة[3] إليكم تعليمات خاصة فيما يتصل بأماكن العبادة المسيحية والتي اعتادوا على الاجتماع فيها، وألان فأننا نقرر انه إذا اتضح أن أحدا ما قد اشترى أماكن العبادة هذه في شكل أو أخر بمال دفع من خزائننا أو من مصدر أخر، فأن عليه المبادرة بإرجاع هذه الكنائس للمسيحيين دون أن يتقاضى مالاً عنها ودون أن يطالب بأية تعويضات، وهذا أمر لا نريد فيه إهمالا ولا إمهالا، وان كان احد ما قد حصل على كنيسة من هذه الكنائس بصفة الهدية أو الهبة فعليه إرجاعها إلى المسيحيين دون تباطؤ، وإن رغب هؤلاء النفر من الناس المطالبة بتعويض فعليهم أن

1- الكلام موجه إلى حاكم مدينة نيقوميديا.

2- يقصد به مرسوم التسامح.

3- يقصد به مرسوم التسامح.

يلتمسوا هذا من أبواب كرمنا الإمبراطوري: بأن يتقدموا بطلباتهم إلى قضاة وحكام مناطقهم، وسوف نجزيهم بكرمنا خيراً.

وعلى فخامتكم أن تتصرفوا في همة زائدة وفورية لكي تسلم هذه الممتلكات جميعاً إلى المسيحيين دون إبطاء، ولما كانت للمسيحيين إلى جانب كنائسهم أماكن أخرى موقوفة على الجماعة المسيحية كجمعية هنا وهناك، فأن هذه الممتلكات أيضا يجب أن تعاد إليهم ويطبق في صددها نفس القانون السابق ذكره، وهذا أمر لا يحتاج إلى مماطلة أو مجادلة، وتنسحب مسألة التعويض سالفة الذكر على هذا البند أيضاً.

ونحن نحثكم على أن تبذلوا كل ما في وسعكم من طاقة وهمة لتنفيذ كل هذه الأوامر قي أسرع وقت ممكن، حتى يتعرف الناس على كرم قراراتنا، فتتوطد دعائم السلام والأمن للرعية جميعاً، وذلك لأنه على ثقل هذا القرار وبحسن نوايانا كانت العناية الربانية معنا دوماً، ونأمل في إنها ستظل علينا كما كانت من قبل إلى الأبد، ولكي يصل هذا القرار إلى آذان الكل فأنه يحسن بفخامتكم نشر ما جاء فيه ليذاع على الرعية ويصل إلى كل المواطنين " [1].

1- عبيد، الإمبراطورية الرومانية، ص53.

ملحق رقم (3)

جدول بأسماء الملوك الساسانيين وما يقابل معاصريهم من الأباطرة الرومان إلى حد عهد الإمبراطور رومولوس اوغسطولوس (475 – 476م)

الملوك الساسانيين	الاباطرة الرومان
اردشير بن بابك (226 – 241م)	سفيروس الكسندر (222 – 235م) مكسيمينوس (235 – 238م) غورديان الأول (238م) أشرك معه ابنه (غورديان الثاني) في الحكم ولم يستمر حكمهما سوى شهرين كلوديوس بوبينوس + كيليوس بلبينوس إمبراطورين شريكين بيد الأول السلطة المدنية والثاني العسكرية ولم يحكمان غير مدة قصيرة (238م).
سابور الأول (241 – 272م)	غورديان الثالث (238 – 244م) فيليب العربي (244 – 249م) دسيوس (249 – 251م) تريبنيانوس جالوس (251 – 253م) فاليريان(253 – 260م) جالينوس (260 – 268م) اوريليوس كلوديوس (268 – 270م) اورليان (270 – 275م)
هرمز الأول (272 – 273م)	اورليان (270 – 275م)
بهرام الأول (273 – 276م)	اورليان (270 – 275م)+ تاسيتوس (275 – 276م)

الملوك الساسانيين	الاباطرة الرومان
بهرام الثاني (276 – 293م)	اورليوس بروبوس (276 – 282م)+ ماكسيوس اوريليوس كـاروس (282 – 283م) نوميريانوس (283 – 284م) دقلديانوس (284 – 305م)
نرسي (293 – 302م)	دقلديانوس (284 – 305م)+ مكسيميان (286 – 305م)
هرمز الثاني (302 – 309م) + اذر نرسي (309م)	دقلديانوس (284 – 305م)+ اعتزلا الحكم سنة 305م مكسيميان (286 – 305م) كالريوس (305 – 311م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي) قسطنطينوس(305 – 306م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) ماكسيمين دايا (305 – 312م) (قيصراً للشرق) سفيروس (305 – 306م) (قيصراً للغرب) قسطنطين الاول (306 – 337م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) ليكينيوس (306 – 324م) (قيصراً للغرب)
سابور الثاني (309 – 379م)	من سنة (312 – 324م) أصبح كل من ليكينيوس (312 – 324) (إمبراطوراً على القسم الشرقي) قسطنطين الأول (306 – 337م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) من سنة (324 – 337م) اصبح قسطنطين الإمبراطور الأوحد قسطنطين الثاني (337 – 340م) قسطانز (337 – 350م) قسطنطيوس (337 – 361م) جوليان (361 – 363م) جوفيان (363 – 364م) فالنتنيان الاول(364 – 375م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) فالنز (364 – 378م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)

الملوك الساسانيين	الاباطرة الرومان
اردشير الثاني (379 – 383م)	جراتيان بن فالنتنيان(375 – 383م)(إمبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 – 395م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)
سابور الثالث (383 – 388م)	فالنتنيان الثاني (383 – 392م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 – 395م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)
بهرام الرابع (388 – 399م)	فالنتنيان الثاني (383 – 392م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 – 395م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي) ومنذ سنة 392م أصبح ثيودوسيوس الأول الإمبراطور الأوحد
يزدجرد الاول (399 – 420م)	هونوريوس (395 – 422م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) اركاديوس (395 – 408م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي) ثيودوسيوس الثاني(408 – 450م)(إمبراطوراً على القسم الشرقي)
بهرام الخامس (420 – 438م)	هونوريوس (395 – 422م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) فالنتنيان الثالث (425 – 455م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)
يزدجرد الثاني (438 – 457م)	فالنتنيان الثالث (425 – 455م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) بترونيوس مكسيموس (455م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) افيتوس (455 – 456م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي) مرقيانوس (450 – 457م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)
هرمز الثالث (457 – 459م)	ماجوريان (457 – 461م) (إمبراطوراً على القسم الغربي) ليو الاول (457 – 474م) (إمبراطوراً على القسم الشرقي)

الملوك الساسانيين	الاباطرة الرومان	
فيروز (459 – 484م)	ماجوريان (457 – 461م)	أباطرة القسم الغربي
	ليبيوس سيفيروس (461 – 465م)	
	انتميوس (467 – 472م)	
	اولبريوس (472م)	
	جليسريوس (473 – 474م)	
	يوليوس نيبوس (474 – 475م)	(نهاية الإمبراطورية الرومانية في الغرب)
	رومولوس اوغسطولوس (475 – 476م)	

المصدر:

الجدول من عمل الباحث وقد اعتمدت في معرفة أسماء الملوك الساسانيين وسنوات حكمهم على المؤرخ (نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص 517)، أما معرفة اسماء الاباطرة الرومان وتحديد سنوات حكمهم فقد اعتمدت على المؤرخين (Tenen, Junior Histories, p.784؛ جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، ص 667 - 671؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص369 - 370.

ملحق رقم (4)

التسمية الرومانية للمدن الواردة في الأطروحة وما يقابلها من التسمية العربية

الاسم الروماني	الاسم العربي	الصفحة التي وردت فيها لأول مرة
اتروباتين	اذربيجان	37
هيركانيا	جرجان	39
خوزستان	الاحواز	41
اكبتانا	همدان	43
الري	طهران	43
هيكاتومبيلوس	قومس	43
بازركادة	باساركاد	44
برسيبوليس	اصطخر	44
ميديا	ماذي أو ماد	46
كيليكيا	قيليقية أو أرمينيا الصغرى	56
اربلا	اربيل	57
سوسة	شوش	57
سلوقية	تل عمر	60

الاسم الروماني	الاسم العربي	الصفحة التي وردت فيها لأول مرة
انتيوخيا	انطاكيا	61
بارثوا	خراسان	62
اساك	قوجان	63
زدراكارتا	استر آباد	65
طيسفون	المدائن	66
سكستان أو سجستان	سيستان	67
حدياب	الموصل	76
كرجستان او اقليم ايبريا	جورجيا	85 و174
طرابزون	طرابزنده	90
نيسيبيس	نصيبين	106
ادسا	الرها	107
ايميسا	حمص	113
كرها	حران	121
طرسوس	طرسوس	142
بابليون	امبابة	155
بيزانتيوم	بيزنطة أو القسطنطينية	157
ارزون	ارزن	174

الاسم الروماني	الاسم العربي	الصفحة التي وردت فيها لأول مرة
نيس	نيش في يوغسلافيا	185
سرديكا	صوفيا عاصمة بلغاريا	185
دياكيرا	هيت	196
بيريسابوراس أو فيروزسابور	الانبار	197 و225
الليريا	وسط البلقان وبلاد اليونان وقسماً من شمال أفريقيا	205
سنكارا	سنجار	208
اميدا	آمد	215
ميلتين	ملطية	217
بازبدا	بيت زبدى	217
قرقيسيوم	قرقيسيا	222
دورا أو دورا يوروبوس	الصالحية	223
حصن اناثا	مدينة عانة	223
حصن ثلوثا	جزيرة تلبس الواقعة على بعد 14 كم حنوب شرق مدينة عانة	223
حصن اخياكالا	مدينة حديثة	224
باراكسملخا	خرائب العويرا الواقعة على بعد 10 كم من مدينة هيت	224

الاسم الروماني	الاسم العربي	الصفحة التي وردت فيها لأول مرة
ماسيبراكتا	أم الروس الواقعة على بعد 12 كم شمال شرق المشهد الذي بني أكراماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في قرية صندودة الواقعة فوق مدينة الانبار	225
كوخي	إحدى ضواحي مدينة سلوقية	229
هوكمبرا	بعقوبة	234
مرنكس	يرجح أن تكون قرية مارا أو ماراح الواقعة على المشارف الغربية من جبال حمرين.	234
سوميرا	سامراء	235
مرتيروبوليس	ميافارقين	271
ثيودوسيوبوليس	ارضروم	284
سكانزيـا أو سكين	شبه جزيرة اسكندناوة	291 – 292

المصـادر والمراجــع

- القران الكريم.
- الكتاب المقدس " كتاب العهد القديم والعهد الجديد "، (دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط: **1997**م).
- الفنديداد، نقله عن الفرنسية وعلق عليه: داود الجلبي الموصلي، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، **1952**م).

اولاً ـ المخطوطـات:

الاصمعي، عبد الملك بن قريب (ت216هـ/ 830م).

1. نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم **63**/ تاريخ.

عبد الله بن المغيرة (1355هـ/ 1937م).

2. تاريخ العرب القديم، مخطوط محفوظ في مكتبة المركز الوطني للمخطوطات تحت الرقم **1988**، رقم الفلم **24030**.

ثانياً ـ المصادر الكلاسيكية:

بروكوبيوس (490 – 560م).

3. جنكهاي إيران وروم، ترجمه للفارسية: أحسان يارشاطر، (طهران: **1959**م).

خوريناتسي، موسيس (410 – 493م).

4. تاريخ الأرمن منذ البداية حتى القرن الخامس الميلادي، نقله عن الأرمنية: نزار خليلي، تحقيق: إبراهيم زعرور، (دمشق: دار اشبيلية،**1999**م).

مرسيلينوس، اميانوس (ت401م).

5. العراق في القرن الرابع للميلاد، ترجمة: فؤاد جميل، مراجعة: سالم الالوسي، (بغداد: الموسوعة الصغيرة (413)، دار الشؤون الثقافية العامة، 1998م).

هيرودوتس (484 – 425ق.م).

6. تاريخ هيرودوتس، ترجمه من الفرنسية: حبيب أفندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886 – 1887م).

يوسابيوس القيصري(264 – 340م).

7. حياة قسطنطين العظيم، تعريب: القمص مرقس داود، (القاهرة: مكتبة المحبة، 1975م).

8. تاريخ الكنيسة، ط3، تعريب: القمص مرقس داود،(القاهرة: مكتبة المحبة،1998م).

Appian.

9. Roman History, Translated by: Horace White, Forth Edition, (Cambridge, **1995**).

Dio, Cassius.

10. Dio's Roman History, http://WWW.blackmask.com, Presented in English by: Herbert Baldwin Foster, Johns Hopkins).

Diodorus Sicily.

11. Historical Library, (London, **1814**).

Dobias, Josef.

12. Histoire de la province Romaine de Syria, (Praha, **1924**).

Eusebius.

13. The History of the Church from Christ to Constantine, Translated by: G.A.Williamson, (Middlesex, **1965**).

Livy, Titus.

14. Roman History, Translated by: John Henry Freese, Alfred John Church, and William Jackson Brodribb, http://WWW. blackmask.com.

15. The History of Rome, http://WWW.World Library. net, Vol.V;Book.**33**, **34**;Vol.Vl, Book.**42**, **43**, http://WWW. blackmask.com.

Marceilinus, Ammianus

16. Rerum Gestarum Libri, http://WWW ammianus info/ Vertaling

17. Roman History, (London, Bohn, **1862**), Translated by:C.D. Yonge, Book.XXX**1**

Mommsen, Theodor.

18. The History of Rome, Translated by: William Purdie Dickson, (**2003**).

Plutarch.

19. Plutarch's Lives, by Bernadotte Perrin Lonbon, Willam heinemann ltd Cambridge, massachusetts harvard university press

Polybius.

20. Histories, Translated by:Shuckburgh, (Macmillan).

Strabo.

21. The Gography of Strabo, (London, **1966**).

Tacitus

22. A Treatise on the Situation, Manners and in habitants of Germany, (The races of Europe, (London, **1904**).

23. The Complete Works of Tacitus, **"** The Annals **"**(New York, **1942**).

Zosimus.

24. The History of count Zosimus, sometime Advocate and Chancellor of the Rome Empire, (London, **1814**).

ثالثاً ـ المصادر الاولية.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ/ 1209م).

25. الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،**2004**م).

الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت314هـ/ 952م).

26. مسالك الممالك، (ليدن: مطبعة بريل، **1927**م).

الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت360هـ/ 970م).

27. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،**1961**م).

الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد القرشي (ت356هـ/ 966م).

28. الأغاني، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

ابن البطريق، سعيد (افتيشيوس) (ت340هـ / 952م).

29. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، **1905**م).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/ 1094م).

30. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، **1403**هـ)

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/ 892م).

31. انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله،(مصر: دار المعارف، **1959**م).

32. التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصادق، (القاهرة: درب الجماميز، **1938**م).

33. فتوح البلدان، (بيروت: منشورات مكتبة الهلال، **1988**م).

ابن البلخي.

34. فارس نامة، تحقيق: يوسف الهادي، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، **2001**م).

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ/ 1048م).

35. الآثار الباقية عن القرون الخالية، (لايبزك: **1923**م).

الثعالبي، حسين بن محمد المرغني (ت429هـ/ 1037م).

36. غرر السير المعروف بـ (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم)، ترجمة: هـ. زوتنبرغ، (باريس: المطبعة الوطنية، **1950**م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب (ت255هـ/ 868م).

37. البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، **1926**م).

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد(ت456هـ/ 1063م).

38. جمهرة انساب العرب، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، **2003**م).

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/ 977م).

39. صورة الأرض، (قم المقدسة: المطبعة الحيدرية، **1428**هـ).

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م).

40. المسالك والممالك، تقديم: محمد مخزوم، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، **1988**م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).

41. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، **1971**م).

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/ 997م).

42. مفاتيح العلوم، (د.م، د. ت).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/ 933م).

43. الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مصر: مكتبة الخانجي، د.ت).

الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود (ت282هـ/ 895م).

44. الأخبار الطوال، (مصر: مطبعة عبد الحميد احمد، د.ت).

ابن رسته، أبو علي احمد بن عمر (ت 290هـ/ 902م).

45. الاعلاق النفيسة، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، **1988**م).

ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين الانصاري (ت710هـ/ 1310م).

46. الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: محمد احمد اسماعيل الخاروف، (دمشق: دار الفكر، **1980**م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م).

47. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، **2003**م).

ابن العبري، ابو جعفر مار غريغوريوس يوحنا الملطي (ت685هـ/ 1286م).

48. تاريخ مختصر الدول، (قم: مؤسسة نشر منابع الثقافة الإسلامية، د. ت).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ/ 1338م).

49. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ/ 1331م).

50. تقويم البلدان، (باريس: دار الطباعة السلطانية، **1840**م).

51. المختصر في أخبار البشر، تعليق: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، **1997**م).

ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر احمد بن محمد (ت365هـ/ 975م).

52. مختصر كتاب البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، **1988**م).

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت276هـ/ 889م).

53. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (إيران: مطبعة أمير، **1373**هـ)

مار ميخائيل السرياني (ت520هـ/ 1199م).

54. تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغور لويس يوحنا إبراهيم، (حلب: دار ماردين للطباعة، **1996**م).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 956م).

55. التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصادق،(القاهرة: درب الجماميز، **1938**م).

56. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، **1989**م).

مسكويه، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/ 1030م).

57. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (بيروت: دار الكتب العلمية،**2003**م).

المقدسي، أبو عبد الله بن احمد البشاري (ت375هـ/ 985م).

58. أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط**3**، (القاهرة: مكتبة مدبولي، **1991**م).

ابن منظور، أبو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي (ت711هـ/ 1311م).

59. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت).

المهلبي، الحسن بن احمد (ت 380هـ/ 990م).

60. الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق: تيسير خلف، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،**2006**م).

مؤلف مجهول (من القرن الثاني عشر الميلادي).

61. تاريخ السعردي، نشره: ادي شير، (باريس: **1907**)

الهمداني، الحسن بن محمد بن يعقوب (ت350هـ / 961م).

62. صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م).

ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م).

63. المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، (كوتنجن: 1846م).

64. معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة 292هـ/ 905م).

65. تاريخ اليعقوبي، تحقيق وتعليق: خليل منصور، (بيروت: دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1425هـ).

ثالثاً ـ المراجع:

احمد، جمال رشيد.

66. ظهور الكورد في التاريخ دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكردية ومهدها، (اربيل: وزارة التربية، 2003م).

ابونا، الأب البير.

67. تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام، (الموصل: المطبعة العصرية، 1973م).

ادي شير.

68. تاريخ كلدو واشور، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للإباء اليسوعيين، 1912م).

اسحق بابو، روفائيل.

69. تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا، (بغداد: مطبعة المنصور، 1948م).

استارجيان، ك. ل.

70. تاريخ الأمة الأرمنية " وقائع من الشرقيين الأدنى والأوسط في ادوار الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية والفارسية والعربية والعثمانية والروسية من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين الميلادي "، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة،1951م).

اسماعيل، حلمي محروس.

71. الشرق العربي القديم وحضارته " بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة "، (دمشق: مؤسسة شباب الجامعة، **1997**م).

أشرفي، منير.

72. تاريخ سوريا السياسي، (حلب: مطبعة العصر الجديد، **1937**م).

الأحمد، سامي سعيد.

73. تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، **1985**م).

74. تاريخ الرومان، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، **1988**م).

75. المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية، (بغداد: مديرية مطبعة الحكم المحلي، **1981**م).

الأحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد.

76. تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د. ت).

الاعظمي، علي ظريف.

77. تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق: عزة رفعت، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت).

اميل، بول.

78. تاريخ أرمينيا (عرض مبسط لتاريخ الشعوب الارمنية منذ فجر التاريخ حتى اليوم)، ترجمة: شكري علاوي، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت).

اوبنهايم، ليو.

79. بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، **1981**م).

اوليري، دي لاسي.

80. جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، (عمان: المملكة الاردنية الهاشمية، **1960**م).

81. علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، (د.م، مكتبة النهضة المصرية، **1962**م).

82. مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: د. تمام حسان، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت).

اومان، شارل.

83. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، (القاهرة: مطبعة دار الفكر العربي، **1953**م).

ايليف، ج. هـ.

84. فارس والعالم القديم، ترجمة: محمد صقر خفاجة، فصل ضمن كتاب تراث فارس، اشترك في كتابته واشرف على نشره: أ. ج. اربري، ترجم هذا الكتاب: محمد كفافي واحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة واحمد عيسى، واشترك في كتابة ومراجعة ترجمته: يحيى الخشاب،(القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،**1959**م).

ايمار، اندريه و اوبوايّه، جانين.

85. تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، ترجمة: يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، إشراف: موريس كروزيه، (بيروت، منشورات عويدات، **1964**م)

أيوب، إبراهيم رزق الله.

86. التاريخ الروماني، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب،**1996**م).

بارو، ر.هـ.

87. الرومان، ترجمة: عبد الرزاق يسري، مراجعة: سهير القلماوي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، **1968**م).

باشميل، محمد احمد.

88. العرب في الشام قبل الإسلام (دراسة وتحليل لتاريخ خمس أجيال عربية حكمت واستوطنت الشام لمدة أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الإسلام)، (المملكة العربية السعودية: دار الفكر،**1973**م).

باقر، طه.

89. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج**2**(الوجيز في تاريخ حضارة وادي النيل)، ط**2**، (بغدد: دار الشؤون الثقافية العامة، **1956**م).

باقر، طه، ورشيد، فوزي، والهاشمي، رضا جواد.

90. تاريخ إيران القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، **1979**م).

بتري، أ.

91. مدخل إلى تاريخ الرومان وأدابهم وآثارهم، ترجمة: يوئيل عزيز، (الموصل: **1977**م).

براون، إدوارد.

92. تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم العصور حتى عصر الفردوسي، ترجمة: أحمد كمال الدين حلمي، (د.م، **1984**م).

برستد، جيمس هنري.

93. العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، (بيروت: **1926**م).

بكري، حسن صبحي.

94. الإغريق والرومان والشرق الإغريقي والروماني، (الرياض: دار عالم الكتب، **1985**م).

بل، هارولد ادريس.

95. الهيلينية في مصر " بحث في وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي "، ترجمة: زكي علي، (القاهرة: دار المعارف، **1948**م).

البني، عدنان.

96. تدمر والتدمريون، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، **1978**م).

بهنسي، عفيف.

97. الشام لمحات آثارية وفنية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، **1980**م).

بورتر، هارفي.

98. موسوعة مختصر التاريخ القديم، (القاهرة: مكتبة مدبولي،**1991**م).

بيرنيا، حسن.

99. تاريخ إيران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت).

بينز، نورمان.

100. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، (الدار القومية للطباعة والنشر: د. ت).

تارن، و. و.

101. الاسكندر الأكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، مراجعة: محمد سليم سالم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م).

تسران، اوجين.

102. خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمة: سليمان الصائغ، (الموصل: 1939م).

تشارلزورث، م. ب.

103. الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبدة جرجيس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1961م).

تورتون، جود.

104. أميرات سوريات حكمن روما، ترجمة: خالد سعد عيسى، (دمشق: 1987م).

توفيق، عمر كمال.

105. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (مصر: دار المعارف، 1967م).

106. تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م).

الجاف، حسن كريم.

107. الوجيز في تاريخ إيران (دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الاسطوري الى نهاية الطاهريين)، (بغداد: بيت الحكمة، 2003م).

جان، احمرانيان.

108. من هم الأرمن، (القاهرة: 1978م).

جرني، أ. ر.

109. الحثيّون، ترجمة: محمد عبد القادر، (القاهرة: 1963).

جنيبير، شارل.

110. المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت).

جونز، أ. هـ.

111. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: إحسان عباس، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، **1987**م).

جيبون، ادوارد.

112. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درّة، مراجعة: احمد نجيب هاشم، (القاهرة: مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، **1969**م).

حاطوم، نور الدين.

113. تاريخ العصر الوسيط في أوربا، (لبنان: دار الفكر الحديث، **1967**م).

114. موجز تاريخ الحضارة، (دمشق: جامعة دمشق، **1964**م).

حبي، يوسف.

115. كنيسة المشرق، ط**3**، (بغداد: الموصل، **1980**م).

حتي، فيليب.

116. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، مرجعة: جبرائيل جبور، (بيروت: دار الثقافة، **1950**م).

117. تاريخ العرب المطول، ط**4**، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، **1965**م).

حجل، بدري.

118. سوريا وتاريخها الحضاري، (دار الفكر للأبحاث والنشر: **2005**م).

حسن، سليم.

119. مصر القديمة، (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، د. ت).

حسين، عاصم احمد.

120. المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق: **1998**م).

121. مصادر التاريخ الإغريقي، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، **1987**م).

الحلو، عبد الله.

122. سوريا القديمة التاريخ العام، الكتاب الأول " منذ أقدم الأزمنة حتى أوائل العصر البيزنطي، (دمشق: مطبعة ألف باء - الأدبي، **2004**م).

الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري، صلاح عبد الهادي.

123. دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، (بغداد: جامعة البصرة، **1986**م).

حوراني، جورج فضلو.

124. العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة وتعليق: السيد يعقوب بكر، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية، د.ت).

الحويري، محمود محمد.

125. رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط**3**، (القاهرة: دار المعارف، **1995**م).

خطاب، محمود شيت.

126. أرمينية بلاد الروم، (دمشق: دار قتيبة، د. ت).

خوري، إبراهيم والتدمري، احمد جلال.

127. سلطنة هرمز العربية (سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي)، (رأس الخيمة: **1999**م).

الداقوقي، حسين علي.

128. دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، (عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع،**1999**م).

داوني، جلانفيل.

129. إنطاكيا القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، (القاهرة: **1967**م).

الدبس، المطران يوسف.

130. من تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ج**1**، في تاريخ شعوب سوريا القدماء مقالة افتتاحية ومقالتين في الحثيين والفينيقيين، مراجعة وتدقيق: مارون عبود، (د.م: دار نظير عبود، **1994**م).

ددلي، دونالد.

131. حضارة روما، ترجمة: فاروق فريز وجميل يواتيم الذهبي، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر،**1964**م).

الدوري، رياض عبد الرحمن امين.

132. آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، (بغداد: **2001**م).

دوسن، كرستوفر.

133. تكوين واربا، ترجمة ومراجعة: محمد مصطفى زادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، **1967**م).

دياكوف، ف وكوفاليف، س.

134. الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، (دمشق: منشورات علاء الدين، **2000**م).

ديورانت، ول.

135. قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة: **1964**م).

الذنون، عبد الحكيم.

136. تاريخ الشام القديم، (سوريا: دار الشام القديمة للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، **1999**م).

رستم، اسد.

137. تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، **1969**م).

138. الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف،**1955**م).

139. عصر اوغسطس قيصر وخلفائه، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، **1961**م).

رستوفتزف، م.

140. تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة: زكي علي و محمد سالم سليم، (القاهرة: **1957**م).

رفعت، محمد، وحسونة محمد احمد.

141. معالم العصور الوسطى، (د.م: **1924**م).

رفلة، فيليب واحمد، سامي مصطفى.

142. جغرافية الوطن العربي، (القاهرة: دار السعادة، **1962**م).

رو، جورج.

143. العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، **1984**م).

رنسيمان، ستيفن.

144. الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، **1961**م).

145. المدنية البيزنطية، ترجمة: صالح أحمد العلي، (بغداد: مطبعة وزارة الاوقاف، **1956**م)

زايد، عبد الحميد.

146. مصر الخالدة مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية،(القاهرة: **1966**م).

زكي، محمد أمين وعوني، محمد علي.

147. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى ألان، (بغداد: مطبعة صلاح الدين، **1961**م).

زيدان، جرجي.

148. تاريخ العرب قبل الاسلام (مؤلفات جرجي زيدان الكاملة)، (بيروت: دار الجيل، **1982**م).

ساكا، الأب اسحق.

149. تاريخ دير مار متي " مستخلص من كتاب دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متي العجيب "، (بغداد: مطبعة الزمان،**1975**م).

ستاركي، جان، والمنجد، صلاح الدين.

150. تدمر عروس الصحراء، (دمشق: مديرية الآثار العامة،**1947**م).

سرسق، دمتري.

151. تاريخ اليونان، (بيروت: **1876**م).

السعدني، محمود إبراهيم.

152. حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى القرن الأول الميلادي،(د.م: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، **1998**م).

سفر، فؤاد، ومصطفى، محمد علي.

153. الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مؤسسة رمزي للطباعة، **1974**م).

سفينسيسكايا، أ. س.

154. المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، ط2، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، (سورية: منشورات علاء الدين، **2007**م).

سلطان، غانم.

155. جزر العالم (أمثلة وتطبيقات من بحار العالم ومحيطاته دراسة لظروفها الجغرافية وتطور مراحل الاستقرار فيها ومواردها الاقتصادية)، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، **1988**م).

سلامة، أمين.

156. التاريخ الروماني، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، **1959**م).

سليم، أحمد أمين.

157. إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، (بيروت: دار النهضة العربية، **1988**م).

158. في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر - سورية القديمة)، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).

سليمان، عامر والفتيان، أحمد مالك.

159. محاضرات في التاريخ القديم، القسم الأول (موجز تاريخ العراق القديم)، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، **1978**م).

السواح، فراس.

160. ارام دمشق واسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط**5**، (دمشق: منشورات علاء الدين، **1995**م).

161. تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط**3**، (دمشق، منشورات دار علاء الدين، **2003**م)،

162. الحدث التوراتي والشرق الادنى، ط**3**، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، **1997**م).

سوسة، أحمد.

163. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، (بغداد: دار الحرية للطباعة،**1986**م).

سيبل، الكسندر

164. أخبار أمم المجوس من الأرمن ووزرنك والروس، (طبع مدينة اوسلو: **1928**م).

السيد، اديب.

165. أرمينيا في التاريخ العربي، (حلب: المطبعة الحديثة، **1972**م).

شريف، إبراهيم.

166. الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، (بغداد: مطبعة شفيق، د. ت).

الشيخ، حسين.

167. العصر الهلنستي، (د.م: 1993م).

الشيخ، محمد محمد مرسي.

168. تاريخ مصر البيزنطية، (د.م:1999م).

شيفمان، أ. ش.

169. المجتمع السوري القديم، ترجمة: إحسان إسحاق، (دمشق: مؤسسة الوحدة، د.ت).

صائب، سعد.

170. دور سورية في بناء حضارة الإنسانية عبر التاريخ، (دمشق: دار طلس للدراسات والترجمة والنشر، 1994م).

الصالحي، صالح رشيد.

171. المملكة الحثية دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول،(بغداد: 2007م).

صبري، مصطفى.

172. تاريخ الرومان، (مصر: مطبعة المحروسة، د.ت).

ابن صراي، حمد.

173. تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، (دبي: 1997م).

طراد، نجيب إبراهيم.

174. تاريخ الرومان، تقديم: محمد زينهم عزب، (د.م: 1997 – 1998م).

طرخان، ابراهيم علي.

175. دولة القوط الغربيين، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958م).

العابد، مفيد رائف محمود.

176. سوريا في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس333 – 64ق.م، (دمشق: دار الشمال، 1993م).

177. معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة 226 – 651م)، (بيروت: دار الفكر المعاصر ودمشق: دار الفكر،1999م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح.

178. أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول (التاريخ السياسي)، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1983م).

179. أوربا العصور الوسطى " النظم والحضارة "، ط2، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1972م).

عاقل، نبيه.

180. الإمبراطورية البيزنطية (دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري)، (دمشق: 1969م).

العاني، عبد الرحمن عبد الكريم.

181. البحرين في صدر الإسلام، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2000م).

عباس، إحسان.

182. دولة الانباط، (عمان: دار الشروق، 1978م).

العبادي، مصطفى عبد الحميد.

183. الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت).

184. العصر الهللينيستي، (بيروت: 1988م).

185. مصر من الاسكندر حتى الفتح العربي، (القاهرة: مطبعة الانجلو المصرية، 1966م).

عبد الحق، سليم عادل.

186. روما والشرق الروماني، (دمشق: المطبعة الهاشمية، 1959م).

العبد الغني، عبد الرحمن.

187. أرمينيا وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،1989م).

عبد الحميد، رأفت.

188. بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م).

عبد العزيز، وسام.

189. دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية 284 – 1025م، (القاهرة: 1982م).

عبو، عادل نجم ومحمد، عبد المنعم رشاد.

190. اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، (الموصل: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1993م).

عبيد، اسحق.

191. الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، تقديم: الأب جورج شحاتة قنواتي، (مصر: دار المعارف، 1971م).

عربش، سمير.

192. أرمينيا ارض وشعب، (بيروت: دار الريحاني، 1991م).

العريني، السيد الباز.

193. الدولة البيزنطية 323 – 1081م، (بيروت: دار النهضة العربية، 1982م).

194. مصر البيزنطية، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1961م).

عزت، يوسف باشا.

195. تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب بك، (القاهرة، 1923م).

العسلي، بسام.

196. الاسكندر الأكبر المقدوني من 336 – 323 ق.م،(دمشق: 1980م).

عصفور، أبو المحاسن.

197. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، (بيروت: دار النهضة العربية، 1984م).

عكاشة، علي والناطور، شحاتة وبيضون، جميل.

198. اليونان والرومان، (عمان: دار الأمل للطباعة،1991م).

علي، جواد.

199. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، 1969م).

علي، رمضان عبدة.

200. تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء الاسكندر الأكبر، الجزء الثاني الاناضول - بلاد الشام، (القاهرة: دار نهضة الشرق، **2002**م).

علي، زكي.

201. كليوباترا - سيرتها وحكم التاريخ عليها، (المؤسسة المصرية للطباعة والنشر: د.ت).

علي، عبد اللطيف احمد.

202. التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى اكتافيانوس اغسطس)، (القاهرة: دار النهضة العربية، **1967**م).

203. التاريخ اليوناني " العصر الهيلادي "، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، د.ت).

204. روما " تاريخ الجمهورية والإمبراطورية الرومانية "، (القاهرة: **1960**م).

205. محاضرات في العصر الهللينستي، (بيروت: مطبعة كتب كزيدية أخون،**1976**م).

206. مصادر التاريخ الروماني،(بيروت: دار النهضة العربية،**1970**م).

207. مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة: دار النهضة العربية، **1965**م).

عمر، فاروق.

208. تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى الإسلامية **1 - 906**هـ/ **622 - 1500**م، ط2، (بغداد: **1985**م).

عمران، محمود سعيد.

209. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية " مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي "، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، **2000**م).

210. مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي، (د.م: **1996**م).

عياد، محمد كامل.

211. تاريخ اليونان، (دمشق: وزارة التعليم السورية، **1969**م).

الغمراوي، علي.

212. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، (القاهرة: **1977**م).

غنيم، اسمت.

213. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية **324 - 1453**م،(الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، **1987**م).

غنيمة، يوسف رزق الله.

214. الحيرة والمدينة والمملكة العربية، (بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، **1936**م).

فخري، احمد.

215. دراسات في تاريخ الشرق القديم " مصر – العراق – سوريا – اليمن – إيران " مختارات من الوثائق التاريخية، ط2، (مصر: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت).

فرح، أبو اليسر.

216. الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني، (د.م: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، **2005**م).

فرح، نعيم.

217. تاريخ بيزنطة منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، (دمشق: جامعة دمشق،**1978**م).

218. معالم حضارات العالم القديم، (القاهرة: دار الفكر، **1973**م).

فرزات، محمد حرب.

219. مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الاسلام، (مطبعة جامعة دمشق:**1989**م).

220. موجز في تاريخ سورية القديم، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، د. ت).

فشر، هـ. أ. ل.

221. تاريخ أوربا في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي بك ومحمد عواد حسين، (مصر: دار المعارف، **1950**م).

فهمي، محمود.

222. تاريخ اليونان، (مصر: مطبعة الواعظ، **1910**م).

223. قابلو، جباغ.

224. تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، تقييم: احمد حامدة، عبيد مرعي، فيصل عبد الله، (سوريا: منشورات جامعة دمشق، د.ت).

القاضي، عبد الواحد اسماعيل.

225. تاريخ الثورات المصرية، (د.م: د.ت).

قنوتي، جورج شحاتة.

226. المسيحية والحضارة العربية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت).

كانتور.

227. تاريخ العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مراجعة: علي الغمراوي، (القاهرة: 1977م).

كرانت، مايكل.

228. كليوبطرة ملكة مصرية، (بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د.ت).

كرستنسن، ارثر.

229. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م).

الكرملي، انستانس ماري.

230. المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، (بغداد: مطبعة دار الحرية،1976م).

الكلداني، بطرس نصرى.

231. ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، (الموصل: دار الآباء الدومنيكيين، 1905م).

كولنجوود.

232. فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكر خليل ومحمد عبد الواحد خلف، (القاهرة: 1961م).

كونتينو، جورج.

233. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1986م).

لامب، هاولد.

234. الاسكندر المقدوني، ترجمة:عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع، مراجعة: محمود الامين، (بغداد: المكتبة الاهلية، 1965م).

لسترنج، كي.

235. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م).

لوريمر، ج، ج.

236. دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، (الدوحة: مطبعة علي بن علي، د.ت).

لويد، سيتن.

237. الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الان)، ترجمة: طه باقر وبشير فرنسيس، (القاهرة: **1948**م).

لوكهارت، ل.

238. فارس في نظر الغرب، ترجمة: السيد يعقوب بكر، فصل ضمن كتاب تراث فارس.

239. ماتساس، نسطور.

240. مذكرات الاسكندر الكبير " عن مخطوط بابل "، ترجمة: الطاهر فيفة، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع،**1989**م).

محفل، محمد.

241. دراسات في تاريخ الرومان، (جامعة دمشق: **1984**م).

مصروعة، جورج.

242. هنيبال، (بيروت: **1959**م).

أبو مغلي، محمد وصفي.

243. إيران دراسة عامة،(البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة إيران والخليج العربي(**24**)، **1985**م).

مكاريوس، شاهين.

244. تاريخ إيران، (مصر: مطبعة المقتطف، **1898**م).

مكاوي، فوزي.

245. الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، (القاهرة: المكتب المصري، **1999**م).

246. قبرص تحت حكم البطالمة، (طنطا: **1985**م).

مكاي، دروثي.

247. مدن العراق القديمة، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، (بغداد: مطبعة شفيق، **1952**م).

الملاح، هاشم يحيى.

248. الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، **1994**م).

موس، هـ، سانت ل. ب.

249. ميلاد العصور الوسطى **395 – 814**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: السيد الباز العريني، (القاهرة: عالم الكتب، **1967**م).

موسكاتي، سبتينو.

250. الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، (القاهرة: دار الكتاب العربي، **1957**م).

موسيل، الوا.

251. الفرات الأوسط " رحلة وصفية ودراسات تاريخية "، ترجمة: صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة: صالح احمد العلي وعلي محمد المياح، (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، **1990**م).

ميخائيل، نجيب.

252. مصر وسورية في العصور القديمة، (د.م: **1958**م).

الناصري، سيد احمد علي.

253. تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، (القاهرة: دار النهضة العربية،**1982**م).

254. تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، (القاهرة: دار النهضة العربية، **2001**م).

نافتالي، لويس.

255. الحياة في مصر في العهد الروماني **30**ق.م – **284**م، ترجمة وتعليق: آمال الروبي، مراجعة: د. محمد حمدي إبراهيم، (الهرم: **1997**م).

نصحي، إبراهيم.

256. تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام **133**ق.م، (بيروت: دار النجاح، **1971**م).

257. مصر في عصر البطالمة، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، **1946**م).

نولدكة، تيودور.

258. أمراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي و قسطنطين زريق، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، **1933**م).

هادريل، ج.م، والاس.

259. أوربا في صدر العصور الوسطى، ترجمة: حياة ناصر الحجي، (الكويت: **1979**م).

هارتمان، ل.م وباراكلاف،ج.

260. الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، (القاهرة: **1970**م)

هاملتون، أديث.

261. الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، ترجمة: حنا عبود، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، **1997**م).

هانوتو، نجريال.

262. نبوخذ نصر " عظمة بابل وإحراق نينوى وتدمير مملكة يهوذا "، ترجمة: فيليب عطا الله، (بيروت: دار الجيل، **1994**م).

هبو، احمد رحيم.

263. تاريخ الشرق القديم (سورية)، ط2، (صنعاء: دار الحكمة اليمانية، **1999**م).

هسي، ح، م.

264. العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق، رأفت عبد الحميد، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: **1997**م).

هنتس، فالتر.

265. المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الاردنية،**1970**م)

واكيم، سليم.

266. إيران والعرب " العلاقات العربية – الإيرانية عبر التاريخ "، (بيروت: **1967**م).

ولبر، دونالد.

267. إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة: إبراهيم أمين الشواربي، (القاهرة: مكتبة مصر، **1958**م).

ولز، هـ.ج.

268. معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، **1948**م).

يتيم، الأب ميشيل وديك، الأب اغناطيوس.

269. تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، (حلب: مطبعة الإحسان، **1963**م).

يحيى، لطفي عبد الوهاب.

270. مقدمة في أنظمة الحكم عند اليونان والرومان دراسة في حضارة البحر الأبيض، ط2، (الإسكندرية: **1958**م).

اليسوعي، الأب صبحي حموي.

271. معجم الأيمان المسيحي، ط2، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: الاب جان كوربون، (بيروت: دار المشرق، 1998م)

اليوسف، عبد القادر احمد.

272. الإمبراطورية البيزنطية، (بيروت: المكتبة العصرية، 1966م).

يني، جورج افندي.

273. تاريخ سوريا، (بيروت: المطبعة الأدبية، 1881م).

رابعاً: المصادر الفارسية

ادنيفر.م.

274. دائرة المعارف زرين يا اطلاعات عمومي، أي ازنو يسذكان ايران وجهان، بامقدمة: محمد عباس، (د.م: د.ت).

اشتياني، عباس إقبال.

275. اردشير بابكان مؤسس سلسلة ساساني(224 – 241م)، مجموعة مقالات عباس إقبال اشتياني، جمع وتدوين: سيد محمد دبير سياقي، (إيران: جابخانة ليلا، 1378ش).

اعتماد السلطنة، محمد حسن.

276. تاريخ اشكانيان " درر التيجان في تاريخ بني الاشكان "، تصحيح: نعمت حمدي، (تهران: اطلس، 1371ش).

برويز، عباس.

277. دو سنه اربا ونصد ساله ايران، جلد اول " از قديم ترين ازمنة تاريخي تاشكيل سلسلة طاهريان، (تهران: جاب علي اكبر علمي، د.ت).

تاج بور، محمد.

278. تاريخ الاقليتين المذهبية اليهود والمسيحية في إيران، (تهران: مطبعة فرهاني، 1344ش).

بنونسيت، اميل.

279. دين ايراني، ترجمة: بهمن بركارتي، (تبريز: 1350ش)

بهروزي، محمد جواد.

280. تقويم تاريخي فرهنكي – هنري **250** سنة شاهنشاهي إيران، (تهران: انتشارات سال كورش الكبير،**1971**م).

بيغوليفسكيا، ن.و، واخرون.

281. تاريخ إيران از دوران باستان تا بايان سده هيجدهم ميلادي، ترجمه للفارسية: كريم كشاورز، (تهران: **1354**ش).

جانج، بيتر جوليوس.

282. داريوش يكم بادشاه بارسا، ترجمة وحواشي: نشي زاده، (تهران: جاب خانة دانشكاه، **1325**ش).

حافظ ابرو، شهاب لدين عبد الله خوافي (ت833هـ).

283. جغرافياي حافظ ابرو، مقدمة تصحيح وتحقيق: صادق سجادي، (ناشر ميدان: **1378**ش).

حسن، زكي محمد.

284. تاريخ نقاش در إيران، ترجمة: أبو القاسم سحاب، (د.م، د.ت).

خان، يعقوب حسن.

285. نكاهي بتاريخ قدين أفغانستان، (كابل: سالنامه كابل، **1314**ش).

دريايي، تورج.

286. شاهنشاهي ساساني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: انتشارات ققنوس، **1383**ش).

دياكونوف، ميخائيل ميخائيوديج.

287. تاريخ إيران باستان، ترجمة: روحي ارباب، (تهران: **1380**ش).

رازي همداني، عبد الله.

288. تاريخ كامل إيران از تأسيس سلسلة ماد تا انقراض قاجارية، (تهران: جاب اقبال، **1363**ش).

289. تاريخ مفصل إيران از تأسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، (تهران: شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، **1335**ش).

رجبي، برويز.

290. هزاره هاي كم شده، جلد جهارم – اشكانيان (بارت ها)، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، **1380**ش).

رضائي، عبد العظيم.
291. كنجينة تاريخ إيران، جلد سادس - اشكانيان، (تهران: انتشارات اطلس، **1378**ش).

زرين كوب، عبد الحسين.
292. تاريخ مردم إيران (إيران قبل از اسلام كشمكش باقدرتها)، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، **1381**ش)
293. روزكاران تاريخ إيران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي، (تهران: جابخانة مهارات، **1378**ش).

زهتابي، محمد تقي.
294. إيران تركلرنين (اسكى تاريخي) - اسكندر دؤوروندن ايسلاماقدر، (تبريز: نشر أختر، **1378**ش).

سالور، سبكتكين.
295. بنياد شانشاهي ايران " مهاجرت آرين ها زرادشت وعصر أو مادها كورش كبير، (تهران: از انتشارات شركات نبي حاج محمد حسين اقبال وشركاه، **1340**ش).

سايكس، سير برسي.
296. تاريخ إيران، ترجمه إلى الفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، جاب سوم، (تهران: جاب افست علي اكبر علمي، **1332**ش).

شاهرخ، كيسرو.
297. زراتشت بيامبري كه أز نو بايد شناخت "فروغ مزديستي"، جاب ششم، (تهران: انتشارات جام، **1386**ش).

شيبمان، كلاوس.
298. مباني تاريخ بارتيان، ترجمة: هوشنك صادقي، جاب أول، (تهران: نشر وبزوهش فرزان روز، **1384**ش).

عريان، سعيد.
299. راهنماي كتيبه هاي ايراني ميانه بهلوي - بارتي، ناشر: معاونت بزوهشى، بزوهشكده زبان وكويش، (تهران: خيابان آزادى، **1382**ش).

الفردوسي، أبو القاسم منصور بن حسن بن اسحق (ت411هـ/ 1020م).
300. الشاهنامة، ترجمة: الفتح بن علي البنداري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، **1932**م).

كالج، مالكوم.

301. اشكانيان (بارتيان)، ترجمة: مسعود رجب نيا، (تهران: هيرمند، **1380**ش).

كرانتوسكي، م.أ؛ داندامويو، ك.أ كاشلنكو، بتروفسكي، م.س، ايدانوف، ل.ك. بلوي.

302. تاريخ إيران از زمان باستان تا امروز، ترجمة: كيخسرو كشاوزرى، (تهران: انتشارات بويش، **1359**ش).

كوتشميد، الفرد فن.

303. تاريخ إيران ممالك همجوار ان از زمان اسكندر كبير تا انقراض اشكانيان، بامقدمة: أي از نولدكه، ترجمة حواشي: از كيكاوس جهانداري، (شركت سامي جاب وانتشارات كتب ايران: د.ت).

كيهان، مسعود.

304. جغرافياي مفصل إيران طبيعي،(تهران: مطبعة مجلس، **1313**ش).

مستوفي قزويني، حمد الله بن أبي بكر احمد بن نصر (ت730هـ/ 1329م).

305. تاريخ كزيدة، باهتمام: عبد الحسين نوائي (طهران: مطبعة الفردوسي، **1336**هـ).

مشكور، محمد جواد.

306. إيران در عهد باستان، جاب جهارم، (طهران: **1363**ش).

مشكور، محمود جواد، و رجب، مسعود.

307. تاريخ سياسي واجتماعي اشكانيان – بارتيان – باهلويان قديم،(تهران: دُنياي كتاب، **1374**ش).

مهرابادي، ميترا.

308. تاريخ كامل إيران باستان،(تهران: انتشارات افراسياب،**1380**ش).

مهميد، محمد علي.

309. تاريخ ديبلماسي إيران، (تهران: **1361**ش).

مولة، نوشتهءم.

310. إيران باستان، ترجمة: زالة اموزكار، (تهران: انتشارات دانتكاه تهران، **1939**م).

ميلر، و. م.

311. تاريخ كليساي قديم در امبراطوري روم وإيران، ترجمة: علي نخستين، (تهران، **1382**ش).

نفيسي، سعيد.
312. تمدن إيران ساساني، (إيران: انتشارات جامعة طهران،1331ش)

نولدكة، تيودور.
313. تاريخ إيرانيان وعربها در زمان ساسانيان، جاب دوم، ترجمة: عباس زرياب، (تهران: بزوهشكاه علوم إنساني ومطالعات فرهنكي، 1378ش).

هدايت، صادق.
314. كارنامة اردشير بابكان، جاب دوم، (تهران: 1953م).

هوار، كلمان.
315. إيران وتمدن إيراني، ترجمه للفارسية: حسن انوشه، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، 1384ش).

ولسكي، يوزف.
316. شاهنشاهي اشكاني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: ققنوس، 1383ش).

ويسهوفر، يوزف.
317. أيرن باستان از 550بيش از ميلاد تا 650بس از ميلاد، جاب سوم، ترجمة: مرتضى ثاقب فر، (تهران: ققنوس، 1378ش).

خامساً ـ المجلات والدوريات.

الالوسي، سالم.
318. اكتشاف مهم في تلول العبرة الصغيرة، مجلة (سومر)، مج 10، ج1، (بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1954م).

البستاني، بطرس.
319. أرمينيا، دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

حاتم، نور.
320. الذكريات السورية في روما، مجلة (الحوليات الأثرية العربية السورية)، مج11 – 12، (دمشق: 1961 – 1962م).

الحاج حمدان، عبد المجيد.

321. الإمبراطور الروماني فيليب العربي **Philip The Arabian** (ماركوس يوليوس فيليبوس **Marcus Julius Philippus**)، مجلة (دراسات تاريخية)، العددان **85**و**86**، (دمشق: **2004**م).

حلمي، احمد كمال الدين.

322. شاهنامة الفردوسي ملحمة الفرس الخالدة، مجلة (عالم الفكر)، مج**16**، ع**1**، (الكويت: **1985**م).

حسين، محمد عواد.

323. المسألة المصرية في السياسة الرومانية، حوليات (آداب عين الشمس)، مج**4**، **1965**م.

الخوند، مسعود.

324. الموسوعة التاريخية الجغرافية " معالم، وثائق، موضوعات، زعماء "، (لبنان: دار رواد النهضة للطباعة والنشر، **1994**م).

دانيال، كلين.

325. موسوعة علم الاثار، ترجمة: ليون يوسف، (بغداد: دار المأمون، **1990**م).

روتشتاين، غوستاف.

326. تاريخ السلالة اللخمية، ترجمة: منذر البكر، مجلة (كلية الاداب)، ع**16**، (البصرة: جامعة البصرة،**1980**م).

زهدي، بشير.

327. طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، مج**42**، (دمشق: **1996**م).

زيادة، نقولا.

328. الإجراءات الأمنية في تدمر في القرنين الأول والثاني الميلادي، مجلة (الحوليات الأثرية السورية)، مج**42**، (دمشق:**1996**م).

السير ريد، هيجارد.

329. كليوباترا ملكة مصر، ترجمة: م.ع.ج، (رواية نشرت في جريدة الاهرام، د.ت).

الشريف، محمد.

330. التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية، مجلة (دراسات تاريخية)، العدد **85 – 86**، (دمشق: **2004**م).

طرخان، ابراهيم.

331. نهاية الإمبراطورية الرومانية في الغرب **476**م، مجلة (كلية الآداب)، مج**20**، (جامعة القاهرة: **1958**م).

مجموعة مؤلفين.

332. الموسوعة المصرية " تاريخ مصر القديمة وآثارها "، (القاهرة: **1973**م).

محل، سالم احمد.

333. دور العرب في الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين، مجلة (اداب الرافدين)، ع **16**، (الموصل: **1986**م).

محمد، مشتاق طالب.

334. مدن العراق القديمة، ترجمها عن الموسوعة البريطانية، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد المزدوج **5** و**6**، (بغداد: مركز دراسات الأمة العراقية، **2005**م).

محمدي، محمد.

335. زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية، مجلة (الدراسات الادبية)، العدد المزدوج **3،2**، **4**، (بيروت: الجامعة اللبنانية، **1962 – 1963**م).

مظلوم، طارق عبد الوهاب.

336. المدائن (طيسفون)، مجلة (سومر)، مج **27**، (بغداد: مديرية الاثار العامة، **1971**م).

معلوف، لوئيس.

337. المنجد في الأعلام، ط**3**، (طهران: مطبعة أميران، **2001**م).

الموسوي، جواد مطر، وصالح، مهدية فيصل.

338. طبقات المجتمع الساساني (**226 – 636**م)، مجلة (كلية الاداب)، ع **68**، (بغداد: **2005**م).

مينورسكي.

339. أرمينية صقع في غربي آسيا، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد واحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت).

340. طوران، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: زكي خورشيد واحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: دار الشعب، د. ت).

عبد السلام، عادل.

341. البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية السورية وطريق الحرير، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، (دمشق: **1992**م).

علي، فاضل عبد الواحد.

342. صراع السومريين والاكديين مع الاقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (**2500** – **2000**ق.م)، بحث ضمن كتاب الصراع العراقي – الفارسي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، **1983**م).

غربال، محمد شفيق.

343. الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، **1987**م).

هارتمان، جرجان.

344. دائرة المعارف الاسلامية، (القاهرة: **1933**م).

ياسين، نجمان، الحضر مملكة العرب المنتصرين.

345. مجلة (افاق عربية)، العددان **1**و**2**، السنة الرابعة والعشرون، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، **2002**م).

اليسوعي، الاب سبستيان رتزفال.

346. زينب (الزباء) ملكة تدمر، مجلة (المشرق)، الاعداد **13** – **23**، السنة الأولى، (دمشق: **1898**م).

سادساً: الرسائل والاطاريح.

جاويد، ميسون مدحت.

347. ولاية سوريا الرومانية منذ عهد الاسرة السيفيرية حتى عهد دقلديانوس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة عين شمس: كلية الاداب، **2005**م).

الخالدي، شذى احمد عيسى.

348. تدمر إبان القرنيين الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة البصرة: كلية الآداب، **2001**م).

الخليلي، بشرى عناد محمد.

349. كليوباترا السابعة " السيرة الذاتية والانجازات السياسية **51 – 30**ق.م "، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد – كلية الاداب: **2008**م).

طه، صلاح الدين أمين.

350. فتح العرب أرمينية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد:جامعة بغداد – كلية الآداب،**1970**م).

351. الحياة العامة في أرمينية دراسة في أوضاعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية**30**هـ/ **651**م – **247**هـ/ **863**م، أطروحة دكتوراه غير منشورة،(جامعة بغداد: كلية الآداب، **1979**م)

العبادي، احمد صالح محمد.

352. الأطماع الأجنبية في اليمن قبل الاسلام **24** ق.م – **628**م، رسالة ماجستير غير منشورة،(بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية،**2001**م)

العلان، أرواد.

353. السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الانسانية، **2005**م).

كسواني، جورية حنا.

354. الإدارة والتنظيمات الإدارية الرومانية في سورية (**64**ق.م – **305**م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، **2005**م).

الكعبي، نصير عبد الحسين صبار.

355. التاريخ السياسي للدولة الساسانية في المصنفات العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة الكوفة، **2002**م).

الموسوي، مهدية فيصل صالح.

356. العلاقات الساسانية – البيزنطية **226 – 628** م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد – كلية التربية، **2006**م)

النوري، ميثم عبد الكاظم جواد.

357. العلاقات الفرثية الرومانية (**247**ق.م – **226**م)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، **2007**م).

يحيى، اسامة عدنان.

358. بابل في العصر الاخميني **539 – 331**ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: كلية الآداب، **2003**م).

سابعاً ـ المصادر الاجنبية

Al - Talibi, Ahlam.

359. Hatra:Une Ville An passe Prstigient Mĕ moine de D.E.A"langues, histoire, atcivilisations des mondes anciens, des origins fine du moyen - Age'', Amnĕe Universituire, (France, **1986 - 1987**).

Austin, M.M

360. The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest, (London, Cambridge University Press, **1981**)

Avery, C.B.

361. Classical Handbook, (London, **1962**).

Bang, Martin.

362. Expanion of the Teutons (To A.D.**378**), in Cambrage Medival History, (Combridge, **1975**).

Barker, Ernest.

363. Italy and the West **410 - 476**, In Cambridge Medieval History, (Cambrige, **1975**).

Bausani, Alessandro.

364. The Persians from the earliest days to the twentieth Century, Translated from the Italian by:J. Donne, (Florence, **1962**).

Baynes, Norman.

365. Byzantine Studies and Other Essays, (London, **1955**).

Baynes, Norman.H.

366. the Dynasty of Valentinian and Theodosius, in Cambridge Mediaval History, (Cambridge, **1975**).

Baynes, N.H. & Mos.St.L.

367. Byzantium An Introduction to east Roman Civilization, (Oxford, **1962**).

Bengtson, Hermann. and Others.

368. The Greeks and the Persians from the sixth to the fourth Centuries B.C, Delacorte Press, (NewYork, **1968**).

Betten, Francis.S.

369. The Ancient World from the Earliest time to **800**A.D, (New York, **1916**).

Bevan, E.R.

370. The House of Seleucus, (London, **1966**).

Bloch, G.

371. Empire Roman, (Paris, **1931**).

Boak, Arthur, E and Sinnigen, William, G.

372. A History of Rome to **565** A.D, (New York, **1946**).

Bochier, E.S.

373. Syria As a Roman province, (New York, **1926**).

Boissonnade, P.

374. Life and Work in Medieval Europe, Translated by: F. Power, (London, **1937**).

Botsford, George Willis.

375. A History of Rome, (London, **1920**).

Bowersock, Gelen.

376. Studies on the Eastrn Roman Empire, (Goldbach, **1994**).

Brown, Peter.

377. The World of Late Antiquity from Marcus Aurelius to Muhmmed, (London, **1972**).

Burn, A.R.

378. The Warring States of Greece from their Rise to the Roman Conquest, (London, **1968**).

Bury.J.

379. AHistory of Greece to the death of Alexander the Great, (London, **1920**).

380. A History of the Roman Empire from its Foundation to the death of Marcus Aurelius **27**B.C - **180**A.D, (London, **1930**).

Cantor, Norman.E.

381. Medieval History, The Life and Death of a Civilization (U.S.A, **1969**).

Cary, M.& Litt, D.

382. A History of Rome down to the reign of Constantine, Second Edition, (New York & London, **1960**).

Cary, M & Scullard, H.H.

383. A History of Rome, (London, **1979**).

Cary, M, and Wilson, John.

384. Ashorter History of Rome, (London, **1963**).

Cote, Jason Michael.

385. Theodosius and the Goths:The Limts of Roman power, (University of Ncinnatl, **2004**).

Cotterill, H.B.

386. Ancient Greece A sketch of Its Art Literature & Philosophy Viewed in Connation with Its External History from Earliest Time to the Age of Alexander the Great, Second Edition, (London, **1915**).

Crousset, R.

387. Histoire Del Armenie Des origins a **1071**, (Paris, **1946**).

Dawney, G.

388. The Persian Campaign in Syria In **540** A.D, (Speculum, **1953**).

Dick, B.

389. The Ancient Persians, How they Lived and Worked, (London, **1979**).

Debevoise.

390. A political History of Parthia, (Chicago, **1938**).

Deanesly, Margaret, M.

391. A History of Early Medieval Europe from **476** to **911**, (London, **1956**).

Delaport, L.

392. Mesopotamia, Translated by:V.Gordonchilde, (London, **1925**).

Elers, Wilhelm

393. Iran and Mesopotamia, In The Cambride History of Iran, (Cambrig, Cambride University Press, **1968**).

Encyclopedia Britanica.

394. Palmyra, The Edition **15**, (London, **1985**), Vol.**9**

Fisher, W.B.

395. Physical Geography, In the The Cambride History of Iran, (Cambridge University Press, **1968**).

Fisher, H.A.L..

396. A History of Europe, (London, **1946**).

Frye, Richard.N

397. Iran, (London, **1954**).

398. The Heritage of persia, (London, **1963**).

399. Persia, (London, **1968**)

Gardner, P.

400. The Parthia Coinas (International Oriental), (London, **1877**).

Ghirshman, Roman

401. Iran from the Earliest times to the Islamic conquest, (London, **1954**).

402. Iran Parthian and Sassanians, (France, **1962**).

Grant, M.

403. History of Roman, (Great Britain, **1978 - 1979**).

Griffiths, J.G.

404. Gournal of Egyption Archaeology, (**1961**).

Hadrill, Wallace, J.M.

405. The Barbarian West, (London, **1952**).

Hay, Denis.

406. The medieval Centuries, (London, **1974**).

Hayward, F.H.

407. Marcus Aurelius, (London, **1935**),

Heather, P.j.

408. Goths and Romans **332 - 489**, (Oxford, **1991**).

Helchelhelm, Frits M& Yeo, Cedric.

409. A History of the Roman, (United States of America, **1962**).

Herzfeld, E.

410. Archaelogische Mitteilungen aus Iran, (Berlin, **1932**).

411. Iran in Ancient East, (Oxford University Press, **1941**).

Homo, Leon.

412. Roman Political Institutions From City to State, (London, **1929**).

Hoyt, Robert & Chodorow, Stanley.

413. Europe in the Middle Ages(U.S.A, **1975**). Huart, Clement.

414. Ancient Persia and Iranian Civilization, (London, **1972**).

Jones, A.H.M.

415. Constantine and the Conversion of Europe, (London, **1961**).

416. The Decline World, (London, **1974**).

417. The Later Roman Empire **284 - 602 "**A social Economic and Administrative Survey'', (Oxford, **1946**).

Jouguet, P.

418. Alexander The Great and Hellensti Civilization, (Chicago, **1978**).

Katz, S

419. The Decline of Medieval Europe, (New York, **1955**).

Kent (j.p.C), panter (K.S).

420. Wealth of the Roman World **"** Gold and Silver A.D **399 - 700"**, (British museum, **1977**).

Kepper, F.A.

421. Trajan's Parthian War, (Oxford, **1948**).

Koenigsberger, H.C, and Briggs, Asa.

422. A History of Europe **"** Medieval Europe **400 - 1500"**, (Longman, New York, **1989**).

Kupper, J.R.

423. The Hurrians **1800**B.C, In the Cambridge Ancient History, (Cambridge, **1973**).

Lamb, Harold.

424. Constantinople:Birth of an Empire, (NewYork, **1957**).

Lenski, N.

425. failure of Empire: Valens and the Roman senate in the Fourth Century A.D, (Los Angeles, London, **2002**).

Lindsay, Jack.

426. Byzantium in to Europe, (London, **1952**).

Lot.F.

427. The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, (London, **1931**).

428. Les invasions Germaniques, Lapenetration mutuelle du mande Barbare at dumonde Romain, (Paris, **1935**).

Manitius, M.

429. The Teutonic Migrations **378 - 421**, In Cambridge Medieval History, (Cambrige, **1975**).

Martha, T.Roth.

430. Law collections from Mesopotamia and Asia Minor, Journal of near Eastern studies, (Chicago, the University of Chicago Press, **1960**).

Mattingly, Harold M.A.

431. Outlines of Ancient History from the Earliest times to the fall of the Roman Empire in the West A.D.**476**, (Cambridge at the University Press, **1914**).

Matthews, J.

432. Western Aristocracies and the Imperial CourtA.D.**364 - 425**, (Oxford, **1975**).

Maurison, G.C.

433. Dareios **111** and the battle of issos, Historia, XX**1**, (**1972**).

Millar, F.

434. The Roman Near East **31**B.C - AD **337**, Second Edition, (Harvard, **1994**).

Munro, Dana Carleton&Sontag.

435. Baymond James, The Middle Ages **395 - 1500**, (London, **1928**).

Nollet, R, Farzami, S.

436. Iran, In Larousse Encyclopedia of world Geography, (London, **1967**).

Oglivie.

437. Early Rome and the Etruscans, (Sussex, **1975**).

Olmastead, A.T

438. History of the Persian Empire, (Chicago, **1948**).

Orton, C.W.Previte.

439. The Shorter Cambridge Medieval History, Vol.**1**, **"** The Later Roman Empire to the Twelfth Century **"**, (Cambridge At the University Press, **1953**).

Oman, Charles.

440. The Dark Ages **476 - 918**, Sixth Edition, (London, **1949**).

Ostrogorsky, George.

441. History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, (Oxford, **1968**).

Painter, S

442. A History of The Middle Ages, (NewYork, **1954**).

Pennell, Robert F.

443. A ncient Rome from the earliest time down to **476**A.D, (Boston, **1891**).

Randall, Maclver.

444. Villannovans and Early Etruscans, (**1924**).

Reid, J.S.

445. The Re Organization of The Empire, In The Cambridge Medieval History, (Cambridge, At the University Press, **1936**).

Ripley, W.Z.

446. The Races of Europe, (London, **1899**).

Robson, E.Iliff.

447. History of Alexander and Indica, (Great Britain, N.D).

Robinson, Cril.

448. A History of Europe:Ancient & Medieval, (U.S.A, **1920**).

449. A History of Rome from **753** B.C To **410** A.D, (London, No.D).

Rostovtzeff, M.

450. A History of the Ancient world, (Oxford, **1928**).

Royston, Pike, E.

451. Republican A young Historian Book, (Weidenfeld & Nicolson, **1966**).

Rey Coquais, J.P.

452. Syria Romaine de Pompee a Diocletien, Journal of Roman Studies, **68**, (London, **1978**).

Salmon, E.T.

453. A History of the roman World **30**B.C to**138**A.D, (Great Britain, **1974**).

Scharlau, K, K.

454. Geomorphologe of Iran, In the The Cambride History of Iran, (Cambrig, Cambride University Press, **1968**).

Schmidt, Luewig.

455. The Visigoths in Caul **412 - 507**, In Cambridge Medieval History, (Cambrige, **1975**).

Scullard, H.

456. A History of the Roman World from **753** To **146** B.C, (**1969**).

Starr.Ch.

457. A History of the Ancient Word, (Oxford, **1965**).

Stephenson, Carl.,

458. Medieval History Europe from the Second to the Sixteenth Century, Fourth edition, (New York&London, N.D).

Syme, Ronald.

459. Ammianus and the historia Augusta, (Oxford, **1968**).

460. The Roman revolution, (Oxford University press, **1967**).

Tarn, W.W.

461. Parthia, The Cambridge Ancient History(Cambridge, **1951**).

Taylor.

462. The Medieval Mind, (London, **1936**).

Tenen, I.

463. Junior Histories of the Ancient World, Third Edition, Macmillan and Colimited, (London, **1937**).

Thompson, J.W.

464. History of the Middle Ages **300 - 1500**, (London.**1931**).

Trever, Albert.

465. A History of Ancient Civilization, The Roman World, (New York, **1939**).

Vasiliev, A.A

466. History of the Byzantine Empire **324 - 1453**, Second Edition, The Regents of the University of Wisconsin (**1952**).

Ware, T.

467. The Orthodox Church, (Middlesex, **1964**).

Waston, Paul.

468. Marcus Aurelius Antoninus, (New York, **1884**).

Wenzel, Marian.

469. Finding Out About the Byzantines, (London, **1965**).

William, H.S

470. The Historian's History of the World, (London, **1926**).

Wright, William

471. Palmyra and Zenobia, (London, **1987**).

Wirth, G.

472. Darios and Alexander, (Chiron, **1971**).

Wolfram, H.

473. History of the Goths (London, **1988**).

ثامناً ـ الانترنيت.

خنجي، امير حسين.

474. تاريخ إيران زمين (تاريخ إيران از دور تربن دوران تا سال 628 ميلادي).

www.irantarikh.comtaarikh.htm - 67k - lmCach - Ahnlicheseite

Cruttwell, Charles Thomas.

475. A History of Roman Literature from the Earliest period to the Death of Marcus Aurelius, http://. Gutenberg.(**2005**).

Gilman, Arthur.

The story of Rome from the Earliest Times to the End of theRepublic, http://WWW. blackmask.com

Jordon, David Starr.

476. War Selection in the Ancient world, http://world Library.net

Lord, John.

477. The Old Roman " The Grandeur and Failure of its Civilization", http://WWW. blackmask.Com.

Kingsley, Charles.

478. The Roman and the Teuton, hattp://WWW. black mask.com,

الفهرس

الاهــداء.....5

المقدمة 7

الفصل الأول

لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد الرومان وبلاد فارس 19

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد الرومان (إيطاليا) 21

1 – أصــل الرومــان..... 26

2 – نشأة مدينة روما وتأسيسها..... 28

3 – تكوين الدولة الرومانية..... 33

4 – توسع روما وسيطرتها على شبه الجزيرة الايطالية..... 35

المبحث الثاني: الإطار الجغرافي لبلاد فارس.....43

1 – التسميــة 43

2 – طبوغرافية البلاد..... 46

المبحث الثالث: بلاد فارس قبل العهد الساساني 56

1 – مرحلــة الحكــم الوطنــي..... 56

2 – مرحلة الحكم الأجنبي..... 66

3 – بلاد فارس تحت السيطرة الفرثية 72

المبحث الرابع: أصل الساسانيين وقيام دولتهم 79

الفصل الثاني

التنافس الروماني – الساساني على أرمينيا وسوريا (262 – 275 م) 89

المبحث الأول: دوافع التوجه الروماني نحو الشرق 91

المبحث الثاني: التنافس الروماني – الساساني على أرمينيا. 98

1 – طبوغرافية أرمينيا 98

2 – أهمية أرمينيا في السياسة الدولية. 101

3 – الأرمن وتأريخهم السياسي حتى سنة 226م. 103

4 – التنافس الروماني – الساساني على أرمينيا (226 – 275م). 115

المبحث الثالث: التنافس الروماني – الساساني على سوريا (226 – 272 م)..... 121

1 – تسميتها وأهميتها الجغرافية في السياسة الدولية 121

2 – تاريخ سوريا السياسي حتى سنة226م. 128

3 – محاولة اردشير الاستيلاء على سوريا (230 – 232م). 137

4 – أوضاع الدولة الرومانية خلال المدة (235 – 284م). 140

5 – هجوم الملك سابور الأول على سوريا وإستيلائه على أنتيوخيا260م 146

المبحث الرابع: تدمر والصراع الساساني – الروماني. 156

الفصل الثالث

التنافس الروماني – الساساني على الجزيرة الفراتية وأرمينيا (276 – 379 م) 175

المبحث الأول: استيلاء الرومان على طيسفون والتنازل الساساني عن الجزيرة الفراتية وأرمينيا 177

المبحث الثاني: دقلديانوس وحكومته الرباعية (284 – 312م) 180

المبحث الثالث: معاهدة السلم الاربعيني سنة 298م 189

المبحث الرابع: الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين الاول (306 – 337م) 193

1 – مرسوم ميلان سنة313م. 194

2 – بناء القسطنطينية (324 – 330م) 200

المبحث الخامس: الدولة الساسانية في عهد الملك سابور الثاني(309 – 379م) 206

1 – علاقة الملك سابور الثاني بالعرب 206

2 – موقف الدولة الساسانية من الديانة المسيحية (الاضطهاد الاربعيني) 215

3 – محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على أرمينيا 337 – 342م..... 219

4 – محاولات الملك سابور الثاني الاستيلاء على نيسيبيس 338 – 350م. 224

5 – استيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا سنة 350م واستعادة الرومان لها سنة 352م..... 226

المبحث السادس: الاوضاع العامة في الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية..... 228
خلال المدة (350 – 357م) وأثرها في تجدد الحروب بينهما

المبحث السابع: أستيلاء الملك سابور الثاني على آمد، سنجار، بازبدا سنة (359 – 360م) 231

المبحث الثامن: حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م..... 236

المبحث التاسع: أستيلاء الملك سابور الثاني على أرمينيا 367 – 368م 257

الفصل الرابع

الخلافات الدينية والأخطار الخارجية (الساسانية – الجرمانية) ودورهما في سقوط روما... 261

المبحث الأول: الخلافات الدينية 263

1 – أسبابهـا 263

2 – الخلافات الدينية في القرن الرابع الميلادي. 266

3 – جهود الإمبراطور ثيودوسيوس الأول في توحيد الإمبراطورية الرومانية 280

المبحث الثاني: الأخطـــار الخارجيـــة..... 284

1 – الخطر الساساني خلال المدة (379 – 420م)..... 284

المبحث الثالث: تجدد الخلافات الدينية في القرن الخامس الميلادي 292

1 – الصراع بين المذهب النسطوري والمذهب الاورثوذوكسي النيقي 292

2 – الصراع بين مذهب الطبيعة الواحدة ومذهب الطبيعتين..... 296

المبحث الرابع: الخطر الساساني خلال السنوات(421 – 476م) 300

1 – تجدد الحروب الرومانية – الساسانية في عهد الملك بهرام الخامس (421 – 438م). 300

2 – معاهدة السلم الستيني سنة 442م..... 304

المبحث الخامس: هجمـــات الشعـــوب الجرمانيـــة 308

1 – أصل الجرمان وتسميتهم ومواطن سكناهم الأولى..... 308

2 – علاقتهم المبكرة بالإمبراطورية الرومانية..... 313

ب – في العهد الإمبراطوري حتى سنة 192م..... 316

3 – الغزوات الجرمانية من القرن الثالث الميلادي حتى سقوط روما سنة 476م. 321

4 – سقـوط رومـــا 476م..... 341

الخاتمة..... 345

الملاحق 351

المصـــادر والمراجـــع 365

منشورات

دار ومكتبة

عدنان

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
1	أتجاهات الرأي العام العراقي ازاء البرامج	مجموعة	2015
2	البناء الدلالي لسردية الشكل السينمائي	أحمد جبار العبودي	2015
3	التعددية الدينية قراءة في المرتكزات والاسباب	دراسة	2015
4	التوجهات القيمية للطفل	د.محمود شمال حسن	2015
5	جثث بلا اسماء	اسماعيل شكران	2015
6	جماليات السرد في العرض المسرحي المونودرامي	د.زينب كفاح الشبيبي	2015
7	الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين5--6الهجريين	د.مثنى الفصلي	2015
8	دراسات في فلسفة العلم	د.أفراح لطفي عبد الله	2015
9	عزيز شريف ودوره في السياسة الخارجية العراقية	جمعة الخفاجي	2015
10	العلاقات العامة الالكترونية	د.جاسم طارش العقابي	2015
11	المرأة البغي خصائصها النفسية والاسباب التي دفعتها الى احتراف البغاء	د.محمود شمال حسن	2015
12	المسرح العراقي بعد التغير مسرح مابعد2003	بشار عليوي	2015
13	مظفر النواب الظاهرة الاستثنائية	كاظم غليان	2015
14	مناهج البحث في الفنون المسرحية والسمعية والبصرية	سامي عبد الحميد	2015
15	الموصل تراث وأصالة	مجموعة مؤلفين	2015
16	الوجودية وعلم النفس	د.محمود شمال حسن	2015
17	الأب القاتل رواية	غالب حسن الشابندر	2014
18	الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لاعيان الأندلس في عهدي الامارة والخلافة	د. صباح خابط الحميداوي	2014
19	الأدب والفن حوارات في المفاهيم والتقنيات والوظائف	د.صبيح الجابر	2014
20	أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي	علاء صادق الأعرجي	2014

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
21	الاستبداد الرمزي	شاكر شاهين	2014
22	الأسلوب واللغة في قصائد فوزي الاتروشي	د. جمال خضير الجنابي	2014
23	أصول النقد والتحليل في العمل الكتابي	مرتضى حسين النقيب	2014
24	أقنعة واساطير مقاربات نقدية في سوسيولوجيا الثقافة العراقية	ثامر عباس	2014
25	آليات تكامل الوظائف المرجعية والأدائية للأفعال الصوتية والجسدية للممثل المسرحي	د. فائز العبادي	2014
26	البنى الاسلوبية في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الستينات	د. أنسام محمد راشد	2014
27	تحت سماء الشيطان	قيس حسن	2014
28	التحقيق الاداري وضمانات تحقيق الدفاع دراسة مقارنة	أحمد طلال عبد الحميد البكري	2014
29	التربية والتعليم في الواقع العراقي – تحديات استراتيجيات	سامي عبد الهادي المظفر	2014
30	التشكيل البصري واشتغال الاضاءة الرقمية في العرض المسرحي	ضياء محمد تقي الامارة	2014
31	توظيف الخيال الصوري الموجه للطفل	د.شذى العاملي	2014
32	جماليات الموضوع الشعري عند فوزي الاتروشي	د. جمال خضير الجنابي	2014
33	حركة الممثل في فضاء المسرح	د.سامي عبد الحميد	2014
34	حينما ماء القلب – شعر	خزعل الماجدي	2014
35	الخطاب الجمالي جدلية الفكر والفن	د.عامر صباح المرزوك	2014
36	سيكولوجية الصورة في المسرح والسينما والتلفزيون	د. شذى العاملي ضياء الامارة	2014
37	صالح العابد ذاكرة التاريخ الحاضر	أ.د.محمود عبد الواحد محمود	2014
38	صفحات من التاريخ الفاطمي	د. هيفاء عاصم محمد	2014
39	علي جودة الأيوبي ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1958	د. جمعة الخفاجي	2014
40	فاعلية التناص في التشكيل النصي لادب جمعة اللآمي	زينب ميثم علي	2014
41	قدرات الدماغ البشري الفائقة	محمد جاسم عيسى	2014
42	لغة النقد الحديث في العراق من المقالية إلى النسقية	د.عارف الساعدي	2014
43	لمحات من الآيات	د. نبيل بنيان الحسون	2014

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
44	الماء وتشظيات الجمر شعر صلاح عبد الصبور	د. أنسام محمد راشد	2014
45	المتنبي المهرجان الحادي عشر دورة رعد كوران	مجوعة	2014
46	المجتمع الأمريكي ودوره في صنع الاستراتيجية الشاملة	د.رعد قاسم العزاوي	2014
47	مراكش خلال عصر الموحدين	د.مشتاق المياح	2014
48	المسرح العراقي رؤية تراجيدية في وطن متغير	د.عبد الرحمن بن زيدان	2014
49	مسـلية الغريب في كل أمر عجيب دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي	د.باولو دانيال الياس فرح	2014
50	ملك العراق الصغير فيصل الثاني اصغر ملك في العالم	ترجمة واعداد د.علي ابو الطحين	2014
51	نزيف – رواية	أميرة فيصل	2014
53	نظرية المعنى عند الازهري في تهذيب اللغة	أ.د. لطيفة الضايفي	2014
54	النقد الثقافي والتأهيل الجامعي	د. معن جاسم الأمين	2014
55	الواقعية النقدية وتطبيقاتها في المسرح دراسة نقدية في ضوء المنهج النقدي الاجتماعي	د. شذى سالم	2014
56	وسائل تشكيل الصورة الشعرية عند فوزي الاتروشي	د. جمال خضير الجنابي	2014
57	ابن الشارع – رواية	خضر فليح الزيدي	2013
58	الاتجاه الفوضوي في فلسفة سارتر	عبد الحي أرزقان	2013
59	الاحتباس الحراري	جمال الاسدي	2013
60	الاخراج المسرحي	عدنان منشد	2013
61	أزمة الإسلام - الحرب الأقدس والإرهاب المدنّس - رؤية المحافظين الجُدد واليمين الأميركي للإسلام المعاصر	برنارد لويس ترجمة: حازم مالك محسن	2013
62	استعصاء الاصلاح في العقل العراقي	ثامر عباس	2013
63	أسرة عمر نظمي دورها السياسي واتجاهاتها الفكرية في العراق المعاصر	حيدر علي طوبان	2013
64	الاصنام والاوثان	كيلان خضير العزاوي	2013
65	أعجاز القرآن في النبات والحيوان	حسام حميد الحديثي	2013
66	الإعلام الإذاعي والتلفزيوني الدولي المفاهيم -الوسائل -المقاصد	أ . د . وسام فاضل راضي	2013
67	الأعلم عند الشيعة دراسة في مؤسسة مرجعية التقليد	لندا س. والبرج ترجمة: د. هناء خليف غني	2013

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
68	الأعمال الشعرية الكاملة	فوزي الأتروشي	2013
69	الألسنة العراقية	علي ثويني	2013
70	ألف حكاية وحكاية للأطفال	د.شفيق مهدي	2013
71	آلية انتاج الفكر	رأفت امير أسماعيل	2013
72	إمضاءات وقائع مهرجان المتنبي التاسع	شعراء عراقيون	2013
73	انتظام المعرفة اللغوية	مجموعة باحثين	2013
74	انتهاكات متاخرة	عبد النبي شايع	2013
75	انستانس الكرملي	كريم عبد الحسين الغراوي	2013
76	أنطقة المحّرم المثقف وشبكة علاقات السلطة	سعد محمد رحيم	2013
77	انطولوجيا المعرفة	مجموعة باحثين	2013
78	أوبرا كادو الحداد – من الموروث الكردي	محمد علي الخفاجي	2013
79	الباب الشرقي رواية الضحك بلا سبب	خضر فليح الزبيدي	2013
80	بغداد تبوح بأسرارها	عباس عبود	2013
81	بغداد والأمن وهموم أخرى	حسن البيضاني	2013
82	بنسيانا شكسبير يمكن العثور عليه ثانية	بيتر بروك مع دينس بابيله وجورج بانو ترجمة: د.محمد سيف	2013
83	بياض قاتم – نصوص	مهدي علي ازبين	2013
84	تأسيس بغداد	زهير هواري	2013
85	التحضر في المجتمع العراقي	منى العينجي	2013
86	التحول في اداء الممثل	كريم خنجر 2013	2013
87	التحولات الأسلوبية في بنية النص المسرحي المعاصر	د.منتهى المهناوي	2013
88	التشكيل الجمالي	عقيل مهدي	2013
89	التطور الديمقراطي	جاسم الحلفي	2013
90	تقويم العراق	رفاييل بطي	2013

View publication stats